

الأستاذ صالح الطائي

عَوَالِمُ الْحُكُومَةِ الْمَهْدَوِيَّةِ

www.alinkshop.net

www.alinkshop.net



عَوَالِمُ
الحُكُومَةِ المَهْدَوِيَّةِ



عَوَالِمُ الْحُكُومَةِ الْمَهْدَوِيَّةِ

عَزُؤُ الْفَضَاءِ
وَفَتْحُ الْمَجْرَاتِ فِي عَصْرِ الظُّهُورِ

الجزء الأول

صالح الطائي

دار النشر

عواييم الحكومة المهديوة
عزؤ الفضاة وفتح المعجزات في عصر الظهور
صالح الطائي

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الأول/أكتوبر 2012

القياس: 17 × 24

عدد الصفحات: 512

تصميم الغلاف: الفنان بسام الخناق

الإخراج: مؤسسة المنتدى

ISBN 978-9953-574-73-8

إصدار



شركة العارف للأعمال ش.م.م

بيروت - لبنان 1 452077 00961

العراق - النجف الأشرف 7801327828 00964

Website: www.alaref.net

© جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

© All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopyings, recording or by an information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

● هامّ جداً: إن جميع الآراء الواردة في الكتاب تعبير عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَمَّ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة البقرة / ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥]

الإهداء

إلى

مقامك الأسمى سيدي الأمل الموعود

الإمام القائم المهدي المنتظر

(عجل الله تعالى فرجه الشريف)

عهداً بالانتظار

وثباتاً على المبدأ

وشوقاً إلى لقاء

ووعداً بنصرة

وإذا غيبي التراب بعد طول انتظار

سأنهض مؤتزرأً كفي

شاهراً سيفي

منادياً.. لبيك.. لبيك

يا إمامي

تقديم

الكتابة عن الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) شاقّة صعبة، وشاقّة ممتعة؛ ذلك أنّها تصدر من فؤاد شيق مشتاق إلى ظهوره البهيّ؛ لذا إنّ من يكتب عن الإمام المهديّ يجد صعوبة في هذا النوع من الكتابة؛ فيظلّ حائراً؛ عمّ يكتب؟ أ عن حياته في طفولته وقد أشبعت بحثاً؟! أم يكتب عن الإمام وأصحابه القلائل، أم عن التقاء الإمام بعدد من الناس الذين صفت قلوبهم كالزيت واشتعلت فكانت جذوة تهفو إلى اللقاء، وحدثت لهم حوادث معه حين ضاقت بهم السبل؛ أم يكتب عن دولة الإمام فيجمع به الخيال والأمنيات. كيف يظهر وكيف يدعو الأمم والشعوب، وهل يقاتلهم؛ أي: يخرج بالسيف، وهل يخرج بالدعوة المحمّديّة التي دعا الناس بها جدّه، أم بكليهما؟ وتبقى التساؤلات تتثال في رأس من يكتب عن هذه القضية.

وقد كتبت كتب كثيرة، وسال مداد كثير من أسلات الأقلام؛ إلى أن تحامت رفوف المكتبات وازدحمت، وأنشئت مؤسسات في الفكر المهديّ، وأقيمت دراسات في شرق الأرض وغربها؛ منها ما يبشر بالظهور القريب، ومنها من ينفي القضية برمّتها ويعدها من الخرافات.

وهناك حين يظهر الإمام من سينكره ولا يثبت على أمره، إلّا من أخذ الله ميثاقه في عالم الذرّ الأوّل، وإنّ هذا الإنكار سيكون بعدم الإقرار له بالإمامة، وإنّه ليس من ولد فاطمة، وتارة يكون الإنكار بالخروج لمقاتلته، وأخرى يكون بمعصيته، وهكذا تعدّد أوجه نكران الإمام وتتكاثر.

وعوداً على بدء نقول كثرت التأليف في الإمام المهديّ؛ وكلُّ يدليّ بدلوه،

ويخاصم بأدلته، ويواجه بغرائزه وبعاطفته؛ ولكن يظهر من بين كل هذه الاحتطابات والاحترابات قلمٌ منصف وُضع بين أناملٍ احتكمت إلى العقل؛ وفي الوقت نفسه كانت حيناً وأنيباً لمنقذ الكون من الضلالة.

نعرف ذلك حين تلتقي أسلة القلم على بياض الورقة؛ فيحدث صرير هادئ يسمعه من يقرأ بإمعان، وينظر بعين فاحصة أدمنت القراءة وعالجت الكتابة؛ فأصبح ديدنها البحث عن انبلاجات الحقيقة.

وصالح الطائي من أولئك الذين فاضت أعينهم شوقاً للإمام المهدي؛ وطفح قلبه ألماً لما يرى من واقع الناس على ظهر هذه البسيطة؛ فترى كتابه هذا حين قرأناه وكأنه يريد منا أن نشاركه الهم؛ فهذه أدلته من كتب الحديث المعتمدة التي اتفقت الأطراف جميعاً على صحتها، وهذه الأدلة من كتب غير المسلمين تهتف بالحق وتنطق بالصدق: أن الحق سيشرق على الكون.

إن صالح الطائي يريد أن يقول ببوجه هذا أن البشرية جميعاً تنتظر منقذها، وليس هذا فحسب بل سگان السماوات وعمّارها ينتظرون أيضاً.

وقد أزفت الأزفة وبانّت لوائحها؛ لبدأ عهد جديد، وصورة جديدة للكون بعد انتظار دام ملايين السنين.

إن صالح الطائي قد ركب مركباً صعباً، وولج أمراً مخشوشناً حزوناً؛ ولكنّه لم يسقط من هذا المركب، أو يدمى من هذه الخشونة والحزونة؛ إذ أمسك بأدوات بحثه، وجاء منهجه العلمي طيعاً سلس القيادة، فلم ينفلت من بين يديه وأصابه؛ فقد كان يدير إخراج كتابه بإتقان؛ ولم نره قد خرج عن منهجه الذي اختطه إلاّ لمأماً؛ فليس هناك كتاب كامل إلاّ القرآن الكريم.

إن صالح الطائي في هذا الكتاب توكل على الله، واهتدى بهدي محمد وآل محمد، واقتدى بستتهم، ونفض شيئاً من الغبار الذي علا خزائن علومهم؛ لذا حذر ممّا حذروا منه؛ من ظلم الفتن ووعورة المسالك، ورغب فيهم وفي علومهم؛ فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر؛ اعترافاً منه بحق الله

عليه في الدعوة إلى طاعته، والتحذير من مكرهه، ومجاهدة عدّوه الشيطان، وأنصار الشيطان؛ وقد حدّث بنعمة ربّه، وأنفق ممّا رزقه الله.

وآخر دعوانا أنّ هدى الله هو الهدى؛ يهدي به من يشاء، والله جنود السماوات والأرض؛ ومن جند الله ألسنة طائفة من المؤمنين؛ إذ يقول رسول الله ﷺ: "احذروا لسان المؤمن فإنّ الله يجري الحقّ على لسانه". جعلنا الله وإياكم منهم، وهو ذو الفضل العظيم، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، والحمد لله ربّ العالمين.

أ.م. د عبد الزهرة زبون

الجامعة المستنصرية/كلية التربية

مقدمات

حيرة تأريخية

منذ عهد الإغريق وربما قبلهم بزمن طويل، أو حتى مع بداية وجود الإنسان على ظهر الأرض؛ وسؤال محير يعيد طرح نفسه في كل مناسبة، وفي كل حضارة مفاده: هل هناك عوالمٌ أخرى غيرنا، فيها مخلوقات مثلنا، تشبهنا أو تختلف عنا؟ أم نحن وحدنا في هذا الكون اللامحدود واللامتناهي؟

هذا السؤال طرحه علماء الحضارة الإغريقية على أنفسهم وبحثوا عن جوابه، ولكنهم لم يفلحوا بالوصول إليه، وطرحه الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالة ابن يقظان من أسرار الحكمة الشرقية على شكل جواب أفاد به ابن يقظان سائله: "وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العوالم....حتى زويت بسياحتي الأقاليم" ويطرحه العلماء الغربيون المتخصصون بعلوم الفلك والفضاء على أنفسهم و يبحثون بجديّة عن جوابه، وربما يكونون قد حصلوا على الجواب أو على جزء منه، ولكنهم يخافونه؛ فيخفونه لأسباب قهرية تخصّهم. واليوم يطرحه المهديوّن الذين يؤمنون أنّ الإمام المهديّ سوف يحكم العوالم كلّها، وليس الأرض وحدها.

وقد يكون في بحثنا هذا ما يدعو إلى التفكير جدّيّاً في جواب هذا السؤال، وفي حقيقة وجود عوالم أخرى في الكون الشاسع مسكونة بمخلوقات مكلفة عاقلة، وعن حقيقة اللقاء المرتقب معها.

أمّا التصديق بنتائج ما سنصل إليه، فأمره متروك لك وحدك، أنت من

سيقرّر إن كانت النتيجة مقنعة ومقبولة لديك ومرضية لك، أم إنّها أوهام مجردة من نسج الخيال البشريّ الجامح الذي تتراءى له أحياناً خيالات من وحي الميتافيزيقيا؟

إنّ البحث الذي بين يديك جديد في موضوعه، يحتاج إلى التمعّن والتدقيق قبل الحكم عليه، أو التسرّع في رفضه أو قبوله، ليس لأنّه فكر يبشر بحقيقة تقول: إنّ الغد الكونيّ القادم سيكون عصرأ إسلامياً بحتاً، وبأنّ حدود الإسلام الذي يبدو اليوم منزوياً وغير معافى، وتبدو أوصاله مفككة وقواه مشتتة، لن تقف عند حدود الكرة الأرضية وإنّما ستتعدّها وصولاً إلى العوالم الكونية الأخرى، لتقسيم في الكون كلّ دولة العدل الإلهيّ الواحدة، حيث يصبح المسلم سيّداً للأرض وللعوالم المجهولة الأخرى، وتصبح عقيدة المسلمين سيّدة العقائد لأوّل مرّة في التاريخ، ومن دون أيّ منافس آخر.

وعليه، وكما سيتبيّن بعد إتمام قراءة البحث بعناية وتدقيق وتمحيص وحيادية، سنجد بعض مفاهيم المسلمين عن المهدوية فكراً وعقيدة ودولة تحتاج إلى المراجعة والتصحيح بما يتساوق والتطور العلميّ والحياتيّ والسلوكيّ القائم اليوم. وقد آن أوان تفسيرها وفق منهجية علمية حديثة تتساوق ومعطيات العلوم المعاصرة، والكفت عن الطرائق التقليدية النمطية الموروثة في التفكير والتفسير.

لكن كيف سنتمكن من إقناع الآخر (المسلم) بالذات بصحة ما يرد من حقائق وهو الذي يختلف معنا بكلّ معتقداتنا المهدوية، بل ويؤمن بأنّ العقيدة المهدوية ذاتها ليست من العقائد الإسلامية الأساسية ولا الثانوية، وبأنّها دخيلة على الفكر الإسلاميّ، وتبعاً إلى فهمه هذا؛ يحاول ويعمل ويجاهد لتسقيطها وتسقيط مبانيها وفرعاتها كلّها، ولاسيّما أنّ هذا الخلاف اللاعقلانيّ جعل كثيراً من المسلمين يستهجنون الحديث المجرد عن مباني الأطروحة المهدوية، ويذهبون إلى أكثر من ذلك؛ فيعمدون إلى تكذيب من يورد أيّ خبر عنها مهما كان بسيطاً، ومهما كانت درجة ثقته وصدقه، وهذا ما

جعل كثيراً من المسلمين لا يؤمنون إلا بثقافة القمع، وفلسفة الصد، ونظرية الخلاف وروح الاستعلاء والعصبيّة بوصفها أدوات قمعيّة يحاربون بها من يحمل معتقد المهدويّة، ويؤمن به ويدافع عنه.

إنّ حالنا وحال المعاندين من قومنا من حيث قبول فكرة المهدويّة أو رفضها يشبه حال المؤيدين والرافضين لفكرة عودة السيّد المسيح ﷺ من أتباع الديانة المسيحيّة، وهذا من مصاديق حديث رسول الله ﷺ: "لتتبعن سنن من قبلكم" ولكن الاختلاف الجوهريّ بيننا وبين المسيحيّين أنّهم هذبوا أخلاقهم بتحضرهم لذا تراهم لا يستهزئون بمخالفهم، ولا يكفرونهم ولا يتهجمون عليهم؛ وإنّما يحاورونهم بالعقل والمنطق، ولذا نجد عدد من يؤمن بالعودة الثانية للسيّد المسيح بينهم أكثر من عدد الذين يؤمنون بظهور الإمام المهديّ بين المسلمين، حيث تبيّن بحسب الاستطلاع الذي أجراه معهد "يو" لاستطلاعات الرأي، وهو أحد أهمّ مراكز الأبحاث العالميّة في عام ٢٠٠٦ أنّ ٩٧٪ من الشعب الأمريكيّ يؤمنون بالعودة الثانية للسيّد المسيح، أمّا عدد المؤمنين بظهور المهديّ بين المسلمين فلا يشكل أكثر من نسبة ٢٥٪ وهم بالعادة أتباع مذهب أهل البيت، وبعضهم النادر من أتباع المذاهب الأخرى.

ولتوضيح الصورة لأغراض المقارنة بين سلوكنا وسلوكهم نجد أنّه في عام ٢٠١١ بدأت جماعة مسيحيّة، مركزها في أتلانتا الأمريكيّة (ناشفيل وديترويت وأوماها) بنشر ملصقات ضخمة فيها صورة لثلاثة رجال مجوسيين يركبون جمالاً ويتجهون إلى (أورشليم) القدس مع جملة (إنّه عائد) وزادوا عليها قولهم إنّ ظهور المسيح الثاني سيكون يوم ٢١/٥/٢٠١١ فلمّا لم يتحقق الموعد قدّموا التاريخ إلى ٢١/١٠/٢٠١١ فاعترض عليهم (اتحاد الأمريكيّين الملحدين) وعلّقوا ملصقات خارج "نفق لينكولن" في "نيوجيرسي" كتيب عليها: (تعلمون أنّ الميلاد أسطورة - احتفلوا بالعقل) (You know it's a myth) فردّ عليهم المتديّتون ومنهم أتباع (الربطة الكاثوليكيّة) بحملة إعلاميّة مضادّة عنوانها: (تعلمون أنّه حقيقة - احتفلوا بالمسيح) وانتهى الحوار بينهم عند هذا

الحدّ ولم يتجاوزهُ، وأصرّ كلُّ منهم على منهجه ومعتقده من دون أن يتناول على من يخالفه.

أما نحن المسلمين فلم يفلح ديننا ولا حضارتنا بتهديب أخلاقنا، ولذا تجد الحوار بيننا معدوماً، والتناول والتكذيب فاشياً، ولا نجد التحوار إلا بالسيوف والحرايب.

لذا أعتقد بأنّ طرح هذا البحث في هذا الوقت بالذات ولاسيّما أنه يتحدّث عن جزئية تكاد تكون غريبة في مواصفاتها وخوارقها، يعدّ تحدياً جريئاً ومجازفة خطيرة، ولكنها بالتأكيد مجازفة دافعها الجرأة، أقدمتُ عليها لأنني أوّمن بأنّ للجرأة في بعض المواطن فعلاً صاعقاً؛ كما هي صعقة الكهرباء، وعصفاً ذهنيّاً يكاد يشبه عصف الصواريخ النووية بل أشدّ منها تأثيراً.

إنّ مقالة الفيلسوف "كانت" التي دعا فيها إلى الجرأة في طلب المعرفة قادت الشعوب الأوروبية والغربية إلى وضع الدين موضع الاتهام، ومن بعدُ دفعتهم إلى محاكمته وإدانته ممّا أدى إلى إلغاء أثر المعرفة الدينية في الحياة العامة، وحصر الفكر الدينيّ في مجموعة تقاليد ومفاهيم وقيم تقتصر على صناديق الاعتراف والتوبة بما لا يسمح للدين بأن يتدخل في الشأن المجتمعيّ لا من قريب ولا من بعيد، وهي الخطوة التي أدّت فيما بعد إلى صياغة مجموعة القوانين المدنية وإقرارها التي تقود المجتمع الغربيّ اليوم، وهي التي لا تجد فيها ذكراً لله، ولا تجد فيها للدين موضعاً أو أثراً، ومنها انطلقت دعوات نبذ الشرائع السماوية، واعتماد الشرائع الوضعية التي جاء بها البشر بحجّة أنّ (الإله) مات وقبر!

ونحن المسلمين لا نريد أن نمرّ بمثل هذه التجربة القاسية؛ لأننا كنا ومازلنا وسبقنا نؤمن بأنّ للدين وللمعرفة الدينية حيّزاً كبيراً في كلّ مفردة من مفردات حياتنا وعيشنا وموتنا وما بعد موتنا، وأنّ الدين وليس السياسات الحاكمة هو الذي سوف يفقدنا في النهاية؛ لنكون الأسياد الكونيين. لذا إننا

إن أردنا أن ندعوَ إلى شيء من هذه الجرأة تحدياً بالفكر والمنطق لرأي الدكتور "عبد الكريم سروش" الذي يرى: "أنَّ الجرأة غير محمودة بصورة مطلقة، والعقل هو الذي يجب عليه أن يشخص موارد الصواب والخطأ في الجرأة"^(١) فإنَّ دعوتنا تعنى اللجوء إلى الجرأة العقلية والشجاعة الفكرية لمحاكمة بعض النصوص وامتحانها بنزاهة ويقين وعلمية غير متحيزة، ولا متحيزة لتسقيط النصوص والآراء الهزيلة، وتقوية النصوص والآراء الصحيحة وتمتينها، وإعادة فهمها بعمل عصرائي جريء وحكيم، وحينها سنجد بعضاً من المسلمين بكلِّ فئاتهم ومذاهبهم يعيشون خدعة تقديس الكثير من النصوص الهزيلة التي كانت السبب في فرقنا، وفي تضعيف بعض عقائدنا، أو إنكار وجودها، وبعضهم الآخر يرتكبون الجرائم المنكرة بعدم إيمانهم بصدق النصوص الناهضة الأخرى وحتميتها ولا بديتها.

ومما يحتاج إلى الجرأة في الامتحان والتدقيق بعض نقول الأطروحة المهدوية ذاتها ومنها التي أصبح الخلاف بشأنها سبباً في تغريبها عن الدين، وتغريب الدين عن النفوس والعقول، بعد أن نقل بعض المغرضين معركتها التشرهية القائمة على الأحقاد السياسية الموروثة إلى شبكة الإنترنت العالمية، وكلِّ المجالات الإعلامية الأخرى بما فيها الفضائيات العميلة، وهذا طبعاً ليس لتوحيد المسلمين على منهج واحد، أو لتصحيح خطأ تاريخي معين، ولا لتقديم النصيحة لمسلم ساو لاه مثلاً، بل لزرع التناحر بين المسلمين!

الذي أرجوه وأمله أن يكون موضوع هذا البحث دعوة إلى التفكير الجريء في ضمن نطاق الشريعة لاكتشاف حقيقة المسلمات التي تدعم توجهاتنا الفكرية والعقائدية، ولاسيما أنَّ هناك فيما يحدث في العالم اليوم من جراك علمي وفكري بعض ما يدعم هذه الأطروحات ويقوّيها.

إنَّ غزو الفضاء، وإرسال المركبات المأهولة، والسياحة الفضائية،

(١) الدين العلماني، عبد الكريم سروش، ص ٦٣.

والنزول على سطح الكواكب، والتوغل إلى حدود المعجرات، وإرسال المسابير الفضائية التي وصلت إلى أبعاد لم تكن معروفة في الفضاء الخارجي المجهول، واستعمال الأقمار الصناعية للبحث الفضائي والتجسس، والقدرة على تصليح الأعطال التي تصيبها من الأرض دونما حاجة للصعود إليها، والمشاريع العلمية المتطورة، والسباحة في الفضاء الخارجي، ومشاريع التواصل مع الكائنات الفضائية، كانت ولقيل ستين عاماً فقط من أكبر الأحلام التي تراود فكر العلماء، ولكنها أصبحت اليوم حقيقة متاحة لأبسط البلدان ما دامت تلك البلدان تملك مقومات التنفيذ، فتحوّلت إلى أمر غاية في البساطة ولا يستحقّ عناء المتابعة، أو الانبهار، أو الدهشة حتى من لدن عامة الناس، وأصبحت هذه الدول بالنتيجة تعرف بالدول الفضائية.

ونحن نملك في النصوص الروائية الموروثة (القرآنية والحديثية والإمامية) عشرات النقول التي تثبت أنّ الإمام المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف يملك قدرات ربّانية لتنفيذ ما هو أعظم من هذه الأعمال وأخطر بكثير في ضمن سلسلة تواصلية لم تمتلكها هذه الدول ولن تمتلكها، لا الآن ولا في المستقبل، تمتدّ من الإمساك بمفاتيح العلوم كلّها، إلى طيّ الأرض، إلى ركوب السحاب وقباب النور، إلى الرقي في الأسباب، وصولاً إلى عمق الأكوان المجهولة.

وسنجد الذين يختلفون معنا بشأن ما نورده من حقائق عن المهديّة يملكون في تراثهم الفكريّ والنقلّي مجموعة ضخمة جداً من الروايات التي تدّعي قدرات خارقة لهذا الرجل أو ذاك من رجالهم المشهورين، سطروها في كتب ضخمة تحت مسميات رنانة مثل (الكرامات/ الفضائل/ المناقب) جاءت لتؤكد أنّ كلّ الذين يحملون مشاريع كبيرة يملكون عادة آليات غير موفورة للآخرين.

فلم نستغرب من فكرة أن تكون مهمّة الإمام المهديّ مرتبطة بالعوالم الخارجية ارتباطاً امتدادياً، تفاعلياً، تواصلياً، عملياً، حاكماً، وليس على

سبيل المجاز والتشبيه، ممّا يعني أنّ دولته لن تكون مثل (الدول الفضائية) التي جلّ ما حققته إلى الآن هو بناء محطات فضائية مأهولة خارج الغلاف الجويّ لأرضنا، لأنّ الإمام سيعيد بناء ما موجود في الفضاء الخارجيّ المجهول من نظم حضاريّة وقيم وأديان أكّدت وجودها الروايات المتواترة، وإن بدا لنا أنّ العلم لم ينجح إلى الآن في إثبات ذلك أو نفيه؟

إنّ ما تسرّب من مراكز البحوث الغربيّة مؤخراً أثبت أنّ هناك أنواعاً من التواصل مع المخلوقات الفضائية، ولا نستغرب، أو نستعجب أن (تدعي) دولة ما القدرة على غزو الفضاء، أو (يدعي) شخصٌ ما القدرة على طي الأرض، أو (تدعي) مجموعة ما إمكانية السير على الماء وما شابه ما دامت العلوم تتطوّر بكلّ هذا الزخم التعجيلي، فلمْ نستغرب أن يوظف الإمام المهديّ كلّ هذه المعطيات فضلاً عمّا وهبه الله إيّاه من إمكانيّات وعلوم؛ ليبسط سلطان الله على الأكوان كلّها؟

من جانب آخر نعرف جميعاً أنّ الناس ينظرون إلى علم "المستقبلية" على أنّه رجم بالغيب أو محاولة للعبث بالغيب، وما هو في مستقبل الزمان، لأنّه يتكلم على مواضيع لم تقع بعد، وكذلك يرى بعضهم الحديث عن المهدويّة رجماً بالغيب. وقد أثبت علم المستقبلية بجهد رجاله مكانته بين العلوم، ونجح في فرض نفسه على الساحة الفكرية العالمية، وأنّ للمهدويّة أن تثبت مكانتها بين المعتقدات، بمفاهيم متفق عليها، ولا يختلف بشأنها اثنان. كما أنّ لمن لا يعدّ المهدويّة من العقائد الإسلامية الصحيحة أن يغيّر وجهة نظره، وينظر إلى مبانيها من زاويتها الحقيقيّة وليس التحريفية التي صنعها أصحاب الأهواء والبدع.

إنّ الحديث عن قارّة أطلن蒂斯 فاق كلّ تصوّر واستمرّ متواصلاً منذ العصور الفرعونية إلى عصرنا الحالي، يقول أنيس منصور: "لم يتوقف العلماء عن البحث عن القارّة الغارقة وقد أحصت المكتبة الأهلية في باريس

عدد الكتب عن أطلانتس حتى سنة ١٩٤٦ بخمسة آلاف كتاب، أمّا مكتبة الكونكرس الأمريكي فنشرت بياناً للمكتب التي صدرت في هذا القرن عن القارّة المفقودة حتى سنة ١٩٧٢ وقدرت عددها بألفي كتاب منها ألف كتاب ظهرت مع دخولنا في عصر الفضاء^(١).

يعني هذا أنّ الحديث عن غيبيّات أو مجهولات بهذا المستوى يتصاعد بتناسب طرديّ وتقدّم العلوم التي تبحث في هذا النطاق لحلّ الألغاز التاريخيّة العالقة، ولما كنا اليوم متربّعين على قمّة هرم علوم الفضاء؛ فمن الأجدر أن نتحدّث عن علاقتنا بالفضاء أو علاقة المهدويّة المستقبلية بالفضاء وبسكانه؛ ولاسيّما أنّ هناك من يطمح إلى استعمار الفضاء واستغلال ثرواته، حتى وإن جعلنا الموضوع من الألغاز العالقة لا أكثر، فلم كلّ هذا الرعب من الحديث عن المهدويّة وحدها؟

أرجو أن يكون هذا البحث بداية الطريق نحو عولمة الفكر العلميّ الإسلاميّ بمنظور يختلف عن العولمة الاستعماريّة الاستلابيّة، بما يدعونا لرفع رؤوسنا عالياً لأننا الأسياد القادمون من عمق عقيدة الإسلام لقيادة أعماق العوالم، أكثر من كونه بحثاً تفريقيّاً كما سيراه من يؤمن بسياسة الاستعلاء الفارغ.

أستثمرُ هذه المناسبة لأدعو الباحثين، ولاسيّما المهتمين منهم بالشأن المهدويّ، والعلماء، ولاسيّما منهم علماء الفلك والاجتماع والفيزياء والكيمياء وكلّ فروع العلم التي لها مساس مباشر بحياة الإنسان، لأن يعيدوا طريقة تعاملهم الفكريّ والمهدويّة، ويبدأوا في إنشاء بحوث جديدة تربط بين مباني المهدويّة والمحصلات العلميّة الحديثة؛ لكي يسهموا في التمهيد لمقدمه الشريف الذي تدلّ المشيرات إلى أنه قريب متّ، وأقرب ممّا نتوقع بكثير!

(١) في كتابه العائدون إلى السماء، فصل: قبل غزو مصر أغرقها السماء وأحرقها.

لِمَ هذا البحث؟

أما لِمَ هذا البحث الآن، في هذا الوقت العسير من حياة الأمة، فهناك ثلاث حقائق مختلف عليها دفعتني لكتابته، هي على التوالي:

* حقيقة تباين الرؤى الإسلامية لدور الدولة المهدوية ومدّة عمرها.

* الخلاف في حقيقة وجوب ظهور دين الإسلام على الأديان كلّها فلا يبقى دين يعبد فيه الله سواه.

* حقيقة سعة الأكوان ووجود سكان مكلفين بأداء العبادات فيها يوجب أن يشملهم الظهور، ومدى تأثير ذلك في عمر الدولة المهدوية.

وتبعاً إلى هذه الحقائق نجد مثلاً أنّ المسلمين بعد خمسة عشر قرناً من عمر الإسلام المتدبّر لم ينجحوا في اكتشاف نقطة التوازن بين معصوميّة النصّ وسلطة الولاء وسطوته؛ إذ كانوا وما زالوا يرحّجون هذه العصمة التي يعترفون بها جميعاً من دون استثناء لدعم الجانب الولائيّ الفتويّ على حساب الجانب العقائديّ الإسلاميّ العامّ. وقد يكونون معذورين في ذلك بسبب تداعيات المؤثرات السياسيّة والفكريّة، واختلاف المرجعيّات، وطرائق الاستدلال بما بين أيديهم من نصوص، هذه التداعيات التي زرعت نوعاً من الريبة والشكّ فيما بينهم أشخاصاً، وبينهم وبين النصوص ذاتها، حتى إنّ قيام كلّ طرف منهم بالتشكيك بمصداقيّة النصوص ورسالتها التي يرححها، ويعوّل عليها الجانب الآخر، ممّا جعل علاقتهم سجاليّة، صراعيّة، متوترة، وصلت في بعض مراحلها إلى العداة السافر؛ ولاسيّما بعد ولادة الثقافات الفتويّة التي ابتعد بعضها عن أصول الثقافة الإسلاميّة كثيراً، وهي التي حاولت تسخير الثقافة الربانيّة لتقوية جزئيّتها على حساب الجزئيّات الأخرى، بل وعلى حساب الكليّة الإسلاميّة ذاتها. فتحوّل رجالها إلى حافات حادّة تجرح من يتقرّب منها وتدميه، وتحوّل فكرها إلى خنجر مزروع في جنب الإسلام الواحد ينخسه ويقلق راحته.

وهكذا بدل الإفادة من تجربة القرون التراكميّة بتوظيف نتائجها لاستعمالها سلاحاً في وجه الأعداء، وقوّة في البناء، أسّسوا لفكر جديد على أمل أن ينتج لهم أدوات جارحة وقاتلة يستعملونها في صراعهم الفثويّ الضيق، فعاد الإسلام غريباً كما جاء غريباً؛ ليكون هذا البعد والتنافر أحد مصاديق المهدويّة التي تختلف بشأنها.

المهدويّة أطروحة وفكراً وعقيدة واحدة من التجارب الغنيّة التي تبلورت مضامينها على مدى القرون، حتى إنّ النجاح في توظيفها توظيفاً سليماً كان سيتحوّل إلى أمضى سلاح يدعم الإسلام في مرحلة الصراع الفكريّ العالميّ المعاصر، ولكن الفرق الإسلاميّة حوّلتها إلى أداة تستعملها في صراعها البينيّ ممّا أفقدها بعض التماسك نتيجة ادّعاء بعض المفكرين مثلاً أنّ كلّ أحاديثها موضوعة أو ضعيفة^(١)، وما إلى ذلك من الأقوال والادّعاءات الغريبة.

إنّ نجاحنا في عقلنة القطبيّة ضمن الموروث النصّيّ السليم، ونجاحنا بإيجاد نقطة التوازن يسهم حتماً في جمعنا على مشتركات لها مساس كبير بحياتنا اليوميّة الحاليّة وبمستقبلنا الموعود الذي نأمل أن نكون فيه قادة الأكوان كلّها، بدل أن نحكم على الأمور بازدواجيّة غريبة إلى تجويزنا لبعض من نحبّهم أن يمتلكوا قدرة الإتيان بالخوارق والمعجزات التي قد تتعارض والعقل والمنطق، وتبدو مغرقة بالعبثيّة والاعتباطيّة، في ذات الوقت الذي نرفض فيه الاعتراف بأنّ للمعصومين الذين شرفهم الله على بقية خلقه قدرة الإتيان بمعجزات حتى وإن كانت مثلها أو دونها، مع أنّ الله تعالى أوكل للمعصومين مهمّات توازي مهمّات الأنبياء كما سنلاحظ ذلك ببعض الأمثلة التي وردت في بعض الكتب، وهي التي أوردتها في سياق البحث لا لتكذيب الآخر، لأنّه ليس من الإنصاف والعدل أن أنكر فضائل رموز الآخرين، وإنّما

(١) ينظر مقدّمة ابن خلدون للاطلاع على رأيه في تضعيف أحاديث المهدويّة كلّها.

جئت بها لأجعلها ميزاناً معيارياً نتعرّف به تهافّت الأحكام التي تحدّد علاقتنا فيما بيننا، عندما نكيل بمكيالين مختلفين كلّ أمورنا العقائديّة والحياتيّة.

الذي أوّمن به أنّ هنالك مؤامرة كبيرة جدّاً حيكت على الإسلام عامّة والمهدويّة خاصّة هدفها إضعاف الوشائج بين الأمة وقائدها المنتظر^(١) لكي لا تتحد الأمة المسلمة على قضية ما، وتجمع على صحتها، لأنّ أيّ إجماع على أمر من أمور العقيدة يفضي إلى أمرين:

الأول: التفرّغ للبحث في حيثيات القضية، والبحث عن خفاياها وشرحها للناس؛ لكي يرتفع اعتقادهم بها، بدل أن ينشغلوا بالبحث عمّا يوهن معتقد الآخر بها فيشغلهم في مسائل ثانويّة.

الثاني: توفير فرص لقاء أخرى ستقود حتماً إلى إجماع آخر، فتصبح المشتركة أكثر ممّا يختلفون بشأنه، ويشعر كلٌّ منهم أنه أقرب إلى الآخر ممّا كان يعتقد، وهذا ما لا ترضاه السياسة المحليّة والدوليّة، والماسونيّة العالميّة، وحتى المصالح المذهبيّة والفتويّة، وقد صنّعت هذه المؤامرة لتسهم في تشتيت الأمة.

وللأسف هناك بين رجال الأمة من وجد في فكر هذه المؤامرة دواعم ومساند لأطروحاته الفكرية والعقائديّة؛ فأخذ بما جاء فيها من دون التفات إلى مضارّها على الإسلام. بل إنه حينما وجد أنّ الآخرين من غير المسلمين كانوا أكثر عقلانيّة منه عندما اتفقوا على الكليّات وأرجأوا البحث في الجزئيات كما بيّنا قبل قليل، حاول بكلّ ما أوتي من قوّة تسفيه هذا الاتفاق والسخرية منه والطعن فيه؛ لكي لا يقلدهم المسلمون في هذا النهج، وتجد هذا الأسلوب فاشياً عند العامّة والخاصّة من هؤلاء من دون استثناء، فالدكتور طه حامد الدليمي مؤسس موقع القادسيّة على شبكة النت، وصاحب المؤلفات الكثيرة

(١) لمعلومات أكثر عن هذه المؤامرة الكبيرة يراجع الفصل الثاني من كتابنا (نظرية فارسيّة النشيع) طبع دار العارف، بيروت.

التي تبيح قتل الآخر ولعنه، وقائد حملة التشهير بالمسلمين الشيعة، أورد في مقدّمة كتابه (المهديّ المنتظر هذه الخرافة) نبذة عن اختلاف الرؤى الانتظاريّة بين الفكرين المسيحيّ واليهوديّ، وكيف أنّهما اتفقا على كليّة انتظار عودة السيّد المسيح مع إرجاء البحث في تفاصيل جزئيات الخلاف الأخرى. وهو برأيي اتفاق يدلّ على حكمة هؤلاء القوم ورغبتهم في لمّ الشمل، وجمع الكلمة؛ ولاسيّما أنّهم يتوقعون أن يكون القرن الحادي والعشرون هو قرن عودة السيّد المسيح ﷺ. لكن الظاهر أنّ اتفاقهم هذا لم يعجبه؛ فقال: "والتقت العقيدتان اليهوديّة والنصرانيّة على أصل فكرة القادم المخلص عندهم.. وتركوا تحديد شخصيّة للزمن، وقالوا: يكفينا الآن الاتفاق على أصل المبدأ فلنعمل على تهيئة الظروف لمجيئه ونترك التفاصيل إلى حينها" (١) ثمّ أضاف إلى قوله هذا مجموعة جمل يتهجم بها على هؤلاء القوم بسبب اتفاقهم لم أستسغ نقلها. وقد تبين لي أنّ للرجل مساند استند إليها في قوله وفتواه، وأنّ أمر الاتفاق على الكليّات وإرجاء الحديث في الجزئيات مرفوض في فكر بعض المذاهب الإسلاميّة حقّاً وصدقاً، ومنهيّ عنه في شرعتهم، وتجد صحّة اعتقادي في سؤال وجواب فقهيين، مفاد السؤال: "ماذا تقولون في قاعدة "نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه؟" والسؤال وُجّه إلى رجل الدين السعوديّ "الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الغديان" الذي أجاب عنه بقوله: "هذه القاعدة من الوضع الجديد، يعني ما هي من القواعد العلميّة، من قواعد الأولين، لأنّ ذه ممكن يستخدمها اليهود والنصارى والمسلمون، يقولون جئنا نتفق على وجود الله، خلّونا نتفق على وجود الله، وكلّ واحد له دينه، يعني أن حنا نعترف بالأديان الباطلة وهذا ليس صحيح" (٢).

الغريب أنّ كلّ المسلمين المتشدّدين يرفضون أيّ بادرة للتقارب على غرار

(١) المهديّ المنتظر هذه الخرافة، طه حامد الدليمي.

(٢) مركز الإفتاء السعودي.

القول التوافقي (يكفينا الاتفاق على أصل المبدأ) بين المجاميع الإسلامية، ولذلك يرفضون فكرة الاتفاق على أصل العقيدة المهدوية، ويرفضون تأجيل الخوض في الفرعيّات والخصوصيّات المسيّبة للخلاف، ويرفضون الاعتراف بحق الآخر أن يؤمن بما موجود في نقوله، لأنهم يدركون - كما قلت سابقاً - أنّ الاتفاق قد يقود الأمة إلى اتفريقيّات واتفاقات جديدة لا تخدم المناهج الفئويّة الاكثاريّة النفعيّة. ومن الأمثلة البسيطة على ذلك أنّ مفتي الديار المصريّة الشيخ عليّ جمعة أصدر فتوى أجاز فيها إقامة الاحتفال بمولد الإمام المهديّ في مصر؛ وقال: "إننا نجزئ إقامة الاحتفالات بذكرى ميلاد المهديّ دون النظر إليّ المحتوي، وأضاف: إنّ هناك اختلافاً في إقامة مراسم الاحتفالات وطبيعتها وهي التي يكون بعضها عليّ شكل احتفالات في المساجد لكن لا ينبغي أن تشمل الأمور التي نهى الله عنها" فامتعض الآخرون منه ومن فتواه؛ ومنهم كاتب وباحث في الفرق الإسلاميّة اسمه محمد حمديّ الذي قال معترضاً: "نحن أمام شخصيّة وهميّة ليس لدينا معلومات مؤكدة عن تاريخ ميلاده، يوم ميلاده واسم أمّه، ومدة غيبته، ووقت عودته، وغيرها من المسائل المطروحة".

إنّ التقارب الذي ندعو إليه يرفضه للأسف أخوتنا المسلمون المتشدّدون، ليس من جهلائهم فحسب؛ بل ومن علمائهم أيضاً فالدكتور الغزاويّ الفلسطينيّ صالح الرقب سخر قلمه المنحاز للردّ على مفتي مصر؛ لأنه في مناسبات أخرى دعا إلى تنشيط الحوار الشيعيّ السنّيّ عسى أن يثمر عن تقارب يخدم الأمة؛ فكتب في موقعه على شبكة الانترنت^(١) مقالاً بعنوان (الردّ على تحديّ مفتي مصر فضيلة الشيخ الدكتور عليّ جمعة) جاء فيه: "لقد ذهب مفتي مصر الشيخ الدكتور عليّ جمعة إلى تحديّ منتقديه بأنّه لا فرق بين المذهبين السنّيّ والشيعيّ، وللردّ على هذا التحديّ لفضيلة المفتي أذكر ما يلي: أولاً:

(١) موقع الدكتور صالح حسين الرقب، الرابط

لماذا يا صاحب الفضيلة تصدر فتاويك حول الشيعة من قلب أماكن ومواطن مشبوهة؟! فمفتي مصر يصدر فتواه الثانية من نادي (الليونز) وهو معروف بأنه ماسوني^(١) حيث جاء في الخبر(قال في ندوة عقدها بنادي 'الليونز' بالقاهرة مساء الأحد ١ - ٣ - ٢٠٠٩ إن الأزهر فتح قلبه في عام ١٩٤٩ لوحدة المذهبيين، وتم تأسيس مجلة رسالة الإسلام التي حلت الكثير من المشاكل بين السنة والشيعة، أعقبتها محاولات فردية في الاتجاه ذاته، لكن الأمر يحتاج إلى المزيد). وسبق أن أصدر فتواه الأولى التي أجاز فيها التبعّد على المذهب الشيعي، كما أبدى إعجابه بتطور الفقه الشيعي. من خلال قناة العربية والمعروفة بانحيازها للتوجهات الأمريكية والتغريبية وعدائها لكلّ إسلامي. ثانياً: إنّ كثيرين من أبناء المسلمين هم من المخدوعين المغرّرين به - ممّن وقعوا ضحية التقيّة والجهل. ولديهم غفلة عن خطر هذه الفرقة على الدين الإسلامي، وما في عقيدتها من كفرات، وبدع، وضلالات، وسقائم، وشنائع. كما أنّ الشيعة الرافضة هم من أخطر الفرق على الأمة، وأشدّها فتنه وتضليلاً، خصوصاً على الذين لم يقفوا على حقيقة أمرهم، وفساد معتقدتهم.. والشيعة في هذا الزمان قد أحدثوا حيلاً جديدة لاصطياد من لا علم عنده من أهل السنة بدينهم وعقائدهم، والتأثير عليه بما أحدثوه من دعوة التقريب بين السنة والشيعة، والدعوة إلى تناسي الخلافات بين الطائفتين. وما هذه الدعوة إلا ستار جديد للدعوة للرفض والتشيع، ونشر هذه العقيدة الفاسدة بين صفوف أهل السنة، وإلّا فالشيعة لا يقبلون النزول عن شيء من عقيدتهم".

وأنا لا أريد التوسّع في الردّ على هذا الرجل المتعصب سوى بالقول: إنّ العالم المتمدّن كلّه يعرف عن يقين أنّ أيّ حوار سواء كان بين الحضارات أم الأديان أم المذاهب لا يبغي من الآخر تغيير عقائده، أو النزول عنها، فذلك لا يمكن أن يحدث، ولا يعقل أن يطلب منه ذلك، وإنّما كلّ المطلوب منه أن

(١) لا أدري كيف تجيز دولة إسلامية فيها هذا المتشدد ومن هم على شاكلته للحركات الماسونية أن تتخذ مراكز ونوادي فيها!

يفهم الآخر، ويجيز له ما يجيزه لنفسه في الحياة، فأَيُّ عذر هذا الذي يتعذر به الرجل؟!

هؤلاء المتطرفون يقدمون الأعذار الواهية في الوقت نفسه الذي يهينون فيه الأطروحة المهدوية بأطاريح ما أنزل الله بها من سلطان من أجل الدفاع عن دكتاتورية الحكام التي باتت تتهددها الحركات الشعبوية التي عرفت باسم (الربيع العربي) كما في الدعوة (المهدوية) التي طرحها الداعية السلفي الأردني المدعو (ياسين العجلوني) وهي التي يقول فيها: إن ملك الأردن، عبدالله الثاني، سيكون الخليفة الجديد لكل المسلمين، وإن الخلافة الإسلامية ستعود قريباً، وستكون خلافة هاشمية، وسيتولى الخليفة المرتقب غزو الجزيرة العربية وبلاد فارس أولاً، وبعد ذلك سيحرر فلسطين وبيت المقدس!

ولم يكتف بما صرح به وإنما دعا الأردنيين إلى مناصرة (الخليفة) الإسلامي الجديد بقوله: "أود أن يكون لكم شرف العودة إلى الخلافة الهاشمية، فإن رسول الله ﷺ بشركم أيها الهاشميون بثلاثة خلفاء صالحين منكم يملكون آخر الزمان!".

وكذلك دعاهم إلى مناصرة ابن الخليفة الذي لم يولد بعد، وهو الذي سيسميه أبوه عند ولادته محمداً، مدعياً أن (محمد عبدالله الثاني) هذا الوليد المنتظر؛ وهو الذي لا يعرفون إن كان الملك سيرزق به أم لا، هو المهدي المنتظر عندهم تبعاً للحديث المكذوب (اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) بحسب تحليلات الداعية الدعوي الفقهية وقراءاته للكتب السماوية.

وعليه أعتقد أن الذين حاكوا خيوط المؤامرة الكبيرة هم على درجة عالية من الذكاء الشيطاني، وسعة اطلاع على منهجية المتشددین؛ ولذلك أوكلوا مهمة تنفيذها لهم، أو لمن يدعي الإسلام، أو يدل ظاهره على أنه مسلم، ومدوهم بعناصر الإنتاج ومقوماته؛ بدءاً من الشهادة العليا إلى الملاكات المساعدة المتخصصة، وإلى الموارد المالية الضخمة، وإلى جهود دور

الطباعة والنشر والتوزيع، وحتى الترويج الدعائي للمنتج المرتقب في العالم كله؛ وليس في البلاد الإسلامية وحدها.

ولهذا صرنا نرى هناك من يخرج علينا بين فينة وأخرى بإحدى الأطروحات الجديدة أو القديمة المستهلكة البالية؛ وقد ألبسها ثوباً جديداً وحلة جديدة مستهدفاً وحدة المسلمين وتقاربهم، وشاغلاً إياهم بأمر ثانوية تضيع أو تضعف جهدهم لكي يتشتت ويتبعثر. وقد أخذت هذه المواجهة المصطنعة بعناية فائقة سيلين اثنين منذ بداية نشوئها وحتى اليوم:

الأول: جانب الأحاديث المهدوية وعلامات الظهور، وتزعمه المفكر العربي المغاربي ابن خلدون أحد علماء القرن الثامن الهجري، الذي ذهب إلى إنكار صحة كل الأحاديث المهدوية، بما فيها تلك التي أوردها البخاري ومسلم. والغريب أن ابن خلدون لم يأت بهذا الرأي بناء على نتائج علمية توصل إليها بالبحث والتقصي الحقيقيين، وإنما جاء به لأنه تأثر ببعض المتشددين الذين سبقوه، وجاء به لغايات سياسية بحث لا علاقة لها بالدين والعقيدة، لأنه كما يقول الدكتور عبد الجبار العبيدي: "انتشرت [المهدوية] حتى غدت شعاراً يرفعه كل الثائرين والخارجين على حكوماتهم التي يرونها باطلة... ولعلّ هذا هو الذي دفع ابن خلدون إلى رفض فكرة المهدي على أنها مخلب للحركات الثورية في الإسلام، لأن ابن خلدون كما هو معروف من دعاة الاستقرار وإطاعة أولي الأمر من ناحية، وكان يرى في الفكرة نزعة عصبية تستند إلى هاشم وقريش من ناحية أخرى"^(١).

وقد وجدت هذه الدعوى من يروج لها ويدعمها على مرّ التاريخ، قبل أن يبلورها ابن خلدون بطريقته المشهورة، وهنالك مؤلفات اشتهرت بين العامة قبل أن يطرح ابن خلدون رأيه، مثل كتاب (الأباطيل والمناكير) والصحاح (المشاهير) لأبي عبدالله الحسين بن إبراهيم الجورقاني الهمداني المتوفى سنة

٥٤٣ هجرية^(١) وكتاب (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية)^(٢) لأبي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية.

ثم فشت دعوة ابن خلدون فيما بعد عند الكثير من المفكرين من أتباع مدرسة الخلفاء عامة؛ فأخذ بها المعاصرون وأوردوها في مؤلفاتهم، كما في كتاب (المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعه الإمامية، دراسات حديثة نقدية) للدكتور عذاب محمود الحمش الذي جاء فيه قوله: "لم يبلغ عندي درجة الحسن لذاته أيّ حديث من الأحاديث المصرّحة بالمهدي"^(٣) ثم أردف قوله: "إنّ الأحاديث التي خرّجها أصحاب الصحاح ليس فيها تصريح بذكر المهديّ، فلو كانت هذه المسألة في دائرة الاعتقاد وكانت الأحاديث الصريحة الواردة فيها تبلغ درجة (الحسن لذاته) لرأينا جميع ما يبلغ هذه الدرجة منها في الصحيحين لقلتها، لأنّ البخاري ومسلماً يخرّجان من أحاديث هذه الدرجة القدر اللازم منها في الأبواب التي لا تتوفر فيها الأحاديث الصحيحة ويحتاج إليها في العلم والدين، وهذا يعرفه من له أدنى معرفة بنقد الحديث التطبيقيّ لأحاديث الصحيحين. ولا أدلّ على عدم بلوغ أيّ حديث منها درجة (الحسن) من تبويب الحافظ ابن حبان أكثر من باب في صحيحه بلفظ المهديّ، ثم لم يخرّج حديثاً واحداً يصرّح بذلك! وسائر علماء الحديث يقولون بأنّ (الحسن) من شرط ابن حبان في صحيحه، بل ما أكثر الأحاديث التي لا تبلغ درجة الحسن عنده في نظر الجميع"^(٤) وختم قوله برأي صرّح به بموقفه الواضح من المهدوية وأحاديثها، جاء فيه: "الكتب التي أخرجت أحاديث ورد فيها اسم المهديّ أو لقبه لم يشترط أصحابها

(١) الأباطيل والمناكير، الجورقاني.

(٢) العلل المتناهية، ابن الجوزي.

(٣) المهديّ المنتظر في روايات أهل السنة والشيعه الإمامية، دراسات حديثة نقدية، الدكتور عذاب الحمش، ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه، الدكتور الحمش.

الصحة في مصنفاتهم، فورودها فيها لا يعني بالضرورة أنها صحيحة عند مصنفها ولا يعني أنها صحيحة في الأمر نفسه، ولم يرد عن واحد من هؤلاء العلماء أنه صحح حديثاً فيه ذكر للمهدي^(١).

الثاني: جانب العقيدة المهدوية، وتزعّمه ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، ويذهب ابن تيمية إلى إنكار عقيدة المهدوية الشيعية بكلّ فرعياتها، وينكر وجود مهديّ منتظر، ويؤمن بعموميّات عن مصلح يخرج في آخر الزمان لا يختلف كثيراً عن المصلحين الآخرين، حيث جاء عنه في كتابه المشهور (منهاج السنة النبوية) مجموعة أقوال منها: "ومن المعلوم أنّه [أي: المهديّ] لو كان موجوداً وقد أمره الله بالخروج فإنه يخرج"^(٢).

ومثل ما كانت عليه الحالة الأولى، كان لهذه الحالة دعاة ومروجون قبل ابن تيمية ولكنّ ابن تيمية حاز كابن خلدون على قصب السبق في هذا المجال فانتشر رأيه أكثر من كلّ الآراء. وأدّى هذا الرأي الغريب المتطرّف إلى نشوء مدرسة تقوم مبانيها على إنكار صحّة العقيدة المهدوية عند بعض المسلمين، والادّعاء بأنّها من مخلفات عقائد اليهود والنصارى التي دخلت إلى الإسلام عنوة مع ما دخله من الإسرائيليات. وهنا جاءت بعد ابن تيمية بعض المؤلفات التي لاكت أقواله وكرّرتها وكأنّها قرآن منزل، وهي كثيرة منها على سبيل المثال كتاب (العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية) للشيخ عبد القادر بن أحمد الدمشقيّ الروميّ المعروف بابن بدران الحنبليّ المتوفى سنة ١٣٤٦ هجرية، ومما جاء فيه قوله: "أما ذكر المهديّ في كتب العقائد وإلزام الناس بالإيمان بخروجه؛ فلم نرَ أحداً قال به من العلماء المحققين لا من أصحابنا [يعني الحنابلة] ولا من غيرهم.... إننا راجعنا كثيراً من كتب عقائد أهل السنة والجماعة من المتقدّمين والمتوسّطين والمتأخرين فلم نجد أحداً منهم ذكر أنه

(١) الدكتور الحمش، ص ٢٢١.

(٢) منهاج السنة النبوية، أحمد عبد الحلیم بن تيمية، الجزء ١، ص ٤٦.

يجب الاعتقاد بخروج المهديّ. ومن ذكره منهم فإنّما يذكره استطراداً في الكلام على أشراط الساعة. وهذه عيون كتب الأشاعرة والماتريديّة كـ(المواقف) وشرحها و(المقاصد) وشرحها و(شرح السنوسية) و(الجوهرة) وغير ذلك ممّا هو معروف ومتداول بالأيدي " والرجل يتعلل بعلم ابن خلدون نفسها؛ فهو يقول بداية أنه راجع كتب المتقدمين والمتأخرين فلم يجد أحداً ذكر الاعتقاد بالمهديّ، ولكنّه خالف نفسه واعترف بأنّ هناك بينهم من ذكره، ولكنّه إيغالاً بالحقد علل ذكرهم بأنّه استطراد في الكلام عن أشراط الساعة! فأبيّ تلون هذا بربكم!

ومنها أيضاً كتاب (تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة) للشيخ محمّد الطاهر بن عاشور التونسيّ المتوفى سنة ١٣٧٩ هجرية، الذي جاء فيه عن عقيدة المهديّة قوله: "إنّه [أي: المهديّ] ليس ممّا يتعيّن على المسلمين العلم به واعتقاده". وجاء فيه عن أحاديث المهديّة قوله: "إنّ أحاديث المهديّ كلّها لم تستوف شروط الحديث الصحيح ولا شروط الحديث الحسن.... وخلاصة القول فيها من جهة النظر أنّها مستبعدة مسترابة وأننا لو سلمنا جدلاً بارتفاعها عن رتبة الضعف فإننا لا نستثمر منها عقيدة لازمة" والرجل في جملته الأخيرة يتبع نهج صاحبيه كلياً!

ومنها كتاب (الشيعة - المهديّ - الدروز، تاريخ ووثائق) للدكتور عبد المنعم النمر. سلسلة كتاب الحرّية (١٥) وضعه كاتبه المصريّ الأزهرّي بعد أن عاش ردحاً طويلاً من عمره في الكويت، وتأثر بالفكر السلفيّ؛ فنسي الوسطيّة والاعتدال، وفيه تضعيف لكلّ الأحاديث المهديّة.

ومنها أيضاً كتاب (لا مهديّ يُنتظر بعد الرسول محمّد خير البشر) للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، علامة قطر وقاضي قضاتها كما يسمّيه القرضاوي، وهو الذي يقول فيه: "إنّ فكرة المهديّ والفتنة به أصبحت تتكرّر في كلّ زمان ومكان... فيظنّ الهمج السذج الذين هم أتباع كلّ ناعق ويميلون مع كلّ صائح أنّه أملهم المنشود وبغيّتهم.... فبعد خروج الخلافة من أهل البيت تصدّى

أقوام من المتحمسين لهم فعملوا عملهم في صناعة الأحاديث، يروونها عن رسول الله ﷺ وأحكموا أسانيدها عن أكثر الموتى وأخرجوها بطرق مختلفة، فصَدَّقَ بها بعض علماء الإسلام، وضعفة العلوم والأفهام وصار لها الأثر السيئ في تضليل عقول الناس، وإفساد عقائدهم وخضوعهم للخرافات والأوهام.... والحاصل أنه يجب طرح فكرة المهديّ، وعدم اعتقاد صحته، وهذا الجهل هو الذي أدى بأهله إلى وضع خمسين حديثاً في المهديّ عند أهل السنة، وإلى وضع ألف ومئتي حديث عند الشيعة، وإنّ هذه الأحاديث المختلفة هي التي أفسدت العقول وجعلتهم يتبعون الملاحدة والمفسدين من دعاة المهديّ. إنهم لو رجعوا إلى التحقيق المعتبر لأحاديث المهديّ المنتظر، وفكروا في الأحاديث التي يزعمونها صحيحة ومتواترة، وقابلوا بعضها ببعض، لظهر لهم بطريق اليقين أنها ليست بصحيحة ولا صريحة ولا متواترة لا باللفظ ولا بالمعنى. ومن يتمعن في أقوال هذا الرجل يجده مقلداً لسابقه تقليداً مطلقاً ولكنه استعاض عن أقواله المكشوفة بقول أكثر جهلاً ممّا سبقه، حيث نراه في محاولته الغبية يطعن صراحة بجميع أتباعهم، يطعن بعلمائهم بقوله: (فصدّقهم بعض علماء الإسلام) ولا أدري كيف يصدّق العالم بأقوال من يسمّيه (المفسدين والملاحدة) ويطعن كذلك بعامّتهم بقوله: (وضعفة العلوم والأفهام) ولا أدري كيف لا يأخذ قليل العلم وضعيف الفهم فتاواه من مشايخه ويأخذها ممّن يختلف معه!

وكتاب (المهديّ والمهدويّة) لأحمد أمين الكاتب المصريّ المعروف صاحب المنار، تناول فيه فكرة المهديّ والمهدويّة، حيث ناقش هذه الفكرة وعرفها وتناول تطوّرها عند الفاطميّين والموحّدين والقرامطة والحشاشين وثورة البساسيري والبابية وغيرها، وتناول كثيراً من الأحداث المتعلقة بفكرة المهدويّة، ثمّ ضعّف جميع أحاديث المهديّ. وهو من الكتب القليلة التي ردّ عليها علماؤنا وفندوا ما جاء فيها، ومن الذين تصدّوا لها المرحوم الشيخ محمّد أمين زين الدين في كتابه (مع الدكتور أحمد أمين في المهديّ

والمهدوية) والمرحوم الشيخ محمد عليّ الزهيريّ في كتابه (المهديّ وأحمد أمين) ومع ذلك أعادت دار الكتب العلميّة للنشر والتوزيع طبع كتابه في عام ٢٠٠٩ تماهياً مع الرفض الفاشي لفكر الأطروحة المهدوية.

وأخر ما قرأته من نتاج هذا الفكر الرفض مقالاً لكاتبة معروفة قالت في معرض حديثها عن الطائفة العلوية: "وقديماً كان يطلق على العلويين اسم النصيرية نسبة إلى محمد بن نصير (عاش حوالي ٨٥٠ ميلادية) الذي يعود إليه فضل وضع أسس هذا المذهب في بغداد بوصفها طائفة انفصلت عن الشيعة. وقد عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة، هم عبد الهادي [تقصد الإمام عليّ الهادي] والحسن العسكريّ، والإمام الموهوم"^(١). وهي تقصد هنا الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه، حيث ترى أنه مجرد وهم لا يمتّ إلى الحقيقة بصلة!

فقد أنتج هذا التماهي اللاعقلانيّ، واللامسؤول، والبعيد عن الحرص سلسلة طويلة من المؤلفات الغريبة التي اجتهد مؤلفوها وكتابها لإلغاء هذه العقيدة الإسلامية الصحيحة من الفكر الإسلاميّ، وتحويلها إلى مجرد قصة خرافية مصطنعة أو دسيسة مبتدعة، ثمّ الرضوخ إلى نظرية المؤامرة بالادعاء بأنّها قد دسّها في الفكر الإسلاميّ اليهود والنصارى. وقد جاهد هؤلاء الكتاب لتقوية هذا الرأي وتعزيده بكلّ الوسائل المتاحة حتى وإن كان فيها طعن بمعتقداتهم، وتكذيب لسابق أقوالهم حتى إنّ بعضهم ضعّف أحاديث المهدوية الواردة في صحيح البخاريّ ومسلم اللذين يقولون عنهما: "إنهما أصحّ كتابين بعد كتاب الله" حيث نجد للبخاريّ قولاً ادّعى فيه أنّه لم يورد في كتابه إلاّ الصحيح، وأنّه ترك الكثير من الأحاديث الصحيحة نتيجة الحرص الشديد؛ لأنها لم تلق قبوله وترضٍ تطلعه، ولكنّ المهتمّين بشأن الأحاديث المهدوية من أصحاب الكتب الغريبة أوردوا له رأياً يضعف فيه حديثي محمد بن الحنفية عن أبيه: "المهديّ من أهل البيت يصلحه الله في ليلة" وحديث سعيد بن

(١) الكاتبة رندة حيدر، جريدة النهار، الأحد ٢٠١١/٢ العدد ٢٤٥٥٩.

المسيب عن أم المؤمنين أم سلمة: "سمعت النبي ﷺ يذكر المهدي؛ فقال: نعم هو حق، وهو من بني فاطمة" حيث نسب إليه قوله عن كل من هذين الحديثين: "في إسناده نظر"^(١) ولكنه لم يفصح عن هذا (النظر) الذي يدعيه زوراً.

ومن هؤلاء الكتاب أيضاً الصحفي الباكستاني إحسان إلهي ظهير رئيس تحرير إحدى الصحف الدينية السلفية الباكستانية في كتابه (الشيعة وأهل البيت) وهو واحد من سلسلة كتب أصدرها هذا الصحفي تقديحاً لكلها بالفكر الشيعي عامة؛ والمهدوية خاصة؛ إذ قال عن علماء الشيعة الذين أوردوا روايات وأحاديث عن الأئمة المعصومين ﷺ في المهدي: "كما أنهم حكوا روايات كثيرة باطلة ونسبوا إلى أئمتهم"^(٢) ثم ساق رواية من الإرشاد ومن روضة الواعظين. وظهير هذا يعارض في نهجه المتشدد أغلب علماء مدرسة الخلفاء الذين أقرّوا بوجود المهدوية في الفكر الإسلامي بما فيهم من قال إنّ مهديهم هو غير مهدي الرافضة الذي يسمونه (الخرافة) وتبع من يدعي أنّ لا مهدي إلا عيسى!

وقد قلده في اتباع هذا الأسلوب المتطرّف الغريب كاتب عراقي يعيش في السعودية، وتخرّج في مدارسها الفقهية، هو طبيب التخدير الدكتور طه حامد الدليمي، وله كتاب اسمه (المهدي المنتظر هذه الخرافة) ورد فيه قوله: "يتعلق الإمامية الاثنا عشرية بقشة مفادها أنّ أهل السنة يعتقدون بـ(المهدي)". فعلام الإنكار عليهم إذا كان الجميع يشتركون في عقيدة متماثلة؟ وهذه مغالطة واضحة لأسباب كثيرة؛ منها:

١ - إنّ مهدي أهل السنة غير (المهدي) الذي يعتقد به الاثنا عشرية.

(١) المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية، د. عذاب محمود الحمش، الصفحات ٣٠٦ و ٣٤٩.

(٢) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، ١١١.

٢ - لا يعتقد أهل السنة أنّ الإيمان بهذا (المهديّ) ركن من أركان الإسلام، أو أصل من أصول الدين لا يصحّ الإيمان إلا به. ولم يكفروا أحداً على أساسه، ولم يبنوا عليه أيّ حكم من الأحكام الشرعيّة، أو يعطلوه. بل هو عندهم من فرعيّات الاعتقاد التي لا يضرّ فيها الاختلاف، وإنكاره لا يقدح في الإيمان.

٣ - إنّ أهل السنة غير مجمعين على هذه العقيدة. فمنهم من يثبتها بناء على صحة الأحاديث التي وردت بشأنها. ومنهم من ينكره لاعتقاده بضعف أحاديثها.

٤ - من اعتقد بمجيء (المهديّ) من أهل السنة، فإنّما اعتقد به طبقاً إلى روايات صحّت عنده. وليس طبقاً إلى النظر العقليّ.

٥ - القول بأنّ شخصاً ما يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً، إذا كان المقصود بالأرض كلّ الأرض - ولا سيّما كما يتصوّر عامة الشيعة أنّ ذلك سيحدث بلمسة ساحر. وأنّ الأمور كلّها ستتغيّر وتصفو تماماً، ما إن يجيء، وينشدون في ذلك قولهم: (اطلع يا المهديّ وصفيها) - هذا القول من أسخف الأقوال المخالفة للمنقول، والمباينة للمعقول؛ فإنّ رسول الله نفسه لم يتمكن من القيام بهذا الدور الخياليّ! ولا أحد من الأنبياء ﷺ. ولا الصحابة الكرام. ولا عليّ بن أبي طالب الذي هو أفضل من (المهديّ) المزعوم! بل كان مغلوباً على أمره لم يتمكن من بسط العدل المطلوب في عاصمة خلافته؛ فضلاً عن غيرها. ما معنى أن يعطى هذا الدور العظيم، والفضل الكبير لشخص ما، ولا يعطى لرسول الله الذي هو أفضل العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين أجمعين؟

٦ - ثمّ إنّه يستحيل عقلاً على شخص واحد أن يملأ الأرض عدلاً بعد أن تمتلئ جوراً! ولا سيّما بعد أن كثر سكان الأرض فصاروا بالمليارات. وعندهم من الإمكانيّات الهائلة، والأسلحة الفتاكة المدمّرة، والقدرة على الفتك والمقاومة. اللهمّ إلّا على افتراض أن تفتى البشريّة فلا يبقى منها سوى قرية

صغيرة واحدة يحكمها هذا (المهدي). وعند ذلك يمكن لشيخ قبيلة بإمكانيات بسيطة أن يبسط العدل المطلوب في تلك القرية، فلا حاجة لوجود سوبرمانات أو طرزانات بشرية.

إن البشر لا يمكن أن تتغير طبيعتهم بالطرفة فيحدث الإصلاح بهذه السرعة السحرية. بل ذلك مخالف لسنة الله في خلقه القائمة على التدرج والترقي شيئاً فشيئاً. فالانتقال من غاية الظلم والفساد إلى غاية العدل والرحمة - وفي جيل واحد - مستحيل. وإلا لحدث ذلك لموسى مع بني إسرائيل، ولم يحتاجوا لأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة! وليس من مقصود الله جلّ وعلا أن يختفي الظلم تماماً من الأرض بل ذلك شيء أرجأه إلى الحياة الأخرى التي يقول فيها: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٧) حين يتجلى عدل الله كما هو. ثم ما معنى أن يختفي الظلم من الأرض بضع سنوات معدودات وقد مرّ عليها آلاف السنين وهي تروّج تحت وطأته؟ هل يستحقّ هذا كلّ هذا الاهتمام والوعود والبيانات؟! وما الذي تستفيده منه آلاف الأجيال التي ماتت وهي تعاني من الظلم والاضطهاد؟!^(١).

وأرجو لحاظ أنّ المؤلف وضع اسم المهديّ بين قوسين في النصين المذكورين آنفاً، وفي كلّ المواضع الأخرى التي ورد فيها الاسم المقدّس في كتابه للتنكير والتصغير وعدم الاعتراف، وليس للتخصيص والتوضيح. ثمّ إنني أعتقد - والله أعلم - أنّه استقى اسم مؤلفه من كتاب للقسّ الإيطالي (لويجي كاتشيولي) عنوانه (خرافة المسيح)؛ يتناول موضوع إيمان النصارى بحقيقة السيّد المسيح ولاسيّما أنّ كتاب الدليمي جاء بالأسلوب التهكميّ نفسه الذي سار عليه القس. وأرى أنّ هذا لا يدخل في باب التناصّ قطّ؛ وإنّما يدخل في باب الاقتباس التدليسيّ أو السرقة الأدبيّة. وسوف نتوسّع في بحث أقواله في مكان آخر من البحث لأهمّيّتها.

(١) المهديّ المنتظر هذه الخرافة، د. طه الدليمي، الصفحات ١٤ و ٢٥.

وهناك كاتب آخر اسمه "ربيع بن هادي بن عمير المدخلي" له كتاب (المهدي بين أهل السنة والروافض) يقول فيه: "إنها والله لخرافات قائمة على خرافات ودجل يعيش عليه ملايين البشر باسم الإسلام، وباسم أهل البيت، وباسم المهدي الذي لم يوجد!"

وكاتب آخر اسمه "ناصر عبد الرحمن أمين" له كتاب (إسراء مع الإمام الثاني عشر) تناول فيه كتاب الكافي للكليني بالدرس والتمحيص لإثبات بطلان الأحاديث المهدوية التي أوردها الكليني في مؤلفه للعمل بذلك على إبطال العقيدة المهدوية وتوهين أحاديثها.

عقلياً وعلمياً وأدبياً يفترض بهذه المؤلفات التي يعود بعضها إلى شخصيات يحمل بعضهم درجات علمية رفيعة، ويتبوأ آخرون مناصب إدارية عالية أن تكون بمستوى المسؤولية الأخلاقية، وأن تتخلى عن أسلوب المهاترات أولاً، والشتم القاذع والتحريف الممجوج ثانياً، والكذب المفضوح والتدليس البائس ثالثاً، وأن ترقى إلى مستوى الدرجات العلمية التي يحملونها، وأن تتحول من كتابات ساذجة سطحية تقليدية جامدة على ما جاء به الأوائل الذين وضعوا نظرياتهم الدينية بوحى من المؤثرات السياسية إلى مصاف كتابات الدراسات والبحوث الأكاديمية العلمية الرصينة، هذا إذا ما كانت الغاية من كتابتها نيل رضا الله تعالى، ولم شمل الأمة، والحفاظ على عقائد الإسلام، والحرص على المسلمين، وتقديم النصح لهم كما ادعى مؤلفوها في مقدماتهم الرنانة لها.

والمفروض بل من الإنصاف أن يسأل هؤلاء الكتاب أنفسهم هذا السؤال البسيط: إذا ما كنت أجزى لنفسى أخذ آراء ابن خلدون، وابن تيمية، وأبي حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، والأشعري، والأوزاعي، وأبي يعلى؛ وكل أئمة الفقه والحديث المشهورين، وأتعبد بما جاءوا به، وأقدس، وأبني عليه استنتاجاتي العقلية والعقلية كافة، أليس من الإنصاف والعدل وحرية الرأي أن أجزى لمن يأخذ عقيدته عن النبي الأكرم وعلي بن أبي طالب

والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) أن يتعبد بنصوصهم، ويبنى استنتاجاته على ما أخذه عنهم؛ وهو الشيء الذي أجزته لنفسه، أم أن ما هو حلال عليّ حرام على غيري؟

أليس من العدل والإنصاف أن أجزى لغيري ما أجزىه لنفسه؟ أم أن أنهى عن خلق وآتي بمثله؛ جائز عقلاً وسلوكاً وشرعاً في عقيدتي؟ وأي عقيدة تلك التي تؤمن بهذا التمايز الجائر غير العقلاني؟

أليس من روح الإسلام أن نعترف بفكر المسلم الآخر، ونتجنب الإساءة إليه، أم نكتفي بترديد ما قاله ابن تيمية عن علماء الشيعة المشهود لهم بالأعلمية والإنصاف والعدل، والمعروف عنهم إمامهم بعلوم القرآن والحديث والفلك واللغة والمنطق والاستدلال والكثير من العلوم الأخرى: "فإن الرافضة في الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ومعرفة الأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة، كما أنهم من أجهل الناس بالمنقولات والأحاديث والآثار"^(١).

مما سبق يتبين أن أشدّ المعارضين والمعترضين على أحاديث المهدوية هم من السلفيين الوهابيين من أتباع أحمد بن حنبل، فهؤلاء يدعون أن جميع أحاديث المهديّ مرسلّة أو ضعيفة في الوقت الذي يقيمون وينشئون فيه أسس فتواهم كلّها العبادية والمعاملاتية، على (القياس) والأحاديث التي ثبت أنها (مرسلّة) أو (ضعيفة)؛ فالأصول الخمسة التي يعتمدها الإمام أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلّي ومؤسسه في فتواه، وباعتراف المتخصّصين منهم، هي كما يقولون:

١ - الفتوى بموجب النصوص الشرعية.

٢ - الأخذ بفتوى الصحابي، إن لم يجد من يخالفه.

٣ - إذا وجد من يخالفه، أخذ بأقرب الفتاوى للكتاب والسنة.

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، الجزء ١، ص ٥٨.

٤ - إذا لم يجد لهم فتوى، أخذ بالحديث المرسل والضعيف.

٥ - إذا لم يجد شيئاً ممّا تقدّم، انتقل إلى القياس^(١).

من هنا، ومن هذه الحافات الجارحة الصعبة، والإنكار القاسي، تأتي المجازفة التي تخلقها الجرأة للكتابة في أمر عظيم على مستوى الواقع، ومستوى العلوم المتداولة، ومستوى الصراع الدائر بين المسلمين وحقيقته. وهي على كلّ حال مجازفة من سنخ تلك المجازفات التي مارسها أبائنا من قبل عند تصديهم لكلّ الأفكار الهدّامة التي حاولت أن تتسلل إلى عمق الإسلام الواحد لتوهن قدرته على التصدي في معركة حاسمة مفروضة عليه يعيش اليوم أكبر تداعياتها، ويجابه أكبر مخاطرها، ولا يملك فيها سوى خيار التصدي إذا ما أراد البقاء والديمومة.

أمّا آلية البحث فسوف نحاول بها الإجابة عن بعض الأسئلة لاستنتاج صحّة العقيدة المهدويّة في الفكرين الإسلاميّ الجمعيّ والشيعيّ الخاصّ، وطول عمر دولة الإمام المهديّ، وظهور دين الإسلام على أديان الأرض وغزو الأكوان الأخرى، وهذه الأسئلة؛ هي:

هل هناك من يعتقد بفكرة كونية الحكومة المهدوية ويؤمن بها؟

ما مراحل تطوّر هذه الفكرة؟

ما أسس الاستدلال على امتداد الحكومة المهدوية إلى الأكوان

الخارجية؟

ما الحاجة إلى هذا الامتداد الكونيّ؟

هل في الأكوان الخارجية سكان، وهل هم مكلفون عبادياً؟

ما علاقة الامتداد الكونيّ بعمر الدولة المهدوية؟

(١) ينظر: أهمّ كتب الأحكام المطبوعة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إعداد محمّد بن عليّ البيهقي، قاضي تحقيق بهيئة التحقيق والادعاء والعضو بالجمعية الفقهيّة السعودية بالرياض عن بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية (٤/٨٣٥) طبعة مكتبة نزار الباز.

وأما هدفي من وضع هذا الكتاب فهو طلب الرحمة من الله تعالى بالانتصار للمهدوية ورجالها المنتظرين، وأملني أن يكون هذا العمل يوم الدين في ميزان حسناتي.

خطة البحث

قسمت البحث إلى جزئين، يتكوّن كلُّ منهما من فصول عدّة. حاولت بالجزء الأوّل إثبات صحّة نظريتي في الكونيّة بمحاولة إثبات صحّة النظريّات والفرضيّات المطروحة وصولاً إلى الجانب الإعجازيّ في حياة الإمام المهديّ المنتظر، وعلاقة ذلك بالكونيّة. أمّا الجزء الثاني فخصّصته للحديث عن الأكوان وسكانها وأديانهم، ودور عبادتهم وأنبيائهم. وقد تناولت في القسم الأخير من الكتاب علاقة نظريّة كونيّة الحكومة المهدوية بعمر دولة الاستخلاف الإلهيّ الأخير لأثبت أنّ العلاقة بينهما طردية، حيث يمتدّ عمر الدولة المهدوية مع امتداد الأكوان وسعتها، ولأصل بذلك إلى نتيجة مفادها أنّنا قد نكون الآن في عصر الظهور، وقد يكون ظهور الإمام المهديّ المنتظر أقرب إلينا ممّا نعتقد بكثير.

وأخر ما أريد التنويه عنه أنّه لا بدّ من أن تكون هناك مجاميع كبيرة ومن المستويات كافة ترفض الخوض في مثل هذه المواضيع الحساسة بحجة أنّ علماء الماضي تغاضوا عنها لعدم جدّيتها، وأضع بين أيدي هؤلاء الفضلاء رؤية العالم الروحيّ والمتخصّص بعلم الماكروبيوتيك (ميتشيو كوتشي) الذي يقول: "كعالم في هذا المجال، يجب أن أكون متنبّهاً لدروس الماضي. كما وسبق أن تمّ التغاضي في الماضي عن بعض الأمور العلميّة المهمّة، لأنّها ببساطة لم تنل قبول بعض العلماء الذين لا يتداولون إلا بالنظرة الحديثة للأمور العلميّة"^(١) فليس شرطاً أن يكون ما لم ينل قبول الأقدمين مخطوئاً أو غير حقيقيّ بنظر المعاصرين.

(١) زيارات من العالم الخارجي، موقع بيت الصياد

الباب الأول

رؤى واستدلالات
ومصاديق وإعجاز

الفصل الأول

مراحل تطوّر الرّؤى الكونيّة
في فكر العلماء

مقدمة

البحث الذي بين أيديكم عبارة عن مجموعة استنتاجات واستدلالات واستقراءات مستخلصة من عدد كبير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأحاديث أهل البيت الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وبعض معطيات العلوم الحديثة. أمّا موضوعه فجديد ومبتكر، لم يسبق - بحسب علمي - أن يُبحث من قبل أو نُوقشَ بعمق بمعناه الحقيقي وليس المجازي، ولاسيما أنّ البحوث السابقة والحالية التي ناقشت المهام الموكولة إلى الدولة المهدوية كان جراكها الفكري ولا يزال محصوراً في محورين اثنين لم يتعدّهما ألبتة؛ وهما:

* إسلامية الأطروحة: على أساس أنّ الفكرة في أصلها الإسلامي لا الأُمِّي كانت إسلامية المنشأ.

* عالمية الأطروحة: على أساس أنّ العالم الأرضي كلّه مقصود بها وسوف يتعامل مع محاورها العملية والفكرية.

أمّا كونيتها؛ أي: امتداد أثرها وتأثيرها وسلطتها وأحكامها وقوانينها وأعرافها وفلسفتها إلى الأكوان الأخرى خارج العالم الأرضي المعروف، وأبعد من الكرة الأرضية، فلم تلتفت الدراسات إليه من قبل، ومن هنا جاء اعتقادي ليس بحقيقة هذه الكونية فحسب؛ وإنما بوجوب البحث في هذه الحقيقة؛ لأنها محاولة تستحقّ الاهتمام والمتابعة الجديين من لدن الباحثين والمتخصّصين في الشأن الإسلامي عامة والشأن المهدويّ بالذات لما تتكشف عنه نتائج المتابعة من علاقة بعمر الدولة المهدوية من جهة، وبفرحة وسرور

أن يكون الفكر الإسلامي هو الفكر المرشح لقيادة الكون في المستقبل القريب من جهة أخرى، بعد أن يش المسلمون وقنعوا بحياة التبعية للآخر.

والذي شجعتني على السير في هذا الدرب الشاق أني وبالبحث في فكر الأطروحة المهدوية ونقولها في المدرستين الإسلاميتين تأكّدت، ورسخت لديّ قناعة؛ مفادها: أنّ نضوج الثقافة المهدوية وما رافقه من فهم للمهام المهدوية وحدودها قد مرّ بمرحلتين اثنتين وبقي محصوراً في أجوائها، ولم يفارقها للانتقال إلى المرحلة النهائية منذ عصر الحكم العربي للعالم الإسلامي في سنة ٤١ هجرية وإلى الآن، وهما:

١ - المرحلة الشيعية/ الإسلامية: التي كان الشيعة فيها يحلمون بأنّ الغائب المنتظر (عج) سوف يأتي لإنقاذهم من الظلم والجور الذي يتعرّضون له باستمرار من لدن الحكام الدنيويين وأتباعهم من أبناء الأمة المسلمة، ثمّ امتدت هذه المرحلة وتوسعت آفاقها ولاسيّما في عصور الاحتلال الأجنبية للعالم الإسلامي؛ لتصبح إسلامية شاملة يحلم ويأمل بها المسلمون بأجمعهم كلّ بحسب معتقده - إلا من خالف منهم - أنه (عج) سوف يأتي لإنقاذ المسلمين كلهم وتخليصهم من ظلم المستعمر الأجنبي. أي: إنّ الشيعة أولاً ثمّ المسلمين عامّة حازوا نتائج فعال المنتظر ودولته المرتقبة إلى الجانب الإسلامي من دون بقية العالم، وعليه انحصرت الدراسات والبحوث في محوريهما فقط، وما زالت إلى الآن محصورة في هذين المحورين تقريباً.

٢ - المرحلة العالمية: ثمّ بعد التطور العلمي الذي حصل في العالم، وانفتاح الأمم على بعضها، وتطور الدراسات والبحوث المهدوية، واستعمال أساليب التحليل العلمي الممنهج للنصوص والآثار الموجودة، وترجمة الكتب العقائدية للأمم الأخرى ونشرها، والاطلاع على آراء الديانات والحضارات والمجانب البشرية الأخرى الخاصة بأخبار آخر الزمان، أو المنتظر الأممي الذي تؤمن كلّ أمة من جانبها بقدومه لنصرتها على أعدائها، وجد الباحثون

أنَّ الأطروحة تبدو أوسع كثيراً ممَّا كانوا يتصوِّرون، وإنَّها لا يمكن أن تُحدَّ بالآفاق الضيقة لحدود دولة، أو دول معيَّنة، وحتى دول الإسلام كلِّها، لأنَّها لو صحَّ التعبير سوف تأتي لإنفاذ الكائن البشريِّ المظلوم في كلِّ مكان في هذا العالم مهما كانت ديانتَه ومعتقدَه وجنسَه، وإقامة دولة العدل في العوالم الأرضية المعروفة كلِّها. وعليه فمن غير المعقول أن تكون مختصةً بالعالم الإسلاميِّ وحده وموقوفة عليه. وساعدت على ظهور هذا التصوُّر عند الأطراف المعنيَّة مجموعة معطيات منها في الأقلِّ إدراكهم أنَّ الحروب التي سوف تخوضها المهدويَّة بوجه الأمم والشعوب الأخرى - كما في رواياتنا ورواياتهم - تؤكِّد بما لا يقبل الشكَّ على عالميَّتها وشمولها للعالم كلِّه. بل تؤكِّد أنَّ الطرف الآخر نفسه (غير المسلم) يؤمن بعالميَّتها أكثر ممَّا يؤمن به بعض المسلمين، وأنَّه بدأ يعمل منذ سنين طويلة على بناء دفاعاته المتينة التي يأمل أن تقف بوجه المهدويَّة، في الوقت نفسه الذي يدعم فيه ترسانته العسكريَّة بالأسلحة فائقة التطوُّر، وينشئ مراكز الدراسات والبحوث التي تهتمُّ بأخبارها، ويتابع تصوُّراتنا عنها ويستقيها، وما عند المسلمين وغيرهم من أخبارها، ثمَّ يحرك جيوشه في هذا الجزء من العالم أو ذلك؛ لكي يدعم خططه التي يضعها لما يعرف بمعركة (هرمجدون) التي يقول إنَّها ستكون المعركة الحاسمة مع الإسلام الذي يقوده المهديُّ عند الظهور، حتى إنَّ الرئيس الأمريكيَّ الأسبق "رونالد ريغان" قال في عام ١٩٨٠: "إننا قد نكون الجيل الذي سيشهد هرمجدون"^(١) وكرَّر مثل هذه الأقوال في أكثر من مناسبة.

وهرمجدون هي المعركة التي يعتقد اليهود والنصارى أنَّها ستكون آخر معارك التاريخ الحاسمة، وأنَّها المعركة التي سوف توصل الإنسان إلى نهاية التاريخ التي تبشر بها أطروحات العولمة، وهي المعركة التي تقول عنها

(١) المفاجأة، محمَّد عيسى داوُد، ص ٥٤٢.

الكاتبة الأمريكية (جريس هاسل): "إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى هرمجدون، وأن هذه المعركة سوف تتوّج بعودة المسيح الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات"^(١).

هذه المعركة نسمّيها نحن المسلمين (المعركة الكبرى)؛ وهي معركة وردت بشأنها مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية، لكن ليس بالضرورة أن تكون رواياتنا قد قصدت المعركة نفسها التي يتحدّث الآخر غير المسلم عنها، ولا سيّما أن في فرق المسلمين من ينكر حقيقة هذه المعركة مع وجود رواياتها الكثيرة في مصادره وكتبه، وقد أخرج بعض رواياتها الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في مسنده، والحاكم الحسكاني في مستدرکه وغيرهم، منها على سبيل المثال الحديث الذي صحّحه الألباني في الجامع الصغير، وهو الذي جاء فيه: قال رسول الله ﷺ: "فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق". فيما يبدو أنه إشارة إلى هذه الحرب التي ستكون عظيمة بكلّ المقاييس. علماً أن هنالك بين المسلمين - كما قلنا - خلافاً كبيراً على حقيقة هذه المعركة حتى إن بعضهم يعدّها من خرافات اليهود (الإسرائيليات) التي دُست في عقيدة المسلمين. وهذا ما لا نريد الخوض فيه.

٣ - المرحلة الكونيّة: وهي المرحلة الثالثة والأكثر أهميّة من سواها، وهي التي سوف نتناولها بالحديث في بحثنا الموسّع هذا إن شاء الله تعالى.

(١) عمر أمة الإسلام، أمين محمّد جمال الدين، ص ٣٧.

تطور رؤى المرحلة الكونية وموجبات البحث

كونية الأطروحة المهدوية التي أرى أنها المرحلة النهائية، أو المرحلة الثالثة من مراحل النضج الفكري الإنساني للمهدوية، وهي التي لم يلتفت إليها الباحثون بجدية إلى الآن؛ ما هي إلا استقراءات ونتائج دراسة مازالت في طور التكوين والنشوء، كان الدافع لولادتها اكتشاف خفايا الأبعاد الحقيقية للأطروحة المهدوية بالاطلاع الاستقرائي التحليلي على مجموعة كبيرة من النصوص الموثقة التي ثبت بها أن الأطروحة بكلّ مبنياتها الفكرية والحركية، وبكلّ نتائجها المادية والمعنوية تبدو واقعاً أوسع كثيراً من هذا العالم المحصور بكونية الأرض؛ لأنها تشكل في الحقيقة نشأة جديدة للأكوان والعوالم كلّها، هي الصفحة الثانية لأسفار التكوين الأولى ولآياتها، وهي غير تلك النشأة المعروفة والممتدة منذ هبوط آدم ﷺ إلى الأرض وحتى اليوم، بل غير تلك النشأة التي ابتدأت منذ أن خلق الله أوّل مخلوقاته من قبل أن يخلق آدم، لأنّ الموازين التي تربّت ونشأت عليها المخلوقات كلّها؛ ومنها البشر في أثناء هذا التاريخ الطويل الذي يمتدّ إلى ملايين السنين سوف تتعرض إلى انقلاب كليّ، وتغيير جذريّ في كلّ العوالم المعمورة لتحلّ محلها موازين بنائية إسلامية جديدة تختلف عن الموازين الموروثة كلياً، وتخالفها من حيث النتيجة والمضمون والغاية والهدف.

ولكنّ الباحثين الذين اعتقد بأنهم أدركوا بحدسهم، وبما بين أيديهم من الأخبار والبحوث بعضاً من إشارات هذه الحقيقة وليس كلّها، لم يصرّحوا بها

جهاراً أمام الناس، ولم يصرّحوا بها حتى في مجالسهم الخاصة؛ لأنّهم كانوا وما يزالون بين الشكّ واليقين من أمرها، اومتهيبين من ذكرها. وتأكيداً لهذا التصوّر وجدت لأحد الباحثين قولاً في ضمن حديث له عن المهدوية جاء فيه: "ولن أشطّ، وأرجو أن لا أكون كذلك إن قلت إنّها [أي: المهدوية] مسألة تتعلق بكلّ الموجودات في البسيطة أو الكون كلّهُ" (١) أي: إنّهُ يعتقد بكونيّة الأطروحة ويشكّ بها؛ ولكنّه يخاف أن يكون شكّه نوعاً من الشطط، ولذلك كان متردّداً في حديثه عن هذا الاكتشاف إلى أبعد حدود التردّد المعروفة.

أمّا غيره ممّن أشار إلى الكونيّة بهذا المعنى نفسه؛ فقد جاءت إشاراتهم في سياق بحوثهم وأحاديثهم عن عالميّة الأطروحة لا عن حقيقة الكونيّة، إذ لم ترد في هذه البحوث إشارات إلى الكونيّة بمعناها الحقيقيّ لا المجازي، لأنّهم في حديثهم عن الكونيّة كانوا يقصدون الكون الأرضي المحصور بالكرة الأرضيّة وحدها، بالضبط كما يستعمل البعض اسم الحرب الكونيّة لإطلاقه على الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين لا علاقة حقيقيّة لهما بالكون الآخر.

من هذه الإشارات ما جاء في دراسة نشرها مركز الدراسات التخصصيّة في الإمام المهديّ للكاتب محمّد محسن العيد تحت عنوان (المهديّ المنتظر - ع - كونيّة العدالة وعدالة التكوين) ومنها أيضاً استعمال كُتاب آخرين لمصطلح الكونيّة ليرمزوا به إلى العالميّة مثل البحث المسمّى بـ (الإمام المهديّ ناموس الوعي الكونيّ) والبحث الآخر المسمّى (الإمام المهديّ ضرورة كونيّة)؛ فالبحوث التي استعملت ما يوحي وكأنّه وصول إلى مصطلح الكونيّة على كثرتها، إنّما استعملته في الإشارة إلى عالميّة الأطروحة، وشمولها للكرة الأرضيّة كلّها، لا لكونيّة الفلكيّة الحقيقيّة.

(١) موقع مركز الدراسات التخصصيّة في الإمام المهديّ التابع لمكتب السيد السيستاني.

هنالك أيضاً من ذهب إلى القول إنّ الكونيّة سوف تتحقق بالتجربة المهدويّة التي ستوكل لها مهمّة إقامة مجتمع مدنيّ يدير الحقّ بصفة كونيّة عادلة؛ لأنّها تقلب الصراع الكونيّ، أي: إنّ الحكم المهدويّ وبإرادة الله سبحانه سوف يعطف اتجاه القوانين الكونيّة المعمول بها على الأرض حالياً، أو التي كان معمولاً بها في العصور السابقة، ومنها حقيقة الرسالات السماويّة، فيأتي كما في الأحاديث المتواترة بإسلام جديد وقرآن جديد، لا بمعنى الجدّة؛ أي: الحدائثة الفلسفيّة المعاصرة^(١) وإنّما بإعادة الإسلام

(١) كلمة حدائثة (Modernity) تعني: العصرية أو التحديث، أو التجديد، وتطلق على أيّ عمليّة تضمّن تحديث ما هو قديم وتجديده. لغويّاً الحدائثة مصدر من الفعل (حَدَثَ) وتعني نقيض القديم. والحدائثة: أوّل الأمر وابتدأؤه، وهي: الشباب وأول العمر. وهي تختلف عن الحدائثة (modernism) التي تعني اصطلاحاً: الاتجاه الفلسفيّ والفكريّ الجديد الذي يشكل ثورة على كلّ موروثات المجتمع. أو كما عرفها الدكتور حمدي عبيد: "الحدائثة (modernism) مذهب فكريّ يسعى إلى نبذ القديم الثابت من العقائد والشرائع القيم ورفض السائد والمألوف وكلّ ما هو معروف، فهم يقررون أنّ الحدائثة تماز بالثورة على التقاليد الشكلية واللغوية، والافتحام والنفور من كلّ ما هو متواصل) أو كما عرفها (العلميّ الإدريسي رشيد): الحدائثة تعني الإيمان بقدرة الإنسان بفضل عقله أن يوجه مسار التاريخ وتغيير بناء المجتمع بغية تحقيق الديمقراطية وصيانة الحقوق والحريات. في اللغة الإنكليزية هناك ثلاثة مصطلحات متقاربة ومشتقة من أصل واحد ولكنها ترمز إلى معانٍ مختلفة هي:

الحدائثة (modernism): ويقصد بها المذهب الفكريّ المعروف.
المعاصرة (modernity): وتعني إحداث التجديد والتغيير في المفاهيم السائدة المترابطة الموروثة نتيجة وجود تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن.
التحديث (modernization): أي عمليّة التجديد والتبديل والتطوير.

والمصطلحات جميعها تترجم عادة إلى (حدائثة) على الرغم من اختلافها شكلاً ومضموناً وفلسفة وممارسة. وإذا أمكن الجمع بين مصطلحي modernity و modernization ليعنيا المعاصرة أو التجديد، فإنّ مصطلح modernism وهو المصطلح المعمول عليه اليوم في النص على معنى الحدائثة يختلف عنهما تماماً؛ لأنّ الاتجاه الفكريّ السليم يتفق مع التحديث والمعاصرة والتجديد ولكنه لا يتفق مع الحدائثة بمفهومها السائد كمذهب أدبي أو نظريه فكرية تدعو إلى التمرد على الواقع في جوانبه السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والدينيّة. في حين يعني المصطلح الثاني (modernity) (المعاصرة): أي التجديد بوجه عام دون الارتباط بنظريّة ترتبط بمفاهيم وفلسفات متداخلة متشابكة كما هو مصطلح (modernism).

والقرآن إلى أصوله المحمّديّة الأولى بعد أن أبعدته التغيير والتحريف والتصحيح عنها، ومن هنا جاءت كونيتها بنظر هؤلاء.

وقصر بعضهم الآخر كونية الحكومة المهدوية على الحوار الكوني، أي الحوار العالميّ الدائر في شأنها، وهو الذي هو جزء ممّا أطلق عليه مصطلح (حوار الحضارات).

وبعضهم الآخر يرى أنّ الكونية تأتي من قناعة أنّ المهديّ (عج) يمثل العدالة الكونية على الأرض.

ويرى آخرون أنّ كونية المهدوية تأتي من كونها سنّة من سنن الله في الكون بمعنى أنّهم استعملوا الجزء للدلالة على الكلّ.

والكونية في نظر باحثين آخرين تقتصر على جنبه علاقة بعض علامات الظهور بالأكوان الأخرى، أو علاقة بعض الظواهر الكونية بالأطروحة المهدوية؛ إذ قسموا علامات الظهور إلى ثلاثة أقسام، منها قسم يعرف بعلامات (التحوّل الكوني)؛ أي: التحوّل في النظام الشمسيّ، ويقصدون به العلامات الكونية مثل كسوف الشمس في أول الشهر العربيّ وكسوف القمر

=ولذا يقول محمّد محفوظ في كتابه (الإسلام، الغرب، وحوار المستقبل): "يبدو أن مصطلح الحدائث وكأنه نص مفتوح على كل مضامين التقدم المعاصر، بحيث أنك لا تفرق بشكل صارم بين مضمون مصطلح الحدائث وبين مضامين مفاهيم التحديث والتقدم والعصرية أو الجديد. ويمتد التداخل ليشمل المعايير والقيم وأنماط السلوك واللباس وطراز السكن أي كل مناحي الحياة في آخر المطاف"

وغالباً ما يرسم الباحثون في ميدان العلوم الإنسانيّة حدوداً فاصلة بين مفهومي الحدائث والتحديث. وعلى الرغم من هذا الترسيم العلميّ يلحظ التداخل الكبير بين المفهومين في أي كلام عن الحدائث فغالباً ما يجري استخدام مفهوم (تحديث) للدلالة على الحدائث ويستخدم مفهوم (حدائث) للإشارة إلى ظاهرة التحديث. فالحدائث: موقف عقليّ تجاه مسألة المعرفة وإزاء المناهج التي يستخدمها العقل في التوصل إلى معرفة ملموسة. أما التحديث: فهو عملية اكتشاف التقنية والمخترعات الحديثة لتوظيفها في الحياة الاجتماعية.

ينظر: بحثنا الموسوم (الإشكالية بين الحدائث والدين) المنشور في مجلة (حدائث) المصرية في عددها صفر.

في آخره، وطلوع الشمس من المغرب بما يخالف حقائق علوم الفلك المعروفة، والدخان الذي يظهر في السماء، والنار العظيمة التي تظهر في المشرق، وركود الشمس في مكانها من الظهر إلى المغرب، ومجيء الكوكب المذنب الذي يحيط ذنبه بسماء الأرض حتى كأن نهاياته تلتقي مع رأسه وهي ظاهرة غير مسبوقة، والرياح التي تلقي الناس في البحر، وكثرة المطر؛ ومع ذلك لا تنبت الأرض شيئاً، ودابة الأرض التي تخرج وتكلمهم، وغزو الكائنات الفضائية ومنها أقوام يأجوج ومأجوج للأرض، وكثرة الزلازل، وتقارب الزمان^(١) وغيرها من العلامات الكونية المشابهة الأخرى، أي: إن الباحثين حصروا رؤيتهم لكونية المهدوية بالأحداث الكونية التي سوف تقع قبل الظهور وأثناءه وبعده، وهي التي ستغير النظام الكوني.

باحثون في الكونية

ومن بين الكمّ الكبير من النصوص والروايات والتفسيرات والآراء كانت هناك مجموعة آراء تناولت مسألة العوالم الكونية، وعلاقة الإمام المهديّ بالأكوان وسكانها بشيء من التفصيل الإيحائي، ولكنها وقفت عند حدّ معيّن ولم تتجاوزه، وهي الأطروحات التي سأتناولها بالبحث بحسب عمقها الشموليّ من الأقرب إلى الأبعد، وسأعطي لأطروحتين منها مساحة أوسع من باقي الأطاريج لأنهما كانتا على تماسّ كبير مع كونية المهدوية، واقصد بهما أطروحتي الشهيد آية الله العظمى السيّد محمّد محمّد صادق الصدر قدس سره، والسيّد الجليل المرحوم هبة الدين الشهرستاني قدس سره، وهذه الأطاريج الخمسة هي على التتالي:

(١) ينظر صحيح البخاري حديث ٧١٢٠، ص ١٢٥٨ وصحيح مسلم حديث ٢٩١٠، ص ١٢١٦ كتاب الفتن وكتب أخرى.

أطروحة عالم سبيط النيلي

تحدّث عالم سبيط النيلي تغمّده الله برحمته الواسعة عن الكونيّة على أنّها طور عرفانيّ تصل المخلوقات المختلفة فيه إلى أعلى حالات الصفاء بما يسمح لها أن تستغني عن كلّ المتعارفات الحياتيّة المادّيّة المتداولة مثل الحاجة إلى نور الشمس والأكل والشرب والأوكسجين وباقي المتعلقات الحياتيّة الضروريّة. ويعتقد النيلي أنّ البشر على الأرض مرشحون للوصول إلى هذه المرحلة العرفانيّة المتطوّرة في زمن الدولة المهدويّة. أي: إنّ سكان الأرض سوف يعيشون في زمن الدولة المهدويّة مثل هذه الحالة العرفانيّة تماماً كما يعيشها أولئك السكان المقيمون في الأكوان، لكن من دون أن يختلطا أو يخضعا إلى حكم واحد وسلطة واحدة.

ولم ينتبه المرحوم النيلي إلى أنّ وصول البشريّة إلى هذه الدرجة من العرفانيّة يعدّ بحدّ ذاته مؤشراً على يقينيّة الكونيّة المقصودة، لأنّ تمكن البشر من الوصول إلى هذه المرحلة السامية التي لا يمكن أن يثق بها العلم يعني أنّ الفوارق بينهم وبين المخلوقات السامية الأخرى بما فيها الملائكة قد تلاشت كليّاً بما يسمح لهم بالتواصل مع هذه المخلوقات بغضّ النظر عن نوعيّة التواصل وصيغته.

يستفاد من أطروحات المرحوم النيلي أنّ هناك في الأكوان سكاناً على درجة رفيعة من التطوّر والعرفانيّة؛ وهذه ناحية مهمّة تخدمنا في بحثنا. اللافت للنظر أنّ هناك من العلماء المعاصرين من يتحدّث عن العرفانيّة التي تحدّث عنها المرحوم النيلي فالدكتور جواد بشارة يتحدّث عن وجود اتصالات بين مخلوقات سماويّة، أو فضائيّة، ناريّة، أو ضوئيّة، أو نورانيّة، أو إنسانيّة، مع كائنات بشريّة على الأرض على مدى العصور. وأنّ أحد تلك الكواكب التي أرسلت إلينا طواقمها العلميّة، يبعد عنّا سنة ضوئيّة واحدة، وقد زارنا ذلك الفريق العلميّ الفضائيّ، واحتاج إلى أقلّ من شهرين للوصول إلينا في حين

نحتاج نحن بوسائلنا التكنولوجية الحالية إلى (٩٠٠٠٠) تسعين ألف سنة لبلوغ كوكبهم. وهو متقدم علينا حضارياً بأكثر من ١٢٥ ألف سنة، وتسير مركباته الفضائية بسرعة تفوق سرعة الضوء بسبع مرات، ولديه القدرة التكنولوجية على إلغاء الجاذبية، وتطويع المادة المضادة مصدراً للطاقة^(١).

هناك علماء آخرون يعتقدون أنّ قوانين الأكوان لا تتشابه؛ فلكلّ كون قوانينه الخاصة التي تتساقق ونظامه، وسكانه وفق هذه القوانين؛ من الممكن أن يقوموا بأعمال تبدو لنا إعجازية، أو مستحيلة بما فيها السير بسرعة تبلغ أضعاف سرعة الضوء، وعلماء آخرون يرون أنّ هناك أكواناً متوازية، وأنهم نجحوا في معرفة سرّ الانتقال الخارق للعادة عبر هذه الأكوان، وهو ما ستوسع في بحثه لاحقاً.

أطروحة الشيخ علي الكوراني

تحدّث الشيخ الكوراني من جهته في كتابه المشهور (عصر الظهور) عن انفتاح الإمام المهديّ على الأرضين السبع بعد أن أورد بعض الروايات التي تشير إلى أنّ المهديّ (عج) يستعمل الوسائل المتنوعة، والأسباب الخاصة في الصعود والتنقل بين كواكب السماوات وعوالمها، لكن الشيخ يعتقد أنّها ليس بقصد التبليغ والهداية بوصفها مرحلة من مراحل بعثته وظهوره، وإنّما بمعنى أنّ الحياة على الأرض وحدها سوف تدخل في عصره (عج) مرحلة جديدة تختلف عن كلّ ما سبقها من المراحل من حيث الانفتاح على الآخرة، فقال: "الذي يرجّح في نظري أنّ الانفتاح على عوالم السماء الذي تحدّث عنه الروايات أنّه يتمّ في عصر الإمام المهديّ (عج) يكون مقدّمة لانفتاح أكبر على الآخرة والجنة. وأنّ الروايات التي تحدّثت عن (الرجعة) وعودة عدد من

(١) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

الأنبياء والأئمة ﷺ إلى الأرض، وأنهم يحكمون بعد المهديّ تقصد هذه المرحلة^(١).

وهذا يعني أنّ الشيخ الكوراني لم يتحدّث، أو يبحث في كونيّة الأطروحة من جانبها الامتداديّ التغييريّ الفعليّ في الأكوان، وإنّما حصر الكونيّة بمفهوم الانفتاح التطوّريّ الذي سوف تعيشه البشريّة المقيمة على الأرض بنوع من التواصلية التي من نتائجها رجعة الأئمة ﷺ والأولياء والصالحين إلى الحياة وإسهامهم في الجهد المهديّ، أو إتمام ما بدأوا به من قبل. أي: إنّ الكونيّة سوف تتحقّق عن طريق التقدّم العلميّ، والانفتاح الروحيّ الذي تحدّثه رجعة بعض (المخلصين)؛ وهو ما رمز إليه الشيخ بـ (الانفتاح الأكبر على الآخرة) الذي سيحقّق بحسب اعتقاده كونيّة الأطروحة على الأرض.

وأرى أنّ لهذا الرأي علاقة بحديث الشيخ المرحوم مرتضى مطهري عن (الرؤية الكونيّة)^(٢) التي قال: إنها تعني (معرفة الكون) أي: الفلسفة المبنية على لون خاصّ من الاعتقاد والنظر والتقييم للوجود، وليس التدخل في الشؤون الكونيّة تدخلاً فعلياً وتعاملياً.

ولو توسّع الشيخ الكوراني في مبحثه قليلاً، ولاسيّما أنه يعرف ويؤمن أنّ هناك انفتاحاً على عوالم السماء تتحدّث عنه الروايات، كما أشار إلى ذلك في بداية قوله المذكور آنفاً؛ لوجد الكونيّة شاخسة أمامه جلياً، ولكنه تجاوز هذا الأمر، ربّما لأنّ بحثه المعنويّ لم يكن مجالها، أو لأنّ يقينه بشأنها لم يكن قد تكامل بعد، ولاسيّما أنّه قال: (الذي يرجح في نظري) وهو العالم الذي لم يكن ليدلي برأي إلاّ عن يقين ثابت. لكن على العموم أجد رأي الشيخ الكوراني متقدّماً بخطوات على رأي المرحوم النيلي رغم التقارب من حيث النتائج بينهما؛ فضلاً عنهما هناك رأي الشهيد الصدر الثاني قدس سره.

(١) عصر الظهور، الشيخ علي الكوراني ط ١١، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٢) الرؤية الكونيّة التوحيدية، الشهيد مرتضى مطهري، ص ٨ و ٩.

أطروحة السيّد الشهيد محمّد محمّد صادق الصدر رحمه الله تعالى

ونظراً إلى أهميّة رأي آية الله العظمى السيّد الشهيد محمّد محمّد صادق الصدر (قدس سره الشريف) لا بدّ من التوسّع في مراجعة بحوثه وآرائه السديدة وتمحيصها بشأن الكونيّة، وكيفيّة تعامله معها.

فبالرغم من انعدام مؤشر واضح، وموقف معلن عن اعتقاد الشهيد الصدر بكونيّة المهدويّة كما نراها أو نعتقدنا نحن، إلّا أنّ ما ورد في أقواله وبحوثه من إشارات ودلالات تلميحية مرّة، وتصريحية أخرى يؤكد رسوخ اعتقاده بها. ولتوضيح هذا الاعتقاد سار الإمام الشهيد محمّد الصدر (قدس) نحو حقيقة كونيّة الحكومة المهدويّة بخطى متتدة متدرجة، وكأنه أراد أن يساير مستوى التفكير الجمعيّ للمجتمعات كلّها، مثقفها وجاهلها، متعلمها وأمّيها، عالمها ومتعلمها، لكي يصل بهم جميعاً إلى هذا الاعتقاد، ولذا نراه ينتقل من مرحلة التلميح إلى مرحلة التصريح، ثمّ يعود إلى التلميح وكأنه لا يريد التحدّث بصراحة أكبر عن يقينه بحقيقة الكونيّة، ويريد أن يبقى في حدود ما تستسيغ الأذن البشريّة سماعه والعقول إدراكه، أي: معتقد (العالميّة) وحده، أي: البعثة المحصورة في العالم الأرضي، وهو الاعتقاد الفاشي بين الناس.

الآيات والمراحل

للسير مع رؤى الشهيد الصدر يوجب علينا النظر أن ننعم في ثلاث آيات مترابطات، متساوقات متسانحات متأخيات بمجموعها تقود البشريّة قوداً تدريجياً إلى الإيمان بحقيقة الكونيّة بثلاثة مواقف قرآنيّة مصيريّة؛ وهي:

- ١ - سبب خلقه الجن والإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾.
- ٢ - وجوب إيمان المخلوقات كلّها قبل موتها بالعقيدة ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.
- ٣ - حتميّة ظهور الدين الإسلاميّ قبل يوم الدين على الأديان كلّها ﴿هُوَ

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

حيث يضعنا الشهيد الصدر أمام ثلاث مراحل تقف بنسق تدريجي، ثم تتصاعد وتيرة الأحداث منها، وهي سببية/ وجوبية/ حتمية، وسنسير مع هذه المراحل في تدرّجها للوصول إلى المطلوب إثباته.

٤ - الحديث عن مرحلة السببية: ضمن النسق التدرّجيّ يبتدئ الشهيد الصدر (قدس سره) الحديث عن (السببية) في الفصل الأوّل من الكتاب الثالث من موسوعته عن (ارتباط الظهور بالتخطيط الإلهي العام) بقوله: "وحاصل الفكرة التي فصلناها في التاريخ السابق بحدود الفهم العامّ عن أننا انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ نفهم أنّ الغرض الإلهيّ الأسمى من إيجاد الخليفة وإمدادها بالإدراك والاختيار هو الوصول بها إلى الكمال، وهو تمحيص العبادة الحقيقيّة لله تعالى" (١).

ولمّا كانت الآية قد جاءت للتعميم لا للتخصيص، أي: جاءت لتقول للمخلوقات كلّها إنّ الله سبحانه وتعالى إنما خلق خلقه السابقين، وسيخلق خلقه اللاحقين كلهم؛ سواء كانوا إنساً أم جنّاً، أم أيّ صنف آخر ليعبدوه، فلا بأس من متابعة هذا التعميم إلى يوم الظهور المقدّس، ثمّ إلى يوم الدين. صحيح أنّ المفسّرين والمؤلّين اختلفوا في تفسير الآية الشريفة كلّ على هواه ومؤثرات رواه، ولكن ذلك لا يمنع أن نستخلص من اختلافاتهم وتباين رؤاهم محصلة تنفعنا في بحثنا، وتوصلنا إلى سبب تأكيد الشهيد الصدر على هذه الآية. ولاستخلاص نتائج آراء المفسّرين بشأنها لابدّ من التطرّق إلى أقوالهم.

قال ابن كثير: "أي: إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم. عن ابن عباس: "إلا ليعبدون" أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً. وقال

(١) موسوعة الإمام المهديّ، الشهيد الصدر، جزء ٣، ص ٣٣.

ابن جريج: إلا ليعرفون. وقال الربيع بن أنس: "إلا ليعبدون" أي إلا للعبادة^(١).

وقال صاحبها تفسير الجلالين: "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون، ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأنّ الغاية لا يلزم وجودها"^(٢).

وقال الطبري: "اختلف أهل التأويل فقال بعضهم: معنى ذلك: وما خلقت السعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم لمعصيتي. وعن سفيان قال: من خلق للعبادة. وقال آخرون: وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليدعنوا لي بالعبودية، عن ابن عباس: إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً، وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا"^(٣).

وقال القرطبي: "قيل: إنّ هذا خاصّ فيمن سبق في علم الله أنه يعبد، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجنّ والإنس إلا ليوحدون. وفي قراءة عبدالله: "وما خلقت الجنّ والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون" وقال عليّ (رض): أي وما خلقت الجنّ والإنس إلا لآمرهم بالعبادة. وقيل: "إلا ليعبدون" أي إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً. مجاهد: إلا ليعرفوني. وعن الكلبي: إلا ليوحدون، وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد. وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم. فمعنى "ليعبدون" ليدلوا ويخضعوا ويعبدون"^(٤).

وفي تفسير سورة الذاريات في تفسير الميزان أورد السيّد الطباطبائي أقوالاً تختلف وتتفق وما سبق من أقوال، منها قوله: "وقوله: (إلا ليعبدون) استثناء من النفي لا ريب في ظهوره في أنّ للخلقة غرضاً وأنّ الغرض العبادة

(١) تفسير ابن كثير، تفسير سورة الذاريات، الآيات ٥١ - ٥٦.

(٢) تفسير الجلالين، تفسير سورة الذاريات.

(٣) تفسير الطبري، تفسير سورة الذاريات.

(٤) تفسير القرطبي، سورة الذاريات.

بمعنى كونهم عابدين لله لا كونه معبوداً، فقد قال: ليعبدون ولم يقل: لأعبد أو لأكون معبوداً لهم. على أن الغرض كيفما كان أمر يستكمل به صاحب الغرض ويرتفع به حاجته والله سبحانه لا نقص فيه ولا حاجة له حتى يستكمل به ويرتفع به حاجته، ومن جهة أخرى الفعل الذي لا ينتهي إلى غرض لفاعله لغو سفهيّ ويستنتج منه أن له سبحانه في فعله غرضاً هو ذاته لا غرض خارج منه، وأنّ لفعله غرضاً يعود إلى نفس الفعل وهو كمال للفعل لا لفاعله، فالعبادة غرض لخلقة الإنسان وكمال عائد إليه هي وما يتبعها من الآثار كالرحمة والمغفرة وغير ذلك، ولو كان للعبادة غرض كالمعرفة الحاصلة بها والخلوص لله كان هو الغرض الأقصى والعبادة غرضاً متوسطاً^(١).

من مجموع أقوال المفسرين في المدرستين الفقهيّتين الإسلاميتين؛ من الممكن أن نستخلص بضعة مفاهيم لنستدلّ بها على علاقة الآية المباركة بعصر الظهور وعلاقتها بالحكم الموحد الذي يجب أن يقود العوالم الكونيّة كلها:

الأول: وهو الموقف الذي تبنّاه المفسرون في مدرسة الخلفاء، ويتلخص برأيين أو محورين اثنين؛ حصر سبب الخلق فيهما من دون سواهما؛ وهما:

* رأي سببيّ: أي (وما خلقت الجنّ والإنس) إلا ليقروا أو ليذعنوا بعبادتي طوعاً أو كرهاً / إلا ليعرفون / إلا لعبادتي.

* رأي تخصيصيّ: أي خصوص الآية وعمومها، وخصوص المقصودين بالخطاب وعمومهم، فالخطاب موجّه للمؤمنين من المخلوقات وليس للكافرين/ أو الخطاب موجّه للأمم السابقة قبل الإسلام، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص!

الثاني: موقف مدرسة أهل البيت الذي اختلف مع ما جاء في أقوال أتباع مدرسة الخلفاء في مواطن، واتفق معها في مواطن أخرى. فمن ناحية الرأي

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، تفسير سورة الذاريات.

السببي؛ قال السيد الطباطبائي في الميزان: إنّ للخليفة غرضاً، وإنّ الغرض عبادة... فالعبادة غرض لخلق الإنسان وكمال عائد إليه.

ومن ناحية التخصص: قال: وأما حمل العبادة على العبادة التكوينية فيضعفه أنها شأن عامة المخلوقات، لا موجب لتخصيصه بالجنّ والإنس/ فحقيقة العبادة، نصب العبد نفسه في مقام الذلة والعبودية/ فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلق/ والعبادة هي غرض الفعل أي كمال عائد إليه لا إلى الفاعل على ما تقدّم/ فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلق؛ وهي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كلّ شيء ويذكر ربه.

رأي الشهيد الصدر: أمّا الموقف الذي تبناه الشهيد الصدر ففيه أكثر من تأكيد لعلاقة هذه الآية المباركة بآخر الزمان؛ لأنه ربط مضمونها بالمهدوية مباشرة، وهو الربط الذي جاء ليشير من جانب إلى أمر مهمّ جداً له علاقة بالعبادة، ومن جانب آخر إلى وجوب إيمان المخلوقات كلها قبل يوم القيامة بالله سبحانه، وحمية إظهار دين الإسلام على الأديان كلها. فمع اعتقادنا أنّ الإنسان يولد وهو يؤمن بالله بالفطرة، إلا أنّ الفطرة لا تكفي وحدها لتنظيم سبل العبادة الحقّة ما لم يكن هناك رسل وأنبياء يلففون الفطرة وشحذها وترتيب مداركها لتساوق ونوع العبادة المطلوبة. هذه العلاقة تمتدّ إلى خارج دنيا الإنسان حتماً، وتذهب حيث ما وجد دين، ووجدت عبادة، ولما كنا سببت بالبحث أنّ هناك في السماوات مخلوقات مكلفة بالعبادة؛ فإنها ستكون بلا شكّ مشمولة بالتغيير المرتقب. وهو ما سيتضح في حديثنا عن المرحلتين الأخريين؛ الوجوبية والحمية.

٥ - الحديث عن المرحلة الوجوبية: المرحلة الأخرى من مراحل الإعداد هي مرحلة وجوب الإيمان تبعاً إلى الآية الشريفة ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكَنْبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(١).

إذ ربط المفسرون هذه الآية بالآيات التي سبقتها ابتداء من قوله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(١) إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِدِيٍّ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾^(٢).

ربطوها بتلك الآيات ليقولوا بهذا الربط أنها تتحدث حصراً عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس دون غيرهم، كما قالوا عن الآية الأولى. لكن مع يقيننا بوجود أهل كتاب في الأمم الكونية ليس من أهل الكتاب الأرضيين - وهم الذين سوف نثبت وجودهم فيما بعد - فمن المفروض بمديات الآية حتى لو أخذ بهذه التفسيرات على أنها حقائق نهائية أن تمتد إليهم أيضاً ليس في عصر البعثة المحمدية فحسب؛ بل وفي عصر الظهور المهدي كذلك لتتحقق حتمية (ليظهره على الدين كله) ولو كان المفسرون الأوائل يعرفون بوجود المخلوقات الفضائية المكلفة لكانوا قد أشاروا إليهم بالتأكيد. أي: إنَّ جهلهم بوجود تلك المخلوقات هو الذي حال بينهم وبين الحديث عن شمولية الآية المباركة. علماً أنَّ هذا الجهل جاء نتيجة القصور عن فهم ما ألقاه إليهم النبي ﷺ من حديث متكرر عن سكان السماوات وأهلها بما في ذلك حديثه عن بعثته إلى أقوام يأجوج ومأجوج التي سنتكلم عليها لاحقاً.

وقبل إيراد ما قاله المفسرون من أتباع مدرسة الخلفاء عنها، أورد رأي السيد الطباطبائي لأغراض المقارنة، قال الطباطبائي: "الآيات تذكر سؤال أهل الكتاب رسول الله ﷺ تنزيل كتاب من السماء عليهم حيث لم يقنعوا بنزول القرآن بوحى الروح الأمين نجوماً، ونجيب عن مسألتهم. أهل الكتاب هم اليهود والنصارى على ما هو المعهود في عرف القرآن في أمثال هذه الموارد وعليه فالسائل هو الطائفتان جميعاً دون اليهود فحسب. ولعدّ الطائفتين

(١) سورة النساء، الآية ١٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٩.

جميعاً ذا أصل واحد يخص اليهود بالذكر فيما يخصهم من الجزاء، وبالجملة السائل هم أهل الكتاب جميعاً ووجه الكلام معهم لاشتراكهم في الخصيصة القومية.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ، قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ "إن" نافية والمبتدأ محذوف يدل عليه الكلام في سياق النفي، والتقدير: وإن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن، والضمير في قوله "به" وقوله "يكون" راجع إلى عيسى، وأما الضمير في قوله "قبل موته" ففيه خلاف. فقد قال بعضهم: إن الضمير راجع إلى المقدّر من المبتدأ وهو أحد، والمعنى: وكل واحد من أهل الكتاب يؤمن قبل موته بعيسى أي يظهر له قبيل الموت عند الاحتضار أن عيسى كان رسول الله وعنده حقا وإن كان هذا الإيمان منه إيمانا لا ينتفع به، ويكون عيسى شهيدا عليهم جميعاً يوم القيامة سواء آمنوا به إيمانا ينتفع به أو إيمانا لا ينتفع به كمن آمن به عند موته.

ويؤيده أن إرجاع ضمير "قبل موته" إلى عيسى يعود إلى ما ورد في بعض الأخبار أن عيسى حي لم يموت، وأنه ينزل في آخر الزمان فيؤمن به أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وقد قال آخرون: إن الضمير راجع إلى عيسى ﷺ والمراد به إيمانهم به عند نزوله في آخر الزمان من السماء.

والذي ينبغي التدبر والإمعان فيه هو أن وقوع قوله "ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا" ظاهر في أن عيسى شهيد على جميعهم يوم القيامة كما أن جميعهم يؤمنون به قبل الموت، وقد حكى سبحانه قول عيسى في خصوص هذه الشهادة على وجه خاص، فقال عنه: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فقصر ﷺ شهادته في أيام حياته فيهم قبل توفيه، وهذه الآية أعني قوله: "وإن من أهل الكتاب" إلخ تدل على شهادته على جميع من يؤمن به فلو كان المؤمن به هو الجميع كان لازمه أن لا يتوفى إلا بعد الجميع، وهذا ينتج المعنى الثاني، وهو كونه ﷺ حياً بعد، ويعود إليهم ثانياً حتى يؤمنوا به.

نهاية الأمر أن يقال: إنَّ من لا يدرك منهم رجوعه إليهم ثانياً يؤمن به عند موته، ومن أدرك ذلك آمن به إيماناً اضطراراً أو اختياراً^(١).

وإذا ما كان السيد الطباطبائي قد ألمح إلى شمولية هذه الآية وامتداديتها الزمانية المتواصلة إلى يوم الدين مروراً بعصر الظهور فإنَّ المفسرين في مدرسة الخلفاء لم يقفوا عند جانبها المعلن فقط وإنما ورد في أقوالهم إشارات مستفيضة إلى المعنى الخفيِّ الدالِّ على وجوبية الإيمان في الآية بما يتساقق وأقوال مدرسة أهل البيت، وتجد هناك إشارات كثيرة تدلُّ على علاقة الوجوبية بعصر الظهور رغم أنَّ عمومية حديثهم غطت على الجانب الحقيقيِّ لمعنى الآيات، كما في: قول القرطبي في تفسيره: "قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة: المعنى ليؤمنن بالمسيح "قبل موته" أي الكتابي، فالهاء الأولى عائدة على عيسى، والثانية على الكتابيِّ وذلك أنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى ﷺ إذا عاين الملك. وقيل: إنَّ الهاءين جميعاً لعيسى ﷺ، والمعنى ليؤمنن به من كان حيناً حين نزوله يوم القيامة. وروى يزيد بن زريع عن رجل عن الحسن قال: قبل موت عيسى، والله إنَّه لحيّ عند الله الآن ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون. وقيل: "ليؤمنن به" أي بمحمد ﷺ وإن لم يجز له ذكر لأنَّ هذه الأقايصص أنزلت عليه والمقصود الإيمان به، والإيمان بعيسى يتضمَّن الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام أيضاً؛ إذ لا يجوز أن يفرق بينهم. وقيل: "ليؤمنن به" أي بالله تعالى قبل أن يموت ولا ينفعه الإيمان عند المعاينة. والتأويلان الأوَّلان أظهر. "^(٢).

وقول ابن كثير من الأقوال المميّزة ولذا سأورده كاملاً رغم طوله بسبب علاقته بموضوع البحث، ولأنَّه سيكفيينا مؤونة الاستطراد عند ذكر أقوال الطبري، لأنَّه ذكرها بمجملها: "قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى

(١) الميزان في تفسير القرآن، تفسير سورة النساء.

(٢) تفسير القرطبي، تفسير سورة النساء.

ذلك فقال بعضهم : يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية ، ذكر من قال ذلك : ابن عباس وابن مالك : ذلك عند نزول عيسى وقبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به . وقال الضحاك عن ابن عباس : يعني اليهود خاصة . وقال الحسن البصري : يعني النجاشي وأصحابه . وقال ابن جرير : عن الحسن قال : قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون وقال ابن أبي حاتم : عن جويرية بن بشير قال : سمعت رجلاً ؛ قال للحسن : يا أبا سعيد قول الله عز وجل " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته " قال : قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البرّ والفاجر . وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق وبه الثقة وعليه التكلان .

قال ابن جرير : وقال آخرون يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي . عن ابن عباس قال : لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ، عن مجاهد : كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب . ابن عباس : لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبدالله ورسوله ، عن ابن عباس قال : هي في قراءة أبي قبل موتهم ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى ، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين وبه يقول الضحاك وجويرير . وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن قال : " لا يموت أحد منهم حتى يؤمن " بعيسى قبل أن يموت .

قال ابن جرير : " وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي " ذكر من قال ذلك ، قال عكرمة : لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ابن جرير : " وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى صلى الله عليه وسلم إلا آمن به قبل موت

عيسى ﷺ وإنه باقٍ حيٍّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته " أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض" (١).

ومع أن آراء المؤوليين والمفسرين اختلفت كثيراً في تفسير هذه الآية الشريفة إلا أن ما يمكن استخلاصه من نتائج التفسير أن هناك مرحلة من مراحل عمر الأكوان تستوجب الإيمان الكلي واجتماع المخلوقات على دين واحد تجتمع فيه خلاصة كل الأديان منذ بدء الخليقة، سواء أكانت هذه المرحلة في العصور السالفة أم القادمة، وأن الغلبة للرأي القائل بضرورة وقوعها في العصر القادم وفي عصر الظهور تحديداً، لأن الإيمان الجمعي هو الذي يقود إلى وجوب الظهور الكلي المقصود بالآية المباركة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢) ولأن هذا الاجماع لم يتحقق من قبل في تاريخ الكون كله.

وأما آية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهي الأخرى؛ اختلف المفسرون في معناها بعد أن ربطوها بما قبلها من آيات ابتداء من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣).

(١) تفسير ابن كثير، تفسير سورة النساء.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٣.

(٣) سورة التوبة، الآيات من ٢٩ - ٣٥.

رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام لخصه السيد الطباطبائي في تفسير الميزان بقوله: "أهل الكتاب هم اليهود والنصارى على ما يستفاد من آيات كثيرة من القرآن الكريم وكذا المجوس حيث عدّوا في الآية مع سائر أرباب النحل السماوية في قبال الذين أشركوا، والصابئون كما تقدم طائفة من المجوس صبو إلى دين اليهود فاتخذوا طريقاً بين الطريقتين. والسياق يدلّ على أنّ لفظة "من" في قوله: "من الذين أوتوا الكتاب" بيانية لا تبعيضية فإن كلا من اليهود والنصارى والمجوس أمة واحدة كالمسلمين في إسلامهم وإن تشعبوا شعباً مختلفة وتفرقوا فرقاً متشتتة اختلط بعضهم ببعض ولو كان المراد قتال البعض وإثبات الجزية على الجميع أو على ذلك البعض بعينه لاحتاج المقام في إفادة ذلك إلى بيان غير هذا البيان يحصل به الغرض. وحيث كان قوله: "من الذين أوتوا الكتاب" بياناً لما قبله من قوله: "الذين لا يؤمنون" فالأوصاف المذكورة أوصاف عامة لجميعهم. والمراد بالرسول في قوله: "ما حرم الله ورسوله" أما رسول أنفسهم الذي قالوا بنبوته. ويكون حينئذ توصيفهم بعدم تحريمهم ما حرم الله ورسوله بغرض تأنيبهم والطعن فيهم ولبعث المؤمنين وتهييجهم على قتالهم. وربما أيد هذا الاحتمال أن لو كان المراد بقوله: "ورسوله" رسول كلّ أمة بالنسبة إليها كموسى بالنسبة إلى اليهود وعيسى بالنسبة إلى النصارى كان من حق الكلام أن يقال: "ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله" على ما هو دأب القرآن في نظائره للدلالة على كثرة الرسل" (١).

وقال القرطبي: "هو الذي أرسل رسوله، يريد محمداً عليه السلام بالهدى أي بالفرقان ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أي بالحجة والبراهين. وقد أظهره على شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منها. وقيل: "ليظهره" أي ليظهر الدين دين الإسلام على كلّ دين. قال أبو هريرة

(١) الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآيات من سورة التوبة.

والضحاك: هذا عند نزول عيسى ﷺ. وقال السدي: ذاك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الجزية. وقيل: أراد "ليظهره على الدين كله" في جزيرة العرب، وقد فعل^(١).

وقال ابن كثير: "ليظهره على الدين كله" أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها". وقال الإمام أحمد: عن مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود: صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلوا قال شاب منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها وإن عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة". وقال الإمام أحمد: عن تميم الداري (رض) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلاً عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر". وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربّه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر سمعت سليم بن عامر قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام يعزّ عزيزاً ويذلّ ذليلاً إمّا يعزّهم الله فيجعلهم من أهلها وإمّا يذلهم فيدينون لها" وفي المسند أيضاً عن عدي بن حاتم سمعه يقول: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: "يا عدي أسلمت سلم" فقلت إني من أهل دين قال: "أنا أعلم بدينك منك" فقلت أنت أعلم بديني مني؟ قال: "نعم أأست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟" قلت بلى! قال: "فإن هذا لا يحل لك في دينك" قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها قال: "أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة؟" قلت لم أرها وقد سمعت بها قال:

(١) تفسير القرطبي للآيات من سورة التوبة.

"فوالذي نفسي بيده ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز" قلت كسرى بن هرمز؟ قال "نعم كسرى بن هرمز، وليبذلنَّ المال حتى لا يقبله أحد" قال عدي: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد؛ ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكوننَّ الثالثة لأنَّ رسول الله ﷺ قد قالها. وقال مسلم: عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى" فقلت يا رسول الله إن كنت لأظنَّ حين أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الآية، أن ذلك تام، قال: "إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عز وجل ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كلَّ من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم" (١).

وقال الطبري: "وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ فقال بعضهم: ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها. ذكر من قال ذلك: عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ قال: ليظهره الله نبيّه على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفى عليه منه شيء" (٢).

وفي الجلالين: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ﴾ عليه ﴿عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك" (٣).

(١) تفسير ابن كثير للآيات من سورة التوبة.

(٢) تفسير الطبري للآيات من سورة التوبة.

(٣) تفسير الجلالين للآيات من سورة التوبة.

٦ - الحديث عن المرحلة الحتمية: ومع أن الشهيد الصدر لم يقصد ظاهراً هذا المعنى حرفياً عند استشهاده بآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ فترك التلميح وربط هذا التصور بموضوع الكونية وربطه بالعبادة الحقيقية وهدفها وشرائطها إلا أننا مع ذلك نراه يقول: "ومعه نستطيع أن نفهم بكلّ وضوح، مدى ارتباط يوم الظهور الموعود بالتخطيط العام للبشرية، فإنه في الحقيقة هو اليوم الذي يتحقق فيه السبب الرئيسي لإيجاد العبادة الكاملة لله تعالى... إذاً فيوم الظهور، ليس يوماً طارئاً ولا عرضاً عارضاً، ولا ظاهرة مؤقتة، وإنما هو النتيجة الطبيعية المقصودة لله عزّ وجلّ من خلقه" (١).

فقوله (هو اليوم الذي يتحقق فيه السبب الرئيسي لإيجاد العبادة الكاملة لله تعالى) يرتبط جذرياً بموضوع (وليطهره على الدين كله) لأنّ إيجاد العبادة الكاملة لا يتحقق إلا بظهور الإسلام على جميع الأديان سواء كانت في الأرض أم في الكون، وهو الموضوع الذي سنتحدث عنه بتوسع لاحقاً، لأنه يعدّ من أهمّ أسس الحديث عن كونيّة الحكومة المهدوية.

وفي حديثه عن نظام الدولة المهدوية قال الشهيد الصدر: "ولكننا نستطيع طبقاً للأدلة الجزم بأنّ نظام المهديّ ﷺ مباين ومغاير تماماً مع أيّ نظام سابق عليه" (٢) "ومن الأدلة التي ساقها لإثبات هذا الرأي، قوله: "إنّ التخطيط الإلهي قائم على اكتساح التمحيص الدقيق للأفراد والمبادئ، وبذلك ينكشف بشكل حسّي مبرهن ومدعم بالتجارب الكثيرة والمريرة، عن فشل كلّ دعوة تدّعي لنفسها حلّ مشاكل العالم وتذليل مصاعبه" (٣).

وهو وإن كان يبدو مهتماً بمسألة الأرض وحدها إلا أنّ ما في كلامه من مفردات تنطبق كلياً على الكونية، فنظام المهديّ مغاير لكلّ الأنظمة التي قامت وستقوم في الأرض؛ لأنّ تلك الأنظمة حتى لو خرج سلطانها من حدود

(١) الموسوعة، الإمام الصدر، ص ٣٥.

(٢) الموسوعة، الجزء ٣، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، الموسوعة، ص ٨٩.

الأرض إلى الكواكب القريبة كالقمر مثلاً الذي يأملون بناء محطات فضائية مأهولة عليه، لن يتمكن من تحقيق السيطرة الكلية على العالم وحلّ مشاكله العبادية.

وقال الشهيد الصدر في الفصل الخامس، في حديثه عن التخطيط الإلهي لما بعد الظهور: "إنّ البشريّة بعد اجتماع شرائط الظهور طبقاً للتخطيط السابق، تكون مستحقة لدرجة جديدة من الكمال... وتطبيق هذا العدل تكون البشريّة قد بلغت درجة أعلى من الكمال تستحقّ بعدها درجة أعلى وهو عمق هذا العدل وترسخه إلى ان تصل إلى استحقاق صفة "العصمة" حيث يوجد المجتمع المعصوم"^(١).

ويستشفّ من هذا الطرح أنّ هناك مراحل تصاعديّة تتنامى فيها درجات البشر رفعة إلى أن تصل إلى درجة (المجتمع المعصوم) ونلاحظ هنا أمرين في غاية الدقة والأهميّة.

الأول: أنّ البشر حتى من دون هذه العصمة تمكنوا من غزو الفضاء والتواصل مع بعض مخلوقاته - كما سيتبيّن في البحث لاحقاً - وأقاموا نوعاً من الترابط غير المنظور مع الأكوان. وهم إذا ما تمكنوا من هذا العمل الجبار مع محدوديّة قدراتهم فإنهم مع القدرات الدرّجيّة التصاعديّة التي سوف يحصلون عليها بما فيها المعصوميّة؛ من الممكن أن يختلطوا بالمخلوقات الفضائيّة ويتجانسوا معها.

ثانياً: إنّ موضوع التدرّج التصاعديّ في نموّ القدرات تحدّث عنه المرحوم عالم سبب النيلى، وأسهب في الحديث عن درجة العرفانيّة السامية التي سيصل إليها مجتمع الظهور، وهي التي ستتيح له التواصل نوعاً ما مع تلك المخلوقات. ويعني هذا أن (المجتمع العرفاني) بحسب رأي النيلى أو (المجتمع المعصوم) بحسب رأي الشهيد الصدر، مجتمع من الممكن أن

(١) المصدر نفسه، الموسوعة، الإمام الصدر، ص ٩٣.

يجترئ المعجزات، ومع هذه المعجزات لن يكون صعباً عليه التحليق في الفضاء والتواصل مع سكانها، ونقل أطروحته الدينية إليها.

وقال الشهيد الصدر في (الأسس العامة لتخطيط ما بعد الظهور): "وأما تخطيط ما بعد الظهور فيحتوي على نقاط ضعف في التعرف عليه: أولاً: بعدنا الزمنيّ عنه، بحيث لا يمكن مشاهدته بالوجدان، ولا أن يصل منه شاهد عيان. ثانياً: إننا نقتصر في الغالب في التعرف عليه القواعد العامة، وهي لا تعطي إلا العموميّات، ولا يمكنها الوصول إلى التفاصيل. ثالثاً: إننا نجهل القوانين الجديدة والنظم التي ستكون معلنة في ذلك العصر"^(١).

لقد شاء الشهيد الصدر ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه لتقبل الاحتمالات كافة، وعدم التحدد بما جاء به من فرضيات عن عصر الظهور، ولاسيّما أنه أشار إلى القوانين الجديدة والنظم التي ستكون معلنة في ذلك العصر المبارك، وهو هنا لا يستبعد أن تكون هناك تواصلية مع كلّ الأكوان تستوجبها القوانين والنظم الجديدة.

وفي حديثه عن الظواهر الطبيعيّة والسماويّة قبل الظهور، قال الشهيد الصدر عن خبر كسوف الشمس في وسط الشهر العربيّ وخسوف القمر في آخره، بعد أن أورد أحاديث عن المدرستين الفقهيّتين كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام: "آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض. تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخر الشهر" وحديث السيوطي في العرف الوردی، عن الدارقطني في سننه عن محمّد بن عليّ الباقر قال: "إنّ لمهديّنا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض" في حديثه عن هذه الآية قال الشهيد الصدر: "وأما الخسوف فلم يحدث إلى حدّ الآن، لكن في الإمكان تصوّر حدوثه فيما

(١) المصدر نفسه، الموسوعة، جزء ٣، ص ١٠٠.

إذا انتقل بعض أفراد الإنسان إلى كوكب آخر من المجموعة الشمسية كالمريخ أو الزهرة^(١) وهنا نجد أنه يتحدث صراحة عن الكونية ولكن بمحدودية تستوجبها مداراة مشاعر المتلقين.

إضافة هذا الحديث إلى مضمون الحديث الذي أخرجه الشيخ الصدوق بسنده إلى ميمون عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: "خمس قبل قيام القائم: اليماني والسفنياني والمنادي ينادي من السماء أنّ فلان بن فلان هو الإمام باسمه وينادي إبليس لعنه الله من الأرض كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله آية العقبه، وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية^(٢) يوحي أن هناك نقلة في علاقة سكان أهل الأرض بأهل السماء تحدث قبل الظهور، أو أن المنتظرين السماويين العرفانيين الذين تحدث عنهم النبلي وتحدثت عنهم الروايات هم الذين تولوا مهمة التبليغ بخروجه، وليس وسائل الإعلام والفضائيات كما يدعي بعض الباحثين؛ لأنّ استخدام الفضائيات متاح لقوى الخير وقوى الشر؛ فلم لا تستخدم قوى الشر الآلية نفسها لتعلن رأيها، بدل أن يكون الأمر وفقاً على قوى الخير وحدها؟

صحيح أنّ هناك روايات تقول إنّ الصوت السماوي لجبرائيل عليه السلام والأرضي لإبليس لعنه الله، كما في رواية النعماني عن أبي المعلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام: "صوت جبرائيل من السماء وصوت إبليس من الأرض، فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير أن تفتنوا به"^(٣) ولكن ذلك قد يكون تمويهاً؛ لأنهم ما كانوا سيفهمون الحقيقة كما هي مع ضعف مداركهم عن علوم الفضاء. تؤيد ذلك واحدة من أطواربح الشهيد الصدر عند مناقشته لموضوع الصيحة جاء فيه: "أن نفهم من (جبرائيل) المنادي بالحق و(إبليس)

(١) المصدر نفسه، الموسوعة، ص ١١٩.

(٢) ينظر: كمال الدين وإتمام النعمة، باب ما روي في علامات خروج القائم، حديث رقم ١ ص ٥٨٨ وحديث رقم ٤ ص ٥٨٩.

(٣) المصدر نفسه، كمال الدين، باب ما روي من علامات، حديث رقم ١٣، ص ٥٩١.

المنادي بالباطل، أن نفهم منهما - ولو بنحو الرمز أو المجاز - التعبير عن أنصار الحق وأنصار الباطل" (١) وقوله في مكان آخر: "ومعه يكون من السهل بل من الطبيعي أن تصوّر أنّ (جبهة) الإمام المهديّ ﷺ تنادي باسمه بطريق هذه الوسائل الحديثة" (٢).

وفي مبحث مقدار سعة ملك الحجّة المنتظر، وشموله لكلّ العالم، وصل الشهيد الصدر إلى مرحلة متقدّمة من مراحل البحث الذي أراد أن يصل به إلى التلميح إلى الكونيّة، فابتدأ حديثه بذكر الروايات التي تتناول يقينيّة ظهور الإسلام على الأديان كلها؛ ولكن في حدود الأرض وحدها، كما في حديث عباية بن ربيعي: قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، في الآية ﴿وَقَلِيلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَكُمْ كَأَفَّةً﴾ والآية ﴿وَقَلِيلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ﴾: "والذي نفسي بيده، لا تبقى قرية إلا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسول الله، بكره وعشياً"

وكما في حديث الشيخ الصدوق في كمال الدين بسنده عن النبي ﷺ في كلام منقول عن الله تعالى يقول فيه: "لأظهرنّ بهم ديني ولأعلينّ بهم كلمتي ولأطهرنّ الأرض بأخرهم [يعني الأئمة المعصومين ﷺ] من أعدائي ولأملكنهم مشارق الأرض ومغاربها.... حتى يُعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي"

وحديث الصدوق عن محمّد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر ﷺ يقول: "القائم منّا... يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه، على الدين كلّه ولو كره المشركون، ولا يبقى في الأرض خراب إلا عمر" (٣).

(١) المصدر، الموسوعة، الشهيد الصدر، ص ١٣٢.

(٢) المصدر، الموسوعة، الشهيد الصدر، ص ١٣٣.

(٣) الأحاديث الثلاثة من المصدر نفسه، الموسوعة، ص ٣١٨.

حيث تبدو جملة الأحاديث وكأنها تتحدث عن عالم الأرض وحده تساوقاً مع الفهم العام للأمم. ولكن السيّد الشهيد لا يقف عند هذه المرحلة بل ينتقل إلى مرحلة أكثر قرباً من الكونيّة عند إيراد أحاديث أخرى لا يقف مضمونها عند الأرض وحدها، وإنما يمتدّ إلى الأكوان، حيث أورد حديثاً أخرجه الشيخ المفيد في الإرشاد قال: "ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام، ويعترفوا بالإيمان. أما سمعت قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾".

وأخرج عن المجلسي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: "كأنني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس من شيء إلا وهو مطيع لهم" (١).

حيث يستشفّ من هذه الأحاديث أنها لا تتكلم على الأرض وحدها بل عن (السموات والأرضين) وعن كلّ (أهل دين) وعن (ما بين الخافقين) وسيتبيّن بالبحث أنّ هناك في السماوات حملة أديان وأهل أديان.

وكما أشرتُ في مقدّمة حديثي عن الشهيد الصدر وعن منهجه في التلميح والتصريح نراه يقف عادة عند نقطة محددة تخصّ كونيّة الدولة المهدويّة، ولا يتجاوزها، ثمّ يعود إلى الحديث عن عالميتها، ربّما لأنّ فهم العالميّة بمقتضاه الشموليّ الذي لم يتحقق من قبل لأيّ قوّة عرفت في التاريخ، يبدو عصيّ الفهم على بعض العقول، فكيف لو تحدّث عن شموليّتها الكونيّة وغزو المجرّات؟

وعليه تجده يسهب في الحديث عن العالميّة ويتمنع في الحديث عن الكونيّة، لا لكي يقف عند هذه الحدود، وإنما لكي يمهد الأجواء للحديث عن الكونيّة بعد أن يستوعب عصي الفهم والمعاند صدق العالميّة وإمكانية تحقيقها، فتراه يتحدّث عن جانب واحد من آية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهم (الإنس) ويقول: "ثمّ يتضح بجلاء أنّ عمل الإمام

(١) المصدر نفسه، الموسوعة، ص ٣١٩.

المهديّ عليه السلام وقيادته وأهدافه في البشريّة هي الأهداف التي أرادها الله تعالى لخليقته من حين وجودها، وهي نتيجة جهود الأنبياء والأولياء والصالحين جميعاً، وهي تطبيق العدل الكامل والعبادة المحضة في ربوع المجتمع الإنساني (الإنس) كلّهم، على ما نطقت به الآية الكريمة... ولا يمكن أن يكون هذا الهدف ضيقاً أو مقتصراً على قوم دون قوم أو مجتمع دون مجتمع أو دولة دون دولة، فإن نسبة البشريّة إلى الخالق الحكيم وإلى الأهداف التي توخاها في خليقته، نسبة واحدة متساوية، إذن فالهدف يجب أن يكون عاماً شاملاً.... إذن من الطبيعيّ أن نفهم من الآية الكريمة نفسها أنّ دولة الإمام المهديّ عليه السلام ستكون شاملة للإنس كلّهم وللمجتمع البشريّ كله^(١).

وأسال هنا: لِمَ تحدّث الشهيد الصدر عن قسم واحد من القسمين اللذين تكلمت عليهما الآية (الجنّ والإنس)؛ فذكر الإنس وأغفل دور الجنّ رغم أنّ استخدام القرآن لكلمة الجنّ لا يعني اقتصار معناها عليهم وحدهم؟ الواقع أنّ السيّد الشهيد لم يغفل هذا الجانب بل أجلّ الخوض فيه كما سيّضح لنا لأسباب مقصودة لها علاقة برأينا أنه ما كان يريد التصريح علناً بكونيّة الحكومة المهدويّة وكونيّة أمر الله تعالى.

ولذا نجد له بعد هذا التوضيح رأياً يعترف فيه بالكونيّة تلميحاً؛ فيقول: "إنّ النصوص التي سمعناها في الملحوظة الأولى، صريحة في عالميّة الدولة العالميّة، مضافاً إلى اقتضاء التخطيط الإلهيّ العامّ لذلك، فتكون قرينة على أنّ المراد من التشبيه هو مجرد السعة، والشمول، دون تحديد"^(٢).

حيث يستشفّ من قوله: (فتكون قرينة على أنّ المراد من التشبيه هو مجرد السعة، والشمول، دون تحديد) أنّ قرينة العالميّة من الممكن أن تكون قرينة الكونيّة بدلالة (دون تحديد) ودون تحديد تعني الإطلاق، والإطلاق أوسع من الأرض بالتأكيد.

(١) المصدر نفسه، الموسوعة، الشهيد الصدر، ص ٣٢١.

(٢) المصدر نفسه، الموسوعة، ص ٣٢٢.

ونجد له رأياً صريحاً في الفصل حيث نجده مهتماً بحديث لرسول الله ﷺ يتضمن كلاماً عن الله عز وجل يقول في آخره: "ولأنصرته بجندي، ولأمدته بملائكتي، حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدني، ثم لأديمن ملكه، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة"^(١) ولكن دون أن يشير إلى المقصود بقوله: (يجمع الخلق على توحيدني) وفيما إذا ما كان المقصود بالخلق هم البشر فقط أم كل المخلوقات الأخرى المكلفة بالعبادة بما فيهم الجن والإنس.. في أكثر من موضع ومكان يوحى أنه يشير إلى الخلق كلهم بما فيهم المخلوقات الفضائية.

في الفصل الأول من الباب الثالث في حديثه عن (مجيء المهدي ﷺ) بأمر جديد وكتاب جديد) كان هناك أكثر من تلميح للمقصود بالجدة التي أوردت خبرها مجموعة من الأحاديث، منها ما أخرجه النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي عبدالله ﷺ: "لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد".

وما أخرجه بسنده عن أبي حمزة الشمالي، قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي ﷺ يقول "لو قد خرج قائم آل محمد... إلى أن قال: يقوم بأمر جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد).

فمجموعة الأحاديث التي تتناول الجدة التي سيقرها الإمام المهدي، بالتلميح، حصرت آراء العلماء في أجواء التلميح ذاته فلم يغادروه، ولذلك ادعوا أن ما سيصيب الدين من تحريف وإبطال للسنن وتعطيل للحدود والاستعاضة عن قوانين الله بالقوانين الوضعية المحلية والعالمية هو الذي سيظهر قوانين الإسلام الأصيلة التي يعيد الإمام المهدي العمل بها وكأنها جديدة للعالم الذي سيكون حينها قد نسيها بسبب التقادم.

الشهيد الصدر تطرّق إلى أمور خارجة عن هذه المتعارفات الفقهيّة فقال بداية: "وهذه الأخبار بحسب أعدادها كافية للإثبات التاريخي، وهي تعطي عدة عناوين: الأمر الجديد/ والسنة الجديدة/ والقضاء والسلطان الجديد/ والدعاء الجديد. وليس فيها ما يدعو إلى دين جديد كما هو مشهور على بعض الألسن" وبهذه الفرضيات حاول التعمق أكثر بالتأكيد بأنّ هناك أحكاماً إسلاميّة لم تعلن للناس أصلاً وإنما بقيت معرفتها خاصّة بالله ورسوله والقادة الإسلاميين... وما أعلن بين الناس لكي يكون مدار عملهم وفقههم لحقبة معيّنة "ومنها أحكام بقيت مستورة عن الناس وموَّجل إعلانها إلى زمن ظهور المهديّ عليه السلام وتطبيق العدل الكامل" (١).

ومع أن مجمل الآراء التي قيلت بشأن علاقة (الجدّة) بتغيّر الأحكام الذي يعني فيما يعنيه أنّ كلّ المسلمين إلا من عصم ربّي سيكونون بعيدين عن فقه الإسلام وقوانينه بما يظهرهم وكأنهم من المرتدّين أو المطبّقين لشرائع لا تمت إلى شريعة الإسلام بصلّة، لأنهم إمّا أن الأحكام بقيت مستورة عنهم ولم تصل إليهم ليعملوا بها ويطبّقونها، أو أنهم لم يطلعوا على قوانين الإسلام فعملوا ورضخوا للقوانين السائدة في عصرهم، وهم في الحالتين لم يعملوا بشرائع الإسلام، وتبدو محصلة هذا العمل سواء كان مقصوداً أم غير مقصود وكأنّ المسلمين في زمن الانتظار ليسوا مسلمين حقيقيّين ولا يعرفون من قوانين الإسلام وسننه إلا شيئاً يسيراً.

هذا التصور، إذا ما أخذناه بعموميّته من الممكن أن يوظفه أعداء التشيع للظن بالفكر الشيعي الذي يبدو منه؛ وكأنه يؤمن بالقطيعة مع العقيدة، ويبدو وكأنه يكفر كلّ المسلمين، ويبدو وكأنه يشكك بمقدرة النبيّ على إيصال سنن الإسلام كافة للمسلمين، لهذا السبب ولسبب آخر أكثر منه أهميّة تحدّث الشهيد الصدر عن هذه المعضلة من حيث أهمّيّتها الفقهيّة، وحاول بالحديث

(١) المصدر نفسه، الموسوعة، الشهيد الصدر، ص ٤٤٤.

عنها التلميح إلى كونية المهدوية فقال: "إننا نجد بالوجدان أن عدداً مهماً من الأحكام لم يكن في الإمكان أن يصدر في صدر الإسلام وزمن القادة الإسلاميين الأوائل لعدم معرفة المجتمع بموضوعها بالمرّة وعدم مناسبتها مع المستوى الفكري والثقافي له... كحكم ركوب الطائرة واستعمال القنابل الجرثومية وحكم زرع القلب وغير ذلك. ومعه فالضرورة مقتضية لتأجيل بيان الأحكام وإعلانها إلى ما بعد معرفة المجتمع بموضوعها، وهذا لا يكون مع البعد عن مصدر التشريع بطبيعة الحال، وإنما تعلن عند اتصال البشرية مرّة ثانية بهذا المصدر متمثلاً بالإمام المهدي"^(١) أي: المقصود أن تكاملية الإسلام استوجبت أن تكون فيه الحلول للمشكلات المستقبلية كافة التي سترافق التطور الحضاري العالمي، وهي التي لم تكن من فائدة للحديث عنها في عصر البعثة المشرفة؛ لأنها لم تكن موجودة بالأساس.

وفي السياق نفسه تحدّث الشهيد الصدر عن النقص والقصور في الأحكام الإسلامية في أثناء عصر الانفصال عن عصر التشريع، من جهات عدّة جاء في الجهة الخامسة منها قوله: "تعمّق الفهم الكوني من الناحية العلمية، كالطبّ والفيزياء والكيمياء والفلك"^(٢) وهي أمور قد لا تلامس فقه العبادات إلا سيراً ولكنها ترتبط بفقه ظهور الإسلام على الأديان كلها ارتباطاً لا شكّ فيه نستجلي به علاقة ظهور الدين بالكونية وحكم الأكوان والمجرات، ولكن الشهيد الصدر رحمه الله أبقى كلامه حمّال وجوه في الإشارات التي تحتل الوجهين العالمي والكوني بما يبدو أن لا تفاضل بينهما في الدرجة والمقدار.

ونجد هناك إشارات أخرى للشهيد الصدر في منتهى الأهمية والوضوح تبدو مقصورة على الكونية وحدها، وتجد خلاصتها في قوله: "سيشارك المجتمع المعصوم في البناء الكوني بصورة فعالة وإيجابية لأنّ عصمة المجتمع

(١) المصدر، الموسوعة، الشهيد الصدر، ص ٤٤٥.

(٢) المصدر، الموسوعة، ص ٤٤٧.

البشريّ سوف تجعله في أعلى درجات الانسجام مع الكون الذي يسير تكوينيّاً وفق أحكام الله الممثلة في السنن والقوانين الكونيّة " حيث تبرز أمامك مصطلحات غريبة على الأسماع منها: المجتمع المعصوم/ البناء الكونيّ/ الانسجام مع الكون/ السير تكوينيّاً وفق السنن/ القوانين الكونيّة. مجموع هذه المصطلحات يتعلق بشأن واحد هو الكونيّة دون سواها، ولاسيّما تصوّر مسير الكون تكوينيّاً وفق السنن الإلهيّة الكونيّة. ولكن الشهيد الصدر رحمه الله لم يتوسّع في تبيان نوع المشاركة التي سيمارسها البشر في البناء الكونيّ الفضائيّ متمثلة في السنن والقوانين الكونيّة، وهو في حديثه عن عصمة المجتمع البشريّ المهديّ التي سوف تمكنه من غزو الفضاء والتواصل مع سكانه للإسهام في بناء عقائدهم أورد دليلاً أكيداً على الكونيّة بمفهومها الأوسع، ويبدو حسب السيد الشهيد أنّ هذا الغزو سوف يكون فكريّاً؛ فضلاً عنه حربيّاً؛ لأنّ الانسجام الذي تحدّث عنه السيّد الشهيد يدلّ على أنّ مرحلة الحرب بين الأكوان كانت قد انتهت سواء على يد الإمام المهديّ عليه السلام أو بسبب ظهوره وتغييره للسياسات الدنيويّة التي كانت تتحكم بهذا الصراع وانتصاره على الأشرار من بينهم، وحلّ بدلا عن الحرب الانسجام.

ولو كان الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) قد توسّع قليلاً في هذا الجانب وتحدّث عن كونيّة مشاركة المجتمع المعصوم في البناء الكونيّ، أي البناء العقائديّ في الأكوان الأخرى لأكد بما لا يقبل الشكّ على امتداد السلطة المهديّة إلى الأكوان والمجرات الأخرى، لأنّ هذه المشاركة لا يمكن أن تتحقّق إلّا بعد أن يقوم الإمام المهديّ عليه السلام ببناء أسسها بعد فتحه لتلك الأكوان وأسلمتها بالكامل. ولو قيّض للشهيد الصدر الثاني أن يشير إلى هذه الحقيقة صراحة ومن دون تمويه منذ ذلك التاريخ لكان قد أسهم في وضع قوانينها ومبانيها، ومدّ العلماء الغربيّين بنظريّات علميّة يمكن البناء عليها لاستنتاج نظريّات كونيّة جديدة، فقد كان قريباً جداً من حقيقتها وقيّنيّتها؛ لأنّه كان يقف على حافاتها الأماميّة ويتلامس معها ويقلب فيها النظر والفكر، بل

أجزم أنه كان يعرف حقيقتها ويؤمن بيقينيتها؛ ولكنه لم يرغب في الحديث عنها والتعمق في مباحثها في حينه لأسباب تبدو منطقية جداً حينما ندرك أن العالم عندما تحدّث الشهيد الصدر بهذا الأسلوب لم يكن قد اكتشف بعد الكثير من المعلومات عن المخلوقات الفضائية والعلوم الفلكية، وأرى لو أن الله سبحانه مدّ في عمر الشهيد الصدر الشريف سنيماً أخرى، لكان قد أعلن عن مرحلة الكونية الفضائية صراحة، بما لا يقبل الشك.

أطروحة السيّد هبة الدين الشهرستاني

العالم العلم السيّد الشهرستاني^(١) كان متبحراً بعلوم الهيئة وملماً بعلوم الفلك، وبفضل هذه العلوم كان من أكثر الباحثين قرباً من حقيقة كونية المهدوية، يبدو ذلك واضحاً بتوسعه في الحديث عن علاقة سكان الأرض بسكان الكواكب الأخرى في زمن الدولة المهدوية، ولكنه - مع ذلك - لم يشر بوضوح إلى امتداد السلطة المهدوية إلى هذه الأكوان حيث قال في شرحه لمعنى (الرقى في الأسباب) الوارد في الروايات: "فأحتمل أن يكون إشارة إلى تكميل الأسباب السماوية الناقصة في عصرنا ومن مثل المناطيد والطائرات وبقية المراكب الهوائية التي ترقى بالإنسان وتصعد به بمعونة البخار أو الأجنحة أو غيرها إلى السماء فلربّما تتكامل هذه الأسباب والمراكب إلى عصر المهديّ القائم الموعود بحيث تنزح بالركاب من كرتنا إلى باقي الكرات السامية... فلا يستبعد حصول ما نظنه مستحيلاً؛ فلربّما يأتي يوم تهياً لك آلة تعرج بك من كرتنا الهوائية؛ فتجول في ببداء الفضاء بعد تكميل المقدمات والمبادئ وإزالة جملة الموانع العائقة في طريقك فتستعدّ حين ذاك للمهاجرة إلى الكرات السامية والمعاشرة مع أهاليها وساكنيها كما

(١) هو العلامة السيّد محمّد علي هبة الدين يرجع نسبه إلى محمّد بن الحسن الساسي إلى الإمام زين العابدين، المولود بسامراء سنة ١٨٨٦ والمتوفى سنة ١٩٦٧ عالم من أعلام الفقه والأدب والفلك، كان علماً في مواقفه وأدبه وثقافته وتخرج على يده أعلام في جوامع النجف الأشرف، تولى عدة مناصب منها وزارة المعارف سنة ١٩٢١.

يحدثنا به القرآن الكريم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾^(١) ولذا يمكن أن ترتقي العلوم عند سكنة هاتيك الكرات فينزلون إلينا بأسبابهم، ونتعلم منهم الصعود إليهم والسفر إلى كراتهم^(٢).

حيث يبدو السيد الشهرستاني بقوله هذا واثقاً يعرف ما سيؤول إليه الأمر في زمن الظهور ولاسيما التواصل بين سكان العوالم وسكان الأرض.

وجاء عنه في مكان آخر من البحث توضيح لهذا التزاور في قوله: "ربما يأتي يوم يتزاور أهل أرضنا وكرتنا مع أولئك الأحياء الذين يعيشون في الكرات الكونية الأخرى نتيجة للتقدم العلمي الذي ساد العالم وطبق الآفاق والذي نتظر ازدياده وتناميه في كل يوم وفي كل ساعة وحينذاك تفتح أبواب الذهاب والإياب والسفريات المنظمة بين الأرض وسائر العوالم الأخرى وتسهل الإقامة في الكرات لسهولة تهيئة الأسباب واللوازم المناسبة للكرة التي نريد الإقامة فيها... وربما ترتبط الكرات مع بعضها أكثر مما قلنا ويكون الأمر الإلهي شاملاً لها على السواء، ينهجون كلهم شرعاً واحداً ولا يختلفون في شيء أبداً"^(٣).

فانظر إلى لطيف قوله [ويكون الأمر الإلهي شاملاً] وقوله الآخر [ينهجون كلهم شرعاً واحداً] فكأنه يشير إلى ما نحن بصدد إثباته اليوم رغم أنه لم يتحدث عن السبب الذي يجعل الأمر الإلهي شاملاً أو عن السبب الذي سيؤدي إلى توحيد شرائعهم بشرية واحدة، هي شريعة الإسلام حتماً لأنه من غير المعقول أن يتحقق ذلك كله تلقائياً من دون سبب أو مسبب، في وقت يؤمن فيه المعتقد الإسلامي بالأسباب ومسبباتها إيماناً ثابتاً، ولأن الله سبحانه ختم الرسالات السماوية برسالة سيدنا النبي الأكرم ﷺ فمن غير المعقول أن

(١) سورة الحجر، الآية ١٤.

(٢) الهيئة والإسلام، هبة الدين الشهرستاني، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، الهيئة والإسلام، ص ٢٢٤.

يرسل نبياً جديداً ليتولى هذه المهمة الصعبة. بل انظر لقوله الرائع (وربما ترتبط الكرات مع بعضهن) والارتباط يدل حتماً على وجود رابط وثيق ومؤثر، والرابط هو الحكم المهدوي بالتأكيد.

فإذا كان حدوث كل هذه التبدلات تلقائياً من المستحيلات، وإرسال نبي جديد للقيام بهذه المهمة أيضاً من المستحيلات التي لا يقبل العقل تصديقها؛ لأنَّ نبيَّنا ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، إذن يجب أن يكون هنالك من يتولى هذا التغيير المنتظر. ولا شك أنه المهدي الذي سيحكم الأكوان كلها، لأنه آخر مصلح مدخر للبشرية وللأكوان.

وأستغربُ كثيراً أن يقف هذا العالم الجليل أيضاً عند حافات نظرية الكونية المهدوية ويكتفي بمغازلة حقيقتها عن بعيد، من دون أن يحاول الخوض في غمار هذه الحقيقة التي صار قريباً جداً منها، ف؛ فضلاً عن امتلاكه كلِّ المؤهلات والإمكانات المطلوبة لم يتحدَّث مثلاً عن الوسيلة أو الوساطة التي سيصبح الأمر الإلهي بموجبها شاملاً والشرع الكوني واحداً وهو يعرف قبل غيره أنَّ القضية مشروطة، لا يتحقق الأمر إلا بوجود المُحَقِّق ولا يُنجز إلا بوجود المُنجز!!

إن ما جاء به المرحوم السيد الشهرستاني يتلخص بمعنى أنَّ فكرة الرقي في الأسباب هي حمل المسافرين إلى الكواكب السيارة... "وقد يكون ارتقاء المهدي في الأسباب إشارة إلى دخول العالم في طور جديد من العمران والمدنيَّة"^(١) ونجد هنا أنَّ رأي المرحوم عالم سبب النيلى يتقارب جداً مع رأي السيد الشهرستاني في الكونية، فهما يشتركان بقناعة دخول العالم في طور جديد من المدنيَّة، وربما يكون النيلى قد استقى نظرية (الطور المهدوي) ممَّا جاء به المرحوم السيد الشهرستاني، ثمَّ بنى عليها رؤاه؛ لأنَّ عصر السيد الشهرستاني يسبق عصر النيلى.

(١) المصدر نفسه، الهيئة والإسلام، ص ١٢٣.

وسيمكن من تطوير وسائل نقل جوية فضائية تعمل بمحركات دفع تقنية عالية وثرورية توفر سرعات تفوق التخيل، وقد تقرب من سرعة الضوء، ستيح للبشر السفر بين الكواكب والنجوم في رحلات مأهولة برواد فضاء وعلماء من كافة الاختصاصات، والبحث بواسطة رحلات استكشافية داخل مجموعتنا الشمسية وخارجها^(١).

ويقول في الرأي الثاني: سيأتي زمن ليس ببعيد جداً، وربما بعد بضعة عقود، ليثبت للعالم البشري وجود الكائنات الفضائية الذكيّة والحضارات المتقدّمة جداً علينا وهي التي ستباشر الاتصال بنا على نحو مباشر بعد أن تطوّر قليلاً أكثر ممّا نحن عليه اليوم، وستنضمّ الأرض إلى كونفدرالية فضائية كونية تنظم العلاقات بين الحضارات الكونية المتجاورة رغم المسافات الهائلة التي تفصل بينها. هل يقهر البشر "المستحيل" بفضل العلم؟^(٢).

أطروحة السيّد فاروق الموسويّ

وآخر الآراء التي وجدتها جديرة بالاهتمام كان رأي السيّد فاروق الموسويّ مؤلف كتاب (الاحتميات من علائم الظهور) في قوله: "لعلّ في السماء عوالم أكثر رقيّاً من عالمنا تنتظر ساعة الظهور لتقوم بما يترتب عليها القيام"^(٣).

وهذا الرأي واحد من أخصّ الآراء التي أوردتها الموسويّ في كتابه تحت عنوان (أمور مهمّة جديرة بالاهتمام) ولكنه توقف عند هذه الحدود أيضاً، ولم يتوسّع بالحديث عنها في مطاوي البحث. ثمّ إنّّه أورد في أوّل قوله كلمة (لعلّ) الاحتمالية بما يدلّ على أنه يحتمل وجود هؤلاء الأقوام، ولا يوقن بحقيقة

(١) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11450&Itemid=99

(٢) الأجسام المحلقة مجهولة الهوية، حقيقة أم خيال؟، الدكتور جواد بشارة، موقع (الناس)

<http://al-nnas.com/ARTICLE/IBashra/25kn4.htm>

(٣) الاحتميات من علائم الظهور، فاروق الموسوي، ص ٤٢.

وجودهم، أو أنه بين الشك واليقين من وجودهم. لكنّه على الإجمال يشير إلى حقائق مهمّة جداً لا يمكن المرور عليها من دون اهتمام، تتحدّث كلّها عن الكونيّة بأسلوب غامض، ومنها:

الأولى: حديثه عن عوالم السماء، وهي التي أكثر رقيّاً من عالمنا الأرضي. ورأيه هذا يتساقق ورأي السيد الشهرستاني ورأي المرحوم عالم سبيط النيلي.

الثانية: حديثه عن انتظار أهل السماء لمقدم الإمام المنتظر. وهو رأي من أخصّ الآراء بعلاقة ظهور الإمام المهديّ بظهور الدين استقبانه من روايات سوف تمرّ عليكم في مطاوي البحث.

الثالثة: حديثه عن مشاركة هذه الأقوام في ضمن واجباتها بالجهد المهدويّ. وهو مثل سابقه مأخوذ ممّا ورد في الروايات، التي سيمرّ علينا قسم منها في أثناء البحث. وهو أيضاً من أخصّ الآراء، ففيه اعتراف بانضواء تلك الأكوام وسكانها تحت راية حكومة الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

وممّا لا يمكن إغفاله أنّ هناك في أقوال السيد الشهرستاني، والسيد الشهيد الصدر، والمرحوم عالم سبيط النيلي؛ وفي أقوال أخرى لمجموعة من العلماء والمتخصّصين بالشأن المهدويّ ما يؤكد أنّ ثلّة خيرة من علمائنا لم يكونوا قريبين من كونيّة المهدويّة فحسب، بل كانوا على يقين من وجودها وحتميّتها، فثمة إشارات واضحة في أطروحاتهم تؤكد هذه الحقيقة وهذا الفهم، ولكنهم، كما يبدو ظاهراً أجلوا الخوض في فرعيّاتها ربّما لأنّ الناس كانوا غير مؤهلين لتقبل مثل هذه الأطروحات يومذاك، أو لأنّ الوضع العامّ لم يكن مهياً لتقبل مثل هذه الآراء، أو لأنّ الضغوط السياسيّة لم تسمح بتداول مثل هذا الحديث، ولذلك أشاروا إليها من بعيد، وأشعلوا فتيل قنديلها منتظرين منه أن يتحوّل إلى شمس بنورها الساطع الوهاج تجلي الحجب عن كونيّة المهدويّة بتلاقح مضامينها الفكرية مع تطوّر العلوم وغزو الفضاء المستقبليّ، وتوفر الأسباب لخلق فضاءات رحبة تمهّد الطريق للباحثين، لكي

يلقى طرحها وتداولها القبول والاستحسان، لأنها ستكون حينها قريبة من تفكير الناس اليومي ومعايشتهم الحقيقية للتطور الفضائي بما لا يدعو إلى الدهشة أو الاستغراب.

ومن الصدف أنني لم أكن أملك قبل زمن ليس بالبعيد تصوراً واضحاً عن كونية المهدوية بالمعنى الذي أتحدث عنه اليوم، ولذا قلت في كتابي الموسوم (الحركات المهدوية المدعية لماذا الآن) المنشور عام ٢٠٠٨ في سياق حديثي عن انتشار فكرة المنقذ المنتظر عند الأمم: "إن أطروحة المنقذ تسيدت الخارطة الجيوسياسية للكون المعمور عبر التاريخ"^(١) وكنت أقصد بذلك طبعاً الجزء المعمور من الكرة الأرضية لا أكثر، أو هكذا كنت أظن. وذلك أنني كنت متأثراً بمصطلح الكونية بمعناه الضيق الذي يعني العولمة فمصطلح (العولمة) (globalization) الذي نُقل إلى العربية بمعنى (كونية) إنما يقصد به في اللغة الإنكليزية ما يتصل بالكرة الأرضية ولا يتعدى حدودها؛ لأنّ (glob) ترمز إلى الكرة الأرضية وحدها ولا علاقة للتسمية بالأكوان الفضائية الأخرى.

ما يمكن استخلاصه من الآراء المذكورة آنفاً مجتمعة:

* إنّ التصوّر السائد الآن بين الناس من أصحابنا عن حكم الإمام المهديّ (عج) للكون هو استعارة مجازية وليس حقيقة.

* إنّ ورود كلمة (كون) في هذا النصّ أو ذاك يدلّ على حقيقة تعني خلاصتها: إنّ كلّ المؤثرات الكونية التي ستقع قبل الظهور وبعده بما فيها انقلاب الموازين الكونية، وتحقق السنن الكونية إنما هي مقدّمات ومرافقات لمرحلتَي الظهور والتكامل (مرحلة النشوء) ومرحلة الصيرورة والتكامل) سنّها الله لدعم الدولة المهدوية التي سوف تقوم داخل حدود الأرض المعروفة أوّلاً، وتُخضع كلّ الأجناس البشرية

(١) الحركات المهدوية المدعية، لماذا الآن؟، صالح الطائي.

المعروفة التي تعيش في كلّ أجزاءها إلى حكومتها، ثمّ تنطلق لنشر العدل في الكون كلّهُ.

* إنّ بعض علمائنا ومثقفينا أدركوا حقيقة الكونيّة بمعناها الأشمل ولكنهم لم يتوسعوا بالحديث عنها، أو أبقوا أمرها سرّاً في قلوبهم ولم يظهروه.

من هنا جاء اعتقادي بل يقيني بأنه لم يسبق لأحد من الباحثين أن أشار إلى حقيقة خروج السيطرة والسلطة والحكومة المهدويّة من الأرض وامتدادها إلى آفاق بعيدة في الأكوان المجهولة الأخرى امتداداً فعليّاً. كما لم يسبق لأحد أن تقصى أمرها تقصيّاً منفرداً ومتخصّصاً، وتوسّع في مباحثها بدل الشكل الضمنيّ الذي جاء في سياق بحوث أخرى، رغم أنّ آياتها ودلالاتها كانت وما زالت شاخصة أمام أبصارنا وغير خافية على أحد.

أمّا ما ولّد عندي هذا الاعتقاد فهو أنني وجدت ببحثي المتواصل فيما يخصّ المهدويّة وفكرها مجموعة من النقول الصحيحة التي تشير صراحة إلى علاقة المهدويّة الصميميّة وليس المجازيّة بالعوالم الخارجيّة الأخرى بما لا يدع مجالاً للشك في صدق هذه الكونيّة، ولاسيّما أنّ هناك مجموعة من علمائنا كانوا قد أشاروا في مباحثهم إلى أنّ تواصلاً من نوع خاصّ سوف يحدث بين سكان الدولة المهدويّة البشريّين مع سكان الكواكب والأجرام السماويّة من المخلوقات الأخرى التي لا نعرف كنهها، ولكن بسبب قلة هذه النقول ووجودها مبشرة في بطون الكتب وعدم وجود تفسيرات منطقيّة لها في بعض الأحيان، أو بسبب تأويلها في مقاصد أخرى بعيدة عن معنى الكونيّة التفاعليّة، وتحرج المعاصرين في مخالفة آراء العلماء الأفاضل الماضين الذين جاءوا بهذه الآراء، بات أمر تقصيها ومتابعتها والحديث عنها صعباً نوعاً ما، خصوصاً أنه أمر قد يرفضه المتلقون؛ سواء كانوا من العلماء والمختصين بالشأن المهدويّ أم من العامة المتعلقين بالمهدويّة، أو من المخالفين الذين طالما ادّعوا أننا نضخم شأن المهدويّة كثيراً لشدّة غرابته.

وآخر ما أريد قوله بهذا الصدد أنني - بحدود علمي - أجد مادة البحث ما زالت بكرة لم يسبق للباحثين والمتخصصين بالشأن المهدوي الخوض في عمق غمارها، ولكنها تبدو اليوم أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال، وإلى التصديق منها إلى التكذيب، وإلى القبول منها إلى الرفض، ولاسيما بعد أن تطوّرت العلوم، ونجح الإنسان في غزو الفضاء والاقتراب من الكواكب التي لا ترى بالعين المجردة أو حتى بالمراقب المتطورة، وتصويرها والحصول على معلومات عنها بحيث تكاثرت في الآن الأخير مثل هذه الأخبار.

وسوف تمرّ عليكم في فصول الكتاب مجموعة من الروايات والأحاديث التي تنقل لنا أخبار وجود المياه في الفضاء، وإمكانية وجود الحياة فيه، ولذا أجد أنّ معلوماتنا التي جمعنا حصيلتها ممّا جاء عن النبي ﷺ وأهل البيت  قد تسهم عند مقارنتها مع المعلومات الجديدة في حث العلماء الغربيين للنظر في مفاهيمها، ومن بعدُ البحث في أصولها ممّا يعطيهم تصوّراً رائعاً عن العلوم الإسلاميّة المستقاة من آيات القرآن وأحاديث النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الكرام  ولاسيما أنهم على يقين أنّ أغلب علومهم الحاضرة هي من نتاج العقل المسلم الذي أبدعها وقدمها لهم على طبق من ذهب.

وهذا جزء من مجموع ما أمّله وأرجوه من وراء كتابة هذا البحث الذي يقوم على استنطاق مجموعة من النصوص المقدّسة، ومقاربة ما جاء فيها ببعض المعطيات العلميّة التي أفرزها علم الفضاء الحالي، ثمّ مقايسة الجهد الحشديّ لانبثاق الأطروحة والظهور المنتظر مع النتائج التي يعطيها تحشيد بعض هذا الجهد في الميدان العمليّاتيّ الدنيويّ لمعرفة الفارق بين الجهدين والنتيجتين، وحينئذٍ معرفة حقيقة الدوافع التي تقف خلف أقوال من يدعون أنّ الدولة المهدويّة سوف تنهار بعد زمن يسير من تاريخ نشأتها حتى إنّ البشريّة آنذاك يتنكرون لكلّ القيم بما فيها الإيمان بالله! وهو القول الذي يتداوله جمع من المسلمين قديماً وحديثاً ربّما لأنّهم عجزوا إلى الآن عن تسقيط العقيدة

المهدوية وحذفها من منظومة العقائد الإسلامية، فرأوا أنّ تحديد عمرها بسنين معدودات قد يزرع اليأس في نفوس عشاقها، ويعزيهم هم أصحاب هذا الادّعاء بخيبتهم الكبيرة.

الفصل الثاني

الاستدلال على حقيقة امتداد سيطرة
الحكومة المهدوية إلى العوالم الأخرى

الاستدلال عن طريق المصاديق

الاستدلال على يقينية كونية الحكومية المهدوية وامتداد سيطرتها إلى كلّ العوالم الأخرى خارج مجرّتنا يمكن إثباته عن طريق مجموعة من المصاديق العقلية والنقلية المترابطة، التي تبين بما لا يقبل الشكّ حقيقة المهدوية التي يتصارع المسلمون اليوم حول مبانيها اليقينية الكلية التي هي أبسط كثيراً من موضوع الكونية، هذا الموضوع الذي يبدو شائكاً وغير قابل للتصديق من أول وهلة، وهو الذي قد يعدّه بعضهم ترفاً فكرياً أو تطرفاً وغلواً شيعياً خالصاً. ولاسيما أنّ هنالك من يعدّ الكثير من مصاديق القضية المهدوية المؤكدة والمسندة قرآنيّاً وحديثيّاً من الغلوّ الشيعي، ويستهجّن حتى قولنا، الذي استقنناه من قول رسول الله ﷺ بأنّ الإمام المهديّ سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، حيث يعترض الدكتور "طه حامد الدليمي" على هذا الموضوع المتواتر والمسلم به، وهو الذي وردت رواياته الصحيحة في نقول المدرستين، ولم يختلف فيه المسلمون الأوائل، بقوله: "القول بأنّ شخصاً ما يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً، إذا كان المقصود بالأرض كلّ الأرض - ولاسيما كما يتصوّر عاقبة الشيعة أنّ ذلك سيحدث بلمسة ساحر، وأنّ الأمور كلّها ستتغيّر وتصفو تماماً بمجرد مجيئه وينشدون في ذلك قولهم: (اطلع يا المهديّ وصفيها) - هذا القول من أسخف الأقوال المخالفة للمنفول، والمباينة للمعقول، فإنّ رسول الله ﷺ نفسه لم يتمكن من القيام بهذا الدور الخياليّ، ولا أحد من الأنبياء ﷺ، ولا الصحابة الكرام، ولا عليّ بن أبي طالب الذي هو أفضل من (المهديّ) المزعوم! بل كان [أي:

الإمام عليّ (عليه السلام) مغلوباً على أمره لم يتمكن من بسط العدل المطلوب في عاصمة خلافته؛ فضلاً عن غيرها. ما معنى أن يعطى هذا الدور الكبير لشخص ما ولا يعطى لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟^(١).

ونحن لا نريد هنا التعليق على هذا الرأي الساذج؛ لأنّه يدلّ صراحة على جهل قائله بالسنن الإلهية التي أدار ويدير الخالق المتعال بها الكون وصولاً إلى المهدوية سواء من حيث تدرج مهامّ الأنبياء أو تدرج أهميّة الرسالات السماوية الذي هو ليس خافياً على أحد من العقلاء والمنصفين. وإلاّ فإنّ الله سبحانه غير عاجز عن هداية الناس أجمعين من دون حاجة حتى إلى إرسال الرسل إليهم، فلمّ لم يهدهم أجمعين بدل أن يرسل إليهم رسلاً يبلغونهم رسالاته؟ والله غير عاجز أن ينصر نبيّه الأكرم على قريش المشركة وأهل الكتاب وأهل الأرض أجمعين دونما حاجة إلى الحروب والهجرة والعذاب، فلمّ لم ينصره دون حاجة إلى سفك دم وحروب ودمار؟ والجواب أن الله سبحانه أراد للكون أن يسير وفق منطق رائع، منطق السنن وصولاً إلى مرحلة الامتحان الأخير، ليتبيّن الذين عبدوا الله من الذين لم يعبدوه مصداقاً لقوله سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

وقبل إتمام السرد سأورد بعض الأخبار والروايات التي تبين سذاجة ادّعاء الدكتور الدليمي ومخالفته للحقائق العقائدية والتاريخية؛ لكي نعرف مقدار تحامل أعداء المهدوية عليها وعلى المؤمنين بها وتعمّدهم الدسّ حتى ولو بالتحريف، وهذه الروايات ليس من تراث مدرسة أهل البيت، عسى أن يعرف الرجل ما جنته يدها نتيجة مخالفته لما ورد في نقول مدرسته، وهي نقول تاريخية تتحدّث عن مجموعة من الأشخاص الذين مكنهم الله تعالى من ملك الأرض كلّها رغم أنّ فيهم جنّاً وفيهم ملوكاً جبابرة، وليس من بينهم من هو

(١) ينظر كتاب المهديّ المنتظر هذه الخرافة، د. طه حامد الدليمي. أما الرد على هذا القول المكرر فتجدونه تحت عنوان (المشاريع الموجّلة) الذي سيرد لاحقاً.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥١.

مكلف بالمهام المقدّسة نفسها المكلف بها الإمام المهديّ عَجَّلَ اللهُ فرجه. ففي كتاب المنتظم في التاريخ أفرد ابن الجوزي باباً ذكر فيه أسماء من ملك الأرض كلها، وفيه، عن مجاهد أنه قال: "ملك الأرض أربعة أنفس: مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلیمان بن داؤد وذو القرنين، وأما الكافران فبخت نصر ونمرود"^(١). وهؤلاء أربعة نفر قيض الله لهم ملك الأرض كلها، فكيف يدّعي الدليمي ما يخالف ذلك؟

وفي الباب نفسه قال ابن الجوزي: "وقد حكى أبو الحسين بن جعفر المنادي: أن هشام بن محمّد والشرقي بن قطامي قالاً: ملك الدنيا كلها من الجنّ والإنس ثمانية: فثلاثة منهم من ولد جانّ: جيومرث وبعضهم يقول جيومرب بالباء، ثمّ ملكها بعده طهمورث ثمّ ملكها من بعده ابنه أوشنج، فخلق الله تعالى آدم على عهد أوشنج وكان أول من ملك الدنيا من أولاد آدم جمشاد بن بونجهان من ولد قابيل وكان يقطع الدنيا كلّ يوم كما تقطعها الشمس يضحى بالمشرق ويمسي بالمغرب ملكها بين آدم ونوح. والثاني: نمرود بن كنعان بن حام بن نوح. والثالث: بوارسب وهو الضحاك بين الأهبوب. والرابع سليمان. والخامس ذو القرنين. قلت: وإذا أضيف بخت نصر صاروا ستة"^(٢).

أما مخالفة الرجل العقائديّة للقرآن والسنة، فمن حيث مخالفته للقرآن نبيّنها آية: ﴿لِيُظْهِرُوا عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ التي سنتناولها بالتفصيل لاحقاً وهي التي اتفق كبار المفسرين كالطبري والقرطبي وابن الأثير بأنها لن تتحقق إلاّ في عصر الظهور، بما يعني أنّ الإسلام سوف ينتصر على كلّ الأديان في الكون، وتكون قيادة الكون إسلاميّة صرفاً، وعندذاك بصفتها تحصيل حاصل

(١) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب: ذكر من ملك الأرض كلها.

(٢) المصدر نفسه، والباب نفسه، المنتظم.

تملاً الأرض والأكوان كلها بالعدل والقسط، وذلك سوف يكون ويتم بأمر الله تعالى، ومن يكذب بوعد الله إنما يكذب الله سبحانه.

ومخالفته للسنة تبيّنها مجموعة الأحاديث النبوية المسندة التي تدلّ جميعها على أنّ الإمام المهديّ المنتظر هو الذي سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهذه الأحاديث من الشهرة بمكان بما لا يوجب معه إعادة ذكرها كلها بكلّ طرقها، ولذا سأكتفي بإيراد البعض منها ممّا ورد في كتب مدرسة الخلفاء فقط؛ لكي أفضح تدليس هذا الرجل الدكتور ومخالفته لما جاءت به كتبهم نفسها.

قال الحافظ العسقلاني في تهذيب التهذيب: "وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ في المهديّ وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين ويملاً الأرض عدلاً"^(١).

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: "قال أبو الحسين الآجري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها على المصطفى ﷺ بخروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً"^(٢).

وقال الشبلنجي في نور الأبصار^(٣): "تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً".

وقال الشيخ محمّد الصبان في إسعاف الراغبين: "وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ خروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً"^(٤).

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، الجزء ٩، ص ١٤٤.

(٢) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي، ص ١٦٥.

(٣) نور الأبصار في مناقب آل بيت المختار، مؤمن الشبلنجي، ص ١٧١.

(٤) إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وأهل بيته الطاهرين، محمّد بن علي الصبان،

قال السويدي في سبائك الذهب: "والذي اتفق عليه العلماء أنّ المهديّ هو القائم في آخر الوقت وأنه يملأ الأرض عدلاً" (١).

وأخرج الحاكم في مستدركه: "عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: تملأ الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي يملك الأرض سبعاً أو تسعاً، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً" (٢).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده: "عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى أقرنى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً يكون سبع سنين" (٣).

وأخرج عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً قال: ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً" (٤).

وأخرج أبو داود في السنن: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "المهديّ مني أجلى الجبهة أقرنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويملك سبع سنين" (٥).

وأخرج عليّ بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يخرج رجل من أمّتي يقول: بستني، ينزل الله عزّ وجلّ له القطر من السماء وينبت الله له الأرض من بركتها، تملأ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً" (٦).

وأخرج الذهبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "ذكر رسول الله ﷺ بلاء

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمّد أمين البغدادي السويدي، ص ٧٨.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، الحاكم الحسكاني، الجزء ٤، ص ٥٨٨.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء ٣، ص ١٧.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٣، ص ٣٦.

(٥) سنن أبي داود، الجزء ٤، ص ١٥٢.

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، الجزء ٧، ص ٣١٧.

يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً" (١).

وهذا غيظ قليل من فيض كثير من الأحاديث التي أكدت أن المهدي المنتظر هو الذي سوف يملأها قسطاً وعدلاً كما لم يحدث مثله أو قريباً منه من قبل، رغم أنف المعارضين والمعترضين والمدلسين.

يقودنا هذا التباين الفكري إلى الحديث عن عقدة كانت وما زالت تقف عثرة كأداء بين اتفاق المدرستين الإسلاميتين على مبانٍ كثيرة منها صحة العيش وإمكانيته لمدد غير محدودة بأمر الله تعالى، مع أن الفكرين متفقان على وجود حقيقتها في تراثهما ونقولهما ورواياتهما، ونظراً إلى وجود كم كبير من الأحاديث والروايات التي تتناول قصص الدجال وأقوام يأجوج ومأجوج في فكر مدرسة الخلفاء، والروايات والأحاديث التي تتحدث عن طول عمر المهدي قبل الظهور وبعده في روايات مدرسة أهل البيت، فلا بأس من إجراء مقارنة في ضمن هذا السياق، لعلاقة ذلك بموضوع كونيّة المهدوية، وعلاقته بطول عمر الدولة المهدوية.

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي، الجزء ٣، ص ٨٣٨.

الكونيّة وطول العمر

يختلف الآخرون معنا في قولنا بغيبة الإمام المهديّ كلّ هذه السنين، ويختلفون في طول عمره الشريف، بل وحتى في ولادته وكونه ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام بالرغم من صحّة أحاديث المدرستين وتواترها في هذا الشأن، ففي ذات الوقت الذي يؤمن فيه المنتقد المعيب مثلاً بصحّة الأخبار التي تتحدّث عن طول عمر (الدجال) الذي هو من شخصيات عصر الظهور، وصحّة أخبار طول عمر أقوام يأجوج ومأجوج الذين هم أيضاً من شخصيات عصر الظهور، ولا يماري في ذلك ولا يشكك، بل يعدّ إيمانه بذلك من اليقينيّات التي لا يجوز تكذيبها، لأنّ أحاديثنا نبويّة أخرجها البخاري ومسلم في كتبهم تكلمت على ذلك، نجده لا يرضى عن قولنا بطول عمر الإمام المهديّ، يجعل من هذا التفكير حقيقة ثابتة الوجود وغير قابلة للنقاش أو النقد في ضمن خطّ الانتقائيّة المسيسة المعمول به نفسه تأريخياً. وهنا أجد أنه لا بأس من الحديث عن طول عمر الدجال لعلاقة ذلك بعقيدتنا في طول عمر الإمام المهديّ (عجل الله فرجه الشريف) على أن أتوسّع بالحديث عن أقوام يأجوج ومأجوج بما فيه أعمارهم الطويلة في مطاوي البحث لاحقاً.

طول عمر الدجال

سوف نتناول في هذا المبحث مسألة طول عمر الدجال وبعض الجزئيّات الأخرى، ونظراً إلى كثرة الأحاديث عن الدجال وعلاقة خروجه بالمشروع المهديّ العامّ؛ سوف يتكرّر ذكره في مواطن أخرى من البحث.

إنّ الأحاديث التي ورد فيها ذكر طول عمر الدجال كثيرة، منها ما أخرجها

مسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ : " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر [أي: مخلوق أطول عمراً] من الدجال " (١) فضلاً هناك مجموعة كبيرة من الأحاديث الأخرى التي جيء بها لتساير هذا الحديث وتدعمه وكلها تدعي أن النبي ﷺ أخبر أمته أن كل الأنبياء السابقين حذروا أقوامهم من الدجال ابتداء من نبي الله نوح ﷺ فنازلاً، كما في حديث عبدالله بن عمر الذي جاء فيه : " قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: إنني لأنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه " (٢) وكما في الحديث عن أنس أن النبي ﷺ قال: " ما من نبي إلا وقد أنذر الدجال أمته، أو قال حذر الدجال أمته " (٣) وفي البخاري ١٦٣/٤ عن أبي هريرة: " ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه، إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار... وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه " (٤) كما روى البخاري في صحيحه ١٢٥/٥ عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: " ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم " (٥).

إنَّ ورود اسم نبي الله نوح ﷺ في الحديث يعني أنَّ الدجال كان موجوداً حتى قبل الرسالة الأولى لنوح أبي البشر الثاني وأقرب الأنبياء زمناً إلى عصر آيينا آدم ﷺ، وأنَّ نوحاً والأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا يعلمون بوجود الدجال، وهو الدجال عينه الذي زامن بعثات باقي الأنبياء بعد نوح، ولذا حذروا أقوامهم منه كما قال رسول الله ﷺ الذي حذر في الوقت نفسه المسلمين من الدجال نفسه الذي كان موجوداً في زمن نوح.

(١) صحيح مسلم حديث ٢٩٤٦ ص ١٢٣٥.

(٢) أورده الصدوق في كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٤٨٠ للاستشهاد به.

(٣) المعجم الموضوعي، الشيخ علي الكوراني، ص ٤٤ - ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، المعجم الموضوعي، ص ٤٥.

(٥) المصدر نفسه، المعجم الموضوعي، ص ٤٨.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى خصوصية أكثر تتمثل بادعاء بعض الصحابة أنهم كانوا يعرفون الدجال شخصياً، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري: "إن جابر بن عبدالله: كان يحلف بالله أن ابن الصائد الدجال! [أي إن ابن صائد هو الدجال] قلت: تحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ" (١) وفي سنن أبي داود: "حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد" (٢) والحديث الآخر عن عمر أن النبي ﷺ قال: "بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماء قلت: من هذا؟ قالوا ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية، قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شهاً ابن قطن رجل من خزاعة" (٣) والأحاديث التي تقول إن النبي ﷺ كان يقرب صور الأشخاص الذين يتحدث عنهم لأصحابه عن طريق تشبيههم ببعض الصحابة كثيرة كما في قوله ﷺ: "دحية الكلبي يشبه جبرائيل، وعروة بن مسعود الثقفي يشبه عيسى بن مريم، وعبد العزى يشبه الدجال" (٤) وهي أحاديث معروفة للجميع.

بل وهناك أحاديث أخرى تدعي أن النبي ﷺ نفسه كان يظن بل ويعتقد أن ابن صائد هو الدجال كما يظهر من نهاية حديث عبدالله بن عمر قال: "كنا مع رسول الله فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ففرّ الصبيان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك فقال له النبي: تربت يداك، أتشهد أنني

(١) المعجم الموضوعي، الشيخ الكوراني، ص ٤٠ عن صحيح البخاري ١٠٨/٨، وفي صحيح مسلم، حديث رقم ٢٩٢٩ ص ١٢٢٥، وسنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صائد، ص ١٢١، حديث رقم ٤٣٣١، الجزء الرابع.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الفتن، جزء الرابع، حديث رقم ٤٣٣٠.

(٣) المصدر نفسه، سنن أبي داود.

(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٣ ص ٦٤.

رسول الله؟ فقال: لا، بل تشهد أنني رسول الله. فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتى أقتله. فقال رسول الله ﷺ: إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله" (١).

وفي سنن أبي داود: "حدثنا أبو عاصم خشيش بن أصرم حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن النبي ﷺ مرّ بابن صائد في نفر من أصحابه فيهم عمر بن الخطاب وهو يلعب مع الغلمان عند أطم بني مغالة وهو غلام فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال أتشهد أنني رسول الله قال فنظر إليه ابن صياد فقال أشهد أنك رسول الأميين، ثم قال ابن صياد للنبي ﷺ أتشهد أنني رسول الله فقال له النبي ﷺ: آمنت بالله ورسله، ثم قال له النبي ﷺ: ما يأتيك قال يأتيني صادق وكاذب فقال له النبي ﷺ: خلط عليك الأمر، ثم قال رسول الله ﷺ: إني قد خبأت لك خبيثة وخبياً له يوم تأتي السماء بدخان مبين قال ابن صياد هو الدخ فقال رسول الله ﷺ: اخساً فلن تعدو قدرك؛ فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ: إن يكن فلن تسلط عليه يعني الدجال، وإلا يكن هو فلا خير في قتله" (٢).

ولذلك كان هنالك تصوّر عامّ عند بعض المسلمين ولا أقول كلهم أنّ ابن صائد هو الدجال بعينه لا شكّ في ذلك، وإنهم كانوا يتجنّبون إغضابه؛ لأنه بحسب ما لديهم من قناعة يعلن دعوته ويظهر دعوته نتيجة الغضب، فعن نافع قال: "لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكّة. فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت: رحمك الله ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أنّ رسول الله قال: إنما يخرج من غصبة يغضبها" (٣).

(١) صحيح مسلم حديث ٢٩٢٤ ص ١٢٢٤ باب الفتن.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صائد، حديث رقم ٤٣٢٩.

(٣) مسلم حديث ٢٩٣٢، ص ١٢٢٦.

ولا أدري كيف يستقيم كلّ هذا مع قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة: "ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً... أو الدجال، والدجال شرّ غائب ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر" (١) أي كيف يستقيم قوله ﷺ أنه غائب ينتظر وادّعاؤهم أنّ الدجال هو ابن صائد؟

ولمعرفة نظرة أتباع مدرسة الخلفاء لابن صائد أو ابن صياد أورد هنا بعض آرائهم فيه، ورؤاهم عنه وجدتها في دراساتهم وبحوثهم، ومنها قولهم: ابن صياد اسمه: صافي، وقيل عبدالله بن صياد أو صائد، كان من يهود المدينة، وقيل من الأنصار، كان شبيهاً بالدجال في كثير من صفاته، وكان صغيراً عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة. وقيل إنه أسلم. كان ابن صياد دجالاً، وكان يتكهن أحياناً فيصدق ويكذب، فانتشر خبره بين الناس، وشاع أنه الدجال. فأراد النبي ﷺ أن يطلع على أمره ويتبين حاله، فكان يذهب إليه متخفياً حتى لا يشعر به رجاء أن يسمع منه شيئاً، وكان يوجه إليه بعض الأسئلة التي تكشف عن حقيقته. وقد عاش بعد النبي ﷺ ثم فُقد يوم الحرة.

وقالوا كذلك: "وقد حاول الرسول ﷺ أكثر من مرّة كشف أمره ومعرفة حقيقته". وهذا يدلنا على أنه لم يوحّ إلى النبي ﷺ في أمره شيء، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر (رض) أنّ عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبيل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده. ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: "أتشهد أنني رسول الله؟" فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: "أتشهد أنني رسول الله؟" فرفضه رسول الله ﷺ وقال: "أمنت بالله وبرسوله" ثم قال له رسول الله ﷺ: "ماذا ترى؟" قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ: "خلط عليك

الأمر". ثم قال له رسول الله ﷺ: "إني قد خبأت لك خبيثاً"، فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال له رسول الله ﷺ: "اخسأ فلن تعدو قدرك"، فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال له رسول الله ﷺ: "إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله" (١).

بعض معاني الكلمات الواردة في الحديث ودلالاتها:

قوله: "أظم" بضمّين بِنَاء كَالْحِصْنِ.

وَمَعَالَةَ بطن من الأنصار.

وَقَوْلُهُ "فَرَقَصُهُ" أَي تَرَكَهُ.

وقوله: "له فيها رُمزة أو زُمرة" وفي رواية زَمْرَمَة: بِمَعْنَى الصَّوْتِ الْخَفِيِّ، أَوْ تَحْرِيكِ الشَّفَتَيْنِ بِالْكَلامِ، أَوْ الْكلامِ الْغامِضِ (٢).

يستدل من معاني الكلمات أن ابن صائد ليس يهودياً وإنما هو من الأنصار أهل المدينة من غير اليهود بدلالة وجوده في حصن أو بيت عند بني مغالة، وهم بطن من الأنصار وليس مع يهود المدينة حيث كان اليهود يجتمعون بعيداً عن أهلها الآخرين.

نعم هناك رواية أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري جاء فيها: "لقي رسول الله ﷺ ابن صائد في بعض طرق المدينة فاحتبسه وهو غلام يهودي وله ذؤابة ومعه أبو بكر وعمر فقال له رسول الله ﷺ: تشهد أني رسول الله؟ فقال: أتشهد أنت أني رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: آمنت بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر. فقال له النبي ﷺ: ما ترى؟ فقال: أرى عرشاً فوق الماء قال النبي ﷺ: يرى عرش إبليس فوق البحر. قال: ما ترى؟ قال: أرى صادقاً وكاذبين، أو صادقين وكاذباً. قال النبي ﷺ: لبس عليه فدعاه" (٣) ولكنها

(١) رواه مسلم ٢٢٤٤/٤ برقم ٢٩٣٠.

(٢) يُنظر فتح الباري شرح الحديث في كتاب الجنائز من صحيح البخاري.

(٣) سنن الترمذي حديث رقم ٢٢٤٧.

رواية يتيمة بل تكاد تكون الرواية الوحيدة التي أشارت إلى أنه يهودي له ذؤابة، ومضمونها يتعارض وباقي الروايات.

وقالوا: لقد خرج إليه رسول الله ﷺ مرّة أخرى، كما روى مسلم عقب الحديث السابق، عن سالم بن عبدالله قال: "سمعت عبدالله بن عمر يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صائد، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل، طفق يتقي بجذوع النخل، وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً [أي يستغفله ليسمع منه شيئاً يعرف به حقيقته] قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة، له فيها زمزمة [صوت خفي لا يكاد يفهم] فرأت أم صائد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صائد: يا صاف [وهو اسم ابن صياد] هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: "لو تركته لبين" (١).

قال النووي في شرحه على مسلم في ابن صياد: "قال العلماء: وقصته مشكلة، وأمره مشتبه في أنه هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة، قال العلماء: وظاهر الأحاديث أنّ النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال، ولا غيره، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر: "إن يكن هو فلن يستطيع قتله" (٢) بينما كان عمر بن الخطاب يجزم بأن ابن صائد هو الدجال، وكذلك كان عبدالله بن عمر، فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يقول: "والله ما أشك أنّ ابن صائد هو المسيح الدجال" (٣) فكيف لا يقطع النبي ﷺ بأن ابن صائد هو الدجال ويجزم صحابة آخرون بأنه الدجال؟!

(١) رواه مسلم ٤/٢٢٤٤ برقم ٢٩٣١ والبخاري ١٣٥٥.

(٢) شرح النووي على مسلم: ٤/١٨.

(٣) شرح النووي على مسلم: ٤٦/١٨.

ونقل النووي عن البيهقي قوله: "ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر، فيتحمل أنه ﷺ كان كالموقوف في أمره، ثم جاءه البيان أنه غير، كما صرح به في حديث تميم" (١) فهلا منع توقف النبي عمر وابنه عن الجزم بأن ابن الصياد هو الدجال؟

لقد أوقعهم التباين في تحبّط كبير ولاسيما الادّعاء بأن ابن صياد ادّعى النبوة في زمن النبي ﷺ فتعللوا بقولهم: "قد يقال: كيف يدّعي النبوة ويتركه الرسول ﷺ: فيجواب: لأنه قد كان بين الرسول ﷺ وبين اليهود عهد في تلك الأيام" وهذا من حطل الرأي فلو قتل أحد اليهود مسلماً من أهل المدينة أكان سينجو بفعلته على جعل وجود العهد أم كان سيخضع للحساب النبويّ العسير؟ فكيف بمن يدّعي كذباً النبوة؛ وهي فتنة أشدّ من قتل شخص واحد؛ لأنها تعرض الأمة كلّها إلى الخطر؟

المهمّ أنهم في تكملة قصّتهم عن ابن صياد قالوا: إنه مكث بعد الرسول مدة ليست قصيرة امتدّت إلى وقعة الحرّة، وادّعى في أثنائها الإسلام، ولكن الناس لم يثقوا بإسلامه، وبقوا يتشككون في أمره، هذا ابن عمر كما يروي مسلم يلقي ابن صائد مرتين، فيقول لبعض من معه: هل تحدّثون أنه هو؟ قال: لا، والله. قال: قلت: كذبتني، والله، لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولداً، فكذلك هو زعموا اليوم. قال ابن عمر: فتحدّثنا، ثم فارقت. ثم لقيه ابن عمر لقيه أخرى، وقد نفرت عينه [ورمت، ونتأت] قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري. قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه، قال فنخر كأشدّ نخير حمار سمعت، قال: فزعم أصحابي أنني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت، وأمّا أنا، فوالله ما شعرت".

وفي رواية أخرى في مسلم أنّ ابن عمر قال له قولاً أغضبه، فانفتخ حتى

(١) شرح النووي على مسلم ٤٨/١٨.

ملاً السُّكَّةَ، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله، ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: "إنما يخرج من غضبة يغضبها"^(١).

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري قوله: "خرجنا حجاً أو عمارةً ومعنا ابن صائد قال: فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة ممّا يقال عليه، قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي فقلت: إن الحرّ الشديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: ففعل، قال: فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعسّ [قدح كبير] فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت: إن الحرّ شديد واللبن حارّ. ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده، أو قال: آخذ عن يده، فقال: أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق ممّا يقول لي الناس، يا أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار أستم من أعلم الناس بحديث رسول الله؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: "هو كافر" وأنا مسلم؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: "هو عقيم لا يولد له" وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل المدينة ولا مكة" وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟"^(٢).

ولكن الأدلة التي ساقها ابن صياد وهي التي تطابق ما ورد في حديث رسول الله ﷺ عن عصمة الله تعالى لمكة والمدينة من الدجال، اهتزت وفقدت تأثيرها في نفس أبي سعيد بعد أن تابع ابن صياد كلامه قائلاً: "أما والله إنني لأعلم الآن حيث هو وأعرف أباه وأمه قال: وقيل له: أيسرّك أنك ذاك الرجل؟ فقال: لو عرض عليّ لما كرهت"^(٣).

وقالوا: "في امتحان النبي ﷺ له ما يدلّ على أن النبي ﷺ كان متوقفاً في أمر ابن صياد لأنه لم يُوحَ إليه أنه الدجال ولا غيره. وكان كثير من

(١) صحيح مسلم: (٢٢٤٧/٤) برقم: (٢٩٣٢).

(٢) رواه مسلم: (٢٢٤٢/٤) برقم ٢٩٢٧.

(٣) رواه مسلم: (٢٢٤٢/٤) برقم ٢٩٢٧.

الصحابة يظنون أن ابن صياد هو الدجال. وكان عمر بن الخطاب (رض) يحلف أنه الدجال بحضرة النبي ﷺ وحضرة الصحابة، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك. وفي الحديث عن محمد بن المنكدر قال: "رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ الصَّائِدَ الدَّجَالَ. قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَنْكَرْهُ النَّبِيُّ" (١).

وقولهم: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي أَمْرِ ابْنِ صِيَادٍ لِأَنَّهُ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ أَنَّهُ الدَّجَالُ وَلَا غَيْرُهُ" يعني أن الله سبحانه لم يخبر النبي ﷺ بحقيقة أكثر الكائنات تهديداً لأمة الإسلام ودينها، وهذا في الواقع منهج معروف هدفه خلق حجب ضبابية وتغليف الأحداث بها لأسباب تخريبية أكثر منها إصلاحية، وهي من صنع الأمويين ووعاظ دولتهم. ويتبين صدقنا وحكمنا في الصفحات القادمة من البحث التي تنقل عنهم أقوالاً أخرى عن توقف النبي في هذا الأمر أو ذاك ومن أقرب الأمثلة ما سيرد عليكم بعد قليل بشأن توقف النبي في مكان الدجال رغم أن الداري أخبره برؤيته، حتى إنه يقول للمسلمين: "ألا إنه في بحر الشام، أو في بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق. ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق" والرواية التي تبين هذا التردد النبوي سوف تمرّ عليكم عند حديثنا عن روايات فاطمة بنت قيس.

المهم أنه بالرغم من تلك الأحاديث التي رووها عن دجال عصر النبوة فقد كان ابن صياد لَمَّا كَبُرَ [ولا أدري كيف يكبر وهو أكبر عمراً من نوح] يحاول الدفاع عن نفسه ويُنكر أنه الدجال ويُظهر تضايقه من هذه التهمة، ويحتج على ذلك بأن ما أخبر به النبي من صفات الدجال لا ينطبق عليه.

وقد التبس عليهم ما جاء في ابن صياد، وأشكل عليهم أمره، فمن قائل إنه الدجال، ومنهم من يقول إنه ليس الدجال، ومع كل فريق دليله، فتضاربت أقوالهم كثيراً، وقد اجتهد ابن حجر في التوفيق بين هذه الأقوال، فقال:

(١) رواه البخاري برقم ٦٨٠٨.

"أقرب ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال: أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقاً، وأن ابن صياد هو شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة، إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه، إلى أن تجيء المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها" (١).

وهذا لا يعني أن ابن حجر وفق في توحيد الأقوال لا أكثر، فمن قال إن ابن صائد فقد يوم الحرّة لم يذكر مكان اختفائه على حين يدعي ابن حجر أنه ذهب إلى أصبهان وهو أمر غريب. ثم إن تميم الداري وكما سيتبين من البحث كان قد شاهد الدجال وذكر ذلك للنبي ﷺ ولم يدع أنه شبيه لابن صائد. كما أخبر النبي أنه شاهده في الشام وليس في أصبهان، كذلك لا توجد أي قرينة تثبت أن ابن صائد شيطان تبدى في صورة رجل. وأرى أن سبب هذا الخلط يعود إلى الخلط الوارد في الروايات التي ذكر فيها ابن صائد من جهة، والخلط الذي حدث بين روايات قصة ابن صائد والروايات التي تتحدث عن الدجالين الذين سيظهرون قبل ظهور الإمام القائم كما في قول أبي هريرة "قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم أنه رسول الله" (٢).

الغريب في الأمر أن ابن صائد على شديد خطره على الدين وأهله عميت أخباره عليهم ولم ترد أي إشارة عنه في الكتب ولم يتكلم عليه أحد بعد ذلك التاريخ، نعم هناك حديث أورده أبو داود في سننه عن سالم، عن جابر بن عبد الله قال: "فقدنا ابن صياد يوم الحرّة" (٣) فأين ذهب ولم لم يتابع الصحابة وأصحاب الروايات أخباره وقد حذرهم النبي منه؟ بل لم لم يتابعوا أسرته وأبناءه مع أن هناك روايات قالت إنه تزوج ورزق بذيّة وكانوا معه في المدينة

(١) فتح الباري ١٣ / ٣٢٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صائد، حديث رقم ٤٣٣٣.

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم ٤٣٣٢.

المنورة؟ هل معنى هذا أنهم لم يرغبوا في متابعة أخباره؟ أم إنه انتقل إلى مكان آخر؟ أو هرب من المدينة؟ أو أنّ كلّ ما جاء عنه كان وهمًا مجردًا؟

على كلّ حال أجد في الأحاديث التي أوردتها آنفًا ردًا على من يدّعي أنّ تخويف الأنبياء لأقوامهم من الدجال قد لا يدلّ على أنه كان موجوداً في تلك الأوقات وإنما جاء تخويفاً لهم من أن يكون ظهوره مقدراً في وقتهم، لأنّ في الأحاديث ما يثبت أنّه كان موجوداً في زمن عصر البعثة على أقلّ تقدير متمثلاً بشخص "ابن صائد" أو الكائن الآخر الذي رآه ابن تميم الداري مقيداً، وأنّ هناك بينهم من كان يؤمن إيماناً قاطعاً بوجوده بينهم. أمّا لِمَ لم يتخوف منه المسلمون على دينهم وأنفسهم ودولتهم؟ فذلك أمر في غاية الغرابة والتعقيد. وهو سواء كان ابن صائد أو كان الكائن الذي رآه الداري، فإنه بالتأكيد ما زال موجوداً إلى الآن، وقد مُدّ في عمره، وهذا ما يعترفون به!

أمّا شيطانية الدجال أو إبليسيته، أو آدميته؛ فالظاهر أنّ قضية طول عمره هي التي دفعتهم للادّعاء أنّه ليس بشراً باعتبار استحالة عيش الإنسان كلّ هذا العمر الطويل، وهي الحجّة التي يحتجّون بها علينا حينما نتحدّث عن طول عمر الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) ولذلك قالوا: إنّ الدجال كان من الشياطين وليس بشرياً كما في الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد في الفتن ٥٤١/٢ عن الكلاعي صاحب كعب الأخبار: "ليس الدجال إنساناً إنّما هو شيطان في بعض جزائر البحر موثق بسبعين حلقة لا يعلم من أوثقه أسليمان أم غيره" ^(١) أقف هنا لأقول: إنّ نبيّنا الأكرم ﷺ أفضل من نبيّ الله سليمان ﷺ، فلمّ ينجح النبيّ سليمان في تقييد وحبس الدجال ولا ينجح نبيّنا في ذلك ويكتفي بتخويف المسلمين منه؟ ثمّ لِمَ لم يقتله سليمان بدل أن يقيدَه ويقي البشرية من خطره وتهديده؟

وقد وقعوا نتيجة التشتت الفكريّ في تعارض مع النصوص، ومع أنفسهم

(١) المصدر نفسه، سنن أبي داود، ص ٦٦ - ٦٧.

حيث تجد هنالك أحاديث أخرى تقف قبالة هذا الحديث تدعي أنّ الدجال كائن بشري؛ وليس شيطاناً باعتبار أنّ ابن صائد بحسب أقوالهم - صبيّ بشريّ كان مع أمّه في المدينة! وقد جاء عن أبي سعيد الخدري أنه سمعه يقول عن الدجال الحقيقي: "أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن" (١) وأنّ ابن صائد نفسه قال مرّة لأبي سعيد الخدري (رض): "ما لي ولكم يا أصحاب محمّد؟ ألم يقل نبيّ الله: إنه يهودي، وقد أسلمت وقال: ولا يولد له، وقد ولد لي وقال: إنّ الله قد حرّم عليه مكة، وفي حديث آخر: لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة" (٢).

بعدها اضطروا للإتيان بأحاديث أخرى تنكر أن يكون الدجال شيطاناً؛ ولكنها تدعي أنّ الشياطين سيكونون من أتباعه وجنده كما في فتن ابن حمّاد أيضاً عن النبي ﷺ: "وإنّ من فتنته أنّ معه شياطين تتمثل على صور الناس" (٣).

كما وهناك أحاديث أخرى أكدت أنّ الدجال من جنس البشر ولد آدم وليس شيطاناً متمثلاً ببشر، كما في الحديث الذي أورده ابن حمّاد أيضاً عن عبادة بن الصامت مرّة، وعن حذيفة بن اليمان مرّة أخرى: "إنّ المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد" (٤) والحديث الآخر الذي أورده الحاكم في المستدرک والسيوطي في الدر المنثور: "إنّاكم والدجالين الثلاث فقال ابن مسعود: بأبي أنت وأمّي قد أخبرتنا عن الدجال الأعور وعن الكذابين فمن الدجال الثالث؟ قال: رجل يخرج في قوم أولهم مشبور وأخروهم مشبور" (٥).

بل وهناك أحاديث أخرى تؤكد أنه ليس شيطاناً بل واحداً من أصل

(١) صحيح مسلم، ص ١٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه، صحيح مسلم، ص ١٢٢٤ - ١٢٢٥.

(٣) معجم أحاديث المهديّ ج ٣، ص ٣١.

(٤) معجم أحاديث الإمام المهديّ، ج ٣، ص ٥٧.

(٥) المعجم، ج ٣، ص ٩١.

مجموعة من الدجالين الأدميين الذين سيخرجون في آخر الزمان، ومنها الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وأبي شيبة في المصنف وغيرهم بصيغ مختلفة عن النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله " (١) والحديث الآخر "والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً أخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى" (٢).

أيضاً هناك رواية تقول إن تميم الداري - وهو أحد الكتائبين القلة الذين اعتنقوا الإسلام في عصر البعثة - أخبر النبي ﷺ أن الدجال مسجون في جزيرة تقع في الشام وأنه رآه بعينه، وفي رواية أخرى أن أبناء عمومته هم الذين رأوه على اختلاف الروايات. والرواية رغم طولها تستحق عناء نقلها كاملة.

وردت هذه الرواية عن ابن أبي شيبة ١٥٤ / ١٥ عن فاطمة بنت قيس قالت: " صلى النبي ﷺ ذات يوم ثم صعد المنبر فاستنكر الناس ذلك، فبين قائم وجالس، ولم يكن يصعده قبل ذلك إلا يوم الجمعة، فأشار إليهم بيده أن اجلسوا، ثم قال: والله ما قمت مقامي هذا لأمر ينفعكم لا لرغبة ولا لرهبة، ولكن تميم الداري أتاني فأخبرني خبراً منعني القيلولة من الفرح وقرّة العين. ألا أن بني عم تميم الداري أخذتهم عاصف في البحر فآلجأتهم الريح إلى جزيرة لا يعرفونها؛ فقعوا في قوارب السفينة فصعدوا فإذا هم بشيء أسود أهدب كثير الشعر! قالوا لها: ما أنت؟

قالت: أنا الجساسة!

قالوا: فأخبرينا؟

قالت: ما أنا بمخبرتكم ولا سائلتكم عنه، ولكن هذا الدبر قد رمقتموه

(١) المعجم، ج ٣، ص ٧٢.

(٢) المعجم، ج ٣، ص ٦٩.

فأتوه فإنّ فيه رجلاً بالأشواق إلى أن يخبركم وتخبروه. فأتوه فدخلوا عليه فإذا هم بشيخ موثق في الحديد شديد الوثاق كثير الشعر.

فقال لهم: من أين؟

قالوا: من الشام.

قال: ما فعلت العرب؟

قالوا: نحن قوم من العرب.

قال: ما فعل هذا الرجل الذي خرج فيكم؟

قالوا: خير، ناوأه قوم فأظهره الله عليهم فأمرهم اليوم جميع وإلهم

واحد ودينهم واحد

قال: ذلك خير لهم.

قال: ما فعل نخل بين عمان وبيسان؟

قالوا: يطعم في جناه كلّ عام.

قال: ما فعلت بحيرة طبرية؟

قالوا: تدفق جانبها من كثرة الماء.

فزفر ثلاث زفرات ثمّ قال: إني لو أنفقتُ من وثاقي هذا لم أترك أرضاً إلاّ وطأتها بقدمي هاتين إلا طيبة ليس لي عليها سلطان.

فقال رسول الله ﷺ: إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة، والذي نفس محمد بيده ما منها طريق ضيق ولا واسع علا عليه ملك شاهر بالسيف إلى يوم القيامة^(١).

وقد جاءت هذه الرواية في صحيح مسلم بعدة صيغ، كلها عن فاطمة بنت

(١) المصدر نفسه المعجم، ج ٣، ص ٦٧ - ٦٨ عن مسند أحمد ٤١٦/٦ وابن ماجه ١٣٥٤/٢ وأبو داود ١١٨/٤ والترمذي ٥٢١/٤ وأبو يعلى ١١٩/٤ وآخرون.

قيس أخت الضحّاك بن قيس أحد قادة معاوية المشهورين في شنّ غارات الشاميين على تخوم العراق قبل صفين وتمهيداً لها.

الرواية الأولى قالت فيها: قال رسول الله ﷺ في حديثه عن تميم: "حدّثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام"^(١).

والرواية الثانية قالت فيها: قال رسول الله ﷺ إنّ تميماً أخبره: "إنّ بني عمّ لتميّم الداري ركبوا في البحر"^(٢).

والرواية الثالثة قالت فيها: "قدم على رسول الله تميم الداري فأخبر رسول الله أنه ركب البحر فتأهت به سفينته"^(٣).

وعادت وقالت في الرواية الرابعة: "إنّ رسول الله ﷺ قعد على المنبر فقال: أيّها الناس حدّثني تميم الداري أنّ أناساً من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم فانكسرت بهم..."^(٤).

وغير هذه الروايات أخرج النبهاني حديث فاطمة بنت قيس وقول رسول الله ﷺ: "أيّها الناس هل تدرون لم جمعتكم؟ إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأنّ تميماً الداريّ كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدّثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيخ الدجال.

(١) مسلم حديث ٢٩٤٢، ص ١٢٣٢ - ١٢٣٣ هذا وقد اختلف النسابون في أصل لحم وجذام فروى بعضهم: أنهم من أعقاب (مَدَّين) وأن النبيّ شُعب منهم وقال غيره: أنهم من جزيرة العرب وقال آخرون: أنهم من مصر وقال غيرهم: أنهم من فلسطين، وقال العسقلاني في شروح الحديث من كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل: أما لحم فبفتح اللام وسكون المعجمة: قبيلة كبيرة شهيرة ينسبون إلى لحم، واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد، وأما جذام فيضم الجيم بعدها معجمة خفيفة قبيلة كبيرة شهيرة أيضاً ينسبون إلى عمرو بن عدي وهم إخوة لحم على المشهور، وقيل: هم من ولد أسد بن خزيمة. والظاهر أنهم بطن من كهلان القحطانية وكانت ديارهم في كل هذه الأماكن.

(٢) مسلم، ص ١٢٣٤.

(٣) مسلم، ص ١٢٣٤.

(٤) مسلم، ص ١٢٣٤.

حدّثني أنه ركب في سفينة بحريّة مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثمّ أرفثوا إلى جزيرة في البحر حين غروب الشمس" ولكن حديث فاطمة في المنتخب ختم بقول النبيّ: "ألا إنه في بحر الشام، أو في بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق. ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق" (١).

ولا أدري أيّ تلك الروايات هي الأصحّ، وهل تميم كان هو بطل هذه الواقعة الغريبة التي تعذر على غيره عيشها منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا الحاضر أم أبناء عمومته؟ لكن على العموم نعرف من هذه الروايات أنّ هنالك من يؤمن بوجود الدجّال، وحياته، وطول عمره؛ في الأقلّ منذ عصر صدر الإسلام إلى الآن وحتى ظهور الإمام المهديّ عليه السلام. فما الغرابة فيما إذا ادّعى آخرون طول عمر كاسر عين الدجّال ما دام هذا الأمر ممكناً ومتاحاً؟

ونحن مع شديد احترامنا لنقول الآخرين وعدم اعتراضنا عليها؛ لأنّ تقييمها يقع في الأساس على عائقهم وحدهم في ضمن حدود صلاحياتهم الفقهية والعقائدية، حتى ولو كانت هذه النقول مخالفة للعقيدة الإسلامية وللعقل والمنطق وللحقائق العلمية ولعلم الجغرافيا والعلوم الأخرى، وحتى لو كانت تتعارض فيما بينها أشدّ التعارض فيدّعي بعضها أنّ تميماً كان هو بطل الواقعة، وتدّعي أخرى أنّ أبناء عمومته هم أبطالها وأنه سمعها منهم وجاء فقصّها للنبيّ صلى الله عليه وآله أو أنّ أبناء عمومته أو أناساً من قومه رأوها وأخبروه بها، ومع عدم اعتراضنا أيضاً على الرأي الذي يقول إنّ الله سبحانه مد بعمر الدجّال كلّ هذه السنين الطويلة، على الرغم من أنّ ذلك مخالف للعقل؛ لأنه ما من جدوى من طول عمر الدجّال كما هي في طول عمر الإمام المهديّ، ما دام الدجّال سيبقى في أثنائها عاطلاً خاملاً ينتظر الخروج. إلا أننا نعترض بشدّة على الانتقائية المسيّسة التي تدعو الناس إلى الإيمان بنقول بعيدة عن

(١) منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين، يوسف بن إسماعيل النهاني، ص ٤٧٨ - ٤٨٠.

الواقع، وتدعوهم إلى تكذيب روايات صحيحة عن آل البيت عن جدّهم النبي الأكرم ﷺ هي من صميم الواقع الإسلامي، فهذه الانتقائية الغربية كانت وما زالت - رغم كونها غير منطقيّة - من أكبر أسباب فرقنا، وهي التي قادت الأمة إلى أن ينكر بعضها وجود الإمام المهديّ أصلاً، أو يدّعي أنه جاء وذهب وانتهى زمانه مع ذهاب عمر بن عبد العزيز الخليفة (المهديّ) الأمويّ أو مع ذهاب محمّد المهديّ الخليفة (المهديّ) العبّاسيّ، أو أنّ المهديّ الأوحدهو عيسى عليه السلام ولا مهديّ غيره، كما في حديث "لا مهديّ إلا عيسى" وأشباهاها من الأقوال السياسيّة البحت المغلفة بالتمويه الدينيّ، وهي التي تحوّلت فيما بعد إلى منهج دينيّ.

وعليه قال الشيخ الصدوق: "إنّ أهل العناد والجحود يصدقون بمثل هذا الخبر ويرونه في الدجّال وغيبته وبقائه المدة الطويلة وخروجه في آخر الزمان، ولا يصدقون بأمر القائم وأنه يغيب مدة طويلة، ثمّ يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، مع نصّ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بعده عليه باسمه وغيبته ونسبه" (١).

إنّ الانتقائيّة بالرغم من آثارها السلبية المؤثرة، لا يمكنها حجب الحقيقة وإعاقة بحث الباحثين، ولا يمكنها أن تقف حائلاً بين الناس ومعرفة حقيقة الأطروحة المهديّة. وأنا من جانبي أجد أنها لا ضير منها؛ لأنها تذكّي عطر العقيدة المهديّة، وتزيد تأجّج نارها وتوهج سناها ونضوج ثمارها أكثر من أن تلحق بها الأذى.

وبعد هذا التوسّع لا بأس من العودة إلى موضوع الاستدلال على كونيّة الأطروحة المهديّة بمصاديق مختلفة بعضها نقلّي والآخر عقليّ.

(١) كمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص ٤٨٠ الجزء ٢.

الفصل الثالث

مصاديق التطور الماديّ

المقدمة

كثيرة هي المصاديق العقلية والنقلية التي تؤكد صحة الأطروحة المهدوية، وتؤكد عالميتها وثبت كونيتها. ومن المصاديق العقلية المهمة التي تؤكد أن الأطروحة المهدوية هي أطروحة ذات سلطة كونية كما هي ذات سلطة أرضية: إن الله سبحانه أوكل إلى الإمام المهدي المنتظر ما لم يوكله من قبل إلى الرسل والأنبياء كافة. إذ أوكل إليه إظهار الدين الإسلامي على كل الأديان والمعتقدات الأخرى في العوالم كلها؛ فضلاً عن أن واقع الحال أثبت أن ما من دين جاء به أحد الأنبياء تمكّن من الظهور على كل الأديان الأخرى، لا في زمن بعثة ذلك النبي ولا بعدها. وما من نبي حقق كل آمانياته التي كان يروم تحقيقها، بل إن بعضهم عجز عن تحقيق جزء صغير منها، لأنهم في الغالب كانت مجتمعاتهم ترفضهم وتردهم سواء بالقتل أم بالتكذيب، وهو ما قال عنه القرآن الكريم ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١) فبقيت مشاريعهم مؤجلة.

(١) سورة البقرة، الآية ٨٧.

المشايح المؤجلة

إن الحديث عن مشايح الأنبياء وأحلامهم المؤجلة لا مبالغة فيه ولا تهويل، فما من نبي نجح في تحقيق أحلامه ومشايحه كلها، بل حتى الجزء الأكبر منها، ولذا بقي بعضها مؤجلاً في انتظار المنفذ الذي سيحققها لهم جميعاً، وليس من باب المبالغة الادعاء أن هناك مشايح مؤجلة منذ الزمن الأول، وإلا ما كان قابيل قد تجرأ على قتل هايل لو كان مشروع آدم ﷺ قد اكتمل، وما كان نوح ﷺ قد لبث في قومه يدعوهم إلى الإيمان بالله ألفاً إلا خمسين عاماً، ثم ينتهي بهم الأمر إلى الهلاك في الطوفان ويكون ابنه أول الغاوين. وما كان موسى ﷺ قد كسر الألواح المقدسة؛ لأن قومه عادوا لعبادة العجل ما إن فارقه لزمّن يسير لو كان مشروعه قد اكتمل. ولما كان عيسى ﷺ قد طورد ليصلب على صليب الحقد كما ادعى اليهود لو كان مشروعه قد كمل.

ويتسنى لمن يقرأ حياة الأنبياء وقصصهم المذكورة في القرآن الكريم أن يجد حقيقة مشايحهم المؤجلة وأحلامهم التي لم تتحقق، إذ تجد في كل عصر وكل زمان أن هنالك بشر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ ذلك لأنهم كانوا من اللاهين الذين ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ أَفْتَاتُوا

السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^(١) وعليه كانوا يستعجلون بتحدّ فارغ و وعد الأنبياء لهم بالعذاب النازل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وقد ردّوا على أنبيائهم القول وأتعبوهم بطلباتهم ومشاكلهم ومشاكساتهم منذ زمن نوح ﷺ وما تلاه من رسل الله سبحانه وصولاً إلى سيّدنا محمّد ﷺ. فنوح ﷺ قال عنه القرآن: ﴿وَنوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) ولوط ﷺ قال عنه القرآن: ﴿وَلوطًا إِذْ جَاءَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾^(٤) وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ﷺ قال تعالى عنهم: ﴿كُلٌّ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وإبراهيم ﷺ قال عنه: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِنِينَ﴾ ثم لم يكتفوا بالتفريع بل تأمروا عليه وكادوا له فقال بحقهم الكتاب العزيز: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ وصالح، ويونس وهود وشعيب وكلّ أنبياء الله ﷺ فارقوا قومهم من دون أن يكملوا مشاريعهم. وهناك في القرآن الكريم أكثر من إشارة إلى مشاريع الأنبياء المؤجلة. بل حتى نبينا محمّد ﷺ مات قبل أن يكمل مشروعه ويظهر دين الإسلام على كلّ الأديان، فهو حينما طالبهم ليحضروا له الكتف والدواة ليكتب ما لن يضلوا بعده أبداً وجد من يعترض عليه ويردّ مشروعه العظيم هذا.

فبقيت كلّ هذه المشاريع معلقة بانتظار فرصة التحقيق، وهي الفرصة التي سوف تتحقق في زمن الدولة المهدوية بانتصار دين الإسلام وظهوره على كلّ الأديان في كل الأكوان.

أما الحديث عن الظهور الدينيّ أو ظهور دين معيّن على باقي الأديان الأخرى بحيث تنضوي جميعها تحت لوائه فهو الآخر أحد المشاريع المؤجلة

(١) سورة الأنبياء، الآيات ١ و ٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٧٤.

أيضاً؛ إذ لم يتحقق مثل هذا الأمر من قبل. وحتى دين الإسلام الذي جاء وعد الظهور على الأديان في كتابه المقدس القرآن الكريم كما في الآية المباركة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) لم يظهر على باقي الأديان بما يتطابق مع ما جاء في الوعد الإلهي منذ البعثة الشريفة وإلى الآن. بل هو اليوم أضعف ممّا كان عليه من قبل، وكلمة أتباعه متفرقة، ويتلقى الضربات والطعنات من اليمين والشمال بينما تجمع الأمة المسلمة كلّها على أنه الدين المعنيّ بالظهور، والموعود بالتجلي على الأديان كلّها، ولا دين سواه سينتصر، أمّا وقت هذا الظهور والانتصار فسيكون على يد القائم المنتظر بالتأكيد كما في الأحاديث والنقول التي جاءتنا عن أهل البيت الكرام ومن ذلك ما جاء في ينابيع المودة، والمحجّة، ومنتخب الأثر عن الإمامين زين العابدين والباقر عليهما السلام: "إنّ الإسلام قد يظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم"^(٢) وفي رواية جامعة أخرى أكثر تحديداً ونصاً "ولا يكون ملك إلا للإسلام"^(٣).

بل وتشير الكتب العقائديّة لبعض الأديان الأخرى إلى حتميّة هذا الظهور ومنها على سبيل المثال كتاب (شاكموني) الهندي الذي جاء فيه: "وفي آخر المطاف سينتهي الحكم العالميّ إلى رجل من ذرّيّة سيّد خلائق العالمين 'كشن' العظيم، وهو الذي يحكم على جبال الشرق والغرب في العالم... ويوحد الأديان الإلهيّة إلى دين واحد واسمه القائم والعارف بالله وهو المحيي للدين"^(٤).

و كذلك جاء في إنجيل برنابا: "لأنّ كلّ الأنبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين ألفاً الذين أرسلهم الله إلى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام، ولكن

(١) سورة التوبة، الآية ٢٣.

(٢) معجم أحاديث المهديّ، ج ٥، ص ٢٨١.

(٣) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٠٦.

(٤) معجم أحاديث الإمام المهديّ، ج ١، ص ٧١.

سيأتي بعد بهاء كلّ الأنبياء والأطهار فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء لأنه رسول الله " (١).

وجملة (فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء) تؤكد الظهور الحقيقيّ بمعناه الأجلّي والأنصع بما لا يحتاج إلى دليل

و أيضاً جاء في سفر أشعيا في وصف المهديّ المنتظر وأصحابه: " لا يسيئون ولا يفسدون في جبل قدسيّ لأنّ الأرض تمتلئ من معرفة الربّ مثلما تغطي المياه البحر " (٢).

والمعروف أنّ الأرض لم يسبق لها أن امتلأت بمعرفة الربّ؛ أي: الإيمان به كليّاً عبر التاريخ وإنما كان هناك (دين) يتصارع من أجل البقاء مع (كفر) ولذا استمرت بعثات الأنبياء على مدى التاريخ الإنسانيّ.

ونحن نعتقد يقيناً أنّ المهديّ المنتظر (عجل الله فرجه) سيظهر الإسلام على الأديان كلها ويحقق مصداق الآية الشريفة ﴿يُظهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى أنه (عجل الله فرجه) سوف ينجح بتحقيق ما لم يوفق إلى تحقيقه الرسل والأنبياء (عليهم السلام أجمعين) من قبل. أي: إنّ مهامّه ستكون أوسع من مهامّ الرسل وحيث إنّ مديات تحرّكه ستكون أوسع من مديات تحرّكهم.

ويعني هذا أنّ الله سبحانه أوكل إلى الإمام المهديّ مهمّة إنجاز مهامّ الأنبياء المؤجّلة كافة، ومن ضمنها مهامّ الأنبياء المرسلين إلى الأكوان الأخرى، لأنّ لهؤلاء الأنبياء مهامّ مؤجّلة أيضاً، ولأهل الأكوان الأخرى أديان يجب أن يظهر الله عليها دين الإسلام لكي تتكامل حقيقة الظهور الكلّيّ.

إنّ تكرار إرسال الرسل المجرد على حقب متلاحقة على مدى التاريخ سواء إلى البشر أم إلى المخلوقات الأخرى يدلّ بالتأكيد على أنّ أيّ من هؤلاء الأنبياء لم يستكمل برنامجه الذي جاء من أجله؛ ولذلك احتاج أتباعه

(١) إنجيل برنابا، الفصل السابع عشر، الفقرات ٢١ إلى ٢٥.

(٢) أهل البيت في الكتاب المقدس، كاظم التصيري الواسطي، ص ١١٥.

إلى رسول آخر وهكذا. وألاً لو كان أيّ من الأنبياء قد أكمل برنامجه لما احتاجت البشرية إلى رسل آخرين سواه.

إنّ اختزال مهامّ جميع أنبياء الإنس والجنّ والمخلوقات الكونيّة الأخرى في فكر المهدويّة، ثمّ إيكال أمر تحقيق المؤجّل وما لم ينجز من هذه المهامّ إلى الإمام المهديّ يعني أنه (عجلّ الله فرجه) سوف يمارس سلطته الكونيّة لإحداث التغيير العقائديّ عند أقوام كلّ الأنبياء وأتباعهم أينما كان محلّ وجودهم ووجود دياناتهم في كلّ السماوات والأرضين، لكي يتحقّق الظهور الكلّيّ من دون استثناء يخلّ بهذه التكامليّة. فبقاء أحد الأديان عاملاً يومذاك على الساحة، ومهما كان حجم أتباعه والمؤمنين به يعني أنّ الظهور منقوص، وأنّ الوعد لم يتحقّق. وهذا مخالف للوعد الإلهيّ.

إنّ هذه البشارة القرآنيّة الكريمة وردت في الإنجيل أيضاً في بشارة يوحنا لتؤكد أنه (عجلّ الله فرجه) سيُظهر الإسلام على كلّ الأديان الأخرى على أساس أنّ الإسلام هو خلاصة الأديان السماويّة كلها، وهو الذي يجب أن يسود الكون كلّهُ:

"ثمّ رأيت ملاكاً طائراً في وسط السماء معه بشارة أبدية لبشر الساكنين على الأرض وكلّ أمة و قبيلة وشعب منادياً بصوت عظيم: خافوا الله وأطيعوه مجدداً لأنه قد جاءت ساعة حكمه"

فهذه البشارة الأبدية بحسب النصّ العبريّ تشتمل على كلمات تدلّ ترجمتها من العبريّة إلى العربيّة على حقيقة الظهور وحقيقة الكونيّة المهدويّة ومنها:

كل كوي (بالكاف المعجمة): أي كلّ الأمتة

كل مشبحا: أي كلّ قبيلة

كل لاشون: أي كلّ لغة

كل عام: أي كلّ شعب^(١).

ثمّ إنها تشمل أولاً الساكنين على الأرض وتنتقل بعدها إلى كلّ أمة وقبيلة وشعب موجود خارج الأرض، وإلاّ ما كان النصّ قد ميّز بين الساكنين على الأرض وبينهم لأنه لو كان يقصد بكلامه سكان الأرض أنفسهم؛ لكان المقطع الآخر حشواً لا نفع من ورائه. ثمّ إنّ جملة (خافوا الله وأطيعوه مجدداً لأنه قد جاءت ساعة حكمه) تؤكد بما لا يقبل الشكّ أنّ ساعة حكم الله سبحانه ستجيء على يد المنقذ لتشمل كلّ هؤلاء.

وسنجد في الأقسام المتقدّمة من هذا البحث أنّ هناك في الأكوان الأخرى أمماً وشعوباً وديانات.

وإذا كان المسلمون شبه متفقين على حتمية ظهور الدين الإسلاميّ على باقي الأديان، فإنه ليس من الغرابة أن يمتدّ الظهور الإسلاميّ إلى الأكوان الأخرى التي أرسل الله للمخلوقات التي تسكنها رسلاً وأنبياء كما سيتضح لنا بالبحث، أي إنّ ظهور الإسلام على باقي الأديان سيكون كونياً وليس أرضياً فقط، وأنّ الذي سيغيّر هذا التغيير هو المهديّ المنتظر (عجل الله فرجه) وفي هذا دليل مؤكّد على كونية الأطروحة المهديّة، أي امتداد الوهج المهديّ للأكوان الأخرى، وامتداد السلطة المهديّة إليها.

إنّ التبدّل واحد من أهمّ مصاديق كونية الحكومة المهديّة، وأقصد به التبدّل الذي سوف يقع لبعض الأمور المادّية والروحية التي لم تتبدّل تبدلاً جوهريّاً منذ أن عرفها الإنسان في بدايات تطوّره وإلى ما قبل تاريخ الظهور بقليل، أي إنها بقيت على هيئتها التي عرفت بها أوّل مرّة تنتقل توارثياً على مدى التاريخ وستبقى كذلك إلى ما يشاء الله تعالى، لكي يكون لتبدّلها أثر فاعل في انتصار المهديّة وامتداد آفاقها إلى كلّ الأكوان، ومنها مثلاً حقيقة افتراس الأسد للحيوانات الأخرى ومهاجمة الذئب للخرفان، ولدغ الأفعى

(١) أهل البيت في الكتاب المقدس، كاظم النصيري الواسطي، ص ١١٨.

لمن يمدّ يده في جحرها ولدغ العقرب لكلّ ما يعترض طريقها، وتعاقب الليل والنهار وحدوث الخسوف والكسوف في أوقات محدّدة ثابتة لا تتغير، وعشق البشر للمال إلى درجة العبادة، وتكلم الأشجار والأحجار مع أنّها جماد لا يتكلم. لكن هذه الحقائق البديهية والمتسالم على يقينيتها تاريخياً لن تبقى على ما هي عليه، لأنّ سنن النواميس سوف تتغيّر عمّا هي عليه، وعمّا هي مشتهرة به. وللاختصار سوف نبحث في شأن التبدّل الذي سوف يقع في بعض هذه السنن وليس كلّها، وسيأخذ التبدّل منحنيين؛ أحدهما مادياً والآخر روحياً.

أولاً: التطوّر المادّي

١ - المال والاقتصاد العالمي

في الوقت الذي كان (المال) محور الجراك السياسيّ والبشريّ في كلّ عصر وزمان والوسيلة التي تشتري بها الذمم والضمان، ومصدر القوّة الذي يحول الدول إلى كيانات عاتية سلطويّة تسعى إلى السيطرة على الأمم الأخرى، وسلعة غالية ليس من السهل الحصول عليها، فإنه سيتحوّل في زمن الدولة المهدويّة إلى سلعة باثرة تافهة لا يطلبها أحد ولا يسعى وراءها ساع؛ لأنّ الجميع عندهم ما يكفيهم منها ومن كل شيء يحتاجونه، وقد جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسنند الإمام أحمد وغيرهم عن النبيّ الأكرم ﷺ قوله: " لا تقوم الساعة حتى يكثّر فيكم المال، حتى يهّم ربّ المال يقبل صدقته، وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أربّ لي" (١).

أمّا من يحتاج إلى بعض المال لأيّ سبب كان فإنه لا يحصل على عدد أو كمّيّة محدودة منه كما هو متعارف عليه؛ لأنّ الإمام ﷺ يحثو المال حثياً لا يعدّه عدّاً، وقد أخرج السيوطي عن أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنّ من أمرائكم أميراً يحثو المال حثياً

(١) المعجم، ج ١، ص ٣٠١.

ولا يعدّه عدّاً، يأتيه الرجل فيسأله، فيقول: خذ فييسط ثوبه فيحني له، ويسط رسول الله ملحفة غليظة كانت عليه يحكي صنيع الرجل، ثم جمع عليه أكتافها، قال: فيأخذه ثم ينطلق" (١) كما أخرج مسلم قول النبي الأكرم ﷺ: "يكون في آخر أمّتي خليفة يحني المال حثياً لا يعدّه عدداً" (٢) ومن الأحاديث المؤكدة الموجودة لدينا في هذا الباب: "وأنه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الأرض خراب إلا يعمره" (٣) ومنها أيضاً عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: قال رسول الله ﷺ: "ويظهر الله عزّ وجلّ له كنوز الأرض ومعادنها وينصره بالرعب" (٤).

وفي غيبة النعماني: "وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرم الله عزّ وجلّ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشرّاً" (٥) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتم رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعتم يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً" (٦).

وفي الفتن لنعيم بن حماد عن النبي ﷺ: "إذا خرج المهديّ ألقى الله تعالى الغنى في قلوب العباد حتى يقول المهديّ: من يريد المال؟ فلا يأتيه أحد إلا واحد يقول: أنا فيقول: احث" (٧) وفي الفتن عن أبي سعيد الخدري

(١) العرف الوردی فی اخبار المهديّ، جلال الدين السيوطي، حديث ٢٩، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) صحيح مسلم، حديث ٢٩١٣، ص ١٢٢٠.

(٣) المهديّ قادم، هشام آل فطيط، ص ٢٤٦ عن إسعاف الراغبين ص ٦٨.

(٤) كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق، ص ٣٦٥.

(٥) المعجم الموضوعي، الشيخ الكوراني، ص ٧١٨.

(٦) المصدر نفسه، المعجم، ص ٧١٨ عن غيبة النعماني، ص ٢٣٧.

(٧) المعجم، ج ١، ص ٢٩٢.

عن النبي ﷺ: "تتنعم أمّتي في زمن المهديّ نعمة لم يتنعموا مثلها قطّ، يرسل الله السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته" (١).

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً عن النبي ﷺ قال: "يكون في أمّتي المهديّ إن قصر فسبع وإلا فتسع، فتنعم فيه أمّتي نعمة لم ينعموا مثلها قطّ، تؤتي أكلها ولا تدخر منه شيئاً والمال كدوس فيقوم الرجل فيقول: يا مهديّ أعطني؟ فيقول: خذ" (٢).

يعني هذا أنّ المسألة الماليّة التي هي قوام اقتصاد البلدان وأساس النموّ والتطوّر والازدهار ومن أهمّ معيقات تحقيق الأهداف وتنفيذ المشاريع الآنيّة والمستقبليّة وهي التي تعوّل عليها كلّ النظم السياسيّة لن يكون لها وجود في الدولة المهديّة، ولن تكون طرفاً في المعادلة؛ لأنها محلولة سلفاً نتيجة الوفرة التي سيحققها استخراج كلّ كنوز الأرض، وتبدّل المناخ نحو الأحسن بانتها ما يعرف بالاحتباس الحراريّ، أو لربّما يكون الاحتباس الحراريّ الذي يتخوّفون منه اليوم سبباً لها، وتبدّل المناخات بما يسهم في خلق تطوّر زراعيّ كبير وغير مسبوق، وهو الذي سيؤدّي إلى زيادة سقوط الأمطار في المناطق الصحراويّة وذات الأمطار القليلة بما يحولها إلى أراضٍ صالحة للزراعة، فضلاً عن أنّ الظروف العامّة للبيئة والمناخ ستتغيّر عمّا هي عليه اليوم؛ فيحيي الله الأرض الصحراويّة الرملية القاحلة التي لا تصلح للزراعة مطلقاً بعد موتها؛ وقد جاء عن الإمام الصادق ﷺ قوله: "يحييها الله بعدل القائم عند ظهوره بعد موتها بجور أئمة الضلال". وعنه ﷺ أيضاً: "ولا يبقى في الأرض خراب إلا عمر" (٣) وفي غيبة الطوسي عن إسماعيل الأسديّ قال: حدثني سعيد بن جبير قال: "السنة التي يقوم فيها المهديّ تمطر أربعاً

(١) الأربعون حديثاً في المهديّ لأبي نعيم الأصفهاني، علاء مكي، ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) العرف الوردی، جلال الدين السيوطي، ص ٥٥.

(٣) المعجم الموضوعي، ص ٧١٩ - ٧٢٠.

وعشرين مطرة يرى أثرها وبركتها" (١) وفي الإرشاد في تعديد علامات ظهور الإمام عليه السلام: "ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيي الأرض من بعد موتها وتعرف بركاتها"

وفي العرف الوردية عن مسند ابن أبي شيبة: "وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء مطرها وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط" (٢).

ما أريد الإشارة إليه أنّ الروايات تتحدّث عن أمطار تقع في مناطق من أرض العرب لم تكن مطيرة من قبل، وحدث هذا الأمر مرّة يبدو إعجاباً، ومرّة أخرى يبدو في نظر العلوم الحديثة أمراً ممكناً ومحتملاً، بل ومؤكّداً، ففي تقرير عن نتائج بحث أجراه خبراء أمريكيون في جامعة "أوهايو" وردت معلومات عن تغيّر مناخيّ طرأ على اليمن ودول الجزيرة في أعقاب زلزال "تسونامي" الذي ضرب اليابان في عام ٢٠١١ وقد تسبّب في جعل المنطقة تحت تأثير الرياح الموسميّة القادمة من المحيط الهنديّ والمحمّلة بالأمطار الغزيرة على غرار ما كانت عليه قبل حوالي ٥٠٠٠ عام. فهل كان تسونامي اليابان من ممهدات الظهور، وإشارة إلى قربها؟

وقال الخبراء بعد دراسة ميدانيّة حول تأثير التغيّر المناخيّ على ثقافة سكان جنوب شبه الجزيرة العربيّة وحياتهم: "إنّ هذه الرياح الموسميّة كانت قبل (٥ - ١٠) آلاف عام تأتي بأمطار غزيرة إلى الجزيرة العربيّة ساعدت الناس على التمتع بحياة هانئة ومستقرّة، لكنّها منذ حوالي ٥٠٠٠ عام غيرت اتجاهها نحو الجنوب مسيبة جفافاً شديداً".

كما ويشير "أوكيس" في تقرير نشره حديثاً إلى أنّ تحرك مساحة شاسعة من الطبقات الجيولوجيّة للأرض عكس تأثيره ليس في زلزال تسونامي وآلاف الهزات المتباينة القوّة فحسب، بل أيضاً على اتجاهات حركة الرياح

(١) المعجم الموضوعي، ص ٧٢٠.

(٢) العرف الوردية، جلال الدين السيوطي، ص ٧٧ - ٧٨.

ومعدلات الحرارة والبرودة والرطوبة وغير ذلك، منوهاً إلى أنّ الدراسات الأولية تشير إلى إمكانية تخلص شبه الجزيرة العربية في المستقبل القريب من حالة الجفاف في ظلّ عودة الرياح الموسميّة الهنديّة ذات الأمطار الغزيرة للهبوب على أراضيها.

وأفاد مختبر المسح الأثريّ الأمريكيّ بولاية "أريزونا" الأمريكيّة أنه سوف يكون هنالك تغيير هائل في مناخ الكرة الأرضيّة، في حين كان الباحثون يحللون جداول معطيات جمعتها أجهزة الرادار المركبة على متن مكوك الفضاء (كولومبيا) أظهرت صور الرادار وجود منطقة تحت رمال صحراء جنوب مصر وشمال غرب السودان لا تهطل فيها الأمطار إلا بمعدل مرّة كلّ خمسين عاماً؛ ولكنها تحتوي على مجاري أنهار قديمة كبيرة، بعضها أوسع من نهر النيل نفسه، وقد أجريت حديثاً دراسة مشابهة لشبه الجزيرة العربيّة، حيث أظهرت الصورة الجويّة وجود مجرى لنهر قديم عملاق يخترق شبه الجزيرة من الغرب إلى الشرق ناحية الكويت.

وقد ذكر الدكتور "فاروق الباز" مدير وكالة ناسا للفضاء وجود كمّيّات هائلة من المياه الجوفيّة في مسار النهر القديم الذي لا بدّ أنه عاش على جانبي النهر في العصور السحيقة عندما كان النهر يجري بالمياه قبل ٥٠٠٠ عام.

؛ فضلاً عن أنّه يتوقع الجيولوجي الأمريكي "هال مالكور" عودة البحيرات إلى صحراء الجزيرة العربيّة وعودة المياه إلى الأنهار المغطاة.

فالفكرة الأرضيّة - كما أثبتت التقنيّات الحديثة - تمرّ بعصر جليديّ يستمرّ نحو ١٠٠ ألف عام، ثمّ تأتي بعده حقبة دفاء تسمّى بمرحلة "بين جليديّة" تستمرّ من عشرة إلى عشرين ألف سنة، وقد تكرّر هذا النمط عشر مرّات إبان المليون سنة الماضية. وكان انتشار المسطحات الجليديّة في الأجزاء الشماليّة - أثناء العصور الجليديّة - يؤثر في مناخ الأرض، فيؤدّي إلى زحزحة نطاق المطر إلى الجنوب، فتدخل شبه الجزيرة العربيّة والصحراء الكبرى في شمال

إفريقيا في نطاق الرياح الغربية الممطرة التي تهبّ الآن على غرب أوروبا، فيؤدّي ذلك إلى ازدهار تلك الصحارى وامتلائها بالأنهار والوديان الخصبة. وفي حقب الدفاء بين العصور الجليديّة تتحرّك أنطقة الأمطار إلى الشمال، فتصبح شبه الجزيرة العربيّة وشمال إفريقيا في ضمن نطاق الرياح التجاريّة ويسودها مناخ مشابه لمناخها اليوم.

وهناك العديد من الأدلة على حدوث مثل تلك التغيّرات المناخيّة جمعها الأستاذ "أوستن ميلر" صاحب كتاب "الجغرافيا التاريخيّة الطبيعيّة"؛ فضلاً عن جمع الكثير من التوقعات والدراسات حول تغيّر المناخ في المستقبل ودلائل تغيّرها، وأكدت الدراسة التخصصيّة أنّ الجزيرة العربيّة سوف تكون أكثر بقاع العالم من حيث هطول الإمطار. وهناك أيضاً دراسة صينيّة حول الموضوع نفسه أكدت أنّ بداية حدوث هذا التغيّر قد تزامنت مع بداية عام ٢٠١١ تحديداً.

يستخلص ممّا تقدّم بضعة معطيات ونتائج منها:

أنّ استمرار العصر الجليديّ القادم ١٠٠ ألف عام سيكون عبثيّاً إذا لم يكن قد أقرّ لخدمة العصر المهدويّ المرتقب الذي سيمتدّ إلى مديات أبعد من تلك التي يتحدّث عنها من يدّعي أنّ عمر دولته سبع سنين أو تسعاً. أمّا لِمَ يعدّ الآن فقط عبثيّاً ولم يكن عبثيّاً من قبل؟ فذلك لأنّ ما حدث سابقاً كان مرحلة إعداد لإيصال العالم إلى ما هو عليه اليوم من تنوع جغرافيّ وديموغرافيّ وعقائديّ واقتصاديّ، أمّا حدوثه الجديد فسيكون من دواعم انتصار الدولة المهدويّة المكلفة بإظهار الإسلام على كلّ أديان الكون.

إنّ التبدّل المناخيّ وغزارة الأمطار في مقرّ حكومته وعاصمة حكم الإمام المهدويّ وهي التي ستمتدّ إلى خمسة آلاف عام كما يقول العلماء تؤكد أنّها ما وعدنا به الله ورسوله من خير عميم، ومطر غزير؛ يصيب الجزيرة العربيّة في عصر الظهور، وهذا لا يؤكد صحّة ما وُعدنا به فقط، بل ويؤكد أيضاً قرب ظهور الإمام المهدويّ، وطول عمر دولته.

هذه التطورات المدهشة وغير المتوقعة هي التي سوف تؤدّي إلى حدوث الوفرة الماليّة الزائدة عن الحاجات اليوميّة والإستراتيجية على نحو كبير جداً وحينئذٍ يكون من الممكن أن تخصص من دون التقيّد بميزانيات محدّدة ومقننة لتنفيذ المشاريع النهضويّة والعلميّة المختلفة في المجالات كافة ممّا يفتح الآفاق أمام تطوّر من نوع جديد لم تشهد البشرية له شبيهاً من قبل، ولاسيّما أنّ هذه الوفرة سوف تكون مدعومة بمنظومة علميّة لم تشهدا البشرية من قبل.

وإنّ تأكيد الروايات والنصوص علاقة المال بعصر الظهور بهذا الشكل المكثف والتكرار المستمرّ؛ له علاقة وثيقة بما وصل إليه فعل الجانب الاقتصاديّ وتأثيره في الحياة المعاصرة للبشر وما سيصل إليه في العصر السابق للظهور، فعلى الرغم السطوة التاريخيّة للمال على مدى العصور وأثره المباشر في الحياة العامّة إلّا أنّه بسبب الانقلاب الصناعيّ والزراعّي الذي حصل في القرن الماضي تحوّل إلى قوّة سلطويّة أسطوريّة عاتية جبّارة، وبات محرّكاً للعواطف والأيديولوجيات والسياسات والجيوش وحتى للعقائد الدينيّة والأخلاقيّة، حيث أصبح لأساطين المال والمستثمرين الكبار والممولين سلطة تتجاوز حتى الرقعة الجغرافيّة التي يعيشون فيها والبلد الذي يعيشون فيه، بعد أن تحوّلت القوى العاملة إلى أجراء بيدهم وتحولت الأراضي الزراعيّة إلى ممتلكاتهم، فاستثمروا أموالهم لإدخال المكننة الزراعيّة الحديثة وإنشاء مصانع التعليب وتحويل المزارعين إلى عمال مأجورين. وتحولت الدول تلقائيّاً أو بسبب تخلفها إلى مستورد لهذه المنتجات والمعدّات.

وقد أدّت هذه الإجراءات إلى زيادة الفوارق الطبقيّة في المجتمع الإنسانيّ في كلّ أرجاء الكرة الأرضيّة؛ فأصبحت مجموعة صغيرة من الرأسماليين في دول محدّدة مسيطرة على رؤوس الأموال وأدوات الإنتاج، ممّا جعل صوتها أعلى من صوت الحكومات والمنظمات حتى الدوليّة منها، مقابل أعداد مليونيّة من المحرومين والجياع الذين قال الإمام عليّ عليه السلام إنّ سبب جوعهم

وبلواهم هم المحتكرون أنفسهم " ويشخّ الغني بما لديه " (١)، ثم كيف يؤدّي ذلك إلى تبديل العقائد من الإيمان إلى الكفر " ويبيع الفقير آخرته بدينياه فيا ويل للفقير وما يحلّ به من الخسران والذلّ والهوان في ذلك الزمان " (٢).

وبعد أن كانت العقائد هي التي تحمل راية الخلاف بين الفئات والدول على مدى التاريخ أصبح رأس المال والدوافع الاقتصادية أساس كلّ خلاف ينشأ في العالم اليوم، بدلالة أنّ كلّ النزاعات الدوليّة التي وقعت في القرنين الأخيرين كانت دوافعها اقتصادية غالباً، إمّا رغبة في احتكار الأسواق وإمّا بحثاً عن الموادّ الأوّليّة. وحتى تقسيم الدول وتفتيت البلدان الذي حدث في القرنين الماضيين والمتوقع تكراره قريباً في الشرق الأوسط كانت دوافعه اقتصادية. وكذلك الغزو العسكريّ الأمريكيّ للعراق وأفغانستان والدول المرشحة الأخرى كانت الدوافع الاقتصادية من أهمّ ما يقف وراءه. بل إنّ النزاعات المجتمعيّة والفردية التي تقع داخل البلدان، وبينها وبين البلدان الأخرى تعود في الأعمّ الأغلب إلى أسباب ماليّة، والنسبة العظمى من الجرائم والسرقات والاختلاسات والفساد الإداريّ دافعها الفقر والفاقة والحرمان والعوز وحبّ المال والإيمان بأهمّيّته في الغالب وهي جميعها اقتصادية .

وهكذا بعد أن كانت الدول القويّة ترعب الدول الأخرى بعقيدتها العسكريّة أو الفكرية أصبح سلاح المال أو ما يعرف بـ(القوّة الناعمة) في هذا العصر الذي هو من دون شكّ عصر الظهور أشدّ فتكاً وتأثيراً ورعباً ولاسيّما أنّ قوّته أخذت تزداد مع كبر حجم الشركات العابرة للقارات، وتنامي حجم خزائن الدول العظمى، مقابل تنامي الإعسار الماليّ والحاجة إلى الأجهزة والمكائن المتطورة والمعلومات في الدول الضعيفة، حيث تحوّلت الفوارق الطبقيّة المجتمعيّة التي كانت تقع بين الأفراد أنفسهم إلى فوارق طبقيّة دوليّة.

(١) تنبؤات النبيّ والأئمة، ص ٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، نبوءات النبيّ.

لقد أدرك الرأسماليون الكبار دور رأس المال منذ وقت طويل وكانت الثورة الفرنسية إحدى المحفزات الكبيرة لهم؛ ولذلك كانت البداية في فرنسا ومع كنيستها بالذات، فحتى القرن الثامن عشر كانت الكنيسة الفرنسية مالكة لأكبر حجم من الثروة العامة لأنها كانت تملك خمس الأراضي الفرنسية؛ فضلاً عن الأموال التي تتقاضاها من الشعب^(١) فكانت سلطتها أكبر من سلطة الإمبراطور. ولم تضعف سلطة الكنيسة وتتلاشى إلا بعد أن نجح الرأسماليون في سحب أموالها إليهم، حيث تلاشت قوتها وماتت في النهاية وتحولت إلى واجهة إعلامية مجردة للدين، وتسلم المال زمام الأمور وقدرة توجيهها كيفما يشاء، فأصبح اليوم في عصر الظهور المرتقب السلطة الحاكمة والمنتفذة في كل الأرض.

كما أصبح المال اليوم المصدر الأوحيد الداعم للتطور العلمي للدول، حيث تتطور الدول الغنية العظمى باطراد وسرعة جنونية، وتتخلف الدول الفقيرة بالمقدار نفسه؛ ولكن بالاتجاه المعاكس، ولو لم تمتلك تلك الدول هذه الكتلة الجبارة المهولة من المال ما كانت قد نجحت في غزو الفضاء بالمركبات المأهولة حتى بالسّيّاح المرفهين.

من هنا جاء تأكيد أهميّة المال في أخبار المهدويّة ابتداء من أحاديث النبي الأكرم ﷺ إلى أحاديث الأئمة الأطهار ﷺ؛ لأنهم كانوا يعلمون أنّ المال في عصر ما قبل الظهور هو المنافس الوحيد وبوساطته تتحرك الجيوش، وتشن الحروب وتشر العقائد، ومنها تلك العقائد المعادية للمهديّ ولدولته، وتهدم المعتقدات وتبدّل السلوكيات الفرديّة عند الإنسان؛ فيصبح أقرب إلى حيوانيته منه لإنسانيته، ولذلك وصفه الرسول الأكرم ﷺ بقوله: "يكون الرجل همّه بطنه، وقبلته زوجته، ودينه دراهمه"^(٢).

(١) تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا، محمّد قاسم وحسين حسني، ص ٣.

(٢) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٨١.

وجاء في تيموثاوس (١:٣ - ٥): "ولكن اعلم هذا: أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمئة صعبة؛ لأنّ الناس يكونون محبين لأنفسهم، محبين للمال، متعاطمين مستكبرين"^(١) من هنا جاء التكرار المستمر لأحاديث المال ليس للتذكير بآثره وأهميته في آخر الزمان فحسب، بل للتأكيد أنّ الله تعالى شاء أن يحلّ هذه المشكلة للإمام المهديّ (عجل الله فرجه) بأن تفتح له الأرض أبواب خزائنها التي لا تنضب سواء بإخراج الكنوز المدفونة أو بتحوّل الصحارى والأراضي السبخة إلى أراض زراعية من الطراز الأوّل، لأنّ هذه الأموال ستسهم في تحويل العلوم التي يملكها إلى معدات وآليات تسهل له غزو الأكوان ونشر الدين الإسلاميّ فيها.

اللطف في الأمر أنّ المال الذي ارتكبت بوساطته الموبقات والمحرمات والنزاعات، وأشبعت النزوات والرغبات والبطون من حلال وحرام، سيتحوّل نفسه في النهاية إلى طور الإفلاس القيميّ، حيث يفقد قيمته الحقيقية والمادّية، ومكانته البراقة وسحره الأخاذ، ليتحوّل إلى شيء مجرد تافه لا قيمة له ولا قوّة، بخلاف العقيدة التي ستصبح هي القوّة العظمى المحركة للأحداث.

وهنا تختلف المهدوية مع النظريّات الوضعيّة الأخرى؛ ومنها الاشتراكيّة التي كانت تسعى قبل انهيار الاتحاد السوفيتي (لا تزال نظريّاتها فاعلة في بعض البلدان) إلى تقسيم الثروة تقسيماً عادلاً من دون النظر إلى مقدار الجهد المبذول، وتختلف مع الرأسماليّة التي كانت وما زالت تسعى إلى تقسيم القدرة تقسيماً عادلاً، لكن لا الاشتراكيّة ولا الرأسماليّة نجحتا في تحقيق هذه العدالة المستحيلة؛ فبقي المال سيّداً متحكّماً وبقيت القدرة مشتتة ومحصورة بيد النخبة. في حين نلاحظ أنّ المهدويّة سوف تقلب هذه المعادلة وتنشئ معادلة جديدة تجمع بين توزيع المال والقدرة إنشاءً جديداً لأنّ تواتر أحاديث

(١) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٧٨.

مجردة (يملؤها قسطاً وعدلاً) في المدرستين الإسلاميتين وفي كتب الديانات الأخرى يؤكد أن قوانين القدرة والمال والاقتصاد سوف تسقط وتقوم مقامها قوانين دولة العدل الإلهي الكونيّة، لأنّ القوانين التي كان معمولاً بها في السابق في كلّ النظم المعروفة الرأسماليّة منها أو الاشتراكيّة هي التي ملأتها ظلماً وجوراً؛ وهو ما سيجعل من أمر الكونيّة واقعاً في متناول اليد ولا صعوبة فيه مطلقاً لكي يعمّ القسط والعدل.

٢ - المعتقدات والسلوكيات

أما الروايات التي تتحدّث عن واقع الحال المعرفي والسلوكي في الدولة الموعودة فتدلّ بالتأكيد أنّ ما ستكون عليه المخلوقات في هذه الدولة لا يشبه ما كانوا عليه من قبل في أيّ مرحلة تاريخيّة سابقة، وذلك بحدّ ذاته يدلّ على إمكانية التواصل الكونيّ توأصلاً جديداً بينهم وبين المخلوقات الأخرى.

إنّ التبدّل السلوكي للمخلوقات الذي سيجعل السبع يأكل الحشيش ويسرح في المرعى مع الأبقار كما في حديث "لوقام قائمنا.... ولذهبت الشحنة من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم"^(١) وأيضاً في الحديث الذي رواه الحاكم عن ابن عباس وصحّحه عن النبيّ (عليه أفضل الصلاة والسلام): "وأما المهديّ الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتأمّن البهائم السباع..."^(٢)، ويجعل الذئب والحمل يسرحان معاً، والطفل يلعب الأفعى السامة، والفأر لا يقرض الجراب كما في حديث "وترعى الشاة والذئب في مكان واحد، ويلعب الصبيان بالحيّات والعقارب لا يضرّهم شيء"^(٣).

ليس الإسلام وحده من أشار إلى هذا التبدّل، بل حتى الأديان الأخرى

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣١٩.

(٢) المعجم الموضوعي للشيخ الكوراني، ص ٧٣٤.

(٣) الإمام المهديّ من المهديّ إلى الظهور، محمّد كاظم القزويني، ص ٤٤١.

أشارت إليه في كتبها وأناجيلها حيث جاء في سفر أشعيا: " فيسكن الذئب مع الخروف، ويربط النمر مع الجدي والبقرة والذئبة ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقرة يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب الصلّ، ويمدّ الفطيم يده على جحر الأفعوان"^(١).

أريد الإشارة هنا إلى أمر ليس بتلك الأهميّة التي تقتضي الإشارة له، ولكنّي أرغب في إيراده للتدليل على ازدواجيّة المعايير التي يقيس بها الأمور بعضُ المسلمين وأقصد به موضوع التعامل والتخاطب مع الحيوانات الموجود فعلاً في فكر المدارس الإسلاميّة الأخرى، وهو الموضوع الذي لم أجد بين من انبرى لمهاجمة الأطروحة المهدويّة من يعترض عليه أو يكذبه، أو حتى يضعفه ويوهنه، حيث ورد في تذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء للذهبيّ عن محمّد بن طاهر القيسرانيّ: "الوخشي: الحافظ الإمام الجوال أبو الحسن بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن جعفر البلخي... وقال عمر بن عليّ السرخسي: كنت مراهقاً وقت موت الوخشي فحضرتة، فلما وضع في القبر سمعنا صيحة فقيل: خرجت الحشرات من المقبرة، وكان في طرفها وادٍ انحدرت إليه وأبصرت العقارب والخنافس وهي منحدره في الوادي!"^(٢).

وفي شذرات الذهب قال المناوي في ترجمة أبي عليّ حسين الصوفي المتوفى ٨٦١ هجرية: "كان كثير التطوّر يدخل عليه إنسان فيجده سبعا ثم يدخل عليه آخر فيجده فلاحاً أو فيلاً!"^(٣).

وفي عودة إلى موضوع التبدّل السلوكيّ نجد أنّ التبدّل الذي سوف يحصل في عصر الظهور سيجعل قاطع الطريق واللصّ وذوي النفوس الرذيلة الذين لم

(١) أهل البيت في الكتاب المقدس، كاظم النصيري الواسطي، ص ١١٥ ويوم الخلاص، كامل سليمان ٣٤٥.

(٢) ينظر تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٧٢، وسير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٦٥، والقيسراني، ص ٤٤٨ - ٥٠٧ تسلسل ١٠٢٥.

(٣) ينظر شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٥٠.

يكونوا ينتهون عن حرمان الله بتركوا كلّ المعاصي والفتن، ويتحرّرون من المعاصي والموبقات حتى تسير المرأة من الشام إلى العراق لا تخشى شيئاً 'وتخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد' (١).

وفي حديث آخر: " يطفئ الله تعالى الفتنة العمياء وتأمّن الأرض حتى إنّ المرأة لتحجّ في خمس نسوة ما معهنّ رجل لا تتقي شيئاً إلاّ الله " (٢).

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام أيضاً في وصف الإمام المهديّ: ' يطفئ به الفتنة الصمّاء وتأمّن الأرض حتى إنّ المرأة لتحجّ في خمس نسوة ما معهنّ رجل لا يتقين إلاّ الله " (٣) وفي قول آخر: " وتصطوح السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلاّ على النبات وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه " (٤)، حيث يذهب الشرّ ويبقى الخير كما ورد في الأثر، أو كما قال الإمام الصادق عليه السلام: " ويذهب الزنى وشرب الخمر، ويذهب الربا، ويقبل الناس على العبادات، وتهلك الأشرار وتبقى الأخيار " (٥).

كلّ هذا يعني أنّ طبائع المخلوقات الأساسيّة وسلوكياتها الرئيسيّة الفطريّة التي يقول العلم وتقول المعارف الوضعيّة إنّها من المستحيل أن تتغيّر عمّا هي عليه؛ لأنّ بقاء هذه المخلوقات واستمرار حياتها مرتبط بهذا السلوك، سوف تتغيّر في المستقبل خلافاً لكلّ هذه التصورات القائمة على الجزئيّة الماديّة ممّا يعني أنّ الأرض سوف تعيش عصراً جديداً مغايراً لكلّ العصور التي شهدتها من قبل، وهذا التبدّل سيكون أحد الأسباب التي تجعل من التواصل الكونيّ

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣١٩.

(٢) العرف الوردي للسيوطي، ص ١١٧.

(٣) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٣٢.

(٤) من حديث للإمام الصادق ورد في البحار ١٠/١٠٤.

(٥) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٠٦.

بين المخلوقات عامة وليس بين قائد هذه المخلوقات فقط وبينها شيئاً مألوفاً ومتساوياً مع تبدّل الطباع هذا.

ثم إنَّ المعتقدات والسلوكيات التي كانت سائدة في المجتمعات البشرية وهي التي كان فيها الكثير من الغشّ والخداع سوف تتبدّل تبدّلاً إعجازياً كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام: "إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم" ^(١) وهذا التبدّل من مَهْدَاتِ الكونية.

الناس الذين كانوا يضمرون في دواخلهم غير ما يعلنونه سوف يتغيّرون على وفق هذه الآلية غير المعهودة، فتغيير المعتقد الذي يؤمن به الإنسان وهو الذي كان من أصعب ما يواجه حملة مشاريع التغيير، وهو الذي كان يفضي لوقوع المعارك والمجازر والجرائم سوف يتحوّل في زمن البعثة المهدوية إلى لمسة على الرأس حتى إنه كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: "إذا خرج القائم لم يبقَ ما بين يديه أحد إلا عرفه صالح أو طالح" ^(٢).

المجتمع ذاته سوف يتحوّل إلى مجتمع آدميٍّ مثاليٍّ يوتوبي متكامل حيث تذهب الشحنة من قلوب العباد، ثم إنَّ المجتمع سوف يصبح مجتمعاً صحيحاً لا يشكو من عاهة أو مرض؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: "من أدرك القائم من أهل بيتي من ذي عاهة برأ ومن ذي ضعف قوي" ^(٣) وليس ذلك فقط بل إنَّ كلّ مؤمن بالله ورسوله ﷺ سوف يتعافى ويستردّ قوّته حيث تتحقق أمنية "ألا ليت الشباب يعود يوماً" لأنهم يعودون شباباً حيث ورد في غيبة النعماني والخصال والصراط المستقيم ونوادر الأخبار وبحار المجلسي عن الأئمة المعصومين: "إذا قام قائمنا أذهب الله عنهم العاهة وجعل قلوبهم كزبر الحديد، قوّة كلّ رجل قوّة أربعين رجلاً" ^(٤).

(١) كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق، ص ٦٧٥.

(٢) البحار، ٣٨٩/٥٢.

(٣) البحار، ٣٢٥/٥٢.

(٤) المعجم، ج ٤، ص ٢٨٣.

ويشعر الناس أنهم أجزاء متفاعلة متجانسة متوحدة يكمل أحدها الآخر حتى "يأتي الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ حاجته لا يمنعه" (١) أي إن الأجزاء هي في الواقع كل واحد ومكوّن واحد، وهويّة واحدة. ويعيش الإنسان العرفانيّة بأسمى معانيها حتى إنّه ليتصافح مع الملائكة "ويتصافح المؤمنون الملائكة" (٢) وهو أمر لم يتحقق من قبل للناس العاديّين البسطاء؛ لأنه كان موقوفاً على بعض الأنبياء وحدهم.

وكذلك سوف تتحوّل الموجودات الأخرى عن هيأتها المعروفة إلى هيئة أخرى مغايرة لما هو معروف بحيث إنّ الحجر والشجر يكلمان الإنسان فيفهم كلامهم ويشق به، قال النبيّ محمّد ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهوديّ خلفي تعال فاقتله" (٣).

اللافت للنظر أنّ هناك إشارة إلى هذا الأمر في فكر مدرسة الخلفاء تدعي وجود أنواع من هذه التواصليّة عند بعض الأولياء، في الوقت ذاته الذي نراهم فيه يرفضون التصديق بأنّ الله تعالى تكرم على الإمام المهديّ بمثل هذه الحقائق، ومن ذلك قول الإمام أبي ضياء الدين الوتريّ في حديثه عن الشيخ عقيل بن شهاب الدين أحمد المنبجي العمريّ أحد أحفاد الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يلقب بالغوّاص: "أعطاني الله الكلمة النافذة في كلّ شيء، ثمّ داخله الوجد فقال: وقال: يا هوام يا حجارة يا شجر صدّقوني فإني ما ادّعت باطلاً، فوفدت الوحوش من الجبل وقد ملأ زئيرها وصراخها البقاع ودارت به، ورقصت الحجارة، فهذه صاعدة وهذه نازلة، واشتبكت الأغصان بعضها ببعض، ثمّ حضر فسكت وعاد كلّ لما كان عليه" (٤).

(١) المعجم، ج ٤، ص ٤٣٥.

(٢) المعجم، ج ٥، ص ٣١١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ينظر مسلم حديث ٢٩٢١، ص ١٢٢٣.

(٤) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، للشيخ محمّد بن عثمان القاضي،

وقول اليافعي: "حكى أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز (رض) الخلافة قال رعاة الشاة في رأس الجبال: "من هذا الخليفة الصالح الذي قام على الناس؟ ف قيل لهم: وما أعلمكم بذلك؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفت الذئاب والأسد عن شياها" (١).

على كل حال تقول الروايات المتواترة إنَّ الإنسان هذا الكائن السامي سوف يتغير كذلك تغيراً مختلفاً عما جبل عليه حيث يصبح ضميره هو الرقيب والحسيب على ما يأتي به؛ لأنه ما إن ينظر إلى كفه يرى الحكم الشرعي لما يروم القيام به من عمل، والمعلومة التي يحتاج إليها دونما بحث وعناء بحيث لا تعود له فرصة التحجج بالجهل أو عدم المعرفة أو السهو، ثم إن الرقيب سيكونون قريبين منهم يرصدون حركاتهم ويصتحمون هفواتهم حيث جاء عن الإمام محمد بن جعفر عن أبيه عليه السلام: "إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيه" (٢).

ثم إنَّ التواصلية مع الإمام المهديّ سوف تكون أكثر تطوراً حتى من أجهزة الاتصال الحالية أو المستقبلية، حيث جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "إنَّ قائمنا إذا قام مدَّ الله عزَّ وجلَّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه" (٣) وقول الإمام (لا يكون بينهم وبين القائم بريد) يؤكد أنَّ هذه القدرة الخارقة لا يقصد بها استعمال أجهزة الاتصال الحديثة ذات الشاشات ومكبرات الصوت مع أنَّ ذلك ليس غريباً، بل هي قدرة جديدة تناسب ما هو عليه عصر الظهور.

وروى الصدوق: "أنَّ الإمام ينصب له عمود من نور من الأرض على

(١) روض الرياحين في مناقب الصالحين، اليافعي اليمني، ص ١٦٥.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٤٤.

(٣) البحار، ٣٣٦/٥٢.

السماء فيرى فيه أعمال العباد" (١) وفي تفسير العياشي، والخرائج والجرائح، وقصص الأنبياء للراوندي عن أبي جعفر عليه السلام في حديثه عن المهدي (عجل الله فرجه): "ولذلك يسمّى صاحب المرأى والمسمع فله نور يرى به الأشياء من بعيد كما يرى من قريب ويسمع من بعيد كما يسمع من قريب وأنه يسبح في الدنيا كلها على السحاب مرة وعلى الريح أخرى وتطوى له الأرض" (٢).

إنّ كلّ الأخبار الموجودة لدينا بل كلّ المعطيات الفكرية والعقلية والشرعية تقول إنّ الإنسان في زمن الدولة المهدوية سوف يتطوّر روحياً وفكرياً تطوّراً لم يسبق له مثيل حيث تصل البشرية إلى درجة الكمال. ووصولها إلى درجة الكمال هو المفتاح الذي سيفتح لها مجاهل الكون للتواصل مع المخلوقات الأخرى. وقد عجز بعض المسلمين عن إدراك هذه الحقيقة المدهشة، ولم تتحمّل عقولهم هذه الحقائق الدامغة، هذا طبعاً لأنها تخصّ المهدوية، ولو كانت تخصّ موضوعاً آخر سواء كان صحيحاً أم لا، وسواء كنا متفقين معهم عليه أم لا، فإنهم لا يعترضون، حيث لم نجد مثلاً من يعترض منهم على موضوع تبدّل سلوك الحجر والشجر اللذين سيخاطبان المسلم يوم المعركة الكبرى بلسان عربيّ مبين؛ ليخبراه عن اليهوديّ اللائذ خلفهما. فاستعملوا طرق المادّيين الملحدين؛؛ فضلاً عن طريقة القياس البائسة في إثبات وجهة نظر يريدون أن يجعلوها صحيحة، ويريدون من الناس أن يؤمنوا بها ويصدّقوا، حيث يدّعي طه الدليمي: "إنّ البشر لا يمكن أن تتغيّر طبيعتهم بالطفرة فيحدث الإصلاح بهذه السرعة السحرية، بل ذلك مخالف لسنة الله في خلقه القائمة على التدرّج والترقي شيئاً فشيئاً، فالانتقال من غاية الظلم والفساد إلى غاية العدل والرحمة في جيل واحد مستحيل، وإلاّ لحدث ذلك لموسى عليه السلام مع بني إسرائيل ولم يحتاجوا لأن يتهيؤوا في الأرض أربعين عاماً" (٣).

(١) المعجم الموضوعي، ص ٧١٢.

(٢) المعجم، ج ٤، ص ٥١٧.

(٣) ينظر: المهدي المتظر هذه الخرافة، مصدر سابق.

أنا من جانبي أجد أن صورة المستقبل الموعود تنبئ بأن الإنسان الحالي الذي هو بكلّ المقاييس سيّد المخلوقات مع كلّ ما تنطوي عليه شخصيته من نقص وسلبية وقسوة وأنانية ومعصية سوف يتحوّل آنذاك إلى مخلوق متكامل السلوك، كامل الأداء، في ضمن تخطيط إلهي لحركة هذا الكون، بعد أن يكون قد تعرّض في الأزمنة القريبة من الظهور إلى رجّات قويّة على يد البشر الآخرين وصفتها مصادرنا بمرحلة الظلم والجور الذي يملأ الأرض، كما يظهر من مجموعة الأحاديث الواردة في هذا البحث، ووصفتها أو سمّتها مصادر الديانات الأخرى بـ(الخراب العظيم) كما في إنجيل برنابا في الفصل الثالث والخمسين "قبل أن يأتي ذلك اليوم سيحلّ بالعالم خراب عظيم وستنشب حرب فتاكة طاحنة فيقتل الأب ابنه ويقتل الابن أباه بسبب أحزاب الشعوب"^(١).

أي: إنّ التكامل سوف يأتي بعد مرحلة الانهيار والسقوط الذي تعرّض له البشرية، التي تعيش اليوم تداعيات الانهيار وويلاته، ليرشدتهم إلى سبيل الاستقامة السلوكية الخالية من الاستلاب والظلم. والناس أنفسهم سوف يتقبلون هذا الإرشاد بقلب مفتوح وفكر واع؛ فيتهافتون على قيادة الدولة المعصومة للتخلي أمامها عن معتقداتهم السابقة واعتناق دين الإسلام بدلاً عما كانوا يؤمنون به، ممّا يسرّع في التكاملية المنشودة التي سوف تنجح لأول مرة في نقل الإنسان من طوره البشري المنقوص إلى الطور الآدمي الذي يمثل التكاملية القصوى التي هي أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكائن البشري، فتتحقق نهاية التاريخ برويتها الإسلامية التي تختلف صورتها بالكامل عن الصورة التي رسمها عراب العولمة فرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)

(١) إنجيل برنابا المحرم، ص ١٠٤.

٣ - السيطرة على الطبيعة

وفي نهاية التاريخ هذه سوف يملك الكائن البشريّ بما وصل إليه من العرفانيّة والتطوّر الروحيّ والعلميّ والسلوكيّ والإيمانيّ قدرة السيطرة الكلية على الطبيعة التي كانت من قبلُ قاسية ومتسلطة عليه، لأنّ الاقتدار على الطبيعة من خصائص العارف الحقيقيّ، وهو من الحقائق التي تؤمن بها كلّ الديانات، وقد روي عن عباد بن كثير البصريّ؛ قال: "قلت للإمام الباقر عليه السلام: ما حقّ المؤمن على الله؟

فقال عليه السلام: من حقّ المؤمن على الله أن لو قال لتلك النخلة: أقبلني لأقبلت.

قال عباد: فنظرت والله إلى النخلة التي كانت هناك قد تحرّكت مقبلة فأشار إليها: قرّبي فلم أعينك" ^(١).

المؤسف أنّ هنالك من عدّ حركة النخلة، وتكلم الإمام معها من الغلوّ والخرافات الشيعيّة التي لا يقبلها العقل، في ذات الوقت الذي يتقبّل فيه عقله سماع روايات وتصديقها؛ تشابه مضمون هذه الرواية، بل وتزيد عليها غرابة وتطرفاً، ولاسيّما أنّ الذين حرّكوا الأشجار والجبال أو كلموها لم يكونوا من ذرّيّة النبيّ الأكرم (الأئمة المعصومين) الذين كلفهم الله بواجبات حفظ الرسالة وحملها وإيصالها إلى كلّ الأجيال. ولا يملكون جزءاً حتى ولو كان صغيراً من علم أهل البيت عليهم السلام وقدسيّتهم ومكانتهم، وأنّ ما أتوا به - إن صحّ ذلك - كان لخدمة مكانتهم الشخصيّة الدنيويّة، وتمجيد ذاتهم، ورفع شأنهم في أعين الناس أكثر منه عملاً يقصد به وجه الله تعالى أو خدمة دينه الحنيف. ومنه مجموعة النقول أدناه، وهي نقول أوردتها على سبيل المثال، وليس للتهكم بأصحابها كما قد يتبادر إلى ذهن من يؤمن بنظرية المؤامرة ويحاول تحريف

(١) المهديّ الموعود، مهديّ شمس الدين، ص ١٦ - ١٧.

القول عن مواضعه، لأنني لا أنكر أن يكون الله سبحانه قد أجرى بقدرته وعلمه نوعاً من الكرامات على أيدي العرفانيين من عباده المكرمين:

في طبقات الشافعية ٤ / ٣٣٩ - ٣٤٠ "أن شجرة رمان تكلمت مع الشيخ إبراهيم بن أدهم حيث قالت له: يا أبا إسحاق أكرمني بأن تأكل مني شيئاً" قالت ذلك ثلاث مرات " وكانت شجرة قصيرة رمانها حامض، فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها وحملت في العام مرتين. وسميت رمانة العابدين!"^(١).

ومثلها رواية أخرى تدعي أن كرامات الأولياء هذه تنتقل بالوراثة إلى أبنائهم اليافعين الذين لا يؤمن شرهم، حتى ولو لم يكونوا يملكون علماً وفقهاً. كما في حديثهم عن أبي عبيد البصري الدمشقي وكراماته التي قالوا فيها: "وكان له ابن صغير يخرج مع صبيان القرية يحتطبون من يابس أشجار التين والكروم، وفي أحد الأيام عاد إلى أهله ومعه حزمة حطب وبيده تين أخضر

فقال له والدته: من أين لك هذا التين الأخضر في الشتاء؟

فقال: قلت لرفقتي: تحبون أطمعكم تيناً أخضر؟

فقالوا: نعم.

قال: فتوضأت للصلاة ركعتين، ثم دعوت بالدعاء الذي دعا به والدي البارحة، وسألت الله أن يطعمنا من تينة كنا عندها تيناً أخضر. فأطعمت لوقتها فأكلنا منها وحملنا. وكان والده يسمع قوله لأمه؛ فقال أبو عبيدة لامرأته: أعظم الله أجرك فيه!

فقال له: بالله إن فعلت، فإذا بالصبي ميت، فأخذوا في جهازه، وأوردوه في حفرتة!

(١) معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة، علي فرج العبدالله، ص ٥٤.

فَسُئِلَ الشَّيْخَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: خَشِيتُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ عَلَى قَرْيَةٍ فَتَهْلِكُ!!^(١).

أَيُّ إِنَّ الشَّيْخَ البِسْرِي الدَّمَشْقِي كَانَ يَمْلِكُ قَدْرَةَ الْإِمَامَةِ وَالْإِحْيَاءِ أَيْضاً بِدَلَالَةٍ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ الْقِصَّةَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: (أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ فِيهِ) وَهِيَ جُمْلَةٌ تَقَالُ لِتَصْبِيرٍ مِنْ يَفْقَدُ عَزِيزاً. وَبِدَلَالَةٍ أَنَّ زَوْجَتَهُ تَرَجَّتَهُ أَنْ لَا يَمِيتَ وَلَدَهُ، وَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلُ فَقَالَتْ: (بِاللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ) وَلَكِنَّ الصَّبِيَّ وَقَعَ مِيتاً بَعْدَ نِيَّةِ الشَّيْخِ عَلَى إِمَاتَتِهِ مَبَاشَرَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَلْمَسَهُ أَوْ يَلْحَقَ بِهِ أَدَى جَسَدِيّاً! وَلَا أُدْرِي لِمَ لَمْ تَسْتِخْدِمِ قَوَاتِ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ آنَذَاكَ هَذَا الشَّيْخَ لِإِمَامَتِهِ الْأَعْدَاءِ!

كَمَا جَاءَ فِي (سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ)^(٢) فِي الْمَعْنَى نَفْسِهِ عَنْ عَصَامِ بْنِ رَوَادٍ قَالَ: "سَمِعْتُ عَيْسَى بْنَ حَازِمِ النَّيْسَابُورِي يَقُولُ: كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهْمٍ فَنَظَرْنَا إِلَى أَبِي قَبِيْسٍ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً مَسْتَكْمِلَ الْإِيمَانَ يَهْزُ الْجَبَلَ لِتَحْرُكِهِ، فَتَحْرُكُ أَبُو قَبِيْسٍ فَقَالَ: اسْكُنْ لَيْسَ إِيَّاكَ أَرَدْتُ!" فَهَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَبَا قَبِيْسٍ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ فِي يَوْمٍ مَا؟

لِذَا نَحْنُ لَا نَسْتَغْرِبُ مِنْ أَنْ يَتَكْرَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمَخْلُصِينَ بِالْكَرَامَاتِ، وَلَا سِيَّمًا أَنَّهَا مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي آمَنَتْ بِهَا الْأُمَّمُ الْأُخْرَى أَيْضاً تَبَعاً لَمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِمُ الْمَقْدَسَةِ فِي إِنْجِيلِ مَرْقَسِ ١١: ٢٢ هُنَاكَ قَوْلُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِتَلَامِيذِهِ جَاءَ فِيهِ: "مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ قُمْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ سَيَكُونُ، تَمَّ لَهُ ذَلِكَ"^(٣).

فَلِمَ إِذَنْ يَأْتِي مَنْ يَكِيلُ بِمَكْيَالِينَ، فَيُؤْمِنُ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَلَا يُؤْمِنُ أَنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ يَنْكُرُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى قَدْ مَنَعَ عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مِثْلَ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ الَّتِي تَنْتَاسِبُ كَلِيّاً وَنَهَجَهُ الَّذِي سَوْفَ يَنْتَهَجُهُ لِإِصْلَاحِ الْكُونِ كُلِّهِ،

(١) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ مَعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، ص ٦٣.

(٢) سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، ج ٧، ص ٣٩٣.

(٣) الْإِنْجِيلُ، ص ٦٩.

في الوقت نفسه الذي تكرم به الله سبحانه على غير المهديّ بمثل هذه الكرامات، وهم لا يملكون منهجاً مميّزاً؟

أعود وأقول إنّ التكاملية التي سينشرها الإمام المهديّ في الكون سوف تُسَيّد قيم الخير والروحانيّة والعرفانيّة، وتقضي على القيم البالية ممّا سيسهم في تطوير النزاهة الوجدانيّة المطلقة ونموّها في نفس الإنسان الأدميّ، وفي نفس الكائنات الكونيّة الأخرى كلّها بما يجعلها مستعدّة للبدء بالمسير الختاميّ نحو الله لاختتام مسيرة الكدح الطويلة^(١) وتحقيق اللقاء المرتقب ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢).

٤ - التبدّل العلميّ

لهذه التكاملية الخلقية والخلقية أسباب؛ منها: فضلاً عمّا هو روحيّ خالص علميّ خالص، ومنها التكامل العلميّ الذي وصفه الإمام عليّ عليه السلام في إحدى خطب نهج البلاغة التي هي في صفة القائم بالقول: "فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون"^(٣) أي: إنّ المجتمع سوف يتحوّل بكلّ تبايناته العقلية والتفكيرية إلى مجتمع عالم لا يحتاج فيه المرء إلى العلوم الموجودة عند الآخرين من قومه ولا يحتاج إلى التعلم من الغرباء حسبما جاء في مختصر بصائر الدرجات في خطبة طويلة للإمام عليّ عليه السلام: "ويقذف في قلوب المؤمنين العلم فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه"^(٤)، وما جاء في غيبة النعماني: "وتؤتون الحكمة في زمانه حتى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله"^(٥).

إنّ تحوّل المجتمع كلّه إلى مجتمع حوزويّ علمائيّ متكامل فكريّاً بحيث

(١) ينظر: تكامل الإنسان، محمّد عبد الجبار الشبوط، ص ٣٧.

(٢) سورة الانشقاق، الآية ٦.

(٣) الهيئة والإسلام، الشهرستاني، ص ١٢٤.

(٤) تنبؤات النبيّ والأئمة لأحداث الأمة، الشيخ مهديّ خليل، ص ٢٤٧.

(٥) غيبة النعماني، ص ٢٤٥، باب ١٣، حديث ٣٠.

لا يحتاج أحدهم إلى طلب العلم عند الآخرين يجعل من أمر الكونية شيئاً سهلاً ميسوراً.

وكما أكدت الروايات موضوع (المال) وأهميته في عصر ما قبل الظهور أكدت كذلك موضوع (العلم) حيث أخذت الإشارات للمبتنيات العلمية للدولة المهدوية حيزاً كبيراً في الأحاديث والروايات الدلالية للدلالة على أهمية العلم القصوى، ولعلاقته بعصر الظهور كما هي علاقة المال، وعلاقته بالصعود إلى الفضاء وغزوه؛ لأنه السلطان الذي يتم النفاذ بموجبه إلى الأكوان الأخرى حسبما جاء في الآية المباركة: ﴿يَمَّمَشَرَّ الْجَيْنَ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ قَائِمٍ﴾^(١).

والسلطان: هو البرهان أو الملك أو مطلق الحجّة، وفي الميزان للطباطبائي: "وقيل المراد بالنفوذ المنفي في الآية ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ النفوذ العلمي في السماوات والأرض ومن أقطارهما"^(٢)، وكأنّ الله تعالى يدعوهم إلى تحصيل العلم الذي يسمح لهم بالنفاذ إلى الأكوان.

ولما كانت خلاصة كلّ العلوم سوف تجتمع بيد الإمام المهدي فإنّ نفاذه إلى الأكوان والمجرات حق لا يرتاب به، وهذا النفاذ لن يكون لأجل المتعة أو الاطلاع وإنما لأجل نشر رسالة الإسلام ليظهرها على باقي الأديان ويتحقق الوعد.

وكما بلورت النظريات الاقتصادية الحديثة دور المال في حياة الشعوب المعاصرة كذلك بلورت النظريات العلمية دور العلم في هذه المجتمعات، إذ يرى الباحثون أنّ عصرنا الراهن هو عصر الحتمية الكبرى لحضارة العلم وعلم الحضارات بعد أن نجحت النهضة العلمية التي انطلقت أواسط القرن التاسع عشر في بناء قواعد الانطلاق والانفتاح العلمي التي قادت العلماء لاكتشاف

(١) سورة الحمن، الآية ٣٣.

(٢) الميزان، ج ١٩ ص ١٠٧.

الكثير من الجوانب العلميّة واختراعها التي لم تكن معروفة من قبل، وهي التي تكللت في ثمانينات القرن العشرين بثورة المعلومات والاتصالات التي أسهمت من جانبها في نقل المعارف والعلوم إلى كلّ بقاع الأرض ممّا أسهم في إحداث نهضة حضاريّة علميّة يقول المتخصصون إنّ مقدارها الكميّ والنوعيّ يزيد على مقدار كلّ العلوم التي جناها الإنسان من قبل في كلّ تأريخه.

دفعت هذه النهضة العالية الأمم إلى صياغة مشاريع تحديثيّة وبنائها في المجالات كافة حيث انتشرت التكنولوجيا الحديثة في العالم حتى إنّ مصطلح (الإنسان حيوان ناطق) تحوّل كما يقول الدكتور معن زيادة إلى (الإنسان حيوان تكنولوجياي)^(١) وتحوّلت تسمية جيل الشباب الذي يقصد به الجيل الحالي إلى اسم "الجيل الرقمي" وقد مكنت هذه المشاريع التحديثيّة الكثير من الأمم في غزو الفضاء وإرسال الرواد الفضائيّين إلى مناطق سحيقة البعد في الكون، ثمّ إنّ الإيمان بنظريّة إمكانية التواصل البريديّ والوجاهيّ مع مخلوقات الأكوان الأخرى صار أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال، هذا إذا لم يكن قد تحقق فعلاً، ولذلك أطلق بعضهم على هذا العصر اسم عصر تكامل العلوم أو الإنسان الأخير.

لكن حتى في هذه الحالة نجد نسبة العلوم المتداولة والمتنامية مقارنة مع نسبة ما سيظهر به الإمام المهديّ من علوم لا يمكن أن يخضع إلى قانون المقايسة؛ لأنّ كلّ هذه العلوم لن تشكل سوى جزء بسيط ممّا سيأتي به الإمام من العلوم.

فإذا كانت كلّ علومنا الحاضرة على قلتها مقارنة بالعلوم المهدويّة قد نجحت في قيادتنا إلى غزو الفضاء والنزول والمسير على سطح القمر، وجلب التراب من الكواكب الأخرى إلى المختبرات الأرضيّة والسياحة في الفضاء

(١) معالم على طريق تحديث الفكر العربي، الدكتور معن زيادة، ص ١٣.

للبحث عن المخلوقات الفضائية والتوغل في عمق الكون السحيق، وإرسال المختبرات العلمية إلى حافات المجرات، فإنَّ الكونيَّة المهدويَّة والتنقل في الأكوان في عصر المهديّ سيكون حتماً أسهل من التنقل في شوارع المدن الداخلية.

أي إنَّ التطوُّر العلميِّ المعاصر يدلُّ على تمكن المهدويَّة من اختراق حجب الأكوان من دون عناء اعتماداً على العلوم الماديَّة فقط حتى من دون حاجة إلى العلوم الروحانية والكرامية التي يمتلكها الإمام المهديّ، في الأقل تصديقاً لآية النفاذ بسلطان العلم التي مرّت علينا قبل قليل، فكيف إذا ما كانت الإرادة الإلهية هي التي شاءت أن تدخر تكامل فنِّ الصنائع كلها والتوصل إلى كلِّ النتائج العلمية التي كانت عالقة أو غير متحققة أو منجزة إلى زمن الدولة المهدويَّة؟

ألا يعني هذا أنَّ التطوُّر والتقدّم غير المسبوق الذي سيسهم في خلق التطوُّر الروحيِّ والعلميِّ التكامليِّ سيكون النتيجة الحتمية لتحقيق آمنيات ومشاريع الأنبياء والأوصياء والصالحين، الذي يرفع مكانة الإنسان إلى درجة مصافحة الملائكة والتنقل بين الأكوان والاختلاط بسكانها والتكلم معها من دون عائق؟

وإذا ما كان هنالك من يعتقد استحالة تحقق أمر الكونيَّة تبعاً لحجم معارفه أو معارف العلوم المعاصرة، فإننا بلا شكّ نؤمن أيضاً أنَّ ذلك كله لا يمكن أن يتحقق إلّا بعد أن يتخلص الكائن من أدرانه النفسيَّة والعقائديَّة والجسديَّة والفكريَّة الموروثة من الماضي المنحرف، ويعتق المعتقد الخالص النظيف المتكامل، لأنَّ تخلص الإنسان بالذات من هذه الأدران يحقق وجود المجتمع الأدميِّ المؤهل للعيش في أفياء الحكومة المهدويَّة، هذا المجتمع القادر على التواصل الفعليِّ مع نظائره في الأكوان الأخرى التي سيكون الإمام المهديّ حينها قد ساقها إلى حظيرة الإيمان بالله الواحد الأحد ورسالة النبيِّ محمد ﷺ فمع هذه التكامليَّة تصبح للإنسان قدرة اختراق حجب العلم

ومتعارفاته الفيزيائية والفلكية حتى من دون الحاجة إلى استعمال الأجهزة والآلات والوسائط لهذا الاختراق "إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق" وفي رواية مشابهة أخرى: "إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه"^(١) أعود وأقول إنّ ذلك سوف يتمّ حتماً بطريق إعجازيّ أيضاً وليس عن طريق الآلات المعروفة فحسب؛ لأنّ استعمال الآلات المعروفة لا ميزة فيه ولا جذب، ولاسيّما أنها متاحة للبشر البسطاء.

وعلى سبيل المقايسة أقول: إذا كان هناك نوع من التطوّر الروحيّ بمستويات متدنية محدودة قد تحقق على الأرض من قبل وفق سنن الله التدرجيّة على مدى التاريخ؛ ففي غالب الأحيان كان هذا المشروع ينتكس ويعود إلى الوراء في حقب قياسية؛ فموسى عليه السلام مثلاً فارق قومه مدّة قصيرة جداً؛ فعادوا في أثنائها إلى عبادة الأوثان والعجول ونسوا مشروعه القيميّ الذي أتاهم به من السماء، أمّا في العصر المهدويّ؛ وبسبب اختفاء عوامل التأثير السلبيّ، وطغيان الروح العرفانيّة والإيمانيّة فسيكون التطوّر مطرداً ومتصاعداً ومتصلاً ومن دون رجوع إلى الوراء؛ لأنّ ثمة علاقة بين التطوّر الروحيّ والتقدّم المادّي "بمعنى أنّ التطوّر الروحيّ لا بدّ أن ينتج تطوّراً علميّاً ومادّيّاً بما في ذلك انفتاح خيرات الله على البشر"^(٢).

إنّ التكامليّة في الحياة تقتضي أنّ يحتاج المرء إلى غيره... وحيث إنّ السعي إلى التكامليّة بالتواصل مع الآخر أمر لا يمكن للإنسان إنكاره أو إلغاؤه؛ فإنه اعتقد بوجود حاجة ضروريّة إلى الدخول مع الآخرين في المعاملات، وهذه المعاملات قد تكون عائليّة، أو أخويّة، أو أسريّة، أو

(١) المعجم، ج ٥، ص ٣٠٩.

(٢) تكامل الإنسان، محمّد الشبوط، ٥٧ - ٥٨.

اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية أو... وهي مهما كان نوعها يدخل التعاطي بين الأفراد بعضهم بعضاً أمر أساسي فيها^(١) إن هذا التطور والتكامل والحاجة إلى التعامل مع الآخر سوف تخرج في زمن الدولة المهدوية من طورها البشري الأرضي الموروث لتمتد في عمق الأكوان؛ لأنها تملك مقومات هذا الامتداد، وسيستج عن هذا التبدل الجوهرى عصر جديد لا يمكن لنا أن نتصور حقيقته أبداً؛ لأن ذلك العصر المخبوء في علم الغيب لن يكون مشابهاً لأي عصر آخر من تلك العصور التي مرت على البشرية، أو التي يُعتقد أن التطور العلمى سيقود الإنسانية إليها الآن أو مستقبلاً وحتى إلى ما قبل الظهور بزمن يسير.

وهذا بحد ذاته يعني أن أمر الكونية تبعاً لهذه المتغيرات سيكون سهلاً، ولا توجد معوقات تحول دون تحقيقه، لا من حيث القدرات الفكرية والجسدية، ولا من حيث الإمكانات المادية والعلمية، ولا من حيث القدرة الإعجازية الكرامية للإمام المهدي (عجل الله فرجه) التي يصفها الإمام عليّ (عليه السلام) بقوله: "ويعرف من الله ما لم يعلم أحد" وهي التي قال عنها (عليه السلام) في مناسبة أخرى؛ وهو يتحدث عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه): "يعلمه الله فوق ما تعلمه الذي عنده علم من الكتاب"^(٢) وفي (الروض المغرس): "المهدي (عليه السلام) مضيء الوجه، بديع القسمات، يملك عقلاً لا كعقول البشر لأنه يتلقى الأحكام بالإلهام"^(٣).

ولذلك سيفتح الله كل الأبواب أمام الإمام المهدي والشعب المهدوي؛ أو كما قال الإمام عليّ (عليه السلام): "وما يكون من باب مغلق إلا يفتحه الله للمهدي ولو كان وراء الباب بحار وأنهار وجيوش وقعايق سلاح"^(٤).

(١) فن التعامل مع الناس، ص ١٦.

(٢) المفاجأة، محمد صبحي داود، ص ٥٠٨.

(٣) الروض المغرس في فضائل بيت المقدس، الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عمر الشافعي.

(٤) المفاجأة، ص ٥٠٨.

هذه الكرامات وهذا العطاء الإلهي يعني أنّ المهديّة سوف تنجح عند قيام دولتها الكونيّة ليس في صنع الإنسان الكامل الفريد فحسب، هذا الإنسان الذي تمنى رسول الله ﷺ ومن بعده الإمام عليّ عليه السلام أن يصلأ إليه ولكن لم يتحقق لهم ذلك لحكمة إلهية. هذا الإنسان الذي كان الأنبياء كلهم والأوصياء كلهم يأملون الوصول إليه ولكن لمشيئة الله سبحانه لم ينجحوا في تحقيق ذلك. هذا الإنسان الذي بحث عنه الفلاسفة القدماء ومنهم الفلاسفة العرب مثل أبي نصر الفارابي (٢٥٧ - ٣٣٩) ومحيي الدين بن عربي^(١) ولم ينجحوا حتى في تصور هيأته الحقيقيّة. وإنما بمشيئة الله وقدرته سوف تنجح المهديّة في صنع الكائن الكامل والإنسان الكامل، الذي سيرتقي من كمال الإنسانيّة إلى كمال الآدميّة، وهي أعلى مرحلة؛ من الممكن أن يصل إليها، وهي التي لم ينجح بالوصول إليها في أيّ مرحلة من مراحل حياته من قبل؛ سوى الأنبياء والأئمّة المعصومين عليه السلام وأصحاب الإمام الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ولا يقف أمر التطوّر عند هذه الدرجة المثاليّة الراقية أو عند هذا الحدّ؛ بل يتعدّاه إلى أمر في غاية الأهميّة والعظمة والكبر لم يتعامل مع معطياته الكاملة أحد من قبل من كلّ مخلوقات الله بكلّ درجاتهم ورتبهم ومنازلهم، وأقصد به تفتح المجالات العلميّة فائقة التطوّر التي وصلت إلى مراحل الكمال النهائي والخواتيم النهائيّة التي لا تطوّر بعدها، بعد أن يكون الإمام قد طرح إلى الساحة سبعة وعشرين حرفاً من أصل سبعة وعشرين حرفاً هي مجموع حروف المنظومة العلميّة الإلهيّة، وكلّ العلم الذي خلقه الله سبحانه ومن دون كلمة (قليلاً) التي وردت في آية ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ حيث جاء عن الإمام الصادق عليه السلام "العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا

(١) ينظر: في الدفاع عن روايات المهدي، مهديّ حسينيّات قمّي.

أخرج الخمسة والعشرين حرفاً في الناس وضمّ إليه الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً^(١).

وأقول هنا على سبيل المقايسة أيضاً: إنه ورد في أحاديث المدرستين أن الله تعالى قسم رحمته إلى مئة قسم أنزل منها قسماً واحداً لتتعامل به المخلوقات فكانت كلّ الرحمة التي تظهر في السلوك التعامليّ اليوميّ من ذلك القسم، وأذخر تسعة وتسعين قسماً يحاسب بها عباده يوم القيامة. ومن بركات هذا القسم الواحد أن حنت الأمّ على ابنها والابن على والديه، والأخ على أخيه والحيوان على الحيوان والإنسان، والإنسان على الإنسان والحيوان، فكانت الرحمة قوام بقاء المخلوقات بشراً ودوابّ إلى يومنا هذا، وستبقى إلى يوم الدين. فكيف ستكون عند استعمال باقي الأقسام يا ترى؟

كذلك عاشت البشريّة وتطوّرت وتقدّمت وترفّعت وغزت الفضاء واخترعت الأدوات وعبدت الله بقسمين أو بجزئين فقط من العلم، فأصبحت كما هي عليه اليوم، فكيف ستكون الحال عندما يستعمل الإمام المهديّ أقسام العلم الباقية والبالغة خمسة وعشرين قسماً؛ فضلاً عن القسمين المعمول بهما الآن يا ترى؟

وإذا كانت البشريّة منذ آدم ﷺ وإلى يوم الظهور المرتقب قد نجحت في ترتيب أمورها كلّها بحرفين (جزءين) فقط من العلم، ووصلت إلى ما هي عليه اليوم وما تأمل بالوصول إليه في المستقبل القريب من غزو المجرّات إلى السياحة في مجاهل الكون إلى الاتصال بالكائنات الفضائيّة، فإنّ السبعة والعشرين حرفاً أو جزءاً التي كانت مدخّرة، ولم يطلع عليها أحد من قبل أو اطلع عليها بعض أنبياء الله؛ ولكنهم لم يجدوا مكاناً أو حاجة لاستعمالها، سوف تفتح آفاقاً هائلة تجعل الفارق بين كلّ علومنا المتراكمة؛ سواء منها المكتسبة وراثياً أم المستحصلة بحثياً قطرة صغيرة في بحرها، ووجه المقارنة

(١) البحار ٥٢ / ٣٣٦ وفي المعجم (سبعة وعشرون جزء) ج ٥، ص ٣٠٧.

بين الاثنين كما هي مقارنة علوم العصر الحجريّ بعلوم العصر الراهن، ومثل مقارنة جزء الرحمة النازلة مع التسعة وتسعين جزءاً المدّخرة عند الله لحساب العباد يوم الحساب.

وهذا التطوّر الخارق لسنن الطبيعة ونواميسها بحجمه المهول الذي يبدو عليه قد يكون السبب الذي دفع بعض المسلمين للاستغراب من تمكن شخص معين بإحداث كلّ هذا التغيير في مجتمع ملياريّ العدد، ومتخّم بكلّ أنواع الأسلحة التدميريّة الفتاكة. والدكتور الدليمي واحد من هؤلاء الذين شلّ هذا تصوّر فكرهم؛ فلم يستوعبوه على أصوله العلميّة والعقائديّة؛ ولذا نراه يقول مستهزئاً: "ثمّ إنه يستحيل عقلاً على شخص واحد أن يملأ الأرض عدلاً بعد أن تمتلئ جوراً ولاسيّما بعد أن كثر سكان الأرض فصاروا بالمليارات. وعندهم من الإمكانيّات الهائلة والأسلحة المدمّرة والقدرة على الفتك والمقاومة اللهمّ إلّا على افتراض أن تفتى البشريّة فلا يبقى منها سوى قرية صغيرة واحدة يحكمها هذا (المهديّ) وعند ذلك يمكن لشيخ قبيلة بإمكانيّات بسيطة أن يبسط العدل المطلوب في تلك القرية فلا حاجة لوجود سوبرمانات أو طرزانات بشريّة"^(١) وهو لا يدرك أنه يستهزئ بهذا القول من نفسه ومن عقيدته قبل غيره ويفضح جهله، إذ إنه لو كان مطلعاً على علوم المهديّة وفكرها، وعارفاً بالتبدّلات التي سوف تحدث في عصر الظهور ما كان قد أوقع نفسه بهذا الإشكال!

أنا من جانبي أجد أنه من سابع المستحيلات أن يكون الانفتاح العلميّ الخارج عن حدود الوصف والتصوّر مدّخراً للقرية الصغيرة التي تكلم عليها طه الدليمي ولا حتى للأرض وحدها؛ لأنه أكبر من حاجة الأرض وهي بكامل تطوّرها ملايين المرّات، وإلّا ما كان الله سبحانه قد حجبه من قبل عن

(١) المهديّ المنتظر هذه الخرافة، مصدر سابق.

أنبيائه أو منعهم من استعماله لو كانت الحاجة إليه قائمة في أي مرحلة من مراحل التاريخ البشريّ ممّا يعني أنه مدّخر لوجود أكبر من حجم هذه الأرض وأوسع، فهو واقعاً يسع الأكوان كلّها، كما تسع رحمة الله المخلوقات كلها منذ الأزل وإلى النسخ بالصور، وهذا من مصاديق كونيّة الحكومة المهدويّة.

فقد شاءت الإرادة الإلهيّة للإنسان أن يعرف حدّاً معيّنّاً من العلوم ﴿وَمَا أُوتِئْتُمْ مِنْ أَعْلَامٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنّ العلم كما يقول د. سروش: "لا يقترون دائماً بالخير والحسن والبركة، ففي بعض الحالات يترتب عليه آثار سيئة للغاية" (١) وهذه حقيقة يدركها العارفون بل ويدركها عامّة الناس وبسطائهم، لأنّ الإنسان الذي حصل على علومه في ضمن هذه المحدوديّة التي وصفها الله تعالى بأنها (قليلاً) نجح بالرغم من ذلك في إنتاج أسلحة الدمار والفتك الشامل، وملاً مخازنه بقوة تكفي لتدمير الأرض كلّها عشرات المرّات، فماذا كان سيفعل لو امتلك قدرات علميّة أعلى من هذه المحدوديّة القليلة يا ترى؟ لو كان هتلر يملك قدرات أكبر ممّا كان لديه، ماذا كان سيصنع؟ لو أنّ أمريكا التي تسعى اليوم إلى السيطرة على العالم كانت تملك قدرات أكبر من القدرات المتاحة لها اليوم، ماذا كانت ستصنع؟

نستخلص من هذا أنّ أسرار العلوم التي ادّخرها الله سبحانه للإمام المهديّ لها بالتأكيد قدرة فعل المعجزات، في حين غزو الأكوان لم يعد بحدّ ذاته معجزة بعد أن نجحت الدول في ذلك من دون كثير عناء، ولذلك ستكون هذه العلوم مجتمعة بيد الإمام المهديّ؛ لكي تيسّر له القيام بالتغيير الكونيّ المطلوب؛ لأنّ حروف العلم السبعة والعشرين ومكملاتها النصرويّة الأخرى التي سنذكر بعضها لاحقاً بشيء من التفصيل، من الممكن أن تحقق هذه الكونيّة بل وتجعلها أسهل ممّا نتوقع بكثير.

(١) الدين العلماني، سروش، ص ٤٧.

٥ - الآليات المتطورة

؛ فضلاً عن النصر الماديّة والاقتصاديّة والسلوكيّة هناك نوع آخر من النصر الماديّة التي هي جزء من منظومة متكاملة للنصرة التي أعدها الله سبحانه للإمام المهديّ تتعلق بنوع الآليات التي سيمكنه الله تعالى من استعمالها استعمالاً تقليديّاً أو إعجازيّاً؛ حيث ورد في الحديث أنه ﷺ يقدم بسبع قباب من نور؛ أي: سبع مراكب فضائيّة لها أنوار مشعّة، أو سبعة آليات نورانيّة لا تدرك عقولنا ماهيّتها، وقد جاء عن الإمام الصادق ﷺ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجَيْنَ وَالْإِنسِ إِنْ أَسْطَعْتُمْ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُدُوا لَا تُنْفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ قِيَّامٍ﴾ قال: "ينزل القائم يوم الرجفة بسبع قباب من نور لا يُعْلَمُ في أيّها هو حتى ينزل ظهر الكوفة" الحظ هنا قول الإمام (لا يُعْلَمُ في أيّها هو) فهو من الأمور الاحترازيّة الأمنيّة التي لم تكن معروفة من قبل، حيث يقوم المسؤولون والرؤساء المعاصرون في إخفاء وجودهم عن الأعداء المحتملين بالتمويه في المركبات المغلقة حتى لا يُعْرَفَ في أيّ مركبة يركبون.

كما جاء في رؤيا يوحنا: "وعندما التفتُّ نحو الصوت رأيتُ كأننا يشبه ابن الإنسان يقف وسط سبع منائر من ذهب ويرتدي ثوباً طويلاً إلى الرجلين" (١).

ومن مخطوطة ترجع إلى القرن السادس الميلاديّ منسوبة إلى شخص اسمه (سير التازي) تتحدّث عن نبوءات آخر الزمان ذكرها صاحب كتاب المفاجأة، هذا النصّ: "يملك النهرين وما وراء النهر ورايته تكون فوق الثلج ويحبّها الطير وله طير كالطير هكذا قال نبيّهم الذي بشر أنه يملك كلّ الدنيا" (٢) فما هو قصده بقول (وله طير كالطير) يا ترى؟

(١) المسيح المنتظر، عباس الزبيدي عن التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٢٧٥٥ - ٢٧٥٦.

(٢) المفاجأة، محمّد عيسى داؤد، ص ٥٢٥.

إنّ الانتقال بقباب النور التي يقصد بها الإمام الصادق المراكب الفضائية، أو مراكب من جنس البراق الذي عرج به النبي ﷺ إلى السماء يعني أنه ينتقل بوساطتها بين المجرات والأكوان. وإلاّ فهو ليس بحاجة لاستخدام هذه الواسطة ولا بحاجة إلى استخدام لمركبات الفضائية للتنقل بها في سماء أرضنا نظراً إلى أنه مفضل بكرامة طيّ الأرض التي تغنيه عن استعمال المركبات الفضائية.

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أنّ بعض الروايات التي ادّعت أنّ للدجال أيضاً بعضاً من القوى الخارقة كما في الحديث الذي أخرجه ابن حماد في الفتن، وابن أبي شيبّة في المصنف، والحاكم في المستدرک، والسيوطي في الدر المنثور، والكشميري في التصريح، والمتقي الهندي في البرهان عن النبي ﷺ أنه قال: "بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعاً، وخطوة حمارة مسيرة ثلاثة أيام، ويخوض البحر على حمارة كما يخوض أحدكم الساقية على فرسه..."^(١) فإذا صدقتا بهذه الرواية وأخذنا بها على اعتبار أنّ الدجال سوف يخرج أيضاً بالآيات وقدرات غير مسبوقّة تتناسب من حيث القوّة والنوع وبعض آليات عدوّه الإمام المهديّ؛ فإنّ مجرد هزيمة الدجال على يدي المهديّ وأعوانه يؤكّد أنّ العلوم والقوى التي بين يدي المهديّ أقوى آلاف المرّات ممّا بين يدي الدجالين كلهم. وأكبر ممّا تحتاج إليه الأرض، وعندذاك ستكون هذه العلوم هي الأداة التي تقود جيوش المهديّة إلى الأكوان.

٦ - الإلهام اللغويّ

ومن النصرة أيضاً أنّ الله سبحانه سوف يمكّن الإمام المهديّ من التكلم مع كلّ قوم بلغتهم ولهجتهم من دون حاجة إلى مترجم أو مساعد، وهنا قد يقول بعضهم إنّ ذلك ليس بالأمر المعجز؛ لأنّ الدول الكبرى تملك في هذا العصر مؤسسات ترجمة فيها أشخاص يجيدون أغلب اللغات المعروفة وحتى

(١) المعجم، ج ٢، ص ١٩٠.

اللغات القديمة منها، بل إنَّ بعض وكالات الأنباء العالميّة تبث أخبارها بثلاثين أو أربعين لغة فأين الإعجاز؟ وأقول جواباً: إنَّ الإمام المهديّ لم يدرس اللغات في مدرسة كما فعل المختصّون بالترجمة، بل تلقاها إلهاماً، وأنَّ البشريّة مهما تطوّرت لا يمكن أن تجود بشخص واحد له قدرة الإلمام باللغات واللهجات الأرضيّة كافة، ومن يجيد من هؤلاء أكثر من لغة مهما كثرت يجهل بالكامل لغة الكائنات الفضاويّة؛ بل لا تعرف كيف يخاطب هذه الكائنات أو كيف تتخاطب فيما بينها، في حين نجد الإمام ملماً بلهجات أهل الأرض ولغاتهم وسكان السماء كلهم.

إنَّ البشريّة بعد جهد جهيد نجحت في معرفة بعض المفردات التخاطبيّة لأنواع راقية من الحيوانات مثل الدولفين والقرود لا تزيد مفرداتها على عدد أصابع اليد، أمّا حينما يأتي الإمام المهديّ؛ فإنه سوف يكلم الطيور والحيوانات الأخرى، بل والموجودات الأخرى كالحجر والشجر بنصّ الحديث النبويّ، وذلك لكي تكون البيانات والدعوات التي يصدرها ويوجهها للخلائق مفهومة للجميع. أي: إنه سيأتي وهو يملك قدرة التكلم مع جميع الخلائق كما يشير إلى ذلك حديث الإمام الصادق عليه السلام: "ثمَّ يصيح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربيّ يسمع من في السموات والأرض: يا معشر الخلائق هذا مهديّ آل محمّد بايعوه ولا تخالفوا أمره"^(١).

وقوله عليه السلام: (بلسان عربيّ) أي: بلسان صحيح فصيح مفهوم للخلائق كلها، كلُّ منهم يسمعه بلغته ويفهمه كما هو اللسان العربيّ مفهوم بالنسبة للعرب. وقوله (من عين الشمس) يقصد به من السماء العليا؛ لأنَّ الشمس كانت بمفهوم الناس آنذاك أعلى موجود يمكن رؤيته، وهي قطب الكون. وقوله (يا معشر الخلائق) يقصد به كلّ الخلائق وليس الإنسان وحده فقط.

وفي رواية أخرى مشابهة قال الإمام الصادق عليه السلام: "فإذا طلعت الشمس

وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي بين يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد بايعوه ولا تخالفوا أمره فتضلوا، فإن أول من يقبل يده الملائكة ثم الجن، ثم النقباء ولا يبقى ذو أذن إلا سمع ذلك النداء" (١).

فانظر إلى قوله ﷺ: (أول من يقبل يده الملائكة ثم الجن ثم النقباء) وانظر إلى قوله: (ولا يبقى ذو أذن إلا سمع النداء) والأذن ليست مخصوصة بالإنسان وحده؛ فكل الكائنات لها آذان أو أعصاب سمعية أو قدرة على سماع الأصوات، وسماعها للنداء يوجب عليها إعطاء البيعة للإمام. إن عدم استثناء الإمام الصادق لأحد من أصحاب الأذان أي: المدارك والإحساس، يؤكد أن سكان الأكوان الأخرى ملزمون باتباع المهدي؛ وهذا يؤكد كونية المهمة المهدوية. وفي حديث عن الصادق ﷺ: "يحبّه ساكن الأرض وساكن السماء" (٢).

وفي (المفاجأة) وصف جميل لهذه المعرفة؛ فالكاتب وبنصّ أخذه من الكتب القديمة شبه فيه مقدرة الإمام المهديّ على التخاطب مع كلّ كائن بلغته وكأنها وجه له ألف لسان كلّ واحد منها يتكلم بلغة قوم من الأقوام، ويقول النصّ المقتبس: "ومنه يخرج نداء كلّ زمن من وجه واحد له ألف لسان" (٣).

هنا يجب أن ندرك أن معرفة الإمام المهديّ لألسن الكائنات ولغاتهما ليس مقصوراً عليه وحده؛ وإنما هو من موجبات التكليف الرساليّ لبيّن للناس أنّ بين الحجّة والمحجوج فرقاً كبيراً، إذ جاء في الأخبار أنّ رسول الله ﷺ وأهل البيت المعصومين ﷺ كانوا جميعهم يمتلكون هذه النصرة، وفي رواية سأل أحدهم الإمام عليّ بن موسى الرضا ﷺ: "يا بن رسول الله لم سميّ

(١) البحار ٥٣ / ٧.

(٢) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٠٦.

(٣) المفاجأة، محمد عيسى داود، ص ٥٣٠.

النبي الأمي؟ فقال ﷺ: ما يقول الناس؟ فقال الرجل: يقولون: إنه سُمِّيَ الأمي لأنه لم يكن يحسن أن يكتب أو يقرأ!

فقال ﷺ: كذبوا على رسول الله، حسبهم الله، إذن كيف يقول الله في محكم كتابه المجيد وبيانه الحكيم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن أصلاً؟ والله لقد كان رسول الله يقرأ ويكتب بعدد لغات أهل الأرض والسماء مما علمه عالم السرِّ وأخفى، وإنما سُمِّيَ (بالأمي)؛ لأنه كان من أهل مكة، ومكة أم القرى، وذلك تجده في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلْيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

وورد في الكافي عن المفضل بن عمر قال: "أتينا إلى باب أبي عبد الله ﷺ ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه فقلت: أصلحك الله أتيناك ونريد الإذن عليك فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية فتوهمنا أنه السريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك، فقال: نعم ذكرت إلياس النبي ﷺ وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل فقلت كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قساً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه" (١).

كما روى أبو حمزة خادم الإمام العسكري ﷺ: "إنه كثيراً ما سمع العسكريّ يكلم غلماناً بلغاتهم وفيهم ترك وروم وصقالبة، فيتعجب من ذلك ويقول في خاطره من دون أن يظهر صوته: هذا - في إشارة للإمام - ولد بالمدينة ولم يظهر على أحد حتى توفي أبوه ولا رآه أحد فكيف يتحدث هذا؟ وحين خطر له هذا خاطر أقبل عليه العسكريّ ﷺ وقال: إن الله أبان حجته من سائر خلقه، وأعطاه معرفة كل شيء فهو يعرف اللغات والأنساب

(١) الزام الناصب، ج ١، ص ٣٥.

والحوادث ولولا ذلك لم يكن بين الحجّة والمحجوج فرق^(١) إذن هي مسألة فرق بين الحجّة والمحجوج، ولما كان الإمام المنتظر هو حجّة الله على عباده؛ فمن المؤكد أنه يختلف عنهم في هذه الناحية؛ لكي لا تكون لهم عليه حجّة، وتكون له الحجّة عليهم.

ونجد في تراث المسلمين أقوالاً عن حديث الكائنات الحيّة والجمادة في آخر الزمان؛ على أنّها واحد من أشراف الساعة، ففي مستدرك الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره بما أحدث أهله من بعده"^(٢).

إنّ هذا النوع من النصرّة الرّبانيّة الخاصّة تجد من ادّعاء - كما هي باقي المكرّمات - للعامّة ولبعض البسطاء الذين وجدوا من يحبّهم ويدّعي أنّ لهم معجزات وفضائل وكرامات، حيث ورد في شذرات الذهب قول الحنبلي نقلاً عن المناوي في حديثه عن شمس الدين محمّد السروي الشهير بابن الحمامات: "إنه كان يتكلم بالسنن غير عربيّة من عجم وهند ونوبة"^(٣) بما يؤكد أهميّة توفر هذا النوع من النصرّة وعلى درجات متفاوتة لكلّ حامل مشروع تجديديّ وتغييريّ، ولذا تجد أنّ هذه النصرّة كما كان وجودها مهمّاً في مشاريع الأئمّة المعصومين ﷺ من قبلُ ستكون مهمّة لمشروع الإمام القائم (عجل الله فرجه) بل هي من مقوّمات نهضته؛ لأنه سيأتي لكلّ الأمم البشريّة وللمخلوقات الكونيّة الأخرى التي يتكلم كلّ منها بلغة مختلفة عن لغة غيره. والإشارة إلى هذا الشأن فيها رمزيّة لا تخفى على أحد فكأنّ الأئمّة يريدون باطلاع

(١) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٣٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم الحسكاني، الجزء ٤، ص ٥١٤، حديث رقم ٨٤٤٢/١٥٠.

(٣) معجزات الأنبياء كرامات الأولياء، مصدر سابق، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، بدحي بن أحمد بن محمّد بن عماد العكري الحنبلي، ص ١٨٧.

أصحابهم على هذه المقدرّة الإلهاميّة أن يقولوا للاثنتين مستقبلاً من أتباعهم والسائرين على نهجهم: إنّ هذه الكرامة ستكون إحدى الآليات المساعدة في المشروع المهديّ عند قيام الدولة المهديّة المرتقبة التي ستأتي للكون كلّها.

ثمّ إنّ تكريم الله سبحانه على آل البيت الكرام بوراثه علوم الأنبياء كلها يؤكد وجود هذه الكرامة لدى الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وقد ورثها عن آبائه عن رسل الله عن نوح ﷺ، ففي سفر التكوين: "فقال الله لنوح نهاية كلّ البشر قد أتت أمامي؛ لأنّ الأرض أمتلئت ظلماً منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فلകاً من الخشب، فها أنا آتي بطوفان الماء على الأرض لأهلك كلّ جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كلّ ما في الأرض يموت ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بيتك معك، ومن كلّ حيّ من كلّ ذي جسد اثنين من كلّ تدخل على الفلك لاستبقائها معك"^(١).

والسؤال: بأيّ لغة تكلم نوح مع الحيوانات ودعاها لتأتي إليه عند السفينة، ثمّ أدخلها تحت إمرته وإطاعته ولم تخالف أمره، فلم يعتدّ الحيوان المفترس على غيره من الحيوانات، ولم تلدغ الأفعى، ولم يغادر الطير لأكثر من خمسة أشهر مكثت في السفينة لحين انتهاء الطوفان الذي استمرّ المطر ينهمر في أثنائه مدّة أربعين يوماً؟ إنّ الجواب الطبيعيّ لهذا السؤال هو أنّ نبيّ الله نوح ﷺ كان يعرف لغة الحيوانات وكان يتكلم معها بلغاتها. وكذلك ورث الإمام الحجّة هذه الكرامة عن نبيّ الله سليمان الذي فهم ما تكلمت به النملة كما يخبرنا القرآن الكريم.

ولابدّ من أنّ هذه الوراثه كانت معروفة لدى باقي المسلمين لما وجدوا أثرها عند أهل البيت ﷺ، وربّما لهذا السبب ادّعوا لرموزهم كما ادّعوا فضائل آل الأخرى؛ وهناك قصص كثيرة بهذا الخصوص منها ما يخصّ

(١) التوراة، سفر التكوين.

(الصحابيَّ أو التابعيَّ) أبا مسلم الخولاني^(١) عن حديثه مع الحيوانات متمثلة بالطائر الذي وقف على سنان رمحه ليخبره عن السريّة التي غابت أخبارها: "أنّ السريّة قد سلمت وغنمت وسترد عليكم هذا اليوم" تماماً كما نقل الهدهد إلى نبيّ الله سليمان ﷺ خبر أهل مملكة سبأ.

ومنها في حديثهم عن أحد رجال الطريقة الصوفيّة النقشبندية: "ويحكون أنّ شيخهم علمه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية ويخدمهم بإخلاص، وأنه اجتمع مرّة بكلبٍ وحرباء، فحصل له من لقاها بكاء عظيم، وسمع لهما تأوّهاً وحنيناً فاستلقى كلّ منهما على ظهره، ورفع الكلب قوائمه الأربع إلى السماء وأخذ يدعو الله، وكذلك فعلت الحرباء، والشيخ واقفٌ يقول: آمين، يؤمّن على دعاء الكلب والحرباء"^(٢).

(١) هناك اختلاف بين العلماء وأصحاب نظريات الصحبة بشأنه فيما إذا ما كان صحابياً أم تابعياً لأنهم قالوا انه أسلم في زمن البعثة ولكنه لم ير النبي ﷺ.
 (٢) ينظر: موقع صيد الفوائد، الرابط <http://www.saaaid.net/feraq/sufyah/1/6.htm> عن المواهب السمرديّة في مناقب النقشبندية ١١٨ - ١١٩ الأنوار القدسيّة في مناقب النقشبندية ١٣٠.

الفصل الرابع

مصاديق التطور الروحي

التطوّر الروحي

فضلاً عن مصاديق التطوّر المادّي التي ستسهم في تحقيق الكونيّة المهدويّة هناك مصاديق أخرى تخصّ الجانب الروحيّ تأتي قبال التطوّر المادّي؛ لكي تسهم المصاديق بمجموعها في تحقيق الكونيّة وامتداد سلطة الحكومة المهدويّة إلى الفضاء والمجرّات الكونيّة.

فالمهديّ المنتظر وإن لم يكن نبياً إلاّ أنّ مهمّته تعدّ أكبر من مهامّ جميع الأنبياء؛ لأنّه سوف يحقق ما عجز الأنبياء عن تحقيقه ليس لعجز فيهم أو لتقصير منهم (حاشاهم الله)؛ وإنما لأنّ الله سبحانه شاء ذلك وفقاً لبرنامجه المعدّ للأكوان، إذ من المعروف أنّ الله سبحانه أعطى نوعاً من هذه النصرّة المحدودة للأنبياء منها التقاء موسى ﷺ بالخضر، ومنها الملائكة الذين نصرّوا المسلمين ونبينا الأكرم ﷺ في غزوة بدر الكبرى. أمّا النصرّة التي ادّخرها للقائم فهي نصرّة من نوع جديد؛ وهي النصرّة الكاملة التي سيكون من مصاديق تكاملها اشتراك الأنبياء أنفسهم في نصرّة الإمام المنتظر، وكأنّ الله سبحانه جيّش كلّ جيوش الخير؛ لتقضي على الشرور إلى الأبد.

١ - النصرّة بالأنبياء والأولياء

أول نصرّة روحية سيمدّ الله سبحانه بها الإمام المهديّ؛ هي نصرّة الأنبياء والمرسلين، وهذا النوع من النصرّة الكاملة سيوفره الله تعالى للإمام المهديّ ليس محدداً بنوع أو بشخص أو بأداة بذاتها، بل بكلّ هذه الأنواع مجتمعة. فالخضر ﷺ لم يكن نبياً؛ ولكنه كان يعي أموراً ويدرك حقائق خفيت على موسى ﷺ؛ وهو من الأنبياء أولي العزم. والخضر مع امتلاكه لهذه المنزلة

السامية العالية التي سخرها الله تعالى له، والأعلمية الكبيرة التي تفوق أعلمية الكثير من الأنبياء، وتصل في بعض مراحلها إلى درجة العلم ببعض الغيبات المستقبلية التي لا يعلمها البشر سيكون أحد المساعدين للإمام المهدي في مهمته، وسيكون تحت إمرته ومن ضمن الملاك الوظيفي لدولته، وهي نصره روحية لم تتحقق لأحد بهذا الشكل والمضمون في السابق باستثناء قصة النبي موسى، ولاسيما أنّ القرآن الكريم أورد نقاش الخضر مع موسى؛ وكأنّ فيه شيئاً من الاستعلاء كما في قوله "هذا فراق بيني وبينك" أي: عليك الآن أن تفارقني لأنك لم تطق الصبر على ما أقوم به إلى أن أخبرك بمغزى عملي وغايته.

ثم إنّ عيسى عليه السلام سيكون هو الآخر في نصرته، وأحد أركان دولته، وروايات نزول عيسى وصلاته خلف المهدي ومساعدته في إقامة دولة الحق والقتال بين يديه، متفق عليها بين المسلمين، وهي من التواتر بحيث أصبحت من المسلمات البديهية، رغم اختلافها من حيث المضمون أحياناً؛ فضلاً عن إيمان المسيحيين بالعودة الثانية للسيد المسيح.

ولو كان أمر الإمام المهدي شأناً أرضياً لما كان الخضر والمسيح يأتیان بأمر الله ليكونا من مساعديه، بل لو كانت البشرية وحدها هي المحتاجة إلى هذه التعاضدية لكان الله سبحانه قد نصر نبيه محمداً عليه السلام حامل آخر رسالة سماوية بالخضر والمسيح عليه السلام وأهل الكهف والرقيم أيضاً الذين سيكونون من ضمن ملاك دولة الإمام المهدي، حيث جاء عن ابن عباس أنّ رسول الله قال: "أصحاب الكهف أعوان المهدي"^(١) وفي البحار: "تقوم الروم إلى ساحل البحر عند كهف الفتية فيبعث الله الفتية من كهفهم مع كلبهم منهم رجل يقال له مليخا وآخر خملاها؛ وهما الشاهدان المسلمان للقاء". وأخرج السيوطي في الدر المنثور قول رسول الله ﷺ: "الفتية من أنصاره"^(٢).

(١) المعجم، ج ١، ص ٣٣١.

(٢) ينظر: المفاجأة، محمد عيسى داود، ص ٣٥٦.

ومننه ندرك أنّ هذه النصره قد اذخرها الله للإمام المهديّ وحده دون سواه؛ لأنه سبحانه أرسله للعالمين كافة؛ أي: لكلّ البشر الموجودين على الكرة الأرضيّة والمخلوقات الموجودة في الأكوان الأخرى، في حين المعروف أنّ الله سبحانه لم يرسل من قبلُ نبياً في مهمّة مثل هذه من حيث الحجم والمساحة، وهو عمل يحتاج إلى مثل هذه النصره التي لم تقع لأحد من الأنبياء ممّن كلفوا بأعمال أرضيّة سابقاً، ممّا يعني أنّ هذه النصره مدخرة لشأن عظيم جدّاً سوف يخرج عن حدود الأرض والسماء المعروفتين إلى مجاهل الأكوان التي لم يرها أو يسمع عنها أحد من قبلُ شيئاً. بما يستوجب وجودها لتحقيق هذا الهدف الكبير.

ثمّ إنّ الله (سبحانه) سوف ينصره بالأبدال الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: "الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً" وفي حلية الأولياء عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "خيار أمتي في كلّ قرن خمسمئة والأبدال أربعون، فلا الخمسمئة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمئة مكانه، وأدخل من الأربعين مكانهم" (١) وفي الفردوس والجامع الصغير وكنز العمال وفيض الغدير في صفة الأبدال عن النبيّ ﷺ: "ثلاث من كنّ فيه فهو من الأبدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها: الرضا بالقضاء، والصبر على محارم الله، والغضب في ذات الله" (٢) فتصوّر أن يكون مع الإمام المهديّ خمسمئة شخص أو خمسمئة وأربعون شخصاً مثل نبيّ الله إبراهيم خليل الرحمن؛ فماذا من الممكن أن يصنعوا. كذلك سوف ينصره الله بالنبيّ إلياس عليه السلام؛ ليكون من ضمن ملاك دولته (٣) وهناك في الروايات أنّ إلياس صعد إلى السماوات العلى برحلة إسرائيّة بين الكواكب؛

(١) المعجم، ج ٢، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) المعجم، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) المعجم، ج ٤، ص ٤٣٩.

فانظر كيف يتساقق هذا الإسراء وصعود المهدي المرتقب إليها، وسوف ينصره الله تعالى ببقايا قوم موسى ﷺ "يأتيه الله ببقايا قوم موسى ويجيء له أصحاب الكهف" (١).

وهنا يطرح سؤال مهم نفسه: لِمَ هؤلاء الأنبياء من دون غيرهم أعدوا لنصرة الإمام المهدي من بين ذلك الكم الكبير من الأنبياء الذين تقول الروايات إن عددهم فاق مئة وأربعة وعشرين ألف نبي؟

والجواب عن ذلك نجده في نوعية الأنبياء الذين اختارهم الله من دون سواهم؛ فالخضر الذي هو ليس نبياً، وهو الذي من المؤكد أن مرتبته أعلى من مرتبة الكثير من الأنبياء، تميّز بمعرفة العلوم بأنواعها كافة؛ ومنها جزء من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه؛ وهو ما يحتاج إليه مجهود الإمام المهدي تحديداً.. وعيسى ﷺ سيكون النبي المقدّس لغالبية سكان الأرض يوم الظهور إذ إن عدد الأمم التي تؤمن برسالته يفوق عدد المسلمين كثيراً؛ وهي مسألة معروفة والإمام المهدي يحتاج إليه؛ لكي يمنع أتباعه من محاربة جيوش الإمام؛ لكي يتفرغ الإمام لحرب الكفار في الأكوان كلها. وأهل الكهف أنموذجات تتوسم فيها مجاميع الشباب في العالم مثلاً يحتذى به، وسيقنع قدامهم الشباب للالتحاق في مسيرة الثورة المهدوية. والأبدال والأخيار سيكونون أخلص الناس للثورة والمدافعين الحقيقيين عنها ونصرتهم تسهم في إنجاح الثورة بالتأكيد، يؤيد هذه الحقائق أن الإمام المهدي سوف يكون منصوراً أيضاً بمدّخرات الأنبياء للربط بين الأنبياء ومدّخراتهم الإعجازية لتأمين النصر الكلية.

٢ - النصر بمدّخرات الأنبياء

ولا تقف النصر عند الأنبياء والأولياء الذين سينزلون للعمل في ملاك

(١) المعجم، ج٤، ص٢٠٩.

الدولة المهدوية الوظيفي؛ لتقديم النصرة الروحية للمجتمعات، بل تتعداه إلى النصرة بذخائرهم، وهي الأخرى التي تمثل ترابطاً روحياً بين الناس والقصص الإعجازية الموروثة للمدخرات، لأنّ الروايات تقول إنه (عج) يقدم أو ينزل إلى الأرض بسرير سليمان ﷺ الذي كان يتنقل به في السماء حيث جاء عن الإمام الباقر ﷺ قوله: "ويسير نحو الكوفة وينزل على سرير سليمان وبيمينه عصا موسى" والأمم حينما تراه يطير بيساط سليمان حاملاً عصا موسى سوف تؤمن بالتأكيد أنه وارث الأنبياء.

كما روى نعيم بن حماد في الفتن قول رسول الله (عليه أفضل السلام): "إذا افتتحتم رومية فادخلوا الكنيسة الشرقية؛ فاعقدوا سبع بلاطات، ثم اقلعوا الثامنة؛ فإن تحتها عصا موسى والإنجيل طرياً وحلي بيت المقدس" (١).

وفي إثبات الهداة ٣/ ٧٠٠ عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان قال: "ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلا ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها على يد قائمنا، لإتمام الحجّة على الأعداء" (٢).

وفي مستدرك الوسائل وإثبات الهداة والأصول الستة عشر عن محمد بن عليّ ﷺ: "... معه سلاح رسول الله ومغفر رسول الله ودرع رسول الله وسيف رسول الله" (٣) وفي روايات متفرقة يظهر المهديّ ومعه راية رسول الله ودرعه وقميصه وسلاحه (٤) وفي رواية عن الصادق ﷺ: "سيفه ودرعه وعمامته وبرده ورايته وقضيبه وفرسه ولأمته وسرجه" (٥) وعن عبدالله بن شريك قال: "مع المهديّ راية رسول الله ﷺ [المغلبة] ليتني أدركته وأنا جدع" (٦).

(١) كتاب الفتن، نعيم بن حماد المروزي.

(٢) المعجم الموضوعي، الكوراني، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) المعجم، ج ٤، ص ٣٦٥.

(٤) المعجم، ج ٥، ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠.

(٥) معجم أحاديث المهديّ ج ٣، ص ٤٩٧، حديث ١٠٦٨.

(٦) العرف الوردی للسيوطي، ص ١١١.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: "عصا موسى قضيب من غرس الجنة أتاه بها جبرائيل لما توجه تلقاء مدين؛ وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية ولن يبليا ولن يتغيرا حتى يخرجهما القائم إذا قدم"^(١).

هذا، وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام قوله: "يركب المهديّ الهواء لا بسحر ولا بفتنة عين بل بعلم يعرفه من سبقوه [يقصد من سبقه من الأنبياء والمخلصين الذين أعطاهم الله هذه الميزة] فيعمل منه أمثال الجبال تسبح في بحر السماء [يقصد مركبات فضائية كبيرة جداً تشبه الجبال في حجمها تكفي لانتقال جنده بها] ويرقى في أسباب السماوات والأرضين، ويعرف من الله ما لم يعلم أحد من كلّ أهل الأرض أيامه، ولا تمرّ الأيام حتى يقطع كلّ الأرض من أعلاها وتحتها شبراً بشبر وذراعاً بذراع وحوضاً بحوض"^(٢) أي: إنّ النصره لن تقتصر على حضورهم بأجسامهم بل ويعلمهم أيضاً.

وأقول في هذه المناسبة إنّ هنالك من أتباع المدارس الإسلامية من ادّعى امتلاك القدرة على ركوب الريح والتنقل بواسطتها لبعض من يحبّهم مع أنهم ليسوا بحاجة لذلك، وليس لديهم برامج ربّانية يبغون تنفيذها لإصلاح الكون كما هو الإمام المهديّ، حيث جاء في (شذرات الذهب) قول ابن العماد الحنبلي نقلاً عن المناوي: "توفي شمس الدين محمّد السروي الشهير بابن الحماثل سنة ٩٣٢ هجرية، وكان كثير الطيران من بلد لآخر"^(٣).

وهناك من قال إنّ في الأوّلين من امتلك مثل هذه القدرة كما ورد عن ابن الجوزي في المنتظم في رواية أوردناها لكم من قبل، أجتزئ منها قوله: حكى أبو الحسين بن جعفر المنادي: أنّ هشام بن محمّد، والشرقي بن قطامي قالوا: "وكان أول من ملك الدنيا من أولاد آدم جمشاد بن بونجهان، من ولد

(١) المعجم، ج ٥، ص ٩٠.

(٢) المفاجأة، محمّد عيسى داود، ص ٤٧١.

(٣) شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٨٧.

قاييل وكان يقطع الدنيا كلَّ يوم كما تقطعها الشمس، يضحى بالشرق ويمسي بالمغرب، ملكها بين آدم ونوح" (١).

وهذا يعني أنّ وجود مَدَّخِرَاتِ الأنبياء ومعجزاتهم كلّها مع الإمام المنتظر يدلل على أنه مكلف بإنجاز مهمّات كلّ الأنبياء والمصلحين السابقين المؤجّلة، أو التي لم تتحقق في حياتهم، دفعة واحدة، ومكلف بإتمام مشاريعهم كلّها.

أمّا الأرض يوم الظهور وقبله فمهما عنت وتجبرّت، ومهما كبر طاغوت الإنسان فيها لا تحتاج إلى تجميع مَدَّخِرَاتِ مئة وأربعة وعشرين ألف نبيّ أو حتى مجموعة معيّنة من الأنبياء دفعة واحدة للقيام بعمل تغييريّ في حدود جغرافيتها المعروفة. ثمّ إنّ التكبّر والتجبرّ والعتوّ في زمن الأنبياء لم يكن أقلّ ممّا هو عليه اليوم أو سيكون عليه وقت الظهور؛ بل كان متساوقاً وطبيعة الحياة والنظم المعروفة، ودرجة التقدّم العلميّ للشعوب والسلوكيّات المجتمعيّة في كلّ عصر من عصور الأنبياء، وما ورد في حديث النبيّ الأكرم ﷺ: "بعثت بين جاهليّتين لأخراهما شرّاً من أولاهما" (٢) يعني أنّ الجاهليّة الأخيرة ستكون أقسى من الجاهليّة الأولى من حيث أنّ الجاهليّة الأولى كانت بعيدة عهد بالرسالات، أمّا الثانية فإنها تجحد الرسالة المحمّديّة ولا تعترف برسالات أنبيائها، ومن حيث امتلاكها الآليّات والقوى التي أفرزها التطوّر العلميّ والمجتمعيّ التي ستساعد على إيقاع الأذى وإلّا فإنما تشتركان من حيث التحلل السلوكيّ والأخلاقيّ والعقديّ بدلالة قوله ﷺ: "سيجيء أقوام في آخر الزمان وجوههم وجوه الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين؛ أمثال الذئاب الضواري ليس في قلوبهم شيء من الرحمة سفاكون

(١) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب ذكر من ملك الأرض كلّها.

(٢) المعجم، ج ١، ص ٤٧٧.

للدماء لا يرعون عن قبيح...^(١) فهذا الحديث يبيّن أنّ أخلاق أهل آخر الزمان ستكون مثل أخلاق عتاة الجاهليّة الأولى الذين كانت وجوههم وجوه الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين؛ وهم الذين حاربوا الإسلام منذ ولادته وعذبوا وقتلوا المؤمنين بالرسالة المحمّديّة وقاطعوهم وهجروهم وحاربوا بعد ذلك مشاريعهم الإصلاحية العظيمة فركنوهم بعيداً عن مسير الأحداث. وهم الذين يقاثلون المهديّة وفكرها اليوم ويدّعون أنّها خرافة. وهم الذين سوف يستقبلون المهديّ كما استقبل أجدادهم القرشيّون رسول الله ﷺ شاهرين سيوفهم متهيئين للقتال.

نعم ورد عن الفضيل بن يسار قوله: "سمعت أبا عبد الله يقول: إنّ قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشدّ ما استقبله رسول الله ﷺ من جهّال الجاهليّة قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخر والعيّدان والخشب المنحوتة. وإنّ قائمنا إذا أتى الناس وكلهم يتأوّل عليه كتاب الله ويحتجّ به عليه. ثمّ قال: أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ"^(٢) وفي حديث آخر عن أبي حمزة الثماليّ قال: "سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: إنّ صاحب هذا الأمر لو قد ظهر لقي من الناس ما لقي رسول الله ﷺ وأكثر"^(٣) إلا أنّنا يجب أن لا نغفل حقيقة أنّ المنقذ لن يظهر ليقابل جباري عصره وعتاته بآليّات الأنبياء والمصلحين السابقين وأساليبهم نفسها؛ ومنها آليّات النبيّ محمد ﷺ وأساليبه، والإمام عليّ ﷺ ممّا قد يخلق تفاوتاً في ميزان القوى بين الجانبين، بل سوف يظهر مدعوماً بوسائل وآليّات تفوق ما لدى أعدائه كثيراً، ولا قدرة للمتجبرين على التصدّي لها مطلقاً؛ فضلاً عن أنّ هذه الآليّات ستكون أقوى من تلك التي كانت عند الأنبياء في زمانهم.

(١) المعجم، ج ١، ص ٤٧٦.

(٢) غيبة النعماني، ص ٣٠٧، باب ١٧، حديث ١.

(٣) المصدر نفسه، غيبة النعماني، ص ٣٠٨.

كذلك إنه لن يسير مع العصاة والمعترضين عليه بسيرة النبي ﷺ الرحيمة لسبب لم يفهمه الجاهلون؛ فظنّوا أو حاولوا تسويق هذا التباين بين العامة على أساس أنّ مهديّ الشيعة لا يسير على سيرة النبي ﷺ وهذه حقيقة وردت هي؛ وسببها عن زرارة بن أعين قال: "قلت للباقر ﷺ أيسير بسيرة محمّد ﷺ؟ قال: هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته. قلت: جعلت فداك، لم؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ سار في أمته باليمن، كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل، وذاك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتیب أحداً، ويل لمن ناوأه" (١) ومعنى هذا أننا حقاً وصدقاً نؤمن عن يقين أنّ الإمام المهديّ لن يسير على سيرة النبي ﷺ، ولكن في شأن واحد فقط؛ أراد أعداء المهدوية أن يعتموه على كامل السيرة النبوية؛ ليوهموا الناس بعدم إسلامية مهديّ الشيعة، وهذا الشأن يتناسب وطور الدولة المهدوية؛ فالنبي ﷺ كان يتألف الناس؛ لكي يدخلهم في هدي الله لأنهم مشركون، أمّا الإمام المهديّ فسيفاتل أقواماً دينية تدّعي أنها تؤمن بالله؛ ولذا لن يستتیبهم ومن هنا جاء الخلاف بين السيرتين وهو الخلاف الذي سعى بعض المغرضين إلى توظيفه لظعن الأطروحة المهدوية في الفكر الشيعي؛ وقد فات هؤلاء أننا نقول إنّ الإمام المهديّ لن يسير كذلك مع أعدائه بسيرة الإمام عليّ ﷺ التسامحية كما ورد عن أبي خديجة عن أبي عبدالله ﷺ أنه قال: "إنّ عليّاً ﷺ قال: كان لي أن أقتل المولّي وأجهز على الجريح؛ ولكنّي تركت ذلك للعاقبة من أصحابي إن جرحوا لم يقتلوا، والقائم له أن يقتل المولّي ويجهز على الجريح" (٢) وعن الحسن بن هارون بياع الأنماط قال: "كنت عند أبي عبدالله ﷺ جالساً فسأله المعلى بن خنيس: أيسير القائم إذا قام بخلاف سيرة عليّ ﷺ؟ فقال: نعم، وذاك أنّ عليّاً سار باليمن والكف، لأنه علم أنّ شيعة

(١) غيبة النعماني، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ باب ١٣ حديث ١٤.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٣٧، حديث ١٥.

سيظهر عليهم من بعده، وأنَّ القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي، وذلك أنه يعلم أنَّ شيعته لن يظهر عليهم من بعده أبداً^(١).

أي: إنه (عج) سيكون الطرف الأقوى في هذه المنازلة وفي هذه المعادلة. وما عدا ذلك؛ فإنَّ الأذى واقع في الحالين وفي العصرين، ولكن لا يخفى أنه في كلِّ عصر كان يتساقق - كما قلنا - والإمكانيات الماديَّة والعلميَّة للعصر ذاته، فالجاهليَّة هي الجاهليَّة في كلِّ عصر وأوان، ولذلك قال المختصُّون: إنها من الجهل ضدَّ الحلم وليس الجهل ضدَّ العلم، فلكلِّ عصر علومه التي يسخرها لخدمة توجهاته سواء كانت سالبة أم موجبة.

ونعود لنقول: لِمَ لَمْ ينصر الله تعالى أيَّ نبيِّ بالأنبياء ويمدِّخرات الأنبياء الذين سبقوه من قبل؟ ولِمَ ادَّخرت هذه الممدِّخرات للمهديِّ من دونهم مع أنه ليس نبيّاً، لو لم يكن مشروع المهدويَّة يحتاج فعلاً لهذا النوع من النصرة العالية؛ لأنه مشروع يشمل الأكوان كلها، وليس محكوماً بحدود الكرة الأرضيَّة كما كانت رسالاتهم التي جاءوا بها؟

٣ - النصرة بالملائكة

قد نصر الله تعالى أنبياءه، وتخلَّص عباده بالملائكة في مواطن كثيرة في ضمن البرنامج الإلهيِّ الكونيِّ، وكان الأنبياء على اطلاع على نوع هذه النصرة وحدودها حيث جاء في إنجيل برنابا أنَّ السيِّد المسيح ﷺ قال لأحد أصحابه الذي أراد التصدِّي ليهودا وجموع رؤساء الكهنة الذين جاؤوا لاعتقاله: "ردَّ سيفك إلى مكانه لأنَّ كلَّ الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون. أتظنُّ أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. فكيف تكتب الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون.....؟ وأمَّا هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء"^(٢) كما جاء في أعمال الرسل من إنجيل برنابا

(١) المصدر نفسه، غيبة النعماني، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ حديث ١٦.

(٢) الإصحاح السادس والعشرين - برنابا الإنجيل المحرم، حسن علي الصائغ.

أيضاً: "وامتلات قلوب رؤساء الكهنة والصدوقيين غيرة فوضعوا التلاميذ بالحبس ولكن جاءت الملائكة وحررتهم فذهبوا إلى الهيكل" وقد جاء في الروايات والأحاديث أن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) سيكون كذلك منصوراً بجند الله وملائكته؛ ليجمع كلّ الخلائق على توحيد الله، ولذلك أطلقت عليه بعض كتب الأمم الأخرى لقب (قائد الملائكة) كما ورد في كتاب (باسك) الهندي: "سيتتهي الأمر في آخر الزمان حول دين حاكم عادل وهو قائد الملائكة والجنّ والإنس، والحقّ والصدق يكون معه" ^(١). هذا وقد ورد أن الإمام علياً عليه السلام كان منصوراً بالملائكة وقائداً لها، إذ ورد في إحدى خطبه قوله: "أنا قايدهم الأملأك" ^(٢) كما كان الأئمة المعصومون (عليهم السلام أجمعين) منصورين بالملائكة أيضاً.

والروايات التي تتحدّث عن أنواع الملائكة وأعدادهم الذين ينصرون الإمام المهديّ وينتصرون له قولاً وعملاً تؤكد أنّ مثل هذا الأمر لم يتيسّر بهذا الحجم لأحد من الأنبياء من قبل. بل إنّ عدم تحديد الله سبحانه لعدد جنوده وملائكته الذين سوف ينصرون الإمام المهديّ، وكما يبدو بالشكل المطلق الذي سيتضح لنا بالروايات يعني أنه سبحانه سوف ينصره بعدد غير محدود يفوق آلاف المرّات عدد الملائكة الذين نصر بهم النبيّ محمّداً عليه السلام في غزوة بدر الكبرى لأنّ ملائكة بدر سيكونون جزءاً صغيراً من أقسام الملائكة الذين ينصرون الإمام المنتظر، إذ جاء في غيبة النعماني عن عليّ بن أبي حمزة، قال: "قال أبو عبدالله عليه السلام إذا قام القائم صلوات الله عليه نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف" وفي الهداية للحضيني عن مدلج بن هارون بن سعيد قال: سمعت أمير المؤمنين يقول لعمر في كلام طويل: "... ويؤيده الله بالملائكة والجنّ" ^(٣) وفي الترمذي وكنز العمال وتذكرة القرطبي وتحفة الأشراف عن

(١) المعجم، ج ١، ص ٧٠.

(٢) إلزام الناصب، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٣) المعجم الموضوعي، ص ٤٠٨.

النبي ﷺ: "فلو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه ويُظهر الإسلام" (١) وفي البحار ومنتخب الأثر ونوادر الأخبار وأمالي الشيخ الصدوق عن رسول الله ﷺ: "لَمَّا عُرِجَ بي إلى السماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى ومن السدرة إلى حجب النور ناداني ربّي (جلّ جلاله) يا محمّد أنت عبدي وأنا ربك فلي فاضع وإيتاي فاعبد وعلّي فتوكل فإني قد رضيت بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبيّاً..... وبالقائم منكم أعمار أرضي بتسيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيرتي وتمجيدتي وبه أظهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى... وأمدّه بملائكتي لتؤيّدته على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذلك وليّ حقاً ومهديّ عبادي صدقاً" (٢) وفي إلزام الناصب عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام: "وعدد أصحابه حينئذ ستة وأربعون ألفاً من الملائكة وستة آلاف من الجنّ، وفي رواية أخرى ومثلها من الجنّ بهم ينصره الله ويفتح على يديه" (٣) وفي كامل الزيارات عن أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام: ".. فينشر راية رسول الله ﷺ... فينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمئة وثلاثة عشر ملكاً، قلت: كلّ هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم، الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك مع النبيّ مسؤمين، وألف مردفين، وثلاثمئة وثلاثة عشر ملائكة بدرين، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين... " (٤) وفي كامل الزيارات وثواب الأعمال ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب ووسائل الشيعة والبحار وغيرها عن أبي عبدالله عليه السلام:

(١) المعجم، ج ١، ص ١٦١.

(٢) المعجم، ج ١، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) إلزام الناصب، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٤) المعجم الموضوعي، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

«وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحُسَيْنِ عليه السلام سَبْعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ يَصْلُونَ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ شَعْنًا غَيْرًا مِنْذُ يَوْمِ قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ. يَعْنِي بِذَلِكَ قِيَامَ الْقَائِمِ»^(١).

والأمر أكثر من ذلك لأنَّ جبرائيل وإسرافيل وهما سيِّدا الملائكة سيكونان في مقدّمته وساقته حيث جاء في الاختصاص عن حذيفة قال: "سمعت رسول الله يقول: إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السماء أيّها الناس قطع عنكم مدّ الجبارين، وولي الأمر خير أمةٍ محمّد فالحقوا بمكة. فيخرج النجباء من مصر، والأبدال من الشام، وعصائب العراق رهبان بالليل ليوث بالنهار كأنّ قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام. قال عمران بن حصين: يا رسول الله صف لنا هذا الرجل؟ قال: هو رجل من ولد الحسين كأنه من رجال شنوءة عليه عباءتان قطوانيتان، اسمه اسمي، فعند ذلك تفرح الطيور في أوكارها، والحيتان في بحارها، وتمدّ الأنهار، وتفيض العيون، وتنبت الأرض أكلها. ثم يسير؛ مقدّمته جبرائيل، وساقته إسرافيل، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً"^(٢) وروى نعيم بن حماد المروزي في الفتن وابن حجر في الصواعق وغيرهم عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "يمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم" وفي تذكرة القرطبي عن النبي صلى الله عليه وآله: "فلو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه يظهر الإسلام"^(٣) وفي غيبة النعماني وأعلام الورى والبحار ومنتخب الأثر وغيرها قال أبو عبدالله عليه السلام: "إذا قام القائم صلوات الله عليه نزلت ملائكة بدر؛ وهم خمسة آلاف، ثلث على خيول شهب، وثلث على خيول بلق، وثلث على خيول حوّ، قلت: وما الحوّ؟ قال: هي الحمر"^(٤) وفي تفسير العياشي وإثبات

(١) المعجم، ج ٥، ص ٢٥٩.

(٢) المعجم الموضوعي، الكوراني، ص ٤١١.

(٣) المصدر نفسه، المعجم الموضوعي، ص ٤١١ - ٤١٢.

(٤) المعجم، ج ٥، ص ٢٦٤.

الهداة والبرهان والبحار ونور الثقلين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: "إنَّ الملائكة الذين نصرُوا محمّداً عليه السلام يوم بدر في الأرض ما صعّدوا بعدُ، ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر، وهم خمسة آلاف" ^(١) وفي مختصر بصائر الدرجات من خطبة طويلة للإمام عليّ عليه السلام في أصحاب القائم: "ومن الملائكة أربعون ألفاً" ^(٢).

والنصرة في عصر الظهور سوف تكون بالتأكيد نصره حقيقيّة، ومشاركة فعلية وليس إكثار عدد لأغراض الحث والتشجيع كما حصل من قبل؛ لأنَّ الله يريد أن يجمع الخلائق بأجناسهم على توحيده. وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله لأبي حمزة الثمالي: "لو قد خرج قائم آل محمّد لنصره الله تعالى بالملائكة المسؤمين والمردفين والمنزلين والكروبيين، يكون جبريل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والملائكة المقربون حذاءه" ^(٣). كما جاء في خبر المعراج قوله عليه السلام: "فنظرت وأنا بين يدي ربي إلى ساق العرش فوجدت مكتوباً عليها..... ولأطهرنّ بأخرهم الأرض من أعدائي ولأمكننّه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخرنّ له الرياح.. ولأرقينّه في الأسباب ولأنصرنّه بجندي ولأمدنّه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدني" ^(٤).

هذا العدد الكبير من جند الله والملائكة لم يشترك بمجموعاته المختلفة الدرجات بجهد واحد محدّد من قبل؛ كما سيجتمع للإمام المهديّ، ليس لأنَّ الإمام المهديّ أفضل من الأنبياء كما قد يتبادر إلى الذهن أوّل مرّة؛ بل لأنّه لم يسبق لجهد ما مهما كان نوعه أن احتاج إلى تجييش كلّ هذه الأعداد والأنواع الكبيرة من الملائكة وتجنيدها لأداء عمل أرضيّ في أيّ حقبة من

(١) المعجم، ج ٧، ص ٨٩.

(٢) تنبؤات النبيّ، الشيخ مهديّ خليل، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

(٣) غيبة النعماني، ص ٢٣٤.

(٤) كمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص ٢٤٤.

حقب التاريخ البشريّ منذ أن خلق الله تعالى آدم ﷺ وإلى اليوم الموعود، ممّا يعني أنّ اشتراك هذا الجمع من الملائكة والجنّ الربّانيين سيكون حتماً من أجل قضية لم تمرّ على البشرية قضية مثلها وبحجمها من قبل، وفي المحصلة هو حشد أكبر من حاجة الكرة الأرضيّة بالتأكيد ولاسيّما أنّ معلوماتنا تفيد أنّ هناك بين الملائكة من هو قادر وحده على تفتيت الأرض كلها وتحويلها إلى رماد بما يؤكد أنّ الجهد أكبر من حاجة الأرض، وله علاقة بحجم الكون كلّه بكلّ مجرّاته وكواكبه.

ولكن مع كلّ هذه النقول المتواترة الصحيحة نجد هنالك بين المسلمين من ينكر أن يكون الله تعالى قد أعدّ للإمام المهديّ مثل هذه النصرة، ومن الغرابة أنّ هؤلاء الثلاثة يؤمنون في ذات الوقت أنّ الله يمكن أن ينصر هذا العبد أو ذاك من عمّة الناس الذين حتى ولو كانوا يحملون مشروعاً معيّناً؛ فإنه بالتأكيد لا يرقى لأن يكون في مصافّ مفردة واحدة من مفردات المشروع المهديّ، ينصرهم بالجنّ والملائكة لكي يساعدهم في إنجاز بعض الأمور التافهة البسيطة التي يمرّ مثلها على البشر مئات المرّات في كلّ حين، وهي التي لا تحتاج إلى عمل إعجازيّ، أو إلى كرامة لأنّ تغيّر حالها أو تغيير حالة فردية منها لن يؤثر في مجريات الكون كما يريد الله للمهديّ أن يفعل. وقد جاء في حياة الحيوان للدميري^(١) قصة ما حصل للشيخ عبد القادر الجيلاني (رحمه الله) وذلك أنه جاءه بعض أهل بغداد، وذكر له أنّ ابنته اختطفت من سطح داره؛ وهي بكر؛ فقال له الشيخ: اذهب إلى خراب الكرخ واجلس عند التلّ الخامس وخطّ عليك دائرة في الأرض وقل وأنت تخطّها: بسم الله على نية عبد القادر، فإذا كانت فحمة العشاء مرّت بك طوائف الجنّ على صور شتى، فلا يروعك منظرهم، فإذا كان السحر مرّ بك ملكهم في جحفل منهم؛ فيسأل عن حاجتك فقل: بعثني إليك الشيخ عبد القادر، واذكر له حاجتك.

(١) حياة الحيوان، الدميري، ج ١، ص ٢٧٠.

قال: فذهبت وفعلت ما أمرني به الشيخ فمرت بي صور مزعجة المنظر، ولم يقدر أحد منهم على الدنو من الدائرة التي أنا فيها، وما زالوا يمرّون زمراً إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أمم منهم فوقف بإزاء الدائرة وقال: يا إنسي ما حاجتك؟ قال: قلت: قد بعثني إليك الشيخ عبد القادر الجيلاني، فنزل عن فرسه وقبّل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه، ثم قال لي: ما شأنك؟ فذكرت له قصّة ابنتي فقال لمن حوله: "عليّ بمن فعل هذا، فأتي بمارد ومعه ابنتي فقيل له: إنّ هذا من مردة الصين! فقال له: ما حملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب؟ فقال: إنها وقعت في نفسي! فأمر به فضرب عنقه وأعطاني ابنتي فقلت: ما رأيت كالليللة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر! قال: نعم، إنه لينظر من داره إلى مردة الجنّ وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيئته، وإن الله تعالى إذا أقام قطباً مكنه من الجنّ والإنس^(١).

ونحن لو سلمنا لمجرّد الجدال بمنطق من يدّعي أنّ المهديّ سيكون عند ظهوره مجرد مجدّد من مجموعة المجدّدين الذين يهديهم الله للحفاظ على الدين على رأس كلّ مئة عام؛ فهو بالتأكيد سيكون قطباً في الأقلّ حاله حال الشيخ القطب عبد القادر وفي مثل هذه الحال يجب أن يكون مثل غيره من الأقطاب الآخرين حائزاً لكرامة التمكّن من الجنّ والإنس تبعاً لقاعدة (وإنّ الله تعالى إذا أقام قطباً مكنه من الجنّ والإنس) التي وضعوها، أمّا أن ندّعي التمكين لكلّ الأقطاب وعندما نصل إلى الإمام المهديّ نقف ونستكثر على الله أن يمده بهذا الدعم ونحرمه من هذا التمكين فتلك مسألة تدعو إلى الشكّ الكبير وتدلّ على اختلاف المعايير والموازن.

٤ - النصرّة بالشوق إلى لقاء الإمام

ومن النصرّة أيضاً أنّ الله سبحانه جعل قلوب المخلوقات كلها تهفو إلى لقاء الحجّة المنتظر ورؤيته وانتظار ساعة فرجه وقيامه بالأمر الموكل إليه من

(١) معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة، علي فرج العبدالله، ص ٥٥ - ٥٦.

الله سبحانه وتعالى، وقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: "يفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير في الهواء والحيتان في البحر"^(١).

وفي هذا الحديث تأكيد أنّ المخلوقات الأخرى من غير البشر مكلفة شرعاً بالانتظار، وإنها في شوق للقاءه. وإنه سيأتي لها ناصرًا كما يأتي للبشر آدميين. وحتماً ليس المقصود الطير والحيتان فقط، وإن كان قد جاء في القرآن قوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَسْأَلُكُمْ﴾^(٢) بل المقصود هي الأمم التي أرسل الله سبحانه لها الرسل والأنبياء كما في الروايات المتواترة. أي: إنّ وقوف الإمام على هذين النوعين جاء للاختصار وتقريب المعنى مع أنه عليه السلام تحدّث عن أهل السماء وحدهم وأهل الأرض وحدهم وسكان المحيطات والبحار وحدهم بما لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ كلّ هؤلاء مشمولون بالدعوة المهدوية.

فانظر إلى قوله عليه السلام في الحديث الذي مرّ علينا قبل قليل: (السموات والأرضين) بالجمع وليس (السماء والأرض) بالافراد، أي: يا سكان السموات السبع والأرضين السبع بايعوه، ولا تخالفوا أمره فتضلوا فهو قادم إليكم جميعاً. وهذا الحديث ورد بالصيغة نفسها أو بصيغ أخرى في كتب الحديث المختلفة، ففي سنن ابن ماجه وصواعق ابن حجر عن النبي صلى الله عليه وآله: "يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجوّ"^(٣) وفي مستدرك الحاكم: "يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض" وفي غيبة النعماني بالصيغة نفسها أيضاً^(٤) ومثلها كذلك عند جلال الدين السيوطي^(٥).

(١) الملاحم والفتن، اليزدي، ص ١١٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) سنن ابن ماجه، جزء ٢، ص ١٣٦٦ والصواعق المحرقة لابن حجر، ص ٩٨ والعرف الوردی للسيوطي، ص ٨٠.

(٤) غيبة النعماني، سنن ابن ماجه، جزء ٢، ص ١٣٦٦ والصواعق المحرقة لابن حجر، ص ٩٨، والعرف الوردی للسيوطي، ص ٨٠.

(٥) العرف الوردی، السيوطي، ص ٥٠.

وقد فات من بحث في معنى هذه الأحاديث أنّ (الرضا) عند هؤلاء السكان سيأتي بالاحتكاك المباشر بينهم وبين المهديّ وليس نتيجة المراقبة عن بعد، والاحتكاك يعني صعوده وإلقاء الحجة عليهم؛ وهو الأمر الذي سينتج عنه نزولهم إلى دولته والاختلاط مع سكانها بعد ذلك؛ لأنهم جميعاً يصبحون سكاناً ورعايا في دولة واحدة وتحت إمرة قيادة واحدة. أمّا رضاهم أو عدم رضاهم من دون أن يحدث الاحتكاك فلا نفع ولا ضرر فيه في الحالتين، لأنهم إن لم يرضوا عنه لا يضرّه ذلك بشيء، وإن فرحوا ورضوا عن بعد، لن يكون لذلك الفرح والرضا من فائدة ملموسة ولاسيّما إذا ما كان هذا الرضا غير ملموس أو ظاهراً لسكان دولته الآخرين.

وللسيد الشهيد الصدر الثاني رحمه الله تعليقة جميلة في هذا المعنى؛ إذ جاء في معرض تعليقه عليه قوله: "إنّ ساكن الجوّ هو: الطيور يفرحون بما ينالهم من الطعام الهنيء وهنيء الماء". ثمّ أردف قوله: "ولكن هذا يتنافى مع حديث ابن ماجة وابن حجر الذي ميّز بين الطير وساكن السماء. وعليه المراد بساكن السماء: هم الملائكة بحسب ظاهر الأدلة الواردة في الإسلام، بل وفي غيره من الأديان الكبرى"^(١) لكّني أجد مع احترامي الكبير لهذا الرأي أنه لم يستوفِ كامل الحالة بسبب حالة التمويه التي اعتمدها الشهيد الصدر الثاني عند حديثه عن كونية الحكومة المهدوية، لأنه لا يمكن الجزم بأن المقصود بأهل السماء هم الملائكة فقط بدلالة أنّ الإمام عليّاً عليه السلام فرّق بينهم؛ فقال كما أورد النعماني في غيبته: "يفرح لخروجه أهل السماء وسكانها"^(٢) أي (أهل السماء) وهم الملائكة و(سكان السماء) وهم المخلوقات الأخرى من غير الملائكة، وهو الرأي الذي سيتضح وضوحاً أوسع عند الحديث عن الأكوان وسكانها، ولما كان الوعد الإلهي يلزم بإظهار الدين على كلّ الأديان؛ فإنّ هذه المخلوقات إنما جاءها الفرّح من كونها مشمولة بهذا

(١) ينظر معجم أحاديث الإمام المهديّ، جزء ٣، ص ٤٢٩.

(٢) المصدر نفسه، المعجم، ص ١١٦.

الإظهار الذي سينقيها من كلّ شيء ويجعلها مؤهلة ليوم الحساب، وفرحها بحدّ ذاته هو نصرة للإمام المنتظر (عجل الله فرجه) كما هم البشر المنتظرون لمقدمه، بل كما هم المنتظرون الكونيّون، وهم الذين سيفرحون لقدمه، لأنّ الله تعالى زرع حبّ الإمام المهديّ في قلوب المنتظرين الذين يتعاملون مع فلسفة الانتظار بمعناها الحقيقيّ؛ وليس التقليديّ ممّا يجعلهم من الممهدين لقيامه، والمشتاقين للقائه.

٥ - النصرّة بالأنصار الكونيّين

ومن متّمّات النصرّة التي لها أساس مباشر بحتميّة ظهور الدين الإسلاميّ على الأديان كلها أنّ الله تعالى وعد الإمام المهديّ بالنصر المؤزّر وإظهار الدين الإسلاميّ على الدين كله على يديه، كما في الأحاديث الكثيرة؛ ومنها مثلاً عن حبيب الداري قال: سمعت رسول الله يقول: "ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز أو بذل ذليل، عزّاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاًّ يذلّ به الكفر"^(١) وإذا علمنا أنّ علماء الفلك واثقون بأنّ تعاقب الليل والنهار ظاهرة موجودة في كلّ المجرّات الأخرى وإن كانت مواقيتها تختلف عن مواقيت ليلنا ونهارنا بحكم دوران الكواكب حول نفسها وحول شمسها، وقربها وبعدها عن هذه الشمس؛ وهي ليست مقصورة على مجموعتنا الشمسيّة فقط، فإنّ ذلك يعني وفق هذا الحديث أنّ الإسلام وتوحيد الله سوف يصل إليها ويدخل بيوتها أين ما كانت في الكون، وأنّ المهديّ المنتظر هو الذي سوف يوصل إليهم هذه الهداية.

وقد ورد في (أشعيا): "أنه يقرض ممالك الأرض برمتها ويقيم مملكة

(١) مسند الإمام أحمد الجزء ٤، الصفحة ١٠٣ ورواه الطبراني، وأخرجه الحاكم، الجزء ٤، ص ٤٧٧، حديث رقم ٣٤/٨٣٢٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

سماوية لا تنقرض^(١) فهو بعد أن ينتهي من قرض ممالك الأرض وإسقاط حكوماتها الدنيوية الظالمة الجائرة سوف يلتفت إلى ممالك السماء ليقيم على أنقاضها دولة سماوية لا تنقرض؛ لأنّ لفظة (سماوية) الواردة في النصّ تقبل الاحتمالين: السماوي؛ أي الذي يعتقد بوحدانية الله، والسماوي أي المكان وهو السماء.

إنّ إضافة هذه الروايات إلى روايات انتظار الكونيين أنفسهم للإمام المهديّ يثبت أنّ هناك نوعاً آخر من النصرة الروحية مدّخر للإمام؛ ففي رواية طويلة عن هشام الجواليقي أخرجها صاحب بصائر الدرجات ستمّر عليكم كاملة لاحقاً، نجد أنّ أهل الأكوان الأخرى فيهم من ينتظر خروج الإمام، بل هو أكثر استعداداً لهذا الأمر منا نحن البشر، وأكثر شوقاً ولهفة لهذا اللقاء، ومما جاء في هذه الرواية " ... فيهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا، ينتظرون قائمنا يدعون أن يريهم إياه"^(٢) وهذه الرواية عن المعصوم تكفي أن تكون أكبر دليل على كونية الأطروحة المهدوية من دون شك، وهؤلاء الأنصار الكونيون هم نخبة المنتظرين من سكان الأكوان الذين يتلهفون لمقدم الإمام، كما هم نخبة المنتظرين الأرضيين يتلهفون إلى لقائه. أمّا مقدار الأثر الروحيّ الذي يتركه شعور المنتظرين الأرضيين بأنّ لهم شركاء في الكون ينتظرون عصر الظهور مثلهم؛ فلا يمكن تحديده أو تأطيره بإطار محدّد، وهو في أحد جوانبه المهمة يدفعهم إلى الوثوق بالنصر ما دام سكان السماء يقفون معهم على خط الشروع نفسه.

كلّ هذه النصرة التي لم تتوافر لأحد من قبلُ تدلّ على أنّ المنتظر مكلف بواجبات تتناسب طردياً ونوع المدّخرات وحجمها التي ادّخرها الله سبحانه للإمام المهديّ، ومن هذه الواجبات نشر دين الإسلام وإظهاره على كلّ الأديان الأخرى في الأرض وفي الأكوان كلها.

(١) أشعيا ٣٥: ١٢ - ٤٤ - ٤٥.

(٢) المعجم الموضوعي، ص ٣٧٢.

هنا قد يثار سؤال منطقيّ مفاده: لِمَ اقتصرَت الروايات على ذكر الأرض ووصفها وكيف أنّ المهديّ سوف يصلحها ويملاها عدلاً وقسطاً، ولم يرد ذكر الأكوان في هذه الرواية أو في روايات مشابهة لها لو كانت مخلوقات السماوات مشمولة بالبرنامج التغييريّ المهديّ؟

وأقول جواباً: إنّ الروايات الكثيرة التي خصّت أخبار الظهور بالأرض وحدها كما يبدو من ظاهر سياقها مثل الحديث النبويّ: " ... ومنا - والذي نفسي بيده - مهديّ هذه الأمة الذي يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً" ^(١) والحديث النبويّ الآخر: "يا عليّ... وآخريهم اسمه اسمي يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً" ^(٢). والحديث النبويّ الآخر: "... ثمّ يخرج المهديّ من ولدي، يصلح الله أمره في ليلة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً" ^(٣).

هذه الروايات لا تنكر الكونيّة كما قد يتبادر إلى الذهن بل تؤكدُها وتدلّ عليها، من حيث أنّ الكونيّة هي المرحلة الثانية للجهاد المهدويّ التي ستأتي بعد إنجاز المرحلة الأولى الخاصّة بتنقية أجواء الأرض وتخليصها من الأشرار، ومن الظلم والجور فتنتشر العدل فيها؛ لكي تصبح الأرض قاعدة للانطلاق نحو الكون بدليلين:

الأوّل: وجود أحاديث أخرى لم تشر لا إلى الأرض ولا لغيرها، وإنما أبقت الأمر مطلقاً كما يبدو لأوّل وهلة، وفيه تلميح للكونيّة يعثر عليه من يدق في الأمر تدقيقاً جيّداً كما في الحديث النبويّ: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً" ^(٤) والحديث

(١) المعجم، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) المعجم، ج ١، ص ٣١٤.

(٣) المعجم، ج ١، ص ٤٣١.

(٤) المعجم، ج ١، ص ١١٠.

النَّبِيِّ الْآخِرِ: " لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً" (١).

فقوله ﷺ: (يملؤها) ليس شرطاً أنّ الأرض وحدها هي المقصودة به؛ لأنه كما يصلح إطلاقه على الأرض يصلح كذلك على الدنيا وعلى الأكوان كلها.

الثاني: وجود أحاديث تشرح بوضوح تام حقيقة قدوم مرحلة الكونية بعد إنجاز المرحلة الأرضية، ومنها ما جاء في جفر الإمام عليّ عليه السلام: " فيملك المهديّ بالحقّ وللحقّ من البحر الكبير إلى البحر الصغير ومن أدنى الأرض إلى أقصى الأرض. ويرقى في أسباب السماوات والأرض" (٢) وهو نصّ صريح أنه (عجل الله فرجه) يملك بالحقّ الأرض أولاً، ثم يرقى بالحقّ نفسه وبالأسباب التي ييسرها الله سبحانه له إلى السماوات كلها بعد ذلك ليملكها، أي: ليقم دولة الله فيها، فالملك هنا ليس بمعنى التملك الشخصي كما قد يتبادر إلى الذهن وإنما لإقامة ملك الله فيها؛ أي: دين الإسلام.

بعد الحديث الطويل عن كونيّة الأطروحة وعولمة الحكومة المهدوية قد يثار سؤال عن أصل الأكوان وعن سكانها، في وقت لا نملك فيه أيّ دليل ملموس، في الأقلّ فيما يخصّ وجود سكان في هذه الأكوان؛ لأنه لا يوجد بيننا أو في من سبقونا من التقى بهم أو رأهم أو حدثهم أو التقط لهم صورة، أو رأى آثارهم أو مدنهم أو صناعاتهم، باستثناء مجموعة الأحاديث المعروفة عن زيارات قام به الكونيّون أو رسائل بعثوها، ومجموعة من آراء علماء الهيئة (الفلك) التي يبدو بعضها غير قابل للتصديق أو خرافياً، فهل يكون هذا الجهل سبباً لإنكار كونيّة المهدوية ولاسيّما نحن نعيش في قمة عصر المادّيّة الذي لا يؤمن إلاّ بالملموس أو المرئيّ أو المسموع، أي بما تدركه الحواسّ

(١) المعجم، ج ١، ص ١٦٢.

(٢) تنبؤات النبي، ص ٢١١.

فقط، ويجعل كلّ ما وراء ذلك وهمّاً لا حقيقة له، فلا يلتزم بالتصديق بوجوده؟ أم إنه سيقودنا إلى الإيمان بحقيقة كونية المهدوية؟ هذا ما سنعرفه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى...

الفصل الخامس

إثبات فرضيات توازي المهمّات
الكونيّة مع الأرضيّة

غزارة إنتاج وحسن توزيع

إنّ عدم امتلاكنا للمعلومات الوافرة عن الأكوان، وعن حقيقة وجود مخلوقات في هذه الأكوان المجهولة قد يكون الدافع الرئيس الذي منع الناس من الخوض في نقول كونيّة الأطروحة المهدويّة وأحاديثها وحقيقتها من قبل. ولكن وجود نقول صحيحة وموثوقة فيها إشارات صريحة إلى وجود هذه الأكوان ووجود المخلوقات فيها، ووجود آراء علميّة معاصرة تكاد تجزم بوجود المخلوقات الكونيّة؛ فضلاً عن وجود إشارات واضحة في فكر الأطروحة المهدويّة لامتداد الإشعاع المهدويّ إلى خارج حدود مداركنا، باجتماعها معاً؛ تجعل من الكونيّة المهدويّة أمراً لا يمكن التغاضي عنه أو عدم الاهتمام به حتى وإن كانت عقول الناس تستثقل قبوله أو تستغرب من حقيقته، ولاسيّما أنّ كتاب الله العزيز وأحاديث نبيه الكريم تناولا الحديث عن الأكوان وعمّارها بأشكال وصيغ مختلفة؛ فضلاً عن تكرار الإشارات إلى السماوات السبع والأرضين السبع، وركوب السحاب، والرقي في الأسباب في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام والملحوظ أنّ الكثير من الإشارات الواردة في هذه النقول هي في المحصلة تؤكد حقيقتين اثنتين:

الأولى: أنّ الكثير من الكرامات والإمدادات الربّانيّة التي سوف يتمتع بها المنقذ تبدو فائضة عن حاجة المختار المكلف بمهمّة أرضيّة مهما كان حجم هذه المهمّة وسعتها، وحينئذٍ يجب أن تكون هناك أبعاد كونيّة تتساوق وهذا العطاء الربّانيّ هي أوسع كثيراً حتى من الأبعاد التي حدّدها الله سبحانه لأنبيائه.

الثاني: أن هذه الروايات والنقول أكدت بما لا يقبل الشك أن هناك حاجة فعلية لسكان الأكوان للمنقذ.

ولتوضيح ذلك لا بأس من ذكر بعض النقول التي تناولت تلك المفردات، لكن قبل ذلك لا بأس من الحديث قليلاً عن أُلغاز الأكوان وعن حقيقتها، ثم عن سكان هذه الأكوان لكي نعطي تصوّراً بسيطاً نستعمله فيما بعد لإجراء مقارنة بين وجودنا الأرضي ووجود الكون اللامحدود:

مع تطوّر الإنسان وتقدّم علومه تطوّرت نظرتّه إلى الأُلغاز الكونيّة المحيرة، ولاسيّما بعد أن نجح في فكّ بعض طلاسمها ورموزها عن طريق الفرضيات التي كان الكثير منها مخطئاً وبعيداً عن طرق الاستنتاج العلمي، وهي التي كانت تمهيداً لإنشاء علوم الفلك وتطوّرها في الحضارات الأولى بعد أن تتابع نزول الأنبياء عليهم.

ثمّ لما جاء الإسلام لم يكتفِ بتنظيم حياة البشر الأرضيّة ومناهجهم التعامليّة فيما بينهم فحسب؛ بل تجاوز ذلك إلى تنظيم علاقتهم وتعاملاتهم مع الأكوان أيضاً فكشف لهم حقيقة الظواهر الكونيّة، وأصل الكون الذي هو من مخلوقات الله كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾^(١).

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة نوح، الآيات ١٥ و١٦.

(٢) سورة النحل، الآية ٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (١).
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (٢).

ثم أخبرهم القرآن أنّ هذه الأكوان؛ فضلاً عن كونها مخلوقة بأمره تعالى تحوي أيضاً مخلوقات من خلق الله، وأنها وما فيها لله وحده، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ (٣).

وقال لهم إنّ السماوات وما فيها مسخرة بأمره سبحانه، كما في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

وأخبرهم أنها وما فيها وما بينها عباد الله سبحانه وتعالى وعليهم أداء فروض الطاعة لله وحده، كما في قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (٥) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦).

ثم أكد لهم أنّ هذه الأكوان على عظمتها مثلهم غير خالدة بل سائرة إلى الزوال والعدم الحتم، وأنّ ما سيحدث فيها من آيات يوم يحق عليها الزوال سيكون دليلاً على اليوم الموعود، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَآهُ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٧) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَفَرَتْ * وَإِذَا الْيَعَاذُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٨).

(١) سورة الرعد، الآية ٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٢.

(٣) سورة طه، الآية ٦.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢.

(٥) سورة الرحمن، الآيات ٦٥ و٦٦.

(٦) سورة النحل، الآيات ٤٩ و٥٠.

(٧) سورة القيامة، الآيات ٧ و٨ و٩.

(٨) سورة الانفطار، الآيات من ١ إلى ٥.

وهكذا يجد من يتابع المعالجة القرآنيّة لما يخصّ الأكوان وظواهرها أنّ هنالك مجموعة كبيرة من السور التي حملت أسماء لها علاقة بظواهر وموجودات الأكوان منها: سورة الرعد/ الطارق/ الشمس/ النجم/ البروج/ الانشقاق/ القمر/ التكوير/ الانفطار/ فاطر/ الفجر/ الليل/ المعارج، وغيرها من الأسماء ثمّ يجد داخل هذه السور وباقي السور القرآنيّة الأخرى آيات عديدة تتحدث عن خلق الأكوان وظواهرها، مع إشارات تبدو صريحة لسكان وعُتَمَار هذه الأكوان والمخلوقات الموجودة فيها وبين طبقاتها. ويجد في القرآن الكريم ألفاظاً فلكيّة وكونيّة كثيرة، منها ما خصّ واحداً من مكونات الكون ومنها ما شملها كلها، فالسما والحرّاكها ومن فيها وما فيها وما ينزل منها ويعرج إليها وبروجها وزينتها وكشطها وانفطارها وحرسها وبنائها تكرر ذكرها (١٨٩) مرّة في ١٨٩ آية. والشمس وطلوعها وغروبها وتسخيرها وجريها وتكويرها تكرر ذكرها (٣٣) مرّة في ٣٣ آية. والقمر وبزوغه وتسخيره ونوره وجريانه وانشقاقه تكرر ذكره (٢٦) مرّة في ٢٦ آية. والنجوم الساجدة والثاقبة والمسخرة ومواقعها وانكدارها تكرر ذكرها (١٣) مرّة في ١٣ آية. والكواكب الدرّيّة والمنتشرة والزينة تكرر ذكرها (٥) مرّات في ٥ آيات. والشهب المبيّنة والثاقبة والراصدة والحارسة تكرر ذكرها (٥) مرّات في ٥ آيات. والبروج تكرر ذكرها (٤) مرّات في ٤ آيات. والفلك تكرر ذكره مرّتين في آيتين. وبذا نجد أنّ هناك في القرآن بحدود (٢٧٢) آية شريفة تتحدّث عن الكون ومكوّناته من غير الأرض التي نساكنها وهي التي تكرر ذكرها بحدود (٤٧٠) مرّة. ليصبح مجموع المرّات التي تكرر فيها ذكر الأكوان كلها أكثر من (٧٤٢) مرّة.

ولا يخفى أنّ هناك رأياً واسع الانتشار يقول: إنّ القرآن لم يأت ليكون كتاب تنظير للعلوم والظواهر الطبيعيّة، وآياته التي تحدّثت عن الظواهر العلميّة والكونيّة إنّما جاءت لتوضيح مقصد ما، أو للذهي عن أمر ما، أو لتصحيح معلومة ما، أو لضرب مثل ما، تماماً كما هي القصص الواردة فيه، أي: إنّ الحديث عن العلوم في القرآن يهدف إلى تقريب عظمة خلق الله تعالى وقدرته

إلى عقل الإنسان، وليس للعناية بترتيب الشؤون العلميّة، بمعنى أنّ الإشارات القرآنيّة للعلوم رغم دقتها المتناهية جاءت عرضيّة، وهو ما يتساقق ورأي الدكتور عبد الكريم سروش الذي يذهب إلى: "أنا يلزم أن نتعامل مع فكرة أنّ الدين مصدر لكلّ العلوم برؤية أكثر واقعيّة، لأنّ مناهج العلوم ومركزاتها مستقلة عن الدين، ولها مسالكها في إبداع المعطيات، فلا صحّة لمن يرى أنّ الدين يمكن أن يولد الفيزياء أو الفلك، فالعلم والدين متمايزان لا ينتزع أحدهما من الآخر لكنهما يتكاملان في إثراء أنسنة المعرفة"^(١).

وأرى أنّ هذا الرأي الصريح والجريء لا ينتقص من مكانة الإسلام ولا يتهمه بالجهل العلميّ لأننا بصفتنا مسلمين نرى أنّ القواعد الكلية للإسلام هي بمثابة الأصول التي تضمّ جميع أبواب المعارف وفي شتى الميادين ولاسيّما أنّ في تفرّعات الأصول القرآنيّة والحديثيّة مبانٍ متنوّعة يمكن أن نستخرج منها كلّ ما يحتاجه البشر في كلّ زمان ومكان؛ فالإسلام يعطي عادة في مثل هذه الأمور رأس الخيط ويترك للإنسان حرّيّة الغزل وطريقته اعتماداً على إبداعه الفكريّ؛ لكي لا يصبح كائناً خاملاً كسولاً.

لكنني صراحة أجدني أختلف كثيراً مع الدكتور سروش وكلّ من يدّعي أنّ مرتكزات العلوم مستقلة عن الدين؛ لأنّ موضوع الاستقلاليّة ظاهريّ أكثر من كونه جوهريّاً، ثمّ إنه لا مانع لأن تكون للعلوم القرآنيّة قدرة استنباط النظريات العلميّة بالمتغيّرات التي يحدثها البحث في مضمون الآيات، أي إنّ العلوم الدينيّة إذا ما قرأت، ودرست، وشرحت، وفسّرت بمنهجية علميّة استطلاعيّة واستنتاجيّة يمكن أن تولد الفيزياء أو الفلك ليس بطريق مباشر طبعاً، وإنما بالمعرفة التفكّريّة التي تبثها فتحفز الفكر للإبداع والابتكار، والخوف لا يأتي من مخاطر أو إمكانيّة استنباط مبادئ العلوم من الكتاب العزيز؛ وإنما من

(١) ينظر: قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر، د. عبد الأمير كاظم زاهد، ص ١٠٦، عن مقالة د. سروش "الأكثرية والأقلي في الفقه".

المستنبطين أنفسهم، فهم بشر معرضون للوقوع بالخطأ، وخطوهم ينعكس في النهاية على النصِّ القرآني بما يقرب من التكذيب، وهنا يكمن المحذور.

إنَّ أصل العلوم كلها يرجع في الأساس إلى التفكير في ضمن التخصصية التفردية، فالعالم الذي لفت انتباهه تفاعلة ساقطة من الشجرة إلى الأرض؛ ليكتشف بعد ذلك قانون الجاذبية، لم يتوصل لقانونه داخل المختبر وإنما توصل إليه داخل فكره وعقله بالتحفيز الذي أحدثته ظاهرة سقوط التفاحة إلى الأرض وهو ما يعرف علمياً بنظرية (تفسير الظواهر)

ومن يشتغل في المجال العلمي يدرك أنَّ النظريات والقوانين والاكتشافات التي تُوصَل إليها عن طريق التخطيط السابق هي أقلّ كثيراً من تلك التي تُوصَل إليها صدفة عن طريق إعمال الفكر في ظروف ظاهرة طارئة تقع أمام المفكر وتجلب انتباهه! وإلاَّ فإنَّ هذا الحشد الكبير من الآيات التي تتحدّث عن الكون ومكوّناته وأجرامه وموجوداته لا يعقل أنها جاءت للاستعبار فحسب، بل جاءت بالتأكيد؛ لكي تحفز الفكر المسلم للبحث في ماهية هذه الموجودات. كما ونجد في الآيات المقصودة وغيرها دعوة صريحة للتفكير والتبصّر والبحث والاستقصاء. ونجدها تحفز الفكر ولاسيما الفكر غير المسلم لكي يقف وينظر إلى حقائق الأمور من منظور علمي عن طريق المقارنة والمقايسة بين حقائق القرآن والحقائق العلمية، وهو ما ستكلم عليه لاحقاً

وقد وجدت أنَّ للنظرية التي أطلقها الدكتور سروش جذوراً قد ضخمت تضخيماً كبيراً، وأصبحت من سمات التخلف الذي يوصم به العقل الإسلامي، بل من الأسباب المباشرة لهذا التخلف بحسب ادّعاءات القائمين على الدراسة الخاصة بالموضوع الذي أبغى الحديث عنه. حيث جاء في التقرير الذي رفعه الباحث (إحسان مسعود) في منتصف تسعينات القرن الماضي إلى مجلة (نيتشر) العلمية، ثمّ قدّمه بعد ذلك على شكل سلسلة حلقات في الإذاعة البريطانية الرابعة "بي بي سي" ما يتشابه في بعض جوانبه مع أفكار الدكتور سروش. ففي حديثه عن أسباب التأخر العلمي عند

المسلمين قال الباحث: "إن هنالك مشاكل خاصّة بالعالم الإسلامي يتمثل أولها في المعتقدات الخاصّة بقصّة الخلق، وثانيها في الاعتقاد بأن القرآن هو مصدر العلوم... يتضمّن القرآن نصوصاً تصف بداية الخلق وولادة الكون، ولذلك يؤمن البعض بأن القرآن هو كتاب علمي"^(١).

وقد حاول الباحث دعم نتائج بحثه بالاستدلال على صحتها من حقيقة لا ننكرها طبعاً؛ لأنها تتناسب في الأساس ودرجة التطوّر العلمي للحقبة التي يشير إليها الباحث حيث قال: "ومن المثير أنّ العلماء المسلمين الذين عاشوا في الفترة بين ٧٠٠ و١٥٠٠م لم يقوموا بالبحث عن المعرفة العلميّة في القرآن، بل كانوا مشغولين بالبحث والتساؤل والاستكشاف والابتكار"^(٢) ولسنا هنا بصدد امتحان هذه الآراء فهذا ليس مجالها ولاسيّما أنّ هنالك بين العلماء الغربيين من فندها من دون أن يتعمد ذلك، ومنهم الأستاذ (جورج باسللا) أستاذ التاريخ في جامعة (ديلاوير) الذي قال في كتابه (الحياة المتمدنة في الكون): "إنّ البحث عن الحياة الذكيّة إنما هو مشروع يقوم على الاعتقاد أكثر من كونه علماً أصيلاً" على أساس أنّ البحث عن المخلوقات في الأكوان كان - سابقاً وما زال - جزء مهمّ منه إلى وقت قريب قائماً على الحماسة الدينيّة أكثر من أيّ شيء آخر. ثمّ أنّ المحفز الدينيّ (الاعتقاد الدينيّ) كان في الغالب من أكبر المحفزات والدوافع التي شجعت العلماء على الخوض في تجربة البحث. أما الإيمان والاعتقاد العلميّ البحث فقد جاء في وقت متأخر.

وعليه ندرك - ولو في حدود الإسلام وحده - كم أسهمت العقيدة الدينيّة الإسلاميّة بالتكرارية القرآنيّة في دفع المسلمين للتوسّع في دراسة الظواهر الكونيّة في العصور الأولى؛ ولاسيّما أنّ هذه الظواهر ترتبط بوجود الإنسان

(١) موقع بي بي سي على الشبكة، مقال نشر يوم ١٦/٢/٢٠٠٩.

(٢) بي بي سي، المصدر نفسه.

على الأرض، وبمصيره النهائي الذي يرى المسلمون أنه سيكون في الكون الآخر بعيداً عن الأرض التي يقيمون عليها.

وإذا أضفنا إلى حشد المعلومات القرآنيّة ما وصلنا عن اهتمامات النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ بالعلوم عامّة وعلم الفلك خاصّة نجد "أنّ ما خلفه النبيّ الأعظم وما خلفه آل بيته الكرام من الروايات التي تتحدّث عن الكون والسماء والأرض والأجرام السماويّة هي مادّة علميّة سبقت عصرها"^(١) وهو ما أشار إلى حقيقته السيّد هبة الدين الشهرستاني بقوله: "وأما أوصياء النبيّ عليهم أفضل الصلوات والتسليمات فقد ذكروا وجود أقمار أخرى غير هذا القمر المحسوس قبل أن يحدث في العالم رأي بتعدّد الأقمار أكثر من ألف سنة، فهم السابقون في هذا الرأي الجليل وما كان من هذا القبيل على جميع العلماء طراً"^(٢).

من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبيّ ﷺ وأهل بيته ﷺ أخذ المسلمون علومهم الفلكيّة واستنتجوا مجموعة الحقائق الفلكيّة العلميّة التي ظلت متداولة دهرأ طويلاً ساعدهم في ذلك دخول النظريّات التي كانت تؤمن بها الحضارات السابقة إلى المجتمع المسلم مع ما دخل من علوم هذه الحضارات في زمن الدولتين الأمويّة والعباسيّة؛ سواء بنحو عرضيّ أو متعمّد مقصود. وبإضافة العلم الوافد إلى الخزين الموجود أنتج التراكم الحاصل ما يعرف بعلم (الهيئة) أي: علم الفلك الإسلاميّ.

وتبعاً لذلك تنوّعت أسئلة المسلمين وتوسّعت حول الكون وسكانه، منها ما يخصّ عدد الأكوان وعدد الأرضين والسماوات، والمخلوقات الموجودة فيها وبينها. ولم يعدم العلم والعلماء حيلة لإيجاد الأجوبة لهذه الأسئلة، وفعلاً كانت الأجوبة قريبة من الصواب أو حتى مصيية في بعض الأحيان مثل قولهم

(١) العلوم الفلكيّة عند أهل البيت، د. مازن المؤمن، ص ١١٣.

(٢) الهيئة والإسلام السيّد هبة الدين الشهرستاني، ص ٢٣٧.

بوجود سبع سماوات وسبع أرضين المأخوذ عن القرآن وأحاديث النبي ﷺ والأئمة (عليهم الصلاة والسلام)، ومخطئة أو مبالغ فيها في أحيان أخرى مثل قولهم إنَّ الأحد عشر كوكباً الموجودة في مجرتنا كلها مأهولة بالسكان، من دون دليل ناهض.

أما العلم الحديث فقد جاء ليقول إنَّ هنالك عدداً غير معروف من الأكوان، وأنَّ بعضها وليس كلها ملائماً لعيش أنواع معينة من المخلوقات، ولذا إنَّ وجود مخلوقات في الفضاء البعيد ليس مستبعداً أبته. وعليه كانت هناك ثلاث نظريات تعنى بشأن الأكوان والمخلوقات الساكنة فيها؛ هي:

الأولى: نظرية إسلامية بحث تعتمد على ما جاء في القرآن والسنة وروايات أهل البيت الكرام، وتجد هذه النظرية تؤمن بتعدّد الأكوان ووجود المخلوقات في بعض منها، وهذا البعض يمثل خمسة أسباع الكون، أما الخالية منها فتمثل السبعين الباقيين فقط.

الثانية: نظرية علمية إسلامية جاء بها العلماء الذين اشتغلوا بعلم الهيئة، وهي تؤمن أيضاً بتعدّد الأكوان، ولكنها تؤمن أنّ كلّ الأكوان مأهولة بالسكان ومن دون استثناء، ذلك لأنَّ هذه النظرية قامت بالأساس على الموروث من العلوم الإسلامية؛ فضلاً عن ما اطلعت عليه من علوم الأمم الأخرى زائداً فرضيات العلماء أنفسهم، حيث قامت هذه الفرضيات على ما جاءت به المرجعيّات العقائدية للعلماء أنفسهم بما فيها المرجعيّات التي أمرت أتباعها بالجمود على النصّ وعدم تجاوزه.

الثالثة: نظرية علمية بحث؛ وهي مجموعة النظريات المادّية التي جاء بها علماء الغرب وتقوم على أسس المعطيات العلمية التي وفرتها العلوم والأجهزة الحديثة كالأقمار والمسابير والمناظير الجبارة والإحصاءات والمقاربات؛ فضلاً عن موروثهم من العلوم الفلكية التي وردت في كتبهم المقدّسة ولاسيّما التوراة. وقد وصلت هذه العلوم إلى مستوى متقدّم في ثلاثينات القرن الماضي واستمرّت بالتطوّر.

رغم أنّ العقول الغربية التي وضعت هذه النظرية تؤمن بالمادّي الملموس لا بالروحانيّ الغيبيّ إلا أنها أكدت تعدّد الأكوان وإمكانية وجود مخلوقات حية في بعضها. وهم منذ أن بدأت بحوث (فان دركامب) في الثلاثينات وحتى تسعينات القرن المنصرم لم يكونوا يملكون دليلاً علمياً على وجود كواكب أخرى غير تلك التي رصدوها، ولكنهم بعد هذا التاريخ بقليل وجدوا أدلة قاطعة على وجود الكثير من الكواكب والمجرات، وفي أثناء عشر سنوات فقط اكتشفوا (١٨٠) كوكباً خارج مجموعتنا الشمسية. وعليه قال (أوفر لاهاي) رئيس مجموعة الفيزياء الفلكية في كلية لندن الجامعة: "لدينا الآن رؤية دقيقة عن الأشياء التي يتكوّن منها كوننا"^(١).

أمّا نحن المسلمين فنذكر عقائدياً من خلاصة ما لدينا من روايات أنّ هنالك في الأكوان حركة فعلية موازية للحركة القائمة على الأرض؛ سواء من الجانب الوجوديّ أو العباديّ، وأنّ هذا الجراك له علاقة مباشرة بمرحلة الظهور المهديّ، وبمرحلة ما قبل الساعة، وهذه المرحلة التاريخية سوف تبتدئ مع ظهور الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) الذي أوكل الله له مهمة ترتيب الأكوان أسوة بالأرض قبل الدينونة.

ولمّا كان الله تعالى قد أرسل إلى هذه الأكوان ومخلوقاتهما من قبلُ رسلاً وأنبياء جاء وهم برسالات مختلفة ومتنوّعة تبعاً لحديث "آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم...". فإنّ المهديّ سوف يوحدهم مع سكان الأرض الذين أرسل الله لهم أيضاً رسلاً وأنبياء مختلفين جاء وهم برسالات مختلفة.

(١) موقع space.com مقالة للكاتب ديفيد دارلنغ، ترجمة علاء غزالة.

الخطاب القرآني الكوني لغير المسلم

لابد من التوقف قليلاً عند موضوع مهم لنبحث به سبب مخاطبة الكثير من الآيات القرآنية الكونية لغير المسلم، لنعرف سبب توجيه الخطاب القرآني لهؤلاء من دون غيرهم. ففي القرآن الكريم - كما أسلفنا - آيات كثيرة تتحدث عن العوالم الخارجية بنحو العموم، ولكن ما يجلب الدهشة والاستغراب أن أغلب هذه الآيات تتوجه بخطابها إلى الآخر وإلى المشككين بالقرآن من غير المسلمين بما فيهم عرب قريش المشركين قبل إسلامهم، وكأن القرآن يريد أن يخبرنا أن العلوم الموجودة في آيات الخطاب هذه سيتوصل إلى فك رموزها المشركون، ومن هم ليسوا مسلمين دون غيرهم بما اكتسبوه من علم؛ ولذا جاء في الآية المشرفة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

فقد قرن الله سبحانه رؤيتهم للآيات بتبيان الحق ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢) من أجل إحداث العصف الذهني؛ وهو ما توضحه آية أخرى ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الحج، الآية، ٥٤.

(٢) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

وذلك طبعاً ليس لإثبات صحّة معتقدهم بل لإثبات أنّ صحّة نظريّاتهم يجب أن توظف ضمائرهم وضمائر غيرهم، ولكي يطرحوا نتائج بحثهم على أنّها مسلمات تأخذ بأيديهم إلى الهداية تبعاً للآية الشريفة ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ويأخذ بها المسلمون قبل غيرهم فيزدادوا إيماناً.

ولمّا كان المسلمون قد اختلفوا بشأن المهدويّة وفيهم من ينكر أن يكون الله قد أعطى للإمام المهديّ كلّ هذه الكرامات التي تحدّثنا عن بعضها؛ فإنّ ما يأتي عن طريق هؤلاء العلماء سوف يكون طرحاً موثقاً من جانب مستقلّ لا علاقة له بهذا الاختلاف البينيّ الإسلاميّ الإسلاميّ وحينئذٍ على الطرف الإسلاميّ الرافض أن يؤمن بصحّة ما جاء به الطرف الإسلاميّ المؤيد للأطروحة الإلهيّة استناداً للنصوص المقدّسة وما جاء في نتائج هؤلاء العلماء استناداً إلى نتائج دراستهم العلميّة، مع أنه من المعيب أن نستند إلى نتاج فكر غيرنا لإثبات صحّة جوانب من عقيدتنا.

ضمن هذا النسق جاء الخطاب القرآنيّ واضحاً صريحاً من أجل تبيان الحقّ للجميع: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(١) حيث كانت هذه الآيات تتنوع في توجيه مداركهم إلى ما أبدعوا فيه من العلوم؛ لكي يربطوا بين العلم وما جاء عنه في محكم التنزيل ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَقْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُجُوجٍ ﴾^(٢).

وكان هدف الآيات إحداث عصف ذهنيّ فيهم يتماهى ومقدرتهم العلميّة المكتسبة ونتائج هذه المقدرّة لاستيضاح ما ورد بشأن هذه النتائج في القرآن الكريم بما سيدفعهم بالمحصلة لإثبات صحّة ما جاء في القرآن الذي يدعون أنه ليس كتاباً سماوياً. ولذا جاءت الآيات الأخرى لتوجه لهم الخطاب توجيهاً مباشراً كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

(٢) سورة ق، الآية ٦.

أَقَالَهَا^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَسْمَاءُ بَنَاهَا^(٢)﴾ ﴿أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^(٣)﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ^(٤)﴾.

فهذه المقارنة وهذا التساؤل يأتي قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَرَّيْهَمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ^(٥)﴾ ويأتي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْكٰفِرِينَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَانًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِّن قَوْفِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَّاهُ لِلسَّالِفِينَ * ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ^(٦)﴾.

ومن هذه المرحلة المتقدمة انطلق الخطاب القرآني ليلا مس شغاف قلوبهم ليدلهم على الله سبحانه كما في: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ^(٧)﴾ وكما في قوله تعالى ﴿كَذٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا يُبَايِعَتِ اللَّهُ بِمِجْدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّن الطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَمِينَ^(٨)﴾.

(١) سورة محمد، الآية ٢٤.

(٢) سورة النازعات، الآية ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٤) سورة الحديد، الآية ٥٧.

(٥) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٦) سورة فصلت، الآيات ٩ - ١٢.

(٧) سورة فصلت، الآية ١١.

(٨) سورة غافر، الآيات - ٦٤.

وكان القرآن الكريم أراد بهذه الآيات أن يشحذ همهم ويستفز مكانم الخير في نفوسهم عسى أن تقودهم علومهم إلى الإيمان، وتقود محصلات دراساتهم من آمن بدين الإسلام ليزداد إيماناً وبيقيناً ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وفي عودة إلى أصل الموضوع أقول: لما كان ناتج النظرية الإسلامية هو ما يهتَمنا في هذا الشأن؛ فإن إيراد بعض الروايات المختلفة من الممكن أن يوضح الرأي الحقيقي للإسلام في الأمر، ومن ذلك ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله لأصحابه: "ذخر لصاحبكم الصعب. فقالوا: ما الصعب؟ قال: من سحب فيه رعد وبرق وصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب، أسباب السماوات السبع والأرضين". وما جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر أخرج الطبراني عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: "المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي..... يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجو" وفي رواية ثانية: "يحبّه ساكن الأرض وساكن السماء"^(٢).

وحتماً ليس المقصود بأهل السماء الملائكة فتكليف الملائكة من نوع خاصّ بهم وحدهم، وهم لا يمكنهم الرضا والرفض من تلقاء أنفسهم، وإنما المقصود بذلك سكان الأكوان من المخلوقات المكلفة الأخرى. ثم إنّ الطير كذلك لا تملك عقلاً يهديها إلى الزعل والرضا بمفهومه الحرفي، وهي حتى لو زعلت أو رضيت لا يشعر بذلك أحد من الناس إلا إذا كان يمتلك ذخيرة كلّ الأنبياء ومنهم مثلاً النبيّ سليمان عليه السلام الذي كان يمتلك بعض ذخائر

(١) سورة البقرة، الآيات ٢١ - ٢٢.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص ١٦٣ - ١٦٤.

الأنبياء فكان يفهم لغة الطير ومشاعرها. والتوضيح الأدق نجده في الحديث الوارد في فرائد السمطين للجويني عن الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "المهديّ من ولدي يكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم يأتي بذخيرة الأنبياء فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً" ففي هذا الحديث نكتة لطيفة وهي ورود اسم الأنبياء معروفاً بالألف واللام بقصد الإشارة لمدخرات جميع الأنبياء والمرسلين، سواء لنا نحن البشر، أم للأمم والأقوام الأخرى من غير البشر الأرضيين، لأنه كما سيتبيّن لنا لاحقاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يعرف أنّ الله سبحانه أرسل كذلك إلى الأمم والمخلوقات الكونيّة الأخرى من غير البشر رسلاً وأنبياء.

أنواع النصرّة التي ذكرناها من قبل؛ فضلاً عن الوعد الإلهيّ الحتميّ بالظهور المهديّ وحتمية ظهور دين الإسلام على الأديان كلها تدفعنا للسؤال عن حاجته (عجل الله فرجه) إلى ركوب السحاب لو كان عمله مرتبطاً بالأرض وحدها ولاسيّما أننا سنعرف من الأحاديث التي سترد لاحقاً أنّ الأرض تطوى له فيقطع المسافات بسرعة الضوء على شاكلة الذي قال لنيبيّ الله سليمان عليه السلام: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ بل إنه بحكم موقعه أفضل من آصف بن برخيا صاحب سليمان آلاف المرّات ممّا يعني أنّ قوّته سوف تكون أكبر من قوّة صاحب سليمان أضعافاً مضاعفة؛ لأنّ صاحب سليمان لم يحتاج إلى استخدام هذه الميزة إلّا في هذا الموقف الخاصّ، وربّما مواقف مشابهة أخرى لم يذكرها القرآن لنا، أمّا الإمام المنتظر وبحكم مهامته وموجبات التنقل الأخرى فإنه سوف يحتاج إلى استعمال هذه الميزة احتياجاً يومياً مستمرّاً؟ والأسباب نفسها تدفعنا للسؤال عن الرقيّ في الأسباب، وعن الأسباب التي يتمّ الرقيّ بها، ولمّ يقرن الرقيّ بها إذا ذكرت؟ ثمّ السؤال الأهمّ، ماذا هنالك في السماوات السبع والأرضين السبع يحتاج لأن يرقى إليه الإمام المهديّ؟ أي إنّنا شئنا ذلك أم أبنائه سنجد أنفسنا واقفين أمام وجوب إثبات منهجين:

الأول: غايته إثبات فرضية وجود قدرة إعجازية خارقة عند الإمام

المهدي عليه السلام

والثاني: غايته إثبات صحة الفرضيات الآتية المتعلقة بالمهمة الكونية:

* فرضية تعدد الأكوان.

* فرضية وجود مخلوقات في هذه الأكوان.

* فرضية أنّ هذه المخلوقات الفضائية مكلفة بالتكاليف الشرعية.

* فرضية أنّ الله سبحانه أرسل إلى هذه المخلوقات رسلاً وأنبياء.

* فرضية أنّ من لطف الله سبحانه أن يشملهم بالفيض المهدي كما يشمل سكان الأرض به ليظهر دين الإسلام على أديانهم.

وإثبات صحة هذه الفرضيات - وهو ما سنعمل عليه لاحقاً - يأتي عن

طريق إثبات ورود إشارات مستفيضة عن هذه الفرضيات في القرآن الكريم وفي

الروايات الصحيحة التي جاءتنا عن النبي وأهل البيت (عليه وعليهم أفضل

الصلاة والسلام) وجاءتنا عن العلماء الفضائيين والفلكيين من جهة. الحديث

عن هذه الفرضيات وصحتها يأخذ مدى متشعباً سيرد عليكم في أثناء حديثنا

عن الأكوان وسكانها في الفصول القادمة من الكتاب، وستكلم بداية في

الفصل القادم على قدرات الإمام المهدي الإعجازية.

الفصل السادس

قدرات الإمام المهديّ الإعجازيّة
وعلاقتها بالكونيّة

قدرات الإمام الإعجازية

فضلاً عن أنواع النصره التي أعدها الله تعالى للإمام المهديّ لتمكينه من غزو الفضاء، وفتح المجزّات؛ ليظهر الإسلام فيها وهي التي تحدّثنا عنها مفصّلاً في الفصول السابقة، منّ الله سبحانه عليه كذلك بقدرات إعجازية فائقة عظيمة فيها الكثير من الدلالات على عظم المهمة الملقاة على عاتقه؛ ومنها مهمة فتح الأكوان، ومن هذه القدرات الخارقة:

ركوب السحاب

ركوب السحاب أو تسخيره إلى المهديّ المنتظر (عجل الله فرجه) يعني استعماله للتنقل في الفضاء؛ وهو في الواقع إشارة إلى التنقل جواً سواء كان بوساطة السحاب وبه معجزة خارقة، أو بوساطة المركبات الفضائية التي لم تكن معروفة من قبل؛ فعبّروا عنها بالسحاب لتقريب الصورة إلى الأذهان، وهو الاحتمال الأكثر قبولاً، أو ربّما بوساطة ربّانية أخرى نجهل كنهها، قد تكون عن طريق الانتقال بالزمان والمكان انتقالاً لا يمكن لعقولنا القاصرة أن تتصوّره، كما كانت عقول آبائنا وأجدادنا قاصرة عن إدراك إمكانية صعود الإنسان إلى الفضاء والهبوط على سطح القمر، وإمكانية التوصل إلى صنع المركبات التي تسير بسرعة تزيد على سرعة الصوت بعدة مرّات، وحتى الطيران في الفضاء بوساطة الأجنحة المصنّعة كما فعل الطيّار السويسري (كون روسي) وهو طيار عسكريّ سابق وقائد طائرات الأيرباص بالخطوط الجوية السويسرية حالياً، الذي نجح في صنع محرّك يعمل بالوقود ثبته على ظهره

على هيئة جناح وحلق به في الفضاء لمدة عشر دقائق بسرعة تزيد على ثلاثمئة كيلومتر في الساعة^(١).

ولذا كنى الأئمة عليهم السلام عنه: بالسحاب لأنها مسخرة لتتنقل بهم كالسحاب في السماء أو الفضاء الخارجي كما يتنقل السحاب في السماء. أما قول الشهيد مطهري في (التسخير): "إنَّ المقصود هنا هو كون هذه الأشياء قد خلقت ليستغلها الإنسان ويستفيد منها"^(٢) وإطلاق السيّد الطباطبائي في تفسيره على التسخير اسم "نظريّة الاستعمال" التي فسّرها على أنها تعني: "أنا نرغب بتوظيف الأشياء لمنفعتنا وتحكيم قدراتنا لتسخيرها لخدمتنا"^(٣) فليس المقصود به كلّ أنواع التسخير، وإنما قصدوا الجزئية من حيث تسخير الله سبحانه لبعض مخلوقاته لتكون في منفعة مخلوقات أخرى ضمن النسق الحياتي العام لهذه المخلوقات على أنّها جزء من رحمة الله كما في قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾^(٤) وقوله سبحانه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾^(٥) وقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾^(٦).

فهذا التسخير يختلف في نوعه عن التسخير الاختصاصي أو الإعجازي الذي هو مدار بحثنا في هذا الباب، وهو الذي ينقسم إلى قسمين مهمين:

* الأول مختصّ بالنصرة والإعجاز كقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾^(٨).

(١) شبكة سي أن أن الإخبارية ١٦ / ٥ / ٢٠٠٨ الموقع الالكتروني.

(٢) الرؤية الكونية التوحيدية، الشهيد مرتضى مطهري، ص ٦١.

(٣) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي،.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٢.

(٥) سورة النحل، الآية ١٤.

(٦) سورة النحل، الآية ١٢.

(٧) سورة ص، الآية ١٨.

(٨) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

* الثاني يختصّ بالغضب الإلهي على الأمم العاصية العاتية كقوله تعالى:
﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾^(١).

أما التسخير الاعجازي فهو أحد آليات النصر التي أعدها الله تعالى للإمام المهدي لكي يحقق به مشروعه العظيم في عوالم الأكوان كلها.

الرقّي في الأسباب

ثلاثة مصطلحات ترتبط فيما بينها في علاقة متينة، هي على التوالي:
الرقّي، والأسباب، والسلطان. وبمجموعها تنشأ رابطة تتصل بمهمة (الرقّي في الأسباب) أحد مكونات الحركة الكونية المهدوية.

فالرقّي هو: الصعود إلى الأعلى، قال الراغب الأصفهاني: "رقيت في الدرج والسلم أرقى رقياً"^(٢).

والأسباب: جمع سبب، وهو عند الراغب: "الحبل الذي يصعد به النخل، وجمعه أسباب، وسُمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً"^(٣).

والسلطان جاء عنه في كتاب الله العزيز: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ قِيَّامٍ﴾^(٤).

قال الراغب الأصفهاني: "السلطة: التمكن من القهر، يقال: سلطتُه فتسلط.. ومنه سُمي السلطان، والسلطان يقال في السلطة.. وسُمي الحجة سلطاناً"^(٥).

عن معنى السلطان قال القرطبي في تفسيره: "والسلطان: العذر، قال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات وما في الأرض فاعلموه،

(١) سورة الحاقة، الآية ٧.

(٢) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الرء، ص ٣٦٣.

(٣) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب السين، ص ٣٩١.

(٤) سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٥) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب السين، ص ٤٢٠.

ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله تعالى، وعنه أيضاً أن معنى "لا تنفذون إلا بسلطان": لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم. قال قتادة: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك. وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطان" (١).

وقال الطبري: "قال بعضهم: معنى ذلك: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم، فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسلطان من ربكم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض، فانفذوا هاربين من الموت، فإن الموت مدركمم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا. وقال آخرون: معنى قوله: ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ لا تخرجون من سلطاني، وأما الأقطار فهي جمع قطر، وهي الأطراف. وأما قوله: ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ قال بعضهم: معناه: إلا بيينة، وقال آخرون: إلا بحجة وقال آخرون: إلا بملك وليس لكم ملك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك: إلا بحجة وبيينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب" (٢).

من دلائل ارتباط هذه المصطلحات الثلاثة بالكونية نرى أن النبي الأكرم ﷺ لم يتطرق إليها في أحاديثه - على كثرتها - إلا في حالتين، الأولى: في حديثه عن واقعة المعراج، والثانية: في حديثه عن الإمام المهدي، دلالة على أن الرقي هو الصعود الذي سيمارسه الإمام المهدي للرقى إلى العوالم الأخرى كما مارس هو الصعود في المعراج.

ثم إن القرآن قرن الرقي بالصعود إلى السماء العليا، ففي كل الآيات التي ورد فيها لفظ (الأسباب) جمعاً ومفرداً فسر على أنه: الطريق أو المسلك بين الأرض والسماء كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَنْظُرُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ

(١) تفسير القرطبي، سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٢) تفسير الطبري، سورة الرحمن، الآية ٣٣.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١﴾ أي بطريق أو بمسلك من مكانه الذي هو فيه إلى السماء التي فوقه. قال الطبري: "اختلف أهل التأويل في المعنى فقال بعضهم: عني بها نبي الله ﷺ فتأويله على قول بعض قائله ذلك: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل - وهو السبب - إلى السماء: يعني سماء البيت، وهو سقفه، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به، فلينظر هل يذهب اختناقه ذلك وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ. وقال آخرون: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه ومنه، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه، فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله. وقال آخرون: معنى النصر ها هنا الرزق. وقال آخرون: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ثم ليختنق، فلينظر هل يذهب فعله ذلك ما يغيظ، أنه لا يرزق" (٢).

والأمر ذاته يتكرر في حوار فرعون مع هامان، كما في قوله تعالى: ﴿أَعْلَىٰ أُنْتَلَعُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهِ مَرْسُومًا﴾ (٣) حيث قال ابن كثير: "قال سعيد بن جبير وأبو صالح: أبواب السماوات وقيل طرق السماوات" (٤) وقال الطبري: "اختلف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا الموضع، فقال بعضهم: أسباب السماوات: طرقها. وقال آخرون: عني بأسباب السماوات: أبواب السماوات. وقال آخرون: بل عني به منزل السماء. وقد بينا فيما مضى من قبل، أن السبب: هو كل ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك" (٥).

(١) سورة الحج، الآية ١٥.

(٢) تفسير الطبري، سورة الحج، الآية ١٥.

(٣) سورة غافر، الآيات ٣٦ - ٣٧.

(٤) تفسير ابن كثير، سورة غافر، الآيات ٣٦ - ٣٧.

(٥) تفسير الطبري، سورة غافر.

وكذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾^(١) قال الطبري: "وإن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقدته وتعهدته. عن أنس، قال: الأسباب: أدق من الشعر، وأشد من الحديد، وهو بكل مكان، غير أنه لا يرى. وأصل السبب عند العرب: كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة، أو رحم، أو قرابة، أو طريق، أو محبة وغير ذلك"^(٢).

وقال القرطبي: "أي فليصعدوا إلى السموات. يقال: رقي يرقى وارتقى إذا صعد. وقيل: الأسباب أبواب السموات التي تنزل الملائكة منها، قاله مجاهد وقتادة. قال زهير: ولو رام أسباب السماء بسلم، وقيل: الأسباب السموات نفسها، أي فليصعدوا سماء سماء. وقال السدي: "في الأسباب" في الفضل والدين. وقيل: أي فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة. وقيل: الأسباب الحبال، يعني إن وجدوا حبالاً أو سبباً يصعدون فيه إلى السماء فليرتقوا"^(٣).

الرقى في الأسباب تحقق تاريخياً لبعض أولياء الله كما يبدو من ظاهر الروايات، ومنهم ذو القرنين كما في حديث القرآن عن يأجوج ومأجوج وهو قوله سبحانه وتعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾^(٤) الذي قال القرطبي بشأنه: "قال علي (رض): "سخر له السحاب، ومدت له الأسباب، وبسط له في النور، فكان الليل والنهار عليه سواء"^(٥).

(١) سورة ص، الآية ١٠.

(٢) تفسير الطبري، سورة ص، الآية ١٠.

(٣) تفسير القرطبي لآية نفسها.

(٤) سورة الكهف الآيات ٨٤ - ٨٥ وتكررت في الآيات ٨٩ و ٩٢.

(٥) تفسير القرطبي، سورة الكهف.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده... وفيكم من هو على سنته، وإنّ الله عزّ وجلّ مكن لذي القرنين في الأرض وجعل له من كلّ شيء سبباً، وإنّ الله تبارك وتعالى سيجري سنته في القائم من ولدي" (١).

وفي الحديث أيضاً: "سأل رجل عليّاً ؓ، كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟ قال: سخر له السحاب، ومدّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء" (٢).

ومعنى هذا أنّ الله سبحانه آتاه أسباب القوّة في الأرض ليتّبع سبباً داخلها وخارجها يقع في السماوات التي يسكن فيها هؤلاء القوم، عن هشام بن جعفر بن حماد عن عبدالله بن سليمان وكان مقرئاً للكتب قال: "فأوحى الله جلّ جلاله إليه يا ذا القرنين أنت حجّتي على جميع الخلائق ما بين الخافقين من مطلع الشمس إلى مغربها" (٣).

وإذا كانت مهمّة ذي القرنين الفضائيّة محدّدة بهدف واحد وهو تحصين الخلائق وحمايتهم من شرور يأجوج وماجوج إلى أن يحين وقت خروجهم بأمر الله تعالى، فإنّ المهمّة الرسميّة العالميّة الكونيّة للمنقذ المنتظر غير محدّدة بهدف بعينه، ولها أهداف عظيمة وجليلة تتجاوز هدف ذي القرنين المحدّد، ولذلك جاء عن الإمام زين العابدين ؓ قوله: "أما إنّ ذا القرنين قد خيّر بين السحابين فاختر الذلول واذخر لصاحبكم الصعب فقيل: وما الصعب؟ فقال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق وصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين السبع، خمسٌ عوامرٌ واثنان خربتان" (٤).

(١) كمال الدين، الشيخ الصدوق، الجزء ٢، ص ٣٦٥.

(٢) كمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق، الجزء ٢، ص ٣٦٤.

(٣) كمال الدين، الجزء ٢، ص ٣٦٧.

(٤) البحار ٥٢/٣٢١.

الحظ هنا الربط التشبيهي بين المهام المهدوية ومهمة ذي القرنين فهي مهام لا تنجز عن طريق طي الأرض؛ لأنها خارج نطاق الأرض، ولا تنجز بالمركبات الفضائية العادية أو المعروفة الآن للبشر؛ لأن ما توصلوا إليه وما سيتوصلون إليه يعجز عن الوصول إلى الأكوان كلها. بل تنجز هذه المهام الجبارة عن طريق ركوب السحاب وتسخيرها؛ أي: التنقل جواً بوسائط لا ندركها. وهذا التنقل لا يأتي بخطوط أفقية منحنية كالتنقل بالطائرات المعروفة، وإنما بالرقى؛ أي: الصعود العمودي كما تنطلق الصواريخ الفضائية، وإذا كانت الصواريخ تعود وتأخذ خطاً منحنياً في حدود معينة من الفضاء الخارجي؛ فإن الرقي الذي نتحدث عنه يستمر بشكله العمودي المتعرج وصولاً إلى مديات لا تدركها عقولنا المحدودة. فالرقي في الأسباب مرتبط بالعمودية وليس بالأفقية وهو ما يؤكد قوله سبحانه وتعالى في سورة غافر: ﴿بَنَاهُمْ إِنْ لِي صَرْحًا لَعَلَّيْ أَتْلُعَ أَلْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾^(١) فهذا الجبار المخدوع لا يملك إمكانية ركوب السحاب للرقى في السماء لرؤية رب موسى ولذلك بنى الصرح العالي الذي يرتفع عمودياً في السماء ظناً منه أن ذلك سوف يوصله إلى غايته. ومعنى الرقي ليس كما ذهب إليه المفسرون الذين ذكرنا أقوالهم، وليس كما ذهب إليه محمد عيسى داود الذي قال: "ومعنى رقي المهدي في الأسباب كما ينصرف إلى فتوح علمية واكتشاف كنوز بهذه الجبال"^(٢) يقصد جبال نيوزلاندا. فهو في ادعائه هذا لم يشذ عن سابقه من الباحثين الذين ربطوا المهدوية بمحور الأرض فقط.

كذلك إن مهمة ذي القرنين كانت نوعاً ما لا تحتاج إلى الأسلحة المتطورة تساوقاً وطبيعة الحالة الكونية آنذاك حيث كانت المخلوقات تمتلك أنواعاً محدّدة من الأسلحة البدائية غير المتطورة لا كما يتوقع أن تكون عليه في زمن المهدي بدلالة أن بأجوج ومأجوج كما ورد في الحديث كانا يصبان جام

(١) سورة غافر، الآية ٣٦.

(٢) المفاجأة، محمد عيسى داود، ص ٤٧٦.

غضبهما على الأمم التي استطابوا معاداتها واكتفوا بذلك، ولو كانت لديهم أسلحة لاستعملوها ولما اكتفوا بالغضب والأذى المحدود، ولذلك كانت مركبات ذي القرنين عادية، أما مركبات المهديّ فإنها مجهزة بالأسلحة المتطورة (ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة) فلو كان الإمام قد قال رعد وبرق؛ فمعنى ذلك التشبيه بالرعد والبرق المعروفين (صوت وضوء) من دون تأثير فعليّ، ولكنه قال (رعد) دلالة على صوت انطلاق الأسلحة و(صاعقة) وهي القذيفة التي تنزل فتحرق وتصيب بالضرر وتتسبب بالقتل. وهذا كله لا يمنع أن تكون مهمّة ذي القرنين مهمّة كونيّة، بل إنّ النصّ القرآنيّ في الآية الباركة يثبت أنّ المقصود ليس مشرق الأرض ومغربها حتماً، بل مشارق ومغارب مختلفة عنها، يشير إلى ذلك استعمال النصّ القرآنيّ للجمع مرّة (مشارق / مغارب) وللتثنية مرّة أخرى (مشرقين / مغربين) عند ذكرها في سياق الآيات، بمعنى أنها أكثر من مشرق وأكثر من مغرب وهي المشارق والمغارب التي أشارت إليها الآيات القرآنيّة في قوله تعالى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(٢).

ومن يدعي أنّ المقصود من وراء استخدام صيغة الجمع إنما هو مشرق كلّ بلد على حدة؛ أي: جهته الشرقيّة أو ما يعرف باختلاف آفاق الأقاليم لا يصيب كبد الحقيقة، لأنّ الآيات واضحة المقصد.

مركبات الرقيّ

هنا قد يسأل سائل ويقول: إذا كان العالم الحاضر قد عرف المركبات الفضائيّة التي ربّما سوف يستعملها الإمام المهديّ أو أنه سوف يصنع مثلها أو ربّما أفضل منها، فمن أين وجد ذو القرنين مركبات فضائيّة ليمتطيها صعوداً؟ وأقول جواباً: إنّ ذا القرنين القرآنيّ عاش كما تقول الروايات في زمن

(١) سورة الرحمن، الآية ١٧.

(٢) سورة المعارج، الآية ٤٠.

النبي إبراهيم ﷺ وجاء في الأخبار التي رواها الحاكم في مستدركه والبيهقي في حديث النبي ﷺ صححه الألباني في الصحيح الجامع برقم ٥٥٢٤ قال النبي ﷺ: "ما أدري أتبع نبياً كان أم لا، وما أدري ذو القرنين نبياً كان أم لا" في حين جاء عن الإمام عليّ ﷺ بحسب المعلومة التي استقاها من النبي الأكرم قوله: "لا نبياً ولا ملكاً، بل عبدٌ أحبّ الله فأحبّه، ونصح الله فنصح له" وعن أبي جعفر ﷺ: "إنّ ذا القرنين لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله، وناصح الله فناصره الله" (١).

علاقة ذي القرنين بالأكوان خارج الأرض تبدو محتملة بالنصّ القرآنيّ وحديث القرآن عنه وعن تنقلاته المغلفة بالألغاز والأسرار، وهو ما دفع المسلمين الأوائل للسؤال عنه وعنها بكثرة، لا في زمن النبوة وحده؛ بل حتى في زمن حكم الإمام عليّ ﷺ؛ فقد جاء عن الإمام عليّ أنّ رجلاً سأله: "أرأيت ذا القرنين كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟ قال ﷺ: سخر الله له السحاب ومدّ له الأسباب وبسط له النور؛ فكان الليل والنهار عليه سواء" (٢). فالسؤال بحدّ ذاته يدلّ على أنّ الإمام كان قد تحدّث إليهم عن الأمور الإعجازيّة التي جاء بها ذو القرنين وإلّا فإنّ بلوغ المشرق والمغرب الأرضيّين ليس بالأمر المستحيل حتى في مقاييس ذلك الزمان.

ويجد من يتابع قصّة ذي القرنين أنّ تحرّكه كان تحرّكاً كونياً مؤكداً، وقد توضّح الرواية الآتية بعض جوانب هذا الرأي، وهي رواية طويلة اجتزأنا منها ما يخدم الموضوع. الرواية في كمال الدين وإتمام النعمة عن عبدالله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها الأمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه ففعل بهم ما فعل بمن مرّ به من قبلهم حتى فرغ ممّا بينه وبين المغرب ووجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم إلّا الله وبأسأ

(١) كمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

وقوة لا يطيقه إلا الله عزّ وجلّ وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوباً متفرقة. ثم مشى على الظلمة ثمانية أيام وثمانى ليال وأصحابه ينظرونه حتى انتهى إلى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها؛ فإذا هو بملك من الملائكة قابض على الجبل... فقال له الملك: كيف قويت يا ابن آدم على أن تبلغ إلى هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك؟^(١)

فأين هي الأرض التي تعتمها الظلمة بهذا الشكل؟ وأين هذه الجموع من المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله تعالى؟

وأين هو الجبل المحيط بكلّ الأرض وهل هو جبل حقاً، ولم لا نراه ونعرفه؟ وهل بلوغ ذلك المكان من (الأرض) يحتاج إلى قوة خارقة يتعجب الملك القابض على الجبل منها؛ حتى يسأل من ذي القرنين عن مصدر القوة التي مكنته من الوصول إلى مكان أرضي لم يبلغه بشر من قبل؟

ولم تعجب الملك أيضاً من وصول آدمي إلى ذلك المكان لو لم يكن وصول الآدمي معجزة خارقة لنواميس الحال؟

ولو كانت المخلوقات المليونية التي تسكن ذلك المكان من نسل آدم، هل كان الملك سيقول له: لم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك؟

إنّ ذا القرنين كان من آيات الله، وليس عصياً على الله تعالى أن يرسل له واسطة من نوع خاصّ يتنقل بها لإنجاز بعض المهام أسوة بما جاء في روايات وقصص الإسراء والمعراج التي تقول إنّ الله تعالى أرسل لرسوله الكريم ﷺ آلة البراق التي لها أضواء وأجنحة متحركة وصوت أزيز كأزيز المحرك، ليرقى عن طريق الجلوس بداخلها وليس فوقها إلى السماوات العلى، فما الضير أن يكون قد أرسلها أو أرسل ما يشبهها إلى ذي القرنين من قبل؛ وهو بهذه الصفات؟ وسيتبين لكم في الفصول القادمة أنّ الكثير من العلماء الغربيين

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٦٨.

يعتقدون أن الحضارات القديمة كانت تعرف المركبات الفضائية وتستخدمها في بعض المهام المستحيلة.

ثم لا ننسى أن ثمة الكثير من النقول والمصادر المختلفة التي فيها أكثر من إشارة إلى وجود هذه المركبات، وبعض هذه الإشارات لا يزال معمولاً بمضمونها في عصرنا الراهن مثل إيمان الصابئة المندائيين بالسفن التي تنقل الأرواح إلى السماء، وهي التي أشارت إلى وجودها كتبهم الدينية التي يستقون عقائدهم منها.

ومن يتفحص الرسومات الموجودة في كتب الصابئة الدينية مثل كتاب (ديوان أباثر)^(١) سيجد صوراً لمخلوقات شبيهة بالصور التي تخيلها العلماء الغربيون المعاصرون لسكان الكواكب المحتملين. كما ويجد رسومات لما يطلقون عليه اسم (ناقلات الأرواح) أو ما يعرف بسفن الكواكب، مرسومة على أشكال السفن الفضائية على هيئة الشمس والقمر والزهرة^(٢) وكأنهم كانوا على اتصال بهذه المخلوقات التي كانت تزورهم بواسطة هذه المركبات.

يقول أحد المندائيين واسمه عبد الرزاق شمخي: "يعرف المندائيون ما يعرف بسفن الكواكب. وقد تضمنت هذه الكتب رسوماً وتخطيطات لأشكال من هذه السفن على هيئة الشمس والقمر والزهرة.

وتقول الليدي دراور: الشمس (شامش) كسائر الأرواح الفلكية في دورته عبر الفلك، واعتباره قوة للخير لا للشر... تشير الكتب والرسومات المندائية إلى ناقلات الأرواح، حيث سفرها بعد الموت إلى المطرائي (مكان تطهير

(١) مخطوطة صعود النفس ويحتوي على شرح للمسقنا ولصعود وعروج وأرتقاء نشمنا أي النفس إلى السماء بعد الانتقال من العالم الفني إلى أرض تيبيل أي الحياة الدنيا إلى العالم الثاني عالم الأنوار أما اد أنهورا. ينظر: موسوعة العلوم المعرفية للصائبة المندائيين في الرابط <http://www.edmilia.tk>

(٢) مجلة التراث الشعبي العراقية، مقالة بعنوان منمنمات الصابئة المندائيين في العراق للفنان ماهود أحمد.

الأرواح من الذنوب) لتحديد مصيرها، ومرورها على الملاك أبائر النورانيّ المسؤول عن تحديد وزن الروح وتحديد منزلتها إن كانت في جنة أو نار، فهو بمثابة الصراط المستقيم. وهي لا تشبه سفن الأفلاك، فهيكلا أكثر إنسيابية في التكوين، فهي مثل الهلال في وضع أفقيّ". وأنّ حقيقة الملاحين (الأشخاص) في هذه السفن هم اثري نورانيين معينين كبحارة بجانب شامش في زورق الشمس ولهم أسماء مختلفة^(١).

وديانة الصابئة المندائيين وهي من أقدم الديانات المعروفة كما يدّعي أتباعها تكلمت كذلك عن معراج أو صعود (دنانوخت) وهو النبيّ إدريس عليه السلام إلى السماء السابعة التي وصلها برحلة طويلة تمّت بالتنقل عبر الكواكب، من كوكب إلى آخر ومن عالم نوريّ إلى آخر^(٢) وهناك مؤشرات واضحة في كتبهم أنّ (دنانوخت) قام برحلته عن طريق التنقل من كوكب إلى آخر للوصول على السماء السابعة بواسطة مركبة فضائية، نعم. مركبة فضائية بالنص، وليس بواسطة السحاب أو ما شابه.

وقد تحدّث عن سفرته الفضائية التي استمرّت ستين يوماً قائلاً: وعندما كنت أتحدّث إلى أبنائي حملني الرجلان إلى السماء وأنزلاني في السماء الأولى وأطلعاني على النجوم ونظمها

تقول كتب الصابئة: "دنانوخت شخصية فريدة مميّزة ذُكرت في أغلب الأديان ومنها المندائية. يُسمّى في الـ "كَنزاً ربا" (دنانوخت) بمعنى "نواة الدين"، وفي التوراة (أخنوخ) أي "خاثر في الدين" أمّا في القرآن فيُسمّى "إدريس". هو أوّل من تكلم في الأمور السماوية أي علم الفلك والنجوم والتقويم... وقد اختفى من على هذه الأرض لأنّ الله أخذه إليه ويراد بذلك أنه

(١) موقع الجمعية الخيرية المندائية في الدنمارك <http://mandaeen.dk/node/17>

(٢) الأديان والمذاهب، رشيد الخيون، ص ٢٧.

انتقل حياً بغير انحلال الجسد، لبس الجسد العديم بقوة الله، وجاء في سفر يشوع بن سيراخ "٤٤:١٦" أخنوخ أرضى الرب فنقل وسينادي الأجيال إلى التوبة. والحقيقة أنّ أخنوخ انتقل برفقه أحد ال (أثري) إلى المطهرات وعاد إلى الدنيا ودعا الناس إلى الإيمان الحقيقي بالحيّ الأزليّ، ثمّ مات وصعدت نفسه إلى عالم النور كما جاء في ال "كَنزَا ربا" عاد (دنانوخت) إلى الدنيا، فوجد الناس الذين اعتبروه ميتاً ليكون عليه" (١).

نجد كذلك في الديانة اليهودية أنّ التوراة تكلم على المركبات الفضائية في حديثه عن النبيّ حزقيال الذي صعد إلى السماء بكائن أسطوريّ وعاد بواسطته إلى الأرض، وقد وصفت التوراة في (سفر حزقيال) هذه المركبة استناداً إلى وصف بطلها حزقيال لها في قوله: "كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين" (٢) عند نهر خابور أنّ السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله * فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار * ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه إنسان * ولكلّ واحد أربعة أوجه ولكلّ واحد أربعة أجنحة * وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول * وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة * وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه لم تدر عند سيرها كلّ واحد يسير إلى جهة وجهه * أمّا شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه

(١) موضوع بعنوان (كتاب الحكيم دنانوخت) للدكتور قيس مغشغش السعدي، نشره موقع

الجمعية المندائية الخيرية في الدنمارك <http://www.mandaean.dk/node/327>

(٢) سنة ٥٩٧ قبل الميلاد كتب حزقيال على مدى اثنين وعشرين عاما سفره في ثمانية واربعين اصحاحا عندما كان من بين سبي القدس الذي ساقه نبوخذ نصر أو بختنصر إلى العراق وأسكنهم بابل.

أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها * فهذه أوجهها أمّا أجنحتها فمبسوطة من فوق لكلّ واحد اثنان متصلان أحدهما بأخيه واثنان يغطيان أجسامها * وكلّ واحد كان يسير إلى جهة وجهه إلى حيث تكون الروح لتسير تسير لم تدر عند سيرها * أمّا شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح هي سالكة بين الحيوانات وللنار لمعان ومن النار كان يخرج برق * الحيوانات راكضة وراجعة كمنظر البرق * فنظرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة * منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد وللأربع شكل واحد ومنظرها وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة * لمّا سارت سارت على جوانبها الأربعة لم تدر عند سيرها * أمّا أطرها فعالية ومخيفة وأطرها ملائنة عيوناً حواليها للأربع * فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها وإذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات * إلى حيث تكون الروح لتسير يسيرون إلى حيث الروح لتسير والبكرات ترتفع معها لأنّ روح الحيوانات كانت في البكرات * فإذا سارت تلك سارت هذه وإذا وقفت تلك وقفت وإذا ارتفعت تلك عن الأرض ارتفعت البكرات معها لأنّ روح الحيوانات كانت في البكرات * وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشراً على رؤوسها من فوق * وتحت المقبب أجنحتها مستقيمة الواحد نحو أخيه لكلّ واحد اثنان يغطيان من هنا ولكلّ واحد اثنان يغطيان من هناك أجسامها * فلمّا سارت سمعت صوت أجنحتها كخريف مياه كثيرة كصوت القدير صوت ضجة كصوت جيش ولمّا وقفت أرخت أجنحتها * فكان صوت من فوق المقبب الذي على رؤوسها إذا وقفت أرخت أجنحتها * وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق * ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله من حوله من منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى

تحت رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها * كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعان من حوله هذا منظر شبه مجد الرب ولنا رأيت خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم^(١) وهذا وصف حقيقي لمركبة فضائية مصنوعة من المعدن وليس لحيوان أو ملك أو جن.

هناك أيضاً لدى أتباع الديانة الزرادشتية نصّ يدعي أنّ زرادشت قام برحلة جوية في الفضاء الخارجي ووصل إلى كوكب (سماك) بواسطة كائن أسطوري يشبه الكائن الذي استعمله حزقيال ثم عاد بواسطة إلى الأرض ثانية.

وفي الثقافة المصرية القديمة نجد في متحف الفاتيكان بروما وتحديدًا في القسم المصري ورقة بردية مكتوباً فيها: "في الشهر الثالث من السنة الثانية والعشرين رأى الكاتب دائرة من النار في السماء ليس لها صوت ولها طول وعرض الزورق الكبير وخاف ومعه آخرون وذهب إلى فرعون واجتمع فرعون ومعه كثير من الجنود ورأوا كرة النار وخافوا وفي اليوم التالي تكاثرت كرات النار في السماء".

أما في الثقافة العراقية القديمة فنجد في اللوح السابع من ملحمة كلكامش قوله: "وقال لي: انظر وراءك إلى الأرض كيف تبدو لك انظر إلى البحر كيف تراه.... وطار في الهواء أربع ساعات أخرى ثم قال لي: انظر إلى الأرض مرة أخرى.... ثم ارتفع في الجو أربع ساعات أخرى وقال لي: انظر إلى الأرض" وفيما يخصّ ثقافتنا العراقية القديمة أيضاً "اكتشف العالم ستيجن في المتحف البريطاني رقماً مسمارياً مدوراً هو استنساخ لنصّ سومري وجد في مكتبة آشور بانيبال في نينوى، كان لغزاً كبيراً عجز العلم عن فكّ سرّه ومضمونه يخصّ طريق رحلة فضائية للإله (أنليل) تحتوي تعليمات للملاح الكوني بشأن الإقلاع عن الأرض والهبوط عليها، وهناك مخطط لمثلثين متصلين بخط منحرف له زاوية قائمة على وجه التقريب - يقول العالم ستيجن -

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال، الإصحاح الأول من ١:٤ إلى ١:٢٨.

إنه يشير إلى طريق الطيران، فالكتابة إلى جانبه تقول إن - إنليل - يدير الكواكب، ونقطة بدء الرحلة الفضائية يمثلها المثلث في الجهة اليسرى الذي يبين الحدود البعيدة للنظام الشمسي، ونجد هدف الرحلة إلى الأرض، في الجهة اليمنى حيث تلتقي الأجزاء في نقطة الهبوط^(١).

والظاهر ممّا تقدّم، ؛ فضلاً عن الأحاديث التي كانت بين يدي المسلمين عن الإمام المهديّ أنّ المسلمين أنفسهم كانوا يملكون كمّاً لا بأس به من المعلومات عن هذا الأمر حتى إنّ بعض من ادّعى المهدويّة تاريخياً وهم أكثر من واحد أكدوا هذا الجانب لدعم موافقهم وكأنهم كانوا على يقين من علاقة الكونيّة بالمهدويّة، فعلى سبيل المثال نجد أنّ أحمد بن عبدالله بن هاشم أبا العباس المعروف بالملثم الذي ادّعى المهدويّة سنة ٦٨٩ هجرية، ادّعى أنه عُرج به إلى السماوات السبع، ثمّ إلى سدرة المنتهى، ثمّ إلى العرش ومعه جبرائيل وجمع من الملائكة^(٢) ومع أنه لم ترد في النصّ إشارة إلى الوساطة التي انتقل بها، إلا أنّ ذلك لا يعني أنه لم يتطرّق لموضوعها في خصوصيات حديثه مع أتباعه عن هذه الرحلة المزعومة، ولاسيّما أنه كان يحدثهم عن كراماته كما سيمرّ علينا عند حديثنا عن الكرامات.

أعود وأقول: لقد أكد العلم الحديث وجود أكوان أخرى غير المنظومة الشمسية المعروفة، ولكن هذا العلم رغم تطوّره لا يزال بين الشكّ واليقين فيما يخصّ وجود مخلوقات حيّة في هذه الأكوان. ورغم أنّ العلم الحديث لم ينجح إلى الآن في إثبات وجود حياة أخرى في الأكوان بسبب محدوديّة المعلومات التي يمتلكها نسبة إلى حجم الأكوان المترامي واللامحدود، إلا

(١) ينظر: صحيفة المثقف، صادق الصافي، تحت عنوان (السُّومريُّون.. رواد طريق الفضاء وعلم الكواكب) الرابط

http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=41177:2010-

12-10-01-34-04&catid=34:2009-05-21-01-45-56&Itemid=53

(٢) ينظر العرف الوردى للسيوطي، ص ٢٤.

أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي انعدام مخلوقات تسكن فيها، بل قد يثبت التطوُّر العلمي في المستقبل القريب جداً وجود مثل هذه المخلوقات في أكثر من مكان في الكون، وقد لا يكون ذلك بعيداً نسبة للتطوُّر الهائل والتسارع الكبير الذي تمرُّ به علوم الفضاء.

وما يدرينا فقد يكون علماء الفضاء تسلّموا إشارات معيّنة من هذه المخلوقات أو اتصلوا بها بطريقة ما أو حدث تزاور بينهما عن طريق نزول المخلوقات الفضائية إلى الأرض كما في قصص الصحن الطائرة وغيرها، ولكنهم أجلّوا الحديث في هذا الأمر بسبب بعض الضغوط الموجهة عليهم، أو ربّما بسبب منعهم عن الحديث عنها من جهة ما لا نستطيع تحديدها.

طِيّ الْأَرْضِ

إنّ الأحاديث والروايات التي مرّت عليكم بيّنت تبييناً لا غبار عليه أنّ الله سبحانه أراد للأطروحة المهدوية أن تكون ليس للأرض وحدها وإنما لكلِّ العوالم لأن مجرد الإشارة مثلا إلى ركوبه (عجل الله فرجه) السحاب ورقبه في الأسباب يؤكد هذه الكونية ولاسيّما نحن نعرف أنه لا يحتاج إلى التنقل جوّاً لإنجاز مهامه الأرضية في وقت يملك فيه قدرة طيّ الأرض وكرامتها،؛ فضلاً عن امتلاك أصحابه الخالص لهذه الخاصية الفريدة مثلما يملكون قدرة المشي على وجه الماء، كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام: "ويبعث جنداً إلى القسطنطينية فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء" ^(١) وهنا سنتحدث قليلاً عن طيّ الأرض، وهل ادّعاء أحد غيرنا لرموزهم أم هو من مخترعات غلاة الشيعة كما يدّعي بعضهم، أم إنه حقيقة قرآنية يمتن الله بكرامتها على من يختاره مُخْلِصاً؟

إنّ طيّ الأرض واحد من الوسائل والمدخرات التي اذخرها الله تعالى

(١) غيبة النعماني، ص ٢٤٤.

للإمام المهدي المنتظر لتعيينه على تحقيق الوعد الإلهي في آخر الزمان، وطبي الأرض من المسلمات التي تؤمن بها غالبية العقائد الدينية بشيء أو بآخر على أنها من طرق الإعجاز الداعم لدعوات الأنبياء وكرامات الصالحين. ثم إن الإيمان بحقيقة امتلاك بعض الأشخاص لكرامة طبي الأرض ليس مقصوراً على المسلمين وحدهم، ففي الفكر المسيحي مثلاً نجد تلميحات واضحة له، حيث نجد في الإنجيل: "ولما جاء المساء نزل تلاميذه إلى بحر الجليل فركبوا قارباً وعبروا به إلى كفر ناحوم وأظلم الليل قبل أن يلحقهم يسوع، وهبت عاصفة شديدة فهاج البحر، وبعدهما قطعوا ثلاثة أميال أو أربعة رأوا يسوع يدنو من القارب ماشياً على البحر فخافوا فقال لهم: أنا هو فلا تخافوا. وأرادوا أن يصعدوه إلى القارب فوصل القارب في الحال إلى الأرض التي كانوا يقصدونها" (١).

أمّا في الفكر الإسلامي فيستفاد من نقول المدرستين الإسلاميتين المتوافرة لدينا أنّ طبي الأرض نوعان:

النوع الأوّل:

تقريب الأماكن القصية البعيدة لصاحب الكرامة من دون الالتفات لمقدار المسافة الفاصلة بين النقطتين بحيث يراها بموجوداتها وحياتها وتضاريسها وسمائها وهو جالس في مكانه، كما ورد في كتب الحديث ومنها صحيح البخاري ومسلم عن ثوبان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زوى لي" (٢).

فورود كلمة (الأرض) معرفة بالألف واللام يقصد به كلّ الأرض وليس جزءاً معيّناً أو منطقة معيّنة مجهولة منها، يؤكد ذلك ورود كلمتي (مشارقها ومغاربها) أي: كلّ الأرض من المشارق إلى المغارب.

(١) الإنجيل، متى ١٤: ٢٢ - ٢٧، مرقس ٦: ٤٥ - ٥٢.

(٢) صحيح مسلم حديث ٢٨٨٩، ص ١٢١١ باب الفتن.

وقد أطلق ابن كثير على هذا النوع من طَيِّ الأرض تسمية سابقة لزمانه ومتقدّمة عليه هي (الانتقال عبر الزمن) تبعاً للرواية التي تقول إنّ عمر بن الخطاب (رض) حذر قائد جنده (سارية) من كمين أعدّه له الأعداء برغم بعد المسافة بينهما. حيث قال: "والانتقال عبر المكان في الزمن ذاته يحدث أحياناً لمن وهبهم الله شفافية روحية وإيماناً صادقاً ومثال على ذلك أنّ الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رض) شاهد ما يحدث في ساحة المعركة بين جنود المسلمين وجنود الشرك وهو يجلس في مكانه في المسجد وصاح صيحه المشهورة (الجبل يا سارية الجبل) فسمعه المجاهدون وهم في ساحة المعركة وقد أنقذتهم هذه الصرخة من كمين كان يعدّه المشركون لهم. أمّا الانتقال عبر الزمن من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل فليس هناك روايات موثوقة على حدوثه" (١).

النوع الثاني:

انتقال صاحب الكرامة من بقعة إلى أخرى من دون الالتفات إلى المسافة الفاصلة بينهما، وهو في أحد أنواعه يحدث بزمن لحظوي لا يمكن تخيّل أو تصوّره، ولا توجد أجهزة لها قدرة قياسه، وينقسم هذا النوع من طَيِّ الأرض إلى قسمين اثنين:

القسم الأوّل: تقول الروايات عنه: إنّ النبي ﷺ كان يمارسه يومياً كما توحى الأحاديث التي وردت في بعض كتب الحديث ومنها ما أورده الشيخ محمود بيون الرنكوسي عن أبي هريرة قال: "ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، إنّنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث" أخرجه أحمد والترمذي وابن سعد وصحّحه أحمد شاكر في تعليقه على المسند. وقوله الآخر الذي أورده عن أحمد وابن سعد وقال: صحّحه أحمد شاكر: "كنت مع رسول الله ﷺ في جنازة، فكنت إذا مشيت سبقني

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، جزء ٧، ص ١٤٦.

فأهرول، فإذا هرولت سبقته. فالتفتُ إلى رجل إلى جنبي فقلتُ: تطوى له الأرض وخليل إبراهيم" وعن آخرين منهم يزيد بن مترد وقال: أخرجه ابن سعد "كان النبي ﷺ إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراه فلا يدرکه" (١) الحظ هنا أنّ أبا هريرة قال: (فإذا هرولت سبقته) ولكنه قال في الحديث الثاني: (حتى يهرول الرجل وراه فلا يدرکه)

القسم الثاني: هو الطي الخارق للنواميس الطبيعية، والانتقال بزمن غير محسوس أو محسوب من مكان إلى آخر، وقد أشار إليه القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ (٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (٣).

فهذا الانتقال وهذا الإتيان خارج نطاق الإدراك العام للمخلوقات، حتى على مستوى الجن؛ لأنّ الجنّ مع مقدرتهم الخارقة على التنقل اللحظوي تبعاً لأثيرية أجسامهم، إلا أنّ أكثرهم قدرة وتحملاً وسرعة وقوة وتبحراً بالنفس عدّ الوقت المطلوب للإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بما لا يقلّ عن ست ساعات، كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٤) حيث جاء في الروايات أنّ نبي الله سليمان كان يقيم في مجلسه ست ساعات يومياً.

وتبعاً للأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ وعن أهل بيته الأئمة الأطهار ﷺ نجد أنّ الله تعالى خصّ الإمام المنتظر بهذه الكرامة بكلّ تفرّعاتها، والأحاديث في ذلك مستفيضة ممّا يعني أنّ انتقاله (عجل الله فرجه)

(١) القضاء الرباني، الشيخ محمود يعون الرنكوسي.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٤) سورة النمل، الآية ٣٩.

في الأرض لا يتمّ كما هو الانتقال والحركة عند الآخرين من البشر وغيرهم سيراً على الأقدام أو بالواسطة التقليديّة (حيوانات/ آليّات) لأنّ المسافات تطوى له فينتقل بسرعة فوق ضوئيّة تفوق سرعة جلب عرش بلقيس (قبل ارتداد الطرف) دليلنا على ذلك ما جاء عن الإمام عليّ الرضا عليه السلام في قوله: "وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظلّ" ^(١) وفقدان الظلّ دلالة على السرعة القصوى لأنّ الأجسام التي تمرّ بسرعة فائقة لا ترى ظلالها.

كما جاء عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قوله: "وستطوى الأرض لصاحب هذا الأمر" ^(٢).

وجاء أيضاً عن الإمام محمّد الجواد عليه السلام قوله: "وهو الذي تطوى له الأرض ويذلّ كلّ صعب" ^(٣).

ونحن ندرك أنّ تخصيص الله تعالى هذه الكرامة لبعض عباده المنتجبين يدخل في باب الأسباب والمسبّبات ويخضع للسنن الكونيّة، ولذا لا بدّ من وجود قواعد لهذا المعنى كما يقول السيّد مرتضى الشيرازي ^(٤). لكن هنالك بعض المسلمين أبوا الالتزام بحقيقة وجود هذه القواعد فقالوا: إنّ من مغالاة الشيعة بأنّهم ادّعوا لهم كرامة طيّ الأرض، كما يُروى عن الخليفة المتوكل العباسيّ الذي قيل إنه زار قبر الصحابيّ سلمان المحمّدي (رض) حينما كان عائداً من إحدى سفراته فقال: "إنّ غلاة الشيعة يقولون: إنّ عليّاً طوى الأرض وحضر من المدينة إلى المدائن ليلة مات سلمان فقام بتغسيله والصلاة عليه وإنزاله في لحده ثمّ عاد إلى المدينة" في إشارة إلى القصة المعروفة في حديث جابر بن عبدالله الأنصاريّ الذي كان ابن شهر آشوب من ضمن من أوردتها عن حبيب بن حسن العتكي عن جابر الأنصاريّ قال:

(١) بشارة الإسلام، ص ١٦١ ويوم الخلاص، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار، ٥٢/٢٨٣.

(٤) محاضرة بعنوان الصبر والجهاد المتواصل ألقاها في طلاب حوزة كربلاء المقدسة.

'صلى بنا أمير المؤمنين صلاة الصبح ثم أقبل علينا فقال: معاشر المسلمين عظم الله أجركم في أخيكم سلمان. فقالوا في ذلك، فلبس عمامة رسول الله ودرعه وأخذ قضيبه وسيفه وركب على العضباء وقال لقنبر: عدّ عشرأ، قال: ففعلت فإذا نحن عند باب سلمان. قال راذان: فلما أدرك سلمان الوفاة فقلت له: من المغسّل لك؟ قال: من غسّل رسول الله. فقلت: نحن في المدائن وهو في المدينة؟ فقال: يا راذان إذا شددت لحيّتي تسمع الوجبة، قال: فلما شددت لحيّته سمعت الوجبة وأدركت الباب وإذا أنا بأمير المؤمنين فقال: يا راذان قضى أبو عبدالله سلمان؟ قلت: نعم يا سيدي. فدخل وكشف الرداء عن وجهه فقال له: مرحباً يا أبا عبدالله، إذا لقيت رسول الله فقل له ما مرّ على أخيك من قومك. ثم أخذ في تجهيزه، فلما صلى عليه كنا نسمع من أمير المؤمنين تكبيراً شديداً وكنت رأيت معه رجلين" (١).

إلا أنّ هذا الاتهام لا يقلل من أهميّة طيّ الأرض وإعجازيّته، لأنّ حقيقة طيّ الأرض للمكلفين بمهامّ ربّانيّة ليست بالسرّ الخافي، ولا من مخترعات الشيعة، فالقرآن الكريم ذاته أشار إليه في قصة نبيّ الله سليمان ﷺ وبلقيس ملكة سبأ، وهذه الحقيقة القرآنيّة لا ينكرها إلا جاحد للقرآن، وهي تؤكد أنّ صاحب نبيّ الله سليمان ﷺ آصف بن برخيا جاء بالعرش من اليمن إلى فلسطين بأقلّ من طرفة عين، أي: بجزء من أجزاء الثانية، وهي من توقّيات سرعة الضوء التي تبلغ ٣٦٠،٠٠٠ كيلومتر في الثانية، والإتيان به عبر هذه المسافة الطويلة وهو عادة جسم ثقيل لا يقدر على حمله شخص واحد لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق طيّ الأرض الإعجازيّ. هذا مع معرفة الجميع أنّ صاحب سليمان لم يكن نبياً ولا ملكاً مقرّباً ولا مكلفاً بأداء رسالة سماويّة أو عمل جبّار يراد من ورائه إصلاح الكون كله كما هي المهمة المكلف بأدائها المهديّ. ثمّ إنه ليس مكلفاً بالتنقل عبر الزمان والمكان بتلك السرعة

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٣١.

التي لا يمكن قياسها بكلّ أنواع أجهزة القياس المتطورة لتبليغ الكائنات والمخلوقات الكونيّة بالوعد الحق، لكنه مع ذلك كان يمتلك هذه الخاصية الفريدة.

كثّ إن كلّ الذين مارسوها فعلاً أو ادّعواها أو ادّعت لهم من قبل لم يكونوا مكلفين بواجب له أساس بالكون كله، ولا بكلّ مخلوقاته كما هو دور الإمام المهديّ، فواجباتهم كانت بمنتهى المحدودية التي لا يؤثر ترك العمل بها في مصير المخلوقات والأكوان ومع ذلك أوعز الخالق للأرض أن تطوى لهم؛ فقرب لهم البعيد لكي يكون ذلك من الشواهد على إمكانية طي الأرض بأمر الله سبحانه، في حين نجد بالمقابل أنّ الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) مكلف بأداء رسالة الاستخلاف الأخير ليس للأرض وحدها؛ بل لكلّ السماوات والأرضين وسكانها فكيف لا يخصّه الله بإمكانية طي الأرض للتنقل اللحظويّ من جهة إلى أخرى بأجزاء الثانية لإنجاز أكبر مهمة موكولة لإنسان في كلّ التاريخ الكونيّ؟

وقد بشر النبيّ الأكرم ﷺ أمته بهذه الكرامة التي خصّ الله بها المهديّ، لكي يبيّن لهم حقيقة المهمة الموكولة للمصلح المنتظر، كما بشر بها الإمام عليّ عليه السلام حيث جاء عنه قوله في حديث له عن المهديّ (عج): "وتطوى له الأرض ولأصحابه، يرفع الله له كلّ منخفض من الأرض، ويخفض له كلّ مرتفع" (١).

ولتقريب الصورة التي جاءت في قول الإمام بحديثه عن الرفع والخفض أقول: إنّ هنالك أحاديث عن أهل البيت شرحت المقصود بهذا القول شرحاً جلياً وواضحاً، وقد مرّت عليكم سابقاً وأعيد هنا إيراد بعضها للتأكيد، منها قول الإمام الصادق عليه السلام: "السماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته

(١) المفاجأة محمد عيسى داود، ص ٥٠٨ عن جفر الإمام عليه السلام.

يعرف ظاهرهما من باطنها ويعلم برّها من فاجرها" (١)، وعن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام قالوا: "إنّ الدنيا لتمثل للإمام مثل فلقة الجوز فلا يعزب عنه منها شيء، وأنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء" (٢).

وتبعاً لهذه المعطيات ندرك أنّ طيّ الأرض حقيقة ثابتة و يقينية، وليس من مخترعات الشيعة كما يدّعي المهووسون بالخلاف. وهي ستكون من الآليات اللطيفة التي يستخدمها الإمام المهديّ في عمليّة إصلاح العوالم الأخرى بعد أن يكون قد فرغ من إصلاح الأرض بواسطتها، حيث جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: "فيملك المهديّ الحقّ وللحقّ من البحر الكبير إلى البحر الصغير، ومن أدنى الأرض إلى أقصى الأرض. ويرقى في أسباب السموات والأرض" (٣).

أي: إنّ السيطرة على الأرض ستأتي في المرحلة الأولى للبعثة المهديّة، ومن بعد تأتي المرحلة الكونيّة التي هي المرحلة الثانية من مراحل المهديّة، وهي التي يمتدّ فيها الحكم المهديّ إلى العوالم الأخرى. وقد يشترك سكان السماوات من المنتظرين مع جيش الإمام الأرضيّ في إتمام السيطرة على الأرض والأكوان.

إنّ طيّ الأرض للإمام المهديّ هو الذي سيمكنه في المرحلة الأولى من الوجود والحركة في كلّ بقاع الأرض في الوقت عينه بما يعطيه ميزة المراقبة والمباشرة والإشراف على سير عمليّات التحوّل المصيريّ، حتى إنّ أهل المشرق وأهل المغرب يرونه في الوقت نفسه اللحظة نفسها؛ كما في حديث الإمام عليّ عليه السلام: "تراه الأرض في كلّ زاوية في وقت واحد ليل نهار" ولا

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، ص ١١.

(٢) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١٠.

غرابة في ذلك، بل الغرابة كلّ الغرابة أن لا تكون له مقدرة طيّ الأرض وهو مكلف بهذا الأمر العظيم.

مشاعية طيّ الأرض والكرامات

وإذا استثنينا الروايات التي جاءت في القرآن أو التي جاءت عن طريق أهل البيت عليهم السلام بشأن كرامة طيّ الأرض للمخلصين من عباد الله، نجد بالمقابل روايات كثيرة تدّعي وجود هذه المقدرة الخارقة عند أناس آخرين يؤدّون عن طريقها وبها خدمات خاصّة لأنفسهم ويستخدمونها لقضاء حوائجهم كالذهاب إلى الحجّ مثلاً، أو التزاور، أو في قضاء حاجة شخصية، أو ما شابهها من الأمور التي لا تحتاج أساساً للإعجاز؛ لأنها متاحة بسبل أخرى كثيرة، مع قليل من العناء.

وإذا كان ذلك صحيحاً ومتاحاً حتى في مثل هذه المناسبات فإنّ عدالة الله تستوجب أن يكون المهديّ المنتظر هذه الشخصية العظيمة التي يتفق المسلمون جميعاً على عظيم أثرها، وهي التي ينتظر المسلمون التشرف برؤيتها منذ عصر البعثة المشرفة إلى ما يشاء الله، وهي التي أوكلت لها العناية الإلهية مهمّة التغيير الجذريّ للكون كله، فهي أحقّ كثيراً من هؤلاء بهذه الكرامة، ولاسيّما أنّ هنالك في الروايات من يدّعي أنّ حتى اللعين إبليس يملك مثل هذه المقدرة كما في القصة التي تقول: "إنّ ابن السمعاني الزاهد الفقيه رُئي بعرفة في سنة لم يحجّ فيها ولم يخرج من بلده، وحينما أخبروه أنهم رأوه في مكة قال لهم: أجمعت الأمة قاطبة على أنّ إبليس عدوّ الله يسير من المشرق إلى المغرب في افتتان مسلم أو مسألة في لحظة واحدة، فلماذا ينكر لعبد من عباد الله أن يمضي في طاعة الله بإذن الله في ليله إلى مكة ويعود^(١)".

(١) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين بن مفلح، ج ٢ ص ٣٩١.

فهل من عدالة الله سبحانه أن يجعل مثل هذه المقدرة الفذة عند اللعين إبليس ولا يجعلها عند حبيبه وآخر خلفائه على الأرض الإمام المهديّ؟ وهل من عدالة الله سبحانه وتعالى أن يجعلها عند ابن السمعاني ليستخدمها في الذهاب إلى الحجّ الذي هو متاح بعشرات الطرق الأخرى ولا يجعلها للمهديّ المنتظر؟ وكيف سينتصر الإمام المهديّ على إبليس - كما في روايات المدرستين المتفق عليها - إذا كان إبليس بهذه القوة التي لا يملك الإمام المهديّ مثلها؟

وفي رواية أخرى أنّ الشيخ محمّد المعصوم "كان غوثاً يستغيث به الناس ويصفونه بحضرة (القيوم) فقد سقط أحد مرديه عن فرسه في الصحراء، قال: فاستغثت بحضرة (القيوم) فحضر بنفسه وأيقظني، وكذلك أشرف آخر من أتباعه على الغرق فاستغاث به فحضر في الحال وأنقذه. وكان يغيث الناس في أقصى الأرض وهو جالس في مكانه. فقد استغاث به رجل في سفينة كانت تغرق فمدّ الشيخ يده وانتشل السفينة وهو في بيته أمام أصحابه الذين رأوا فجأة أنّ كُتْمَه صارت مبللة بعد أن رأوه يمدّها في الهواء"^(١).

إنّ الحديث عن كرامة طيّ الأرض والخلاف بشأنه يعيدنا إلى مقدّمة البحث وما ورد فيها من كلام عن نقطة التوازن، لأنّي أجد أننا في هذه المرحلة المصيريّة الحرجة التي تمرّ بها أمتنا الإسلاميّة لا نزال بعيدين جدّاً عن الوصول إلى هذه النقطة المهمّة ولاسيّما أنّ الذين يستكثرون على الله أن يمدّ الإمام المهديّ بهذه الكرامة، وينكرون استعمال المهديّ لطيّ الأرض لإنجاز مهامّه الربانيّة لا ينكرون الروايات التي تدّعي كرامة طيّ الأرض لبعض المشهورين الذين لا يحتاجون كما قلنا لاستعمالها إلا في الأمور الساذجة التافهة، ولهم في ذلك قصص كثيرة يفخرون بروايتها عند حديثهم عن فضائل

(١) موقع صيد الفوائد، الرابط <http://www.saa'id.net/feraq/sufyah/t/6.htm> عن جامع كرامات الأولياء ١٩٩/١ المواهب السمرديّة ٢١٠ - ٢١٣ الأنوار القدسيّة ١٩٥.

بعض الرجال، ويدعون فيها أن الله أعطى كرامة طي الأرض لمجموعة كبيرة من هؤلاء وليس لواحد أو اثنين منهم فقط.

ومع أننا لا ننكر أن يمدّ الله سبحانه بعض عباده بالكرامات التي تحت الآخرين على مراجعة مواقفهم العقائدية، ولا ندعي أن الكرامات مقصورة على أهل بيت النبوة وحدهم، لكننا نعرض بشدة على من ينكر أن يكون لآل البيت أي كرامة ويستكثر عليهم ذلك، ويعتدّ ذكرنا لكراماتهم من الغلو الفاحش بهم، ثم يروج لحكايات طي الأرض عند بعض الفضلاء والمنتدئين!

وقد مرّت وستمّرّ عليكم روايات عن بعض ما أسبغ الله على الإمام المهديّ من المعجزات، ولما كنت قد وجدت في الكتب التي لا تعترف بوجود الإمام المهديّ أو تدّعي أنه (حاشاه الله) خرافة كلاماً قاسياً عن معتقداتنا بشأن الكرامات التي أعطاها الله تعالى للمنتظر بما يدخلها جميعها تحت مسمّى الغلو الفاحش أو المفرط المخرج من الملة، والمفضي إلى الكفر، والموقع في الشرك! فذلك هو ما دفعني لأن أبين للجميع أن ما ندّعيه من معجزات لأهل البيت وللمهديّ منهم بالذات قد جاء عن طريق لا يقبل التشكيك أو التكذيب، على خلاف تلك الروايات التي تدّعي الكرامات لكلّ من هبّ ودبّ طالما أنه أو خادمه أو أولاده أو المقرّبين منه قد ادّعوا حدوثها!

ولكن قبل ذلك أودّ أن أبين أن موضوع الإيمان بالكرامات ليس من اختصاص المذهب الشيعيّ فقط وإنما هو في المذاهب الأخرى أكثر فشواً وامتداداً ولاسيّما أن الشيعة حصروه في الأئمة المعصومين ونادراً ما خرج عن دائرتهم، أمّا المذاهب الأخرى فلم تضع له حدوداً. ولكنهم برغم تباين مواقفهم منه ومن الاعتقاد بأهمّيته نسبوا الإتيان به إلى أبسط الناس.

الاعتقاد بالكرامات

فمن جهة الاعتقاد بهذه الكرامات جاء في موقع صيد الفوائد السلفي

الوهابي قولهم: ويذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الواجب في حق أولياء الله الصالحين فيقول: "الواجب عليهم حبهم واتباعهم والإقرار بكراماتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدي بين ضلالتين، وحق بين باطلين"

وجاء في موقع الصوفيّة قولهم: قال الطحاوي في شرح الطحاويّة: ٢/ ٧٤٥ عن الأولياء: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصحّ عن الثقات من رواياتهم"

وقولهم الآخر: "ومن التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطيّة من المباحث المنيفة للشيخ السعدي، ص ٩٧ قوله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"

وفي قول ثالث: "لقد تواترت نصوص الكتاب والسنة والوقائع قديماً وحديثاً على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لأنبيائه"

والأدلة على الإيمان بحقيقة وجود الكرامات عند الأولياء كثيرة تجد بعضها في: الفتاوى ٣/ ١٥٦، وشرح الواسطيّة لخليل هراس، ص ١٧٦، والإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات، والألطف للصنعاني، ص ٢٠، ولوامع الأنوار ٢/ ٢٩٤ كما أن ابن تيميّة رغم تشدده ورفضه لكثير من الأقوال والروايات ولاسيما التي يعتقد بها المسلمون المخالفون لعقيدته قال في العقيدة الواسطيّة: "ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات"

العجيب أنّ لهؤلاء الذين يستكثرون على الإمام المهديّ أن يخرج بكلّ

تلك المعجزات بحوثاً مستفيضة بخصوص المعجزة والكرامة، ولهم قواعد فقهية يعملون بها، فضلاً عما تقدم تجد قولهم: "إن كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، إلا أنه لا يشترط في المعجزة ادعاء النبوة، وليس للكرامة هذا الشرط، ولا فرق بين المعجزة والكرامة إلا بهذا الشرط"^(١).

ومنها قولهم: "الذي عليه جمهور العلماء أن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، ولا فرق بين المعجزة والكرامة إلا شرط النبوة، فالنبي يدعي النبوة وتأتي المعجزة بالتحدي، وتُعجز الخصم، فتسمى معجزة، أما الكرامة فتظهر على يد من ظهر صلاحه تابعاً للنبي، فحصلها ببركة متابعة النبي، فتسمى كرامة"^(٢).

ومنها قولهم: "وفضائل هذه الأمة لا تحصى، بل رفع الله تعالى فضيلتها إلى أن خصّها ببعض ما خصّ به الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)"^(٣).

كما جاء عنهم في هذا الأمر قولهم: "وأما الإخبار بالمغيبات فقد حصل لأولياء هذه الأمة كثير منه"^(٤).

ومن هذه القناعات المتحيّزة التي ترفض ادعاء الكرامة للإمام المعصوم ولدت الروايات التي تنسب للأولياء والصوفيين أنواع الكرامات، ومنها على سبيل المثال ما أورده عبد الحي في الشذرات في ترجمته لجلال الدين السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هجرية كما في قوله عنه: "السند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة" ثم قال بعد أن أكثر مثل هذا الشناء عليه: "إنه رأى النبي ﷺ بضعا وسبعين مرة يقظة) أي إنه رأى النبي ﷺ حقيقة وليس مجازاً في عالم الرؤيا ولا تبعاً لحديث "من رآني في

(١) معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة، علي فرج العبدالله، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه، معجزات الأنبياء، ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه، معجزات الأنبياء، ص ١٦.

(٤) هذه الرواية والقصص التي سبقتها موجودة كلها في كتاب (معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة) لعلي فرج العبدالله.

المنام فقد رأيته فإنَّ الشيطان لا يتمثل بي " بل يقظة كلية برغم الفارق الزمني بينهما الذي يزيد على التسعمئة عام. ثم ذكر له كرامة طي الأرض واصطحابه لخدمته معه من القرافة في مصر إلى مكة المكرمة ذهاباً وإياباً بعدة خطوات لا أكثر!

وفي رواية أخرى للقصّة نفسها عن ابن العماد الحنبلي قال: " وذكر خادم الشيخ السيوطي محمّد بن عليّ الحباك: أنّ الشيخ قال له يوماً وقت القيلولة وهو عند زاوية الشيخ عبدالله الجيوشي بمصر بالقرافة: أتريد أن تصلي العصر بمكة بشرط أن تكتنم ذلك عليّ حتى أموت؟! "

قال: فقلت: نعم.

قال: فأخذ بيدي وقال أغمض عينيك، فغمضتهما فرحل بي نحو سبع وعشرين خطوة ثم قال لي: افتح عينيك فإذا نحن بباب المعلاة، فرزنا أمنا خديجة، والفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة وغيرهم، ودخلت الحرم فطفنا وشربنا من ماء زمزم وجلسنا خلف المقام حتى صلينا العصر وطفنا وشربنا من زمزم.

ثم قال لي: يا فلان ليس العجب من طي الأرض لنا وإنما العجب من كون أحد من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا.

ثم قال لي: إن شئت تمضي معي وإن شئت تقيم حتى يأتي الحاجّ؟

قال: فقلت: أذهب مع سيدي.

فمشينا إلى باب المعلاة وقال: أغمض عينيك فغمضتهما فهول بي سبع خطوات ثم قال لي: افتح عينيك فإذا نحن بالقرب من الجيوشي فنزلنا إلى سيدي عمر بن الفارض^(١) أي: إنّ طي الأرض للسيوطي لا يمثل مشكلة

(١) شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥٤. هذا وقد ترجم عبد الحي في هذا الجزء من الشذرات للسيوطي في الصفحات (٥١ - ٥٥) وذكر مجموعة من فضائله.

بحسب قوله ولا يدعو إلى العجب! ولكن العجب كلّ العجب أن تطوى الأرض للإمام المهديّ صاحب أكبر مشروع إلهي!

وفي رواية أخرى تتعلق أيضاً بطي الأرض منسوبة إلى شخص آخر جاءت عن أبي سليمان الروميّ الذي قال: "سمعت خليلاً الصياد يقول: غاب ابني محمّد فجزعت أمّه عليه جزعاً شديداً فأتيت معروفاً [الكرخي]

فقلت: أبا المحفوظ.

قال: ما تشاء؟

قلت: ابني محمّد غاب وجزعت أمّه عليه جزعاً شديداً، فادعُ الله أن يرده عليها؟ فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك فأت به؟

قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا ابني محمّد قائم منبرها!

قلت: محمّد!

قال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار! ^(١).

فبربكم هل عودة ابن مفقود لا يُدرى إن كان قد ذهب للتجارة أو في طلب متع الدنيا الأخرى أو لقضاء حاجة أفضل عند الله من نشر الإسلام وإظهاره على الدين كله في العوالم كلها؛ لكي يعطي الله كرامة طي الأرض للشيخ معروف - على جليل قدره وعلو همته وفضله الكبير. فيعيد بواسطتها شخصاً مفقوداً إلى أهله ولا يعطيها للإمام المهديّ؟

وذكر الشيخ محمود الرنكوسي من كرامات أستاذه ومعلمه محمّد أبو الخير الميداني الذي مات في ١٤ / ٣ / ١٩٦١ بالقول: "ومنها [أي كراماته] طي الطريق له. فقد حدثنا بأنه كان في رمضان وبقي للمغرب دقائق وشرعوا في تهيئة مائدة الإفطار فرأى الشيخ رحمه الله بطيخة كبيرة فاشتهاها

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠، ج ٨، ص ٣٦٢.

لمرشدته وشيخه الشيخ عيسى الكردي رحمه الله وكان بين البيتين مقدار ساعة زمنية، فأخذ البطيخة من غير أن يشعر به أحد من أهل البيت وخرج من البيت قاصداً بيت أستاذه ودفعها إليهم ثم رجع ودخل بيته قبل أن يؤذن المغرب" (١).

فهل نقل بطيخة بواسطة طي الأرض أهم عند الله من الشأن المهدي؟ لكي ينعم على هذا الشيخ بهذه الكرامة ولا ينعم بها على الإمام المهدي؟

ومن كرامات هذا الشيخ أيضاً التي ينقلها لنا الرنكوسي: "إضاءة الطريق له ليلاً فإنه رحمه الله كان يذكر كثيراً لإخوانه بأنه كان إذا مشى ليلاً في الظلام قاصداً بيت أستاذه ومرشدته يرى شخصاً يحمل قنديلاً من النور يمشي بين يديه حتى يوصله".

كما ونقل عنه تمكنه من علم الغيب فقال: "ومنها اطلاعه على بعض المغيبات فإنه أعطاني رسالة كي أضعها في البريد فوضعتها في جيبى ثلاثة أيام ناسياً لها فدخلت على الشيخ رحمه الله في اليوم الثالث أو الرابع بعد إعطائه الرسالة لي فنظر إليّ قبل أن أجلس وقال: متى تضع الرسالة في البريد، فاعتذرت وقلت يا سيدي كنت ناسياً فرجعت فوراً ووضعتها في البريد"

ثم إن الراوي لم يلتفت إلى آية ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّأَدَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فنقل عنه: "ومنها إخباره لي بوفاته قبل سنة كاملة" أي إن الشيخ أخبرهم أنه سوف يموت بعد سنة من تاريخه!

وجاء عن الذهبي عند ترجمته للقزويني الذي وصفه بـ"الإمام القدوة العارف شيخ العراق أبو الحسن علي بن عمر بن محمد القزويني البغدادي الحربي" قوله: "وحدثني علي بن محمد الطراح الوكيل قال: رأيت الملك أبا طاهر بن بويه قائماً بين يدي الشيخ أبي الحسن يوماً بالجلوس فيأبى، ثم

(١) القضاء الرباني، الشيخ محمود بعيون الرنكوسي.

سرد له ابن المجلي كرامات منها شهوده عرفة وهو ببغداد، ومنها ذهابه إلى مكة فطاف ورجع من ليلته^(١).

كذلك جاء في كتاب كرامات الأولياء للشيخ النبهاني ١٤٧/٢ أن الأرض كانت تطوى لعدي بن مسافر الشيخ الأمويّ المعروف، صاحب القبر الموجود في قضاء الشيوخان في نينوى، حيث جاء عن الشيخ عمر قوله: "قام الشيخ وسار راجعاً وتبعته قليلاً وإذا نحن بالزاوية"^(٢) وأعتقد أنّ في هذه الزاوية يكمن السرّ حيث يرد اسمها في قصة طيّ جلال الدين السيوطي للأرض أيضاً! ويقولون في تعريفهم لكلمة أبرار: "أبرار: لقب طبقة من طبقات الأولياء عند الصوفيّة يقولون إنّ عددهم سبعة، وهم بحسب زعمهم يطوفون العالم بجملته كلّ ليلة"^(٣).

وتبعاً لهذا الفهم وجدّث الكثير من القصص التي يخالف الغالب منها العقل والنقل طريقها إلى كتب الفضائل. وهناك في هذه القصص كرامات هي صور جديدة لمعجزات الأنبياء السابقين، والمفروض بك بصفتك مسلماً أن تصدّق ما ورد فيها ولا تعترض عليه ما دام صاحب الكرامة ليس من أئمة أهل البيت، أمّا إذا وصل الأمر للأئمة؛ فستجد هنالك ألف اعتراض واعتراض وقد يتهمونك في الأقل أنك تشبه الأئمة بالأنبياء أو تفضلهم عليهم أو إنك تغالي بهم.

ومن هذه الكرامات ما يخصّ (الصحابيّي أو التابعيّي) أبا مسلم الخولاني^(٤) بأنه اشترط على بعض الناس أن لا يأخذوا معهم زاداً إذا ما أرادوا مصاحبته في طريق الحجّ: "فخرجوا من غوطة دمشق ليس معهم زاد

(١) سير أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي.

(٢) معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة، علي فرج العبدالله، ص ٦٩.

(٣) معجم المصطلحات والألقاب التاريخيّة مصطفى عبد الكريم الخطيب، ص ١٤.

(٤) هناك اختلاف بين العلماء وأصحاب نظريات الصحبة بشأنه فيما إذا ما كان صحابياً أم تابعياً لأنه أسلم في زمن البعثة ولكنه لم ير النبيّ ﷺ.

ولا مزاد ولا علف لحيواناتهم فكان عند كل وقت يصلي ركعتين فتأتي سفرة تمتد بين أيديهم، وجفنة من ثريد، وقلتين من الماء والعلف. فلم يزل هذا حالهم منذ خرجوا من أهلهم حتى عادوا " وهذه القصة تشبه قصة نبي الله موسى ﷺ الذي فجر من الحجر عيون ماء حينما استسقاها قومه. وقصة نبي الله عيسى ﷺ الذي أنزل للحواريين مائدة من السماء، كما وردت في القرآن والإنجيل.

ومنها أنه يأمر الغزاة السائرين إلى قتال الروم حينما تعترضهم الأنهار والمياه بالسير خلفه على وجه الماء فيقطعون النهر الغمر، كما كان يفعل السيد المسيح.

ثم إنه أتى ذات مرة إلى نهر دجلة وهو فائض... فلهز دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا، ثم قال: "هل فقدتم شيئاً من متاعكم، فادعوا الله أن يرده عليكم"

وهناك رواية مشابهة لهذه الرواية ولكنها عن الصحابي العلاء بن الحضرمي وهو الذي أرسله النبي والياً على البحرين وأرسل معه أبا هريرة الدوسي مؤذناً، فالعلاء تبع المسلمين المرتدين الذين هربوا بحراً في سفن لهم إلى دارين بأن أتى ساحل البحر وأمر جيشه بأن يقحموه خيولهم ويغالهم وجمالهم بأحمالها فكانوا يمشون على مثل الرمل ولا يكاد الماء يغمر خفاف الإبل، ولم يفقدوا سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين عاد العلاء فجاء بها! والرواية موجودة في تاريخ الطبري وغيره. وهذه القصص تشبه قصة موسى وقومه مع نهر النيل ولكنها أقوى منها حيث انشق البحر لموسى؛ أما العلاء فمشى مع جنده على الماء كما هي قصة المسيح وتلامذته التي وردت في القرآن والتوراة والإنجيل.

ومنها أن الأسود العنسي مدعي النبوة أجاج للخولاني ناراً وألقاه بها، فلم تضره بل جعلها الله تعالى برداً وسلاماً عليه كما جعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم عندما ألقاه النمرود فيها والقصة مذكورة في القرآن.

بل إنَّ الخولاني أمر تلميذه أحمد بن أبي الحواري أن يدخل التنوّر المسجور فجعله الله عليه برداً وسلاماً كذلك كرامة للخولاني! (١).

ومنها في طبقات الشافعية ٢ / ٣٤٠ أن الله سخر الريح لشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام كما سخرها لنبيّه سليمان؛ إذ قال للريح في إحدى وقعات الإفرنج: خذهم فأخذتهم! هنا أريد لفت الأنظار إلى أن رسول الله وصحابته الكرام خير خلق الله زلزلوا زلزلاً شديداً يوم الخندق فلم يأمّر النبي ﷺ الريح أن تأخذ الأحزاب؟

ومنها قصة أبي بكر عبيد بن يسار الذي انكسر به وبأصحابه مركب في البحر فتعلقوا بلوح منه، فأنبت الله لهم شجرة على اللوح كانوا يمشون أوراقها فيشبعون ويرتوون، ثم تنبت الأوراق من جديد بدل تلك التي استهلكوها إلى أن أنقذهم مركب للمسلمين.

ومن هذه الكرامات أن أبا عبيدة السريّ الدمشقيّ غزا سنة من السنين وفي أثناء الطريق مات مهره فسأل الله أن يحييها له على سبيل العارية حتى يرجع إلى قريته فإذا المهر قائم ينفض أذنيه (٢).

ومثلها في كتاب (من عاش بعد الموت) لابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك أنه عاد شاباً من الأنصار مريضاً فمات، فأخبرت والدته بموته فقالت دعاء فكشف الميت الثوب عن وجهه، فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا. كما كان نبيّ الله عيسى يفعل.

ومنها في كتاب كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ١٤٧ أن الشيخ عدي بن مسافر كان يبرئ الأكمه والأبرص، تماماً كما كانت معجزة نبيّ الله عيسى ﷺ

(١) ينظر كتاب (معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة) لعلي فرج العبدالله.

(٢) طبقات الشافعية ٢ / ٣٣٨ والرسالة القشيرية ص ٢٢ ومختصر تاريخ دمشق ٨٨ / ٢٢ ومعجم البلدان ١ / ٤٢٠.

كما جاء عنهم قولهم المشهور "وأما الإخبار بالمغيبات فقد حصل لأولياء هذه الأمة كثير منه" (١).

وفي كتاب طبقات الشافعية، في ترجمة أحمد بن محمد أبو العباس الملقب الذي مرّ عليكم ادّعاؤه الصعود إلى السماء في حديثنا عن صعود بعض الأنبياء، قالوا: "كان من أصحاب الكرامات والأحوال والمقامات العاليات ويحكى عنه عجائب وغرائب وكان مقيماً بمدينة قوص له بها رباط وعرف بالملثم لأنه كان دائماً بلثام، وكان من المشايخ المعمرين بالغ فيه قوم حتى قالوا إنه من قوم يونس عليه السلام، وقال آخرون إنه صلى خلف الشافعي (رض) وإنه رأى القاهرة أخصاصاً قبل بنائها، ومن أخصّ الناس بصحبته تلميذه الشيخ الصالح عبد الغفار بن نوح صاحب كتاب الوحيد في علم التوحيد وقد حكى في كتابه هذا كثيراً من كراماته وذكر أنه كان عادته إذا أراد أن يسأل أبا العباس شيئاً أو اشتاق إليه حضر وإن كان غائباً ساعة مرور ذلك على خاطره، قال وسألني يوماً بعض الصالحين أن أسأله عمّا يقال إنه من قوم يونس ومن أنه رأى الشافعي قال فجاءني غلام عمّي وقال لي الشيخ أبو العباس في البيت وقد طلبك وكنت غسلت ثوبي ولا ثوب لي غيره فقمتم واشتملت بشيء ورحت إليه فوجدته متوجّهاً فسلمت وجلست وسألته عمّا جرى بمكة، وكنت أعتقد أنه يحجّ في كلّ سنة فإنه كان زمان الحجّ يغيب أياماً يسيرة ويخبر بأخبارها، فلما سألته أخبرني بما جرى بمكة ثم تفكرت ما سأله ذلك الرجل الصالح فحين خطر لي التفت إليّ وقال لي: يا فتى ما أنا من قوم يونس أنا شريف حسينيّ، وأما الشافعيّ فمتى مات ما له من حين مات كثير نعم أنا صليت خلفه وكان جامع مصر سوقاً للدوابّ وكانت القاهرة أخصاصاً، فأردت أن أحقق عليه فقلت: صليت خلف الإمام الشافعيّ محمد بن إدريس

(١) هذه الرواية والقصص التي سبقتها موجودة كلها في كتاب (معجزات الأنبياء كرامات لأولياء من هذه الأمة) لعلّي فرج العبدالله.

فتبسّم وقال: في النوم يا فتى، في النوم يا فتى وهو يضحك، وكان يوم الجمعة فاشتغلنا بالحديث وكان حديثه يلذ بالمسامع فبينما نحن في الحديث والغلام يتوضأ فقال له الشيخ إلى أين يا مبارك فقال إلى الجامع فقال وحياتي صليت فخرج الغلام وجاء فوجد الناس خرجوا من الجامع، قال عبد الغافر فخرجت فسألت الناس فقالوا كان الشيخ أبو العباس في الجامع والناس تسلم عليه، قال عبد الغافر وفاتتني صلاة الجمعة ذلك اليوم، قال ولعلّ قوله صليت من صفات البدليّة فإنهم يكونون في مكان وشبههم في مكان آخر وقد تكون تلك الصفة الكشف الصوريّ الذي ترتفع فيه الجدران ويبقى الاستطراق فيصلّي كيف كان ولا يحجبه الاستطراق

قال عبد الغافر وكنت عزمت على الحجاز وحصل عندي قلق زائد فأنا أمشي في الليل في زقاق مظلم وإذا يد على صدري فزاد ما عندي من القلق فنظرت فوجدته الشيخ أبا العباس فقال يا مبارك القافلة التي أردت الرواح فيها تؤخذ والمركب الذي يسافر فيه الحجاج يغرق فكان الأمر كذلك. قال وكان الشيخ أبو العباس لا يخلو عن عبادة يتلو القرآن نهائراً ويصلي ليلاً قال وكان أبوه ملكاً بالمشرق

قال وقلت له يوماً يا سيدي أنت تقول فلان يموت اليوم الفلاني وهذه المراكب تغرق وأمثال ذلك والأنبياء ﷺ لا يقولون ولا يظهرون إلا ما أمروا به مع كمالهم وقوتهم، ونور الأولياء إنما هو رشح من نور النبوة، فلم تقول أنت هذه الأقوال، فاستلقى على ظهره وجعل يضحك ويقول: وحياتي وحياتك يا فتى ما هو باختيارى. وتوفي الشيخ أبو العباس يوم الثلاثاء رابع عشرين من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وستمئة وهو مدفون برباطه بمدينة قوص مقصود للبركة^(١).

والظاهر أنّ مثل هذه الكرامات فاشية بينهم، فقد نقل موقع صيد

(١) طبقات الشافعية، الترجمة تسلسل ١٠٥٨.

الفوائد^(١) عن الصوفيين من أتباع الطريقة النقشبندية كماً كبيراً من هذه الكرامات منها قولهم في حديثهم عن أحد شيوخهم: "وكانت الكعبة تطوف به تشریفاً له"^(٢).

ومنها: وكان الشيخ عبيدالله أحرار ميزة عجيبة فكان عنده قوّة ينقل بها المرضى من شخص لآخر"^(٣).

ومن كراماته أيضاً أنّ زوجة أحد أصحاب هذا الشيخ قد مرضت، فالتمس من حضرته أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل، فألح عليه، فقال له: لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً، وبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر"^(٤).

ومنها: وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال: "أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأذب مع جدّي رسول الله لقلت هذا سعيد وهذا شقي"^(٥).

ومنها: وكان الشيخ عبدالله الخاني يخبر بالأمور قبل وقوعها وكان لا يسأل أتباعه عن أحوالهم وإنما يخبرهم عنها"^(٦).

ومنها أنّ بهاء الدين نقشبند [مؤسس الطريقة النقشبندية] كان يقول للرجل "مت" فيموت ثم يقول له "قم حياً" فيحيا مرة أخرى"^(٧).

ومنها: وكان الشيخ أحمد الفاروقي يقول "كثيراً ما كان يُعرجُ بي فوق

(١) موقع صيد الفوائد، الرابط <http://www.saaaid.net/feraq/sufyah/t/6.htm>

(٢) نقله عن المواهب السمرديّة ١٨٥ الحدائق الوردية ١٨٠ البهجة السنية ٨٠ والحاوي للفتاوي ٢٢٠/١ للسيوطي.

(٣) نقله عن جامع كرامات الأولياء ٢/٢٣٦، الأنوار القدسية ١٧٧.

(٤) عن المواهب السمرديّة ٢٤٩ و٢٥١ جامع كرامات الأولياء ٢/١٢٩ الأنوار القدسية ٢١٦ و٢١٧.

(٥) نقلها عن ارغام المرید شرح النظم العتيد لتوسل المرید برجال الطريقة النقشبندية ٣٩.

(٦) نقلها عن جامع كرامات الأولياء ١/٢٢٢ - ٢٢٣.

(٧) نقلها عن المواهب السمرديّة ١٣٣ والأنوار القدسية ١٣٧ وجامع كرامات الأولياء ١/١٤٦.

العرش وأرتفعُ فوقه بمقدار ما بين مركز الأرض وبينه، ورأيت مقام الإمام شاه نقشبند... قال "وأعلم أنني كلما أريد العروج يتيسر لي" (١).

ومنها قولهم: "يعتقد النقشبنديون عامة والأحباش خاصة أن المؤسس الأوّل للطريقة النقشبندية هو أبو بكر الصديق. وكان يستعمل طريقة الذكر النقشبندية بحبس النفس ولا يتنفس إلا في الصباح، وكان الناس يشتمون رائحة اللحم المشويّ فأخبرهم النبي ﷺ أن هذه الرائحة كبد أبي بكر من كثرة ذكره لله. ويعتقدون أنّ من لم يسلك طريقته فهو على خطر من دينه" (٢).

وفي حديثه عن سنة أربع وثمانمئة، قال ابن العماد الحنبلي: "وفيها بركة السيّد الشريف المعتقد المعروف بالشريف بركة.. أنّ تيمور لما أخذ السلطان حسين صاحب بلخ سنة إحدى وسبعين وسبعمئة، ثمّ سار لحرب القان تغتمش ملك التتار.. قتل أكثر أصحاب تيمور وظهرت الهزيمة على عسكره وإذا بالسيّد هذا قد أقبل على فرسه، ثمّ نزل عن فرسه ووقف يدعو ويتضرّع، ثمّ أخذ من الأرض ملء كفه من الحصباء ورمى بها وجوه عسكر تغتمش خان وصرخ بأعلى صوته: (باغي قجتي) ومعناه باللغة التركية العدو هرب.. فانهزموا أقبح هزيمة وظفر تيمور بعساكر تغتمش" (٣).

ووجدت في أحد المواقع الالكترونية (مكرمة) من طراز خاصّ ومن النوع الثقيل أثبتها بحرفيتها كما جاءت؛ لكي تُعرف نظرة الآخر المستهينة للكرامة وأهلها مع تحفظهم الشديد على حديثنا عن كرامات أهل البيت ﷺ، تقول الرواية، وهي التي بعنوان (رجل الله يسكن في بيت الخواطي) والخواطي؛ أي: الخاطئات، أي: (العاهرات) - أجلكم الله من ذكرهنّ - والمقالة بقلم

(١) نقله عن المواهب السمرديّة ١٨٤ الأنوار القدسيّة ١٨٢.

(٢) نقلها عن إرغام المريد للكوثري، ص ٣٠ ومجلة منار الهدى ٢٠/١٦ ونور الهداية والعرفان في سر الرابطة وختم الخواجكان..

(٣) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، الجزء ٧،

إبراهيم أحمد كامل جاء فيها: "الصوفية هم أهل الله وخاصته، ترجى الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم. قال شيخ الصوفية "أبو القاسم الجنيد" (ت ٣٩٠ هجرية) في وصف طريق الصوفية: طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة. ومن الغريب أن نجد أحد شعراء الصوفية يمتدح الحشيش الذي يسهل اصطياد الغلمان النافرين للواط بهم؛ فهو يقول:

فحشيشة الأفراس تشفع عندنا للعاشقين ببسطها للأنفس
وإذا هممت بصيد ظبي نافر فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس

ولكن الأغرب أن يسكن أحد أولياء الله هؤلاء في خان الخواطي (بيت العاهرات) ذلك هو الشيخ "علي وحيش" الذي يقول عنه الإمام "عبد الوهاب الشعراني" المعاصر له (ت ٩٧٣ هجرية) في كتابه "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار": كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال وله كرامات وخوارق. كان الشيخ علي وحيش يقيم في "المحلة" ويسكن في خان بنات الخطا، في ذلك الوقت كان يسمح بممارسة الدعارة في بيوت معروفة. وكانت العاهرات يدفعن ضريبة تسمى "ضمان المغاني" [أصبح اسمها في عهد محمد علي ضريبة الخردة وفي عصرنا الراهن ضريبة الملاهي] فكان يعن لحمهن الرخيص بموافقة الحاكم وتحت حمايته. لكن الشيخ علي وحيش كان يسكن في بيت العاهرات لغرض نبيل وهو الشفاعة عند الله في الزناة الذين يأتون للحصول على المتعة الحرام. فبعد أن يقضي الواحد منهم وطره ويحصل على متعته، وحين يهّم بالخروج يقول له الشيخ: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه الشيخ ويتركه يذهب. وكان يحبس بعض المترددين على البيت اليوم واليومين ولا يمكنهم من الخروج حتى تجاب شفاعته فيهم. وقال الشيخ يوماً لبنات الخطا: اخرجوا من الخان لأنه سينهار عليكم! فما استمعن إليه إلا واحدة خرجت سالمة وماتت الباقيات مدفونات تحت أنقاض الخان الذي انهار عليهن كما حذرهن.

وكان الشيخ علي وحيش إذا رأى شيخ بلد أو غيره من صغار الحكام

يركب حمارة.. ينزله من عليها، ثمّ يقول له: أمسك رأسها لي حتى أفعل فيها، فإنّ أبي شيخ البلد أن يفعل ذلك تسمّر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة، وإن أطاعه شعر بخزي كبير والناس يَمْرُون عليه والشيخ يمارس الجنس مع حمارته وهو يمسك له رأسها. وقد عاد الإمام الشعراني إلى وصف الشيخ علي وحيش بقوله: وكان له أحوال غريبة وقد سأل الشيخ "محمد بن عنان" عن الشيخ علي وحيش وأحواله الغريبة تلك فقال له: إنّ هؤلاء يَخْتَلُونَ (يوهمون) للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة ولا نملك إلا أن نقول الله أعلم وهو محيط بأفعال عباده، ولكلّ عبد من عباده كتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها.. وسبحان علام الغيوب فمن غيره يغفر الذنوب؟^(١)

ومن كلّ ما تقدّم من حديث عن الكرامات حسنها وقبيحها نستنتج أنّ إعطاء كرامة طيّ الأرض وكلّ الكرامات الأخرى إلى الإمام المهديّ ليس غلوّاً شيعيّاً، بل هو حقيقة ثابتة؛ لأنّ مجرد إعطائها للأولياء وحتى للصوفيين بل وللخلعاء والماجنين مثل الشيخ (علي وحيش) وغيره ممّن مرّ ذكرهم في الروايات والقصص السابقة يعني أنّ إعطاءها للإمام المهديّ حامل المشروع التجديديّ الهادي أكثر أهميّة من إعطائها لكلّ هؤلاء، ولكلّ من ادّعت لهم كذباً وزوراً، وحتى لمن كان يمتلكها حقاً.

ومن هذه القناعة الثابتة تجدنا نؤمن عن يقين بما ورد في رواياتنا عن إعطاء الله سبحانه للإمام المهديّ كرامة طيّ الأرض؛ لكي يتنقل بواسطتها في الأرض كلمح البصر بل هو أسرع حتى إنّ أهل مشرق الأرض وأهل مغربها يمكن أن يحلفوا بالله أنه كان عندهم في اللحظة نفسها، أو كما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: "تراه الأرض في كلّ زواياها في وقت واحد، ليل نهار"^(٢) لكي يتابع يسر عملية البناء الكونيّ الكبيرة التي هي أهمّ في كلّ المقاييس من مهامّ هؤلاء.

(١) موقع حلو الكلام <http://himaparadise.jeeran.com/archive/2009/3/823845.html>

(٢) المفاجأة، ص ٥٠٨.

وعند مقارنة المهام المهدوية مع مهام الآخرين ولاسيما منها تلك التي وردت في بعض الروايات الفضائية التي مرّت عليكم يتأكد أنّ من عدالة الله تعالى التي يتفق المسلمون جميعاً على حقيقة أن يتكرّم الله على المهديّ بهذه الكرامة لكي ينجز ما في ذمّته من مهام أوكلتها العناية الإلهية له ولدولته، دولة الاستخلاف الإلهي الأخير، وأنّ طيّ الأرض هو من مهادت الانطلاق نحو الأكوان لتحقيق كونيّة الأطروحة المهدوية.

وبهذه المقدمات سنتحدّث في الجزء الثاني عن الأكوان وسكانها وعلاقتها بالمهدوية وبعصر الظهور المقدّس.

عَوَالِمُ الْحُكُومَةِ الْمَهْدَوِيَّةِ

الأكوان وسكانها وأديانها

الجزء الثاني

صالح الطائي

الباب الثاني

الأكوان وسكانها وأديانها

الفصل الأول

الأكوان وأسرارها الخفية

الأكوان اللامتناهية

هنالك اليوم كما بيّنا من قبلُ رأيان بخصوص الأكوان وسكانها أحدهما إسلامي، والآخر علمي مادّي دنيويّ، وهما رغم تباين مصدريهما يتفقان في جوانب كثيرة منها: اتفاقهم على تعدّد الأكوان وسعتها. واتفاقهم على إمكانية وجود حياة من نوع خاصّ في هذه الأكوان.

حيث كانت النتائج العلميّة ولا تزال تأتي كلّ يوم بما يصبّ في صالح الآراء الدينيّة ويدعمها. ومع أنه لا يجوز شرعاً عرض الآثار الإسلاميّة على آراء العلماء والفلكيّين والمتخصّصين الدنيويّين على سبيل المقايسة أو التصحيح؛ لأنّ العقيدة التي أنزلها الله سبحانه كاملة شاملة لا تحتاج إلى الدعم الدنيويّ، إلّا أنّ الاستثناس بآراء العلماء يسهم في تقوية الاطمئنان بقلوب المشكّكين. ومن هذا الباب لا أجد بأساً في ذكر ما جاؤوا به عسى أن يكون ذلك وازعاً لهم يدفعهم للإطلاع على ما جاء به الإسلام من قبل؛ لتوسيع مداركهم وتصحيح نظريّاتهم تبعاً لذلك^(١). لأنّ تطوّر معلوماتهم وعلومهم سيصبّ أولاً وأخيراً في مصالح الإسلام عامّة والمهدويّة خصوصاً.

من أجل إثبات سعة الأكوان واختلاف النظم الفلكيّة التي تتحكم فيها،

(١) الملاحظ أن العلماء الغربيين شككوا بأقوال المسلمين بخصوص تطرق القرآن للعلوم الفضائيّة باعتبار أن ذلك لو كان صحيحاً لاستفاد منه المسلمون أنفسهم وتوصلوا إلى النتائج التي توصل لها الغربيون، ولكن من يقرأ الآيات القرآنيّة التي وردت فيها هذه المعلومات يجدها موجهة لغير المسلمين أساساً وهذا من الإعجاز القرآنيّ فغير المسلمين هم من يجب أن يتوصل إلى النتائج القرآنيّة!

وإثبات وجود السكان في هذه الأكوان؛ فضلاً عما تقدّم لا بأس من الحديث بتوسّع عن الأكوان والسكان عسى أن تسهم هذه المعلومات في إثبات صحّة معتقدنا بوجود غزو الإمام المهديّ المنتظر الأكوان ومجرّاتها ونشر دين الإسلام في ربوعها.

الأكوان

يقول العلم الحديث إنّ الكون يتألف من مجرّات هي جزء من منظومة كونية لا يعرف ويستحيل أن يعرف العلم المعاصر أو المستقبليّ حدودها. والمجرة هي تجمّع لعدد هائل من النجوم وتوابعها ومن الغبار والغازات المنتشرة بين أرجاء النجوم، وقد قسم العلماء المجرّات وصنّفوها إلى أنواع تبعاً للشكل الذي تتخذه؛ وهي:

- * المجرّات الإهليلجية (بيضاوية).
- * المجرّات الحلزونية (لولبية).
- * المجرّات غير المنتظمة (الشاذة).
- * المجرّات القزمة الصغيرة.

وقال العلماء إنّ الكون يحتوي على عدد هائل غير معروف من المجرّات التي تحتوي كلّ منها مليارات النجوم، والمجرّات توجد بشكل تجمعات أو حشود (Clusters) أطلقوا عليها أسماء تعريفية توضيحية مثل تجمّع العذراء (Virgo Cluster) وغيره.

وكان الاعتقاد السائد بين قداماء العلماء أنّ حركة المجرّات عشوائية غير منضبطة كما هي حركة الغازات، ولكن العالم (أدوين هابل) اكتشف عام ١٩٢٩ أنها في تباعد مستمرّ عن بعضها بعضاً، وبسرعات هائلة قد تقترب في بعض الأحيان من سرعة الضوء وقد حسب نسبة تباعدها فوجدها تبتعد بسرعات متناسبة مع المسافة التي تفصل بينها، وهذا يعني أنّ الكون في توسّع وتمدّد مستمرّ، وأنّ هذا التمدّد والتوسّع والحركة يتمّ بنحو منضبط محكم. وهذا هو التوسّع الذي تحدّث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا

يَأْتِيُو وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ»^(١) وهو الذي سوف يتوقف منتظراً الأمر الإلهي ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢) وهو التوسّع الذي شرحه الدكتور أحمد عوض عبد الهادي بقوله: "فلقد تبين أنّ المجرات تتباعد عن بعضها بعضاً حالياً بمعدل ٣٨ ألف ميل / ساعة لكل مليون سنة ضوئية ٣٠٠٠٠٠٠ ألف كيلومتر في الثانية فيما يسمّى بثابت هبل وحتماً سيأتي وقت تنتهي هذه الحركة وتسكن ومن بعدُ تقع الأجرام على بعضها، فيبدأ الكون بالانكماش، ثمّ يجمع الكون كله في نواة صغيرة جداً بالنسبة لحجمها الحالي (the big crunch theory) هذه النواة هي نفسها التي نشأ منها الكون قبل ما يزيد على ١٢ مليار سنة"^(٣).

وكان العلماء يعتقدون إلى وقت قريب أنّ المجرات تشكلت في زمن حديث نسبياً من تاريخ الكون، إلا أن علماء بريطانيين أعلنوا أنهم اكتشفوا عدداً من المجرات الشديدة الحمرة ممّا يعني أنّ تلك المجرات كانت موجودة بالفعل منذ نحو عشرة مليارات عام، عندما كان الكون أصغر بست مرات ممّا هو عليه الآن.

توجد المجرات في حشود تعرف باسم تجمّعات المجرات (Galaxy Clusters) تتألف من مجموعة تتكوّن من عشرات أو مئات وقد تصل إلى ألوف المجرات في مجموعة واحدة؛ وهي التي تجمعها عناصر الجذب بينها، وقد قسم العلماء المجرات إلى مجموعات طبقاً لقربها من بعضها بعضاً^(٤).

إنّ سعة الكون بحدّ ذاتها إحدى أكبر الأدلة على حتمية وجود المخلوقات فيه، ولاسيّما أنّ حديثاً للإمام السّجّاد عليه السلام رجّح كفة نسبة الأكوان المعمورة

(١) سورة الذاريات الآية ٤٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

(٣) أحداث النهاية بين العلم والقرآن والسنة - طلوع الشمس من مغربها، الدكتور أحمد عوض عبد الهادي، محمل من شبكة التنا.

(٤) ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦. alnomrosi.net

إلى نسبة الأكوان غير المعمورة بخمس من أصل سبع، فقال: "خمس عوامر واثنان خريتان" أي: إن خمسة أسباع الكون معمور بمخلوقات الله، سواء كانوا من الملائكة أم من أقوام أخرى لا نعرف عنها شيئاً، وخمسين فارغان، وإلا ما الغاية من خلق الأكوان بهذه السعة التي لا يمكن أن تكون برهاناً لمن لا يملك إمكانية إدراك حدودها، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ما خلقت الجن والإنس والمخلوقات الأخرى التي لا تعرفونها إلا ليعبدوني. وبعض العبادة لا يتم إلا باليقين المبني على البرهان والنظر. لا يفوتني التذكير هنا بأن الأطروحات الكونية والفلكية الإسلامية تختلف عن أطروحات الديانات الأخرى، وهو ما سنتحدث عنه في سياق البحث.

إن اختراع المنظار الفلكي من لدن العالم الإيطالي (غاليليو) في سنة ١٦١٠ يعد نقطة تحول كبرى في الدراسات والاكتشافات الكونية لما فتحه من آفاق ساعدت الإنسان في معرفة أن أرضنا التي نحن نعيش عليها هي جزء من مجموعة كواكب تحيط بالشمس وتدور حولها، وأن شمسنا وكواكبها تقع على الحافة الخارجية لمجرة تعرف باسم درب التبانة هي واحدة من أصل ملايين المجرات الكونية. وقد رغب العلماء في تقريب حجم هذه المجرة للإدراك العام للإنسان بأن قاموا بإجراء تصغير افتراضي لها بنسب مدروسة بعناية فائقة، ومع ذلك ظلت المسافة بين حجم كواكبها خرافية. فقالوا: "لو صغرنا حجم الأرض إلى نقطة افتراضية قطرها نصف ملم بدلا من قطرها الحالي البالغ ١٢٧٤٠ كيلومتراً وهذا الحجم المصغر الجديد يساوي نسبة ١ من ٢٥ ألف مليون من الحجم الأصلي؛ فإن الأبعاد الأخرى تنكمش بالنسبة نفسها فتصبح المسافة بين الأرض والشمس ستة أمتار والمسافة لأقرب نجم آخر ١٦١٧ كيلومتر، ويصبح قطر المجرة ٣٧٦١٥٠٠٠ كيلومتر، والمسافة بينها وبين جارتها مجرة المرأة المسلسلة ٧٣٢٣٧٠٠٠٠ كيلومتراً"^(١).

(١) ينظر: قضية الخلق بين الماديين والمثاليين، ص ٢٦.

ولمعرفة الحجم الحقيقي لمجرتنا يجب ضرب كل رقم من هذه الأرقام × ٢٥ ألف مليون. فكم هو الحجم الحقيقي للأكوان كلها يا ترى إذا ما عرفنا أنّ السحابة النجمية (نبيولا الشراع) التي تقع في مجموعة الدجاجة انفجرت قبل ٥٠٠٠٠ عام وأحدثت نثارات نجمية انتشرت حتى غدا قطرها ٤٠٠ تريليون كيلومتر، وتسير بسرعة ٤٨٠٠٠٠٠ كيلومتر بالساعة؟^(١).

لقد أراد الله تعالى أن يبين للناس جزءاً من هذه الحقيقة الكونية يتناسب ومداركهم آنذاك؛ لكي يحفزهم على التفكير في خلق السماوات والأرض من مجموعة من الآيات الكريمة التي تحدّثت عن أرقام قريبة لمداركهم منها قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٢) ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٣) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤).

لأنّ مجرد تفكير المسلم بكبر هذه الأرقام نسبة إلى عدد المراتب الحسابية التي كان يعرفها ويستخدمها في حياته اليومية، ومعرفته لطول المسافات (بالسين) التي تقطعها الملائكة في نزولها إلى الأرض وصعودها يحفز عقله للبحث العلمي. وهو الأمر الذي لم يحدث كما كان يجب أن يكون بعد أن أسهم الحكام الجهلة الذين اغتصبوا القيادة من أهلها الشرعيين في تحجير العقل المسلم وتجهيله!

إنّ النقول الموجودة لدينا على قلتها تحدّثت عن العوالم الأخرى التي أوجدها الله تعالى خارج أرضنا بمحدودية لم تجلب انتباه الدارسين بنحو كبير، ولكنها احتوت تفاصيل فيها إشارات صريحة لوجود أعداد كبيرة من الأكوان، ففي كتاب الله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٥) وهي

(١) المصدر نفسه، قصة الخلق، ص ٢٦.

(٢) سورة الحج، الآية ٤٧.

(٣) سورة السجدة، الآية ٥.

(٤) سورة المعارج، الآية ٤.

(٥) سورة الطلاق، الآية ١٢.

الآية التي أجمع المفسرون على أنها تدلّ على تعدّد السماوات والأرضين، وهو ما أشار إليه أبو السعود بن محمّد العماري من فضلاء المئة التاسعة بقوله: "أجمع الجمهور على أنها سبع أرضين بعضها فوق بعض بين كلّ أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض" وهذا الإجماع يتماهى مع ما صحّ عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله: "هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا وفوقها قبة، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة" ^(١).

وقد أخرج ابن المطهر المقدسي: "عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا قالوا: الله ورسوله أعلم قال النبي: اعلموا أنّ هذه زوايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثمّ قال: هل تدرون ما الذي فوقكم قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف قال: هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا: الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمس مئة عام، ثمّ قال: أتدرون ما فوق ذلك قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فوقه العرش وبينه وبين السماء بعد مثل ما بين سماءين، ثمّ قال: أتدرون ما تحتكم قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإنّ تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمس مئة عام ثمّ قال والذي نفس محمّد بيده لو أنكم دليتم بحبل لهبطتم على الله ثمّ قرأ هو الأوّل والآخِر والظاهر والباطن الآية" ^(٢).

فضلاً عن ذلك نملك كمّاً لا بأس به من الروايات التي تتحدّث عن تعدّد السماوات والأرضين، ربّما بسبب علاقة هذه التعدّديّة بموضوع المهديّة بالذات حيث تواتر في كتب أدعيّتنا وكتبنا الإخباريّة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أوصيائه المعصومين عليهم السلام مثل هذه الإشارات ومنها: "اللهم ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وما فيهنّ وما بينهنّ وربّ العرش العظيم".

(١) المعجم الموضوعي، ص ١٠١.

(٢) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ٧ خلق السماء والأرض وما فيها.

وفي البحار وتفسير القمّي مسنداً عن النبي ﷺ أنه قال في حديث توصيف المعراج: "وكشطت لي عن السماوات السبع والأرضين السبع..."^(١) وكذلك في البحار والدرّ المنثور للسيوطي عن ابن عباس عن النبي ﷺ: "إنّ من وراء قاف سبع بحار كلّ بحر خمسمئة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين"^(٢).

وقد قال السيّد هبة الدين الشهرستاني في معرض تعليقه على هذه الروايات: "مضامين هذه الرواية منطبقة على تحقيقاتنا السابقة في جبل قاف والبحار السبعة والأرضين السبع، كما هي منطبقة على الآراء الجديدة من تعدّد الأرضين"^(٣).

وفي كتاب عجائب الملكوت عن الحسن بن عليّ عن أبيه ﷺ من كلام له مع كعب الأخبار: "ثمّ دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار ثمّ فتقها بالتبيان وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة، ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي أنشأ من تلك البحور فجعلها سبعاً طباقاً"^(٤).

وفي نهج البلاغة من خطبة للإمام عليّ ﷺ: "أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها... فسوى منه سبع سماوات"^(٥).

وفي البحار: "فتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها"^(٦).

وفي نهج البلاغة كذلك: "فخلق من دخانها السماوات ومن زبدها الأرضين"^(٧).

(١) الهيئة والإسلام، السيد هبة الدين الشهرستاني، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٣ - ١١٤.

(٤) عجائب الملكوت، ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) شرح نهج البلاغة، الخطبة رقم (١) ص ٤٠ - ٤١.

(٦) المصدر نفسه، الخطبة رقم (٢١١) ص ٣٢٨.

(٧) البحار للمجلسي، جزء ١٥، ص ٣٠.

وفي الصحيفة السجادية قال الإمام عليّ السجاد عليه السلام: "إنّ الله ابتدع الأشياء كلها على غير مثال كان، وابتدع السماوات والأرض ولم يكن مثلهنّ سماوات ولا أرضين" ^(١).

أحاديث في سعة الأكوان

في تراثنا مجموعة كبيرة من الأحاديث والنصوص والروايات التي تحدّثت عن سعة الأكوان وتعدّديتها، كالحديث الذي أخرجه هبة الله ابن شهر آشوب في تفسيره، عن النبي صلى الله عليه وآله: "إنّ الله ثمانية عشر ألف عالم أحدها الدنيا"، والحديث الذي أخرجه ابن الجوزي في المنتظم عن وهب بن منبه: "إنّ الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا من ذلك واحد" ^(٢). وفي المنتظم أيضاً: "وعن عليّ بن أبي طالب (رض) أنه قال: "الله ثمانية آلاف عالم الدنيا وما فيها عالم واحد" ^(٣).

وفي البدء والتاريخ: "ذكر ما وصفوا من عدد العوالم ولا يعلمها إلا الله، روى جبير عن الضحّاك أنه قال: قال: الله في الأرض ألف عالم منها ستمئة بالبحر وأربعمئة في البرّ، وعن الربيع بن أنس: لله أربع عشر ألف عالم ثلاثة آلاف وخمسمئة في المشرق وثلاثة آلاف وخمسمئة في المغرب، وثلاثة آلاف وخمسمئة هكذا، وثلاثة آلاف هكذا" ^(٤) الحظ هنا أنّ الفهم الإسلاميّ يدفع بقوة لحصر التعدّد في العالم الأرضيّ وحده

أي إنّ الله سبحانه ثمانية عشر ألف مجموعة شمسيّة مثل مجموعتنا الشمسيّة وربما أكبر منها أو ثمانية آلاف عالم، وقد جاء في كتب علوم الفضاء الحديثة أنّ العلماء رصدوا وأكدوا وجود مجرّات في الكون أكبر من

(١) الصحيفة السجادية في معانيها الجليلة، نبيل شعبان، ص ٣٥٢.

(٢) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي، الجزء الأول، باب ذكر البلاد.

(٣) المنتظم في التاريخ، ابن الجوزي، الجزء ١، باب: ذكر البلاد.

(٤) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ٧ خلق السماء والأرض وما فيها.

مجرتنا كثيراً، وشموسها أكبر من شمسنا بآلاف المرّات وأنهم يعجزون عن رسم الحدود النهائية للكون، ولا يمكن لأجهزتهم مهما تطوّرت أن تنجح في ذلك. وقد لَحِظ العلماء مؤخراً أنّ كل ما نراه من الكون لا يزيد عن نسبة ٥٪، وأنّ أكثر من ٩٥٪ من الكون يتألف من مادة غير مرئية لا نبصرها هي المادة المظلمة.

كما اكتشف العلماء مؤخراً وجود ثقب أسود في مجرتنا يبعد عن الأرض (٢٧) ألف سنة ضوئية، وبالمناسبة إنّ السنة الضوئية تساوي (٩٦٤٠) مليار كيلومتر، أي إنّ الثقب الأسود المكتشف يبعد عن أرضنا (٢٦٥/٥) مليار مليون كيلومتر. هذا الثقب الأسود يبعد عنا (٢٧) ألف سنة ضوئية فقط، فكم تبعد مجرة (سومبرارو) بالكيلومترات إذا علمنا أنها تبعد عنا بحدود ٢٨ مليون سنة ضوئية؟! وقدّر العلماء أنّ بعض المجرات القريبة منا تبعد عنا (١١٤) مليون سنة ضوئية، فكم كيلومترا يساوي ذلك؟! وكم هي أبعاد مجرتنا وحدها؟ وكم مجرة أخرى توجد في الكون كله؟ وكم هي واسعة تلك الأكوان التي خلقها الرحمن؟

المدّش أنّ مجرتنا التي نتحدّث عنها بعظمتها وسعتها الكبيرة لا تشكل سوى جزء صغير من عنقود مجريّ يسمّى: (المجموعة المحليّة) (Local Group) ويبلغ قطر هذا العنقود عشرات الملايين من السنوات الضوئية، وهذه المجموعة كلها هي الأخرى جزء من عناقيد مجريّة أكبر تسمّى: (السوبر) (Super Cluster)، ومن مجاميع عناقيد مجرات السوبر تتكوّن المجرات العظمى (Super Galaxies) هذا وقد أحصى العلماء المتخصّصون في علوم الفضاء ألفي مجرة تسبح في جزء بسيط من السماء الدنيا وما لم يكتشفوه منها بعدُ يفوق هذا العدد كثيراً!

أمّا المسافات التي تفصل بين المجرات فهي مسافات خرافية تفوق تصوراتنا الرقمية كلها بحيث إنّ الاعتماد على حساب السنوات الضوئية الذي يبدو خرافياً عند مقارنته بطرق الحساب التقليديّة، هو الآخر يبدو أمامها

عاجزاً كلياً، فعلى سبيل المثال ورد في الأخبار العلميّة أنّ علماء الراديو الفلكي تمكنوا من العثور على منطقة فارغة مساحتها أوسع كثيراً من المساحات الفارغة المكتشفة من قبلُ والبالغ عددها (٣٠) منطقة، تبعد عنا نحو (ثمانية مليارات) سنة ضوئية ويصل قطرها إلى ما لا يقلّ عن (مليار) سنة ضوئية. وقد قال بشأنها الباحث الأمريكي (Laura Mersini-Houghton) من جامعة ساوث كارولينا: "علم الكونيات التقليدي لا يستطيع تفسير فجوة كونية هائلة كتلك"

لذا أجد أنّ مجرد الحديث ببساطة وسطحية عن سعة الأكوان يعدّ مجازفة كبيرة نسبة إلى محدودية عقولنا البشرية ومقدرتنا الفكرية على إجراء العمليات الحسابية يدوياً أو بالقلم أو بالأجهزة المتطورة وحتى في أكبر الحاسبات وأحدثها، ولكنه على كلّ حال يرسم صورة بلا حدود أو إشارات لحجمها المهور الذي لا يمكن تصوّره أو رسم صورة تقريبية محدّدة له حتى في الخيال الجامح. ويقدر العلماء أنّ عدد المجرات التقريبي يبلغ حوالي ١٠٠ مليون مجرة، والبعد بين واحدة وأخرى ٨ مليون سنة ضوئية، فما هي حدود الكون وأين تبدأ وأين تنتهي؟ وهل ممكن أن نصل إلى معرفة وفهم ولو قسم صغير من هذه اللامحدودية المرعبة؟ والسؤال الأهمّ ماذا تعني هذه السعة إذا ما كانت غير مرئية سوى أنها بالتأكيد تحتوي على أجناس من المخلوقات من غير الملائكة قد يتناسب عددهم مع سعتها، وأنّ اجتماع المخلوقات الكونية كلها مع بعضها في آخر الزمان هو الذي سيجعل المخلوقات كلها تصل إلى مرحلة العرفانية بعد أن تدرك أنّ قدرة الله تعالى لم تُعرف على حقيقتها في أيّ تاريخ سابق؟ فماذا نملك من معلومات عن هؤلاء السكان؟

الماء في الأكوان

ولتوضيح هذا الأمر يجب أن نتحدّث عن وجود المقوم الأساسي في الحياة وهو الماء في تلك الأكوان، علماً أننا تحدّثنا وستحدّث تحت عنوان

الأكوان المتوازية عن القوانين الكونية التي لا تشترط احتياج السكان الكونيين للماء وغيره والاعتماد عليه في عيشهم، وقد يكون العثور على الماء أحد الدواعم التي يستند إليها العلماء في بحثهم عن الحياة الكونية.

ومن حسن الصدق أنّ علماء وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) وفي تقرير لهم صدر مؤخراً قالوا: إنهم عثروا على خزانات جوفية ضخمة من المياه المتجمدة على كوكب المريخ بعيداً عن المنطقة القطبية فيما يعدّ دليلاً جديداً على وجود مقومات للحياة على الكوكب الأحمر. إذ أظهر رادار الكشف عن الأعماق الذي استعملته مركبة الاستطلاع (مارس أوريبتور) وجود جبال جليدية ضخمة يصل سمكها إلى نصف ميل مدفونة تحت طبقات الصخور والأترية، وقال (جون هولت) عالم فيزياء الأرض: إنّ هذه الجبال الجليدية تشكل معاً أكبر خزان للمياه المتجمدة على المريخ خارج المنطقة القطبية^(١).

كما أعلنت وكالة ناسا الفضائية الأمريكية يوم الجمعة ١٤/١١/٢٠٠٩ عن اكتشاف كمّيات هائلة من المياه على سطح القمر، وهي المرّة الأولى التي يُتوصّل فيها إلى مثل هذا الاكتشاف، حيث جاء في تقرير مراسل (BBC) للشؤون العلمية (جوناثان آموس) الذي نشرته الوكالة يوم الجمعة ١٣/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ تحت عنوان (ناسا تكتشف كمّيات كبيرة من المياه على القمر) عن علماء أمريكيين قولهم: "إنّ تجربة صدم صاروخ ومسبار فضائيين بسطح القمر، أجرتها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) الشهر الماضي للتأكد من وجود المياه على سطح الكوكب، قد أثبتت نجاحاً باهراً". وأشار العلماء الذين قاموا بدراسة المعلومات التي جمعتها بعثة الوكالة إلى أنّ الأدوات والأجهزة الدقيقة التي تمّ تصميمها بشكل يمكنها من تحسّس الرذاذ والبخار الناجم عن عمليتي التصادم، إنهم توصلوا إلى دليل يثبت العثور على كمّيات وافرة من الجليد المائيّ وبخار الماء على القمر.

(١) وكالة بي بي سي للأبناء عن مجلة (ساينس) العلمية الأمريكية، ٢١/١١/٢٠٠٨.

وقال أنتوني كولابريت، كبير العلماء العاملين في بعثة القمر الاصطناعي المكلف باستشعار سطح القمر (لاكروس) ومراقبته: "نحن لم نعثر على كمّية ضئيلة من الماء، بل عثرنا على كمّية كبيرة منه" وقالت الوكالة في بيان أصدرته في هذه المناسبة: "تشير البيانات الأولية إلى أنّ مهمّة اكتشاف المياه في الجانب المظلم من القمر قد تكلفت بالنجاح". واعتبرت ناسا أنّ الاكتشاف "يدشن مرحلة جديدة في فهم القمر".

أمّا بيتر شولتز، أستاذ في جامعة براون وباحث متعاون مع بعثة "إلكروس" فقال: "المثير حقاً في ذلك هو أننا قمنا فقط بصدم نقطة واحدة فقط. إنّ الأمر أشبه ما يكون بعملية التنقيب عن النفط، فحالما تجده في مكان واحد، تصبح الفرصة أعظم بالعثور عليه في مكان آخر قريب" وأوضح قائلاً إنّ وزن كمّية مركب (H₂O)، أي الماء، التي تمكنت أجهزة القياس الدقيقة من رصدها تساوي ١٠٠ كيلوغرام، وقد نجمت عن حدوث حفرة نتجت عن عمليتي الارتطام وبلغ طولها ٣٠ متراً وعرضها ٢٠ متراً.

وتعليقاً على إعلان ناسا خبر العثور خبائها على المياه على القمر، قال أستاذ جامعة براون والباحث المتعاون مع بعثة "إلكروس" "بيتر شولتز": "وفي حال أسفرت عمليات البحث المستقبلية عن وجود كمّيات كبيرة من المياه على القمر، فيمكن أن تصبح تلك المياه مصدراً مفيداً لأيّ رواد فضاء قد يتمركزون مستقبلاً في المناطق القطبية للقمر. يُشار إلى أنّ ثلاث بعثات فضاء سابقة إلى القمر كانت قد أظهرت أنّ هنالك ثمة أدلة واضحة على وجود المياه على سطحه. وتركز المياه في المنطقتين القطبيتين للقمر.

كما كشفت وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" عن صورة هي الأولى من نوعها تظهر انعكاس أشعة الشمس على سطح بحيرة موجودة على قمر "تيتان" أحد أكبر الأقمار الدوّارة حول كوكب "زحل" وتعدّ الصورة دليلاً قاطعاً على وجود سائل على سطح القمر؛ وهي أوّل إثبات لوجود سوائل في عوالم أخرى غير كوكب الأرض وقد قال العالم "زالف جاومان": هذه هي المرّة

الأولى التي نرى فيها انعكاساً من على سطح أملس يشبه الماء، هذا الانعكاس يثبت وجود سوائل على ذلك القمر خارج كوكب الأرض وأضاف أنه اندهش عندما رأى الصورة للمرة الأولى وهي التي بثها مسبار "كاسيني" الذي يدور حول كوكب زحل بعيداً عن الكوكب بنحو مليار ميل منذ عام ٢٠٠٤ بحثاً عن انعكاسات على سطح الكوكب^(١).

كما أعلن علماء الفلك عن اكتشاف ما وصفوه بمستودع مياه عذبة يسبح في الفضاء الحرّ، ويحتوي على كمّيات مياه تفوق ما يحتويه كوكب الأرض من مياه في المحيطات والبحار والأنهار بـ ١٤٠ ترليون مرّة. وأشار العلماء إلى أنّ هذه المياه بعيدة للغاية عن كوكب الأرض حتى بمقاييس الفضاء، إذ تبلغ المسافة الفاصلة بين هذا المستودع وكوكبنا ١٢ مليار سنة ضوئية، ممّا يعني استحالة الاستفادة منها في المستقبل المنظور، واستخدامها لإنقاذ الأقاليم التي تعاني الجفاف أو التصحّر. وبلغت العلماء إلى أنه حتى وإن تمكن الإنسان من الوصول إلى هذه المياه، وهو ما يحتاج إلى مدّة زمنية يصعب تحديدها، فيجب العمل على ابتكار وسيلة ناجعة لنقلها إلى كوكب الأرض، كما يؤكدون أنّ الحصول على عيّنة من هذه المياه يساعد على الكشف عن المزيد من أسرار الفضاء وتكوين المجرات^(٢).

فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٣) فأينما كان الماء كانت الحياة، ومن المؤكد أنّ الله سبحانه لم يخلق هذه الكمّية الهائلة من المياه ويتركها هائمة في الفضاء عبثاً، وإنما خلقها إمّا لأنواع من سكان الأكوان تحتاج إليها باعتبار أنّ فيهم من لا يحتاج إلى الماء والغذاء، أو خلقها للمهدويين الذين سيفدون إلى هذه الأكوان في عصر الظهور. ثمّ إنّ في هذا الاكتشاف الهائل نكتة وحكمة لها علاقة بامتداد

(١) مجلة الأسبوعية العدد ١٠٣، ٣ - ٩ كانون الثاني ٢٠١٠.

(٢) وكالة سبعة أيام للأنباء ٧/٨/٢٠١١ الرابط <http://www.7dn-iq.com/ar/science/11153-140.html>

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

الحكومة المهدوية إلى الأكوان من جهة، وبالنعيم الذي تعيشه الأرض في زمن حكومته من جهة أخرى، فالشقّ الأول يعطينا انطباعاً عن وجود السكان في الأكوان ممّا يستوجب أن يصعد الإمام المهديّ إليهم ليظهر دين الإسلام على أديانهم. والشقّ الثاني يؤكد أنّ مشاكل المياه التي تدرس اليوم على أعلى المستويات وهي التي يعتقد الخبراء أنها ستكون السبب الرئيس للحروب المتوقعة في هذا القرن حتى إنها سوف تُعجز العالم وتفتته وتوقع مجازر بين البشر لن تجد حلاً إلاّ على يدي الإمام المهديّ الذي سوف تصعد قوّاته إلى الفضاء بطرائقها المتقدّمة فتجلب الماء الوفير لسكان الأرض.

الأكوان المتوازية وقوانينها

حديث العالم الفرنسي "جان بيير بوتى" صاحب نظرية الكون التوأم التي استمدّها من مصدر علمي من خارج الأرض وتحديداً من سكان يومو^(١) وحديث العالم "أندرو لند" الذي يرى أنّ الكون بمجموعه يتكوّن من عدد لا يحصى من الأكوان الصغيرة المنفصلة، تختلف قوانينها عن الكون الذي نوجد فيه. وحديث العالم السوفيتي "زاخاروف" عن نظرية الأكوان المتوازية التي يدّعي أنها وصلته مكتوبة عن طريق (الأوميين) سكان كوكب (يومو) الذي

(١) الرسائل التي ادعى الدكتور (جون بيير بيتي) من سكان أومو هو ومجموعة كبيرة من الباحثين والعلماء والمفكرين في الأرض تحدث فيها سكان كوكب أومو عن نظرية، أطلقوا عليها اسم توأميه الكون، وهذه النظرية تشبه إلى حد ما نظرية المادة المضادة التي وضعها البريطاني بول دريك عام ١٩٢٨ م، بعد أن دمج عدة معادلات سابقة لنظريتي الكم أو الكوانتا للعالم ماكس بلانك، ونظرية النسبية لألبرت أينشتين، وتوصل إلى وجود مادة معكوسة تكون نواة الذرة فيها سالبة، وإليكتروناتها موجبة. ونظرية أومو تقول: إنه لا يوجد كون واحد، وإنما هناك كونان توأمان، تربطهما ببعضهما تلك المناطق أو النقاط الفضائية المبهمة، التي أطلق عليها البعض اسم الثقوب السوداء، وبالمرور عبر تلك "الثقوب السوداء" من خلال شبكة اتصالات خاصة تمت دراستها منذ قرون عديدة تستطيع سفن أومو الفضائية اختصار الزمان والمكان وعبور ملايين الوحدات الفضائية في بضعة أيام أو أسابيع أو أشهر معدودات. ينظر: الأجسام المحلفة مجهولة الهوية، حقيقة أم خيال؟، الدكتور جواد بشارة، موقع (الناس) <http://al-nnas.com/ARTICLE/JBashra/25kn4.htm>

تحدّث عنه العالم الفرنسي "بوتي". واعتقاد مؤلف كتاب (النكرونوميكون) بأننا لسنا ملوك الكون وأنّ الكون في خدمتنا، وإنما هناك كون عدوانيّ فيه قوى عاتية، أمّا نحن فمجرّد غبار معدوم الحيلة وما يبقينا أحياء هو أننا أتفه من اللازم.^(١) إذا ما جمعت هذه الأقوال معاً يثبت بها:

أنّ هناك أكواناً أخرى منفصلة عن كوننا لها قوانينها الخاصّة بها.

أنّ هناك أكواناً متوازية قد تشبه قوانينها قوانين كوننا، وقد تختلف عنها كلياً.

أنّ هناك بشراً (يوميين) أكثر منا تطوّراً في تلك الأكوان.

أنّ هناك في الأكوان الموازيّة سكاناً عدوانيين أشراراً.

وهذه المعلومات الخطيرة إذا ما أضيفت إلى المعلومات التي ذكرها الدكتور "جواد بشارة" من باريس في موضوعه الذي تحدّث فيه عن مصادم الجسيمات أو مسرع الجزيئات الخاصّ بفيزياء الجسيمات يصبح أمر الإيمان بوجود مخلوقات أخرى في الأكوان أقرب إلى اليقين منه إلى الشكّ والافتراض.

قال الدكتور "بشارة"^(٢): في بداية ستينات القرن الماضي أعلن البروفيسور البريطاني "بيتر هيغز" أستاذ فيزياء الجسيمات في جامعة (إيدينبورغ) فرضيّة بوجود جسيمات غير مرئية أسماها (البوزونات) سمّيت فيما بعدُ باسم (بوزونات هيغز) ومهمّة تلك الجسيمات أنها تفسّر لماذا تحتوي الجزيئات المكوّنة كافة للمادّة كتلة خاصّة بها.

بقيت الفرضيّة لمدّة الأربعة عقود على الورق حيث لم يستطع أيّ مسرّع

(١) ينظر: اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين، جمعية الفلك بالقطيف

<http://qasweb.org/qasforum/index.php?showtopic=11033&st=40>

(٢) الدكتور جواد بشارة بحث بعنوان (هل سيكتشف العلم الحديث سر الكون؟) موقع

الأخبار، الرابط <http://www.akhbaar.org/home/2008/09/54191.html>

لجسيمات أو مصادم للجزيئات إثبات وجودها عملياً. وهذا ما حدا بالمنظمة الأوروبية للبحوث النووية قبل عقدين من الزمن إلى بناء مثل هذا الجهاز الذي من شأنه توفير إمكانية العثور على تلك الجزيئات ورؤيتها. وبمقدور هذا الجهاز شرح كيفية عمل الكون. يعرف الجهاز الذي بني على الحدود الفرنسية السويسرية بمجمع سيرن CERN للبحوث النووية (الفضائية والكونية والفيزيائية) وخاصة فيزياء الجزيئات اللامتناهية في الصغر، أما مصادم الجسيمات أو مسرّع الجزيئات العملاق الذي شيّد فقد بدأ العمل رسمياً في ١٠ أيلول ٢٠٠٨ ويعرف باسم LHC وهو مختصر لمصادم الهدرون الكبير

لقد جاء تركيز العلماء على أهمية فيزياء الجسيمات لمعرفة لماذا تحتوي كل جسيمة أو جزيئة مهما كبرت أو صغرت على كتلة. وقد تتمخض هذه التجربة العلمية عن اكتشاف أسرار أخرى للمادة المرئية ونوع آخر من الجسيمات المركبة وليس الأحادية التكوين وستكون عند ذاك ثورة حقيقية في عالم الرياضيات والفيزياء الكوانتية أو فيزياء الكم. ومن شأن هذه التجربة أن تتيح للعلماء أن يثبتوا نظرية التناظر القسوى وهي التي تقول إن لكل جزيئة في الكون حتى لو كانت لا متناهية في الصغر، مقابل أو نظير في الشكل، لكنه أنقل. وترنو هذه النظرية إلى توحيد القوى الجوهرية الموجودة كافة في الكون وهي التي تتحكم بوجوده وطريقة عمله. وقد باشر علماء الكونيات حتى قبل ظهور نتائج هذه التجربة بافتراض صحة وجود (بوزونات هيغز) ولكنهم يصطدمون بغموض ماهية المادة السوداء أو الطاقة الدكناء التي تشكل نسبة ٩٦٪ من الكون وهي التي لا يعرف عنها الإنسان الشيء الكثير.

إن اكتشاف الجسيمات المتناظرة هندسياً في الكون سوف يدفع البحث العلمي في هذا المجال إلى الأمام وقد يقودنا ذلك إلى اكتشافات أخرى غير متوقعة واقتحام مجاهل لغز الوجود. فكلما فتحنا باباً في العلم يفتح لنا مليون باب جانبي ويخلق لنا المتاهة الكونية التي نعيش فيها ممّا يخلق ما يشبه الأزمة التي يستحيل حلها في إطار المستوى الذي وصلت إليه البنى النظرية

والنظريات القائمة حالياً في مجال الفيزياء الكونية أو الكوزمولوجي والمشكلة تكمن في الشرح القائم بين النظريات وإمكانية التأكد من صحتها والتدقيق فيها تجريبياً ومختبرياً.

عكف على تحقيق هذه المهمة الجبارة ما يزيد على (١٠) آلاف عالم من مختلف الاختصاصات وبميزانية وصلت إلى (٦) مليار يورو من أجل إطلاق تخصص علمي هو فيزياء الجسيمات اللامتناهية في الصغر.

وتعدّ فيزياء الجزيئات بمثابة سباق المئة متر بالنسبة للعلم فهي تجذب الأضواء وتستقطب الاهتمامات والمنافسة الشديدة لكن تقدّمها بطيء على صعيد الإنجازات والتطبيقات العملية. الفيزياء الجوهرية التي انتعشت في النصف الأول من القرن العشرين، طرحت من الأسئلة النظرية أكثر ممّا قدّمت من الإجابات الناجعة والمقنعة والمثبتة مختبرياً حتى إنّ هناك هوة عميقة صارت تفصل بين الحقلين النظري والمختبري لا يمكن جسرهما. فلم يتمكن العلماء سوى تعرّف ٥٪ فقط من المادّة في الكون ولا بدّ من العثور على المفتاح السحري المتمثل ببوزونات هيغز وإلا سينهار الصرح العلمي للفيزياء المعاصرة. فقبل اقتحام المجهول للبحث عن النسبة المجهولة للمكوّن الكوني وهي ٩٥٪ تقريباً، ينبغي أولاً السيطرة التامة والكاملة على الخمسة بالمئة المتكشفة حالياً وشرحها وتفسيرها.

النموذج المتعارف عليه للكون نظرياً في الوقت الحاضر يلخص الكون باثني عشر نوعاً من الجزيئات الليبتونات، والكواركات، والقوى الأربعة الجوهرية التي تدير الكون وهي: الكهربائية - المغناطيسية الالكترومغناطيسية الضعيفة، والجاذبية، والقوة النووية الكبرى. وقد حظيت هذه النظرية بالقبول الواسع لدى المجتمع العلمي وثقة الفيزيائيين؛ لأنها تضمّنت فرضيات تمّ التحقق من صحتها في المختبرات والمسرّعات أو مصادمات الجزيئات الأقلّ تقدّماً الموجود قبل مسرّع أو مصادم LHC. فحقّل هيغز وبوزونات ما يزالان في المجال النظري حالياً، وبفضل فرضية (هيغز) تمكن العلماء من تفسير

ظاهرة الجاذبيّة في سنوات الستينات ولكنهم لم يعرفوا لماذا تحتوي بعض الجسيمات على كتلة وبعضها الآخر يفتقد لها كالفوتونات بيد أنّ إثبات ذلك يستدعي العثور على البوزونات المفترضة حيث إنّ فيزياء الجسيمات علم تجريبيّ تحت المراقبة، والعثور على تلك البوزونات ليس سوى خطوة أو مرحلة ضروريّة لا بدّ منها للوثوب إلى ميادين أكثر طموحاً وتعقيداً.

يتنافس علماء الفيزياء على تقديم الفرضيّات للربط بين النموذج القياسي والنموذج الآينشتيني المستند إلى النظرية النسبيّة العامّة، وهو الذي يصف الكون بمقياس الطاقة الهائلة وعلى نطاق لا محدود. ويتبارى العلماء بتقديم تصوّرات مختلفة عن الأكوان المتوازية وهي نظرية اقترحها العالم السوفيتي زاخاروف، وتبيّن فيما بعد أنها أرسلت إليه سرّاً جاهزة ومكتوبة من جهة غير معلومة بتوقيع (الأوميين) الذين يعرفون أنفسهم بأنهم كائنات من الفضاء يشبهون البشر تماماً قدموا من كوكب بعيد. وهم متطوّرون أكثر منا وحضارتهم أقدم من حضارتنا بخمسة وعشرين ألف سنة، وسرّبوا لنا بعض الفتات من تقدّمهم التكنولوجي عن طريق أسلوب الرسائل المجهولة المصدر، وهي التي تصل إلى العلماء في الأرض ويبقى كلّ شيء في طيّ المجهول.

المجهول أو الذي يتمّ التكتّم عليه أو المسكوت عنه لا تعني مطلقاً أنّ العلماء غير واثقين بوجود السكان في الأكوان، إذ ليس من صالح أحد أن يتمّ الإعلان في هذا اليوم بالذات عن وجود المخلوقات الكونيّة، لأنّ الإعلان سوف يقلب الكثير من المعادلات التي تتحكم بإدارة الأرض بالذات، والجراك السياسيّ المتطوّر فيها، إذ إنّ الإعلان قد يخلط الأوراق، ولذا ترى الحراك المحموم يسعى إلى إعادة ترتيب أوضاع الكرة الأرضيّة إعادة بحيث تصلح لاستقبال تلك المخلوقات أو الوقوف بوجه غزوها المحتمل للأرض.

الفصل الثاني

سكان الأكوان

حقيقة السكّان الكونيين

القوانين الكونيّة

بعد حديثنا عن سعة الأكوان والأكوان المتوازية لا بدّ من الحديث عن النظم والقوانين التي تُسيّر وتتحكم بهذه الأعداد اللامتناهية من المجرّات ومحتوياتها، إذ ليس من المعقول أنها بهذا الحجم والعدد اللامحدود وتسير وفق قانون واحد، نعم هي تنتظم وفق القانون الإلهي، ولكن وفق القانون الإلهي ذاته لا بدّ أن يكون لكلّ منها قوانينه ونظمه بحسب مكانه وموقعه الكوني، وهذا عين ما أشار إليه العالم السوفيتي (أندرو لند) الذي يرى أنّ الكون يتكوّن من عدد لا يحصى من الأكوان الصغيرة المنفصلة، تختلف قوانينها اختلافاً جذرياً عن الكون الذي اتفق أننا نوجد فيه^(١).

وإذا صدق هذا الرأي، وهو حتماً صادق؛ لأنّ امير المؤمنين عليّاً عليه السلام قال به قبل هذا العالم وغيره كما سيرد عليكم، فمعنى ذلك أنّ هناك في الأكوان قوانين لا تشبه قوانيننا، وحيثُ يُؤكّد ذلك احتمال وجود مخلوقات فيها تختلف عن مخلوقات كوكبنا، تعيش وفق قوانين الأجرام التي أتفق أنها وجدت فيها. فإذا ما كان البشر على الأرض يحتاجون إلى الهواء والماء والضيء والطعام والأوكسجين والأرض والجاذبيّة والطاقة لمواصلة عيشهم وحياتهم وفق قوانين مجرتنا، فإنّ القوانين المختلفة للأكوان الأخرى هي ذاتها التي تجعل سكان تلك الأكوان قادرين على العيش وفق قوانين أكوانهم،

(١) من كتاب النهاية، الكوارث الكونيّة وأثرها في مسار الكون، فرانك كلوز، ص ٢٨٦.

وربّما أكون في رأيي هذا قريباً من رأي المرحوم عالم سبيط النيلي أثناء حديثه عن نوع حياة المخلوقات الكونية. فالإيمان المجرد بوجود قوانين مختلفة في الكون تتحكم بالأجرام بحسب مواقعها لا يستبعد وجود مخلوقات تعيش في هذه الأجرام بقوانين غير قوانين أرضنا.

وقد أثبت العلماء أنّ الكرة الأرضية كوكب في مجرة عظيمة تضمّ مليارات النجوم والكواكب وهذه المجرة واحدة من أصل مليارات المجرات الأخرى بعضها أكبر من مجرتنا ملايين المرات وعدد نجومها وكواكبها أكثر ممّا في مجرتنا ملايين المرات، أمّا ما لم تصل إليه عقولهم ولم يدركوه إلى الآن فقد يكون أعظم ملايين المرات ممّا يعتقدون، بل قد تكون هناك أكوان أخرى أكبر من كوننا هذا لا يعلم عددها وحدودها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد تكون آية ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١) تقصد أوسع من سماوات وأرض مجرتنا مثلاً أو ربّما كوننا فقط وهي موجودة في أكوان أخرى!

والذي اعتقده أنّ العقل والمنطق يرجح احتمال وجود الحياة في واحد - أو أكثر - من كواكب هذه الأكوان، ليس كوننا وحده وإنما الأكوان الخفية الموازية الأخرى مثلما هي موجودة على الأرض، والذين يرفضون التصديق بوجود السكان الكونيين إنما يتأثرون بالمعايير والقوانين الأرضية التي ألفوها وتألّفوا معها بصفتها شرطاً أساسياً لوجود الحياة ودوامها؛ ومنها: نسبة معينة من الأوكسجين، وقدر معين من الحرارة والضوء، وكمّيات من الماء والطعام، مع أنه من الإنصاف والعدل أن نؤمن بأنّ الله قادر على أن يخلق أنواعاً من الحياة من نمط آخر في أيّ مكان آخر من الكون والأكوان وفق معايير مختلفة تمام الاختلاف عن معاييرنا تماماً كما خلق على الأرض أنماطاً حياتية لا يحتاج بعضها إلى الطعام أو الماء أو الضوء أو الأوكسجين، وهو أيضاً ما أشار إليه المرحوم عالم سبيط النيلي في حديثه عن طرائق عيش المخلوقات الكونية العرفانية.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

ولنأخذ مثلاً بسيطاً من القرآن الكريم لا لنقول به إنّ الذين نزلوا إلى النبي إبراهيم ﷺ ليسوا ملائكة رغم أنّ القرآن لم يقل عنهم إنهم ملائكة وإنما سّماهم (الرسل) ولا يشترط أن يكون الرسول ملكاً، وإنما لنبين أنّ هناك رسلاً من الكونيين يرسلهم الله تعالى لإنجاز بعض المهام. في هذا المثال ورد قوله تعالى: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ يَعْجَلَ خَبِيرٌ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^(١) سنجد صفة تتصف بها مخلوقات ذلك العالم وهي عدم الحاجة إلى الماء والهواء والطعام بالرغم من شكلها الذي يبدو بشرياً. وهو ما دفع النبي إبراهيم ليعجب منهم، ثم لم يعجب إبراهيم من هذه الحالة بالذات؟، فمن غير المعقول أن تكون هذه الزيارة هي الأولى التي يقوم بها الملائكة إلى إبراهيم ﷺ؟ بمعنى أنه رأى الملائكة من قبل وبصور مختلفة، فلم نكرهم وأوجس منهم خيفة في هذه المرة بالذات؟ بالتأكيد لأنّ تصوّراته عن المعايير الأرضية هي التي حصرت تفكيره بالضرورات التي يراها مقومات للحياة، فلما رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام الذي قدمه لهم نكرهم وخاف منهم.

ولذا ترى العلماء والفلكيين يبحثون عن المقومات قبل البحث عن المخلوقات ظناً منهم أنّ تلك المقومات من موجبات وجود حياة أخرى تماماً مثلما هي ضرورية لوجود حياته.

وعليه أرى أنّ وجود السكان في الأكوان حقيقة ليس من اليسير إغفالها ولاسيما أنّ هناك روايات وآراء صريحة في تراث المدارس الإسلامية تؤكد وجودهم، منها مثلاً قول السيّد هبة الدين الشهرستاني المأخوذ من الأحاديث المعتمدة: "وإنّ في كلّ أرض أهل ومخلوقات حيّة، ومن وراء أراضي شمسنا عوالم آخر ونظامات شمسية مشتملة على خلق وأمم من جنس أبناء آدم كما قال ﷺ: سبعين ألف أمة"^(٢).

(١) سورة هود، الآيات ٦٨ و٦٩.

(٢) المصدر نفسه، فرانك كلوز، ص ١١٣ - ١١٤.

ومنها الحديث الذي أخرجه المجلسي في البحار والقمي في تفسير سورة الصافات والشيخ الطريحي في مجمع البحرين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "هذه النجوم التي في السماء فيها مدائن مثل المدائن التي في الأرض" وهذا يعني أنها معمورة وفيها مدن وحضارات ومخلوقات!

وفي أسرار الحكمة المشرقية في رسالة ابن يقظان حينما سأله عن العوالم التي ساح فيها أجابهم بما يشبه حديثاً عن واقع ملموس فسروه هم على أنه ربط فلسفي ميتافيزيقي استجلائي لا علاقة له بدنيا الواقع، ومما قاله لهم عن أحد الأقاليم: "بقعة سكانها أمة صغار الجثث حثاث الحركات ومدنها ثمانني مدن وتلوها مملكة أهلها أصغر جثثاً من هؤلاء"^(١) وهي التي قال الشراح أنه يقصد بها فلك عطارد وتوابعه فلكياً وليس سكانياً. ومما قاله أيضاً: "وتلوها مملكة تأوي إليها أمة يفسدون في الأرض حَبِّ إليهم الفتك والسفك والاعتيال..."^(٢) وقالوا من جانبهم إنه أشار بذلك إلى المريخ. وأذكر هنا أنّ الفهم الإسلامي يتساقق دائماً مع درجة وعي الأوائل للأكوان وأسرارها.

هناك روايات أخرى تناولت قصة سكان الأكوان من جوانب أخرى، تحدثت بعضها عن سكان الأرض التي تقع في الغرب، أو عن سكان الشموس، أو عن سكان السماوات السبع والأرضين السبع، أو عن وجود مليون عالم كوني ومليون آدم كوني. وهو ما سنتحدث عنه بإيجاز.

أرض مغربيّة بيضاء

لدينا عن سكان الأرض المغربيّة البيضاء أحاديث كثيرة منها ما أورده جلال الدين السيوطي في الدر المنثور: "قام ناس من أصحاب رسول الله -

(١) رسائل الشيخ الرئيس، أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، شرح وتصحيح ميكائيل بن يحيى الهرني، الجزء ١، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه، رسائل الشيخ، ص ١١.

يعني احتراماً له - فقصّد النبيّ نحوهم فسكتوا فقال ﷺ: ما كنتم تقولون؟ فقالوا: نظرنا إلى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء ومن أين تذهب وتفكرنا في خلق الله تعالى. فقال ﷺ: كذلك فافعلوا، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى، فإنّ الله تعالى من وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله تعالى". وقد أخرج الغزالي هذا الحديث في باب التفكير من كتاب إحياء العلوم بصيغة: "فيها خلق لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق" وهو الحديث الذي أخذه عنه تاج الدين ابن تقي الدين السبكي وأخرجه في الجزء الرابع من طبقات الشافعية.

وقال الإمام أبو بكر عبدالله بن محمّد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكير والاعتبار: "حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون، فقال: ما لكم لا تتكلمون؟ فقالوا: نتفكر في خلق الله عزّ وجلّ، قال: فكذلك فافعلوا، تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا فيه، فإنّ بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها ساحتها، أو قال: ساحتها نورها، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق لله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قطّ، قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق؟ قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: لا يدرون خلق آدم، أم لم يخلق؟

روي عن النبيّ ﷺ أنّ الله أرضاً بيضاء، مسيرة الشمس ثلاثين يوماً مشحونة خلقاً لا يعلمون أنّ الله تعالى يعصى في الأرض، قالوا: يا رسول الله، من ولد آدم؟ قال: (لا يعلمون أنّ الله خلق آدم). قالوا: يا رسول الله، فأين إبليس منهم؟ قال: لا يعلمون أنّ الله خلق إبليس، ثمّ تلا ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

الغريب أنّ المفسّرين المسلمين أخذوا هذا القول الكريم بمحدودية تساوق وقوانين فهمهم التي أشرنا إليها في أكثر من موضع من البحث، ففي

(١) ذكره الماوردي؟، كما ورد في تفسير القرطبي.

تفسيرهم للآية ٨ من سورة النحل قال الطبري عن قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم [أي الخيل والبغال والحمير] ما لا تعلمون ممّا أعدّ في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها ممّا لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر^(١).

وروى الشيخ الزاهد أبو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هجرية أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ الله تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثون مرة ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً محشوة خلقاً"

وأخرج ابن الجوزي في المنتظم عن عثمان بن أبي دهرس قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ بهذا المغرب أرضاً بيضاء مسيرة للشمس أربعين سنة بها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفه عين قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: "ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق" قالوا: ومن وراء آدمهم؟ قال: "وما يدرون خلق آدم أم لم يخلق"^(٢).

وفيه أيضاً: "وعن النبي ﷺ أنه قال: "الله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً مملوءة خلقاً من خلق الله لا يعصون الله طرفه عين" قيل: فأين إبليس عنهم يا رسول الله قال: "وما يدرون أنّ الله خلق إبليس" ثمّ قرأ: ويخلق ما لا تعلمون، والله أعلم بصحة الرواية مع ما يذكر من أصناف الأمم مثل ناسك ومتنسك وتاويل وهاويل ويأجوج ومأجوج وسائر الخلق في جنوبي الأرض اللتين يسميان جابلقا وجابلسا"^(٣).

وفي البحار وبصائر الدرجات عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضوءها منّا، فيها خلق يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئاً"^(٤).

(١) ينظر: تفسير الطبري، سورة النحل، الآية ٨.

(٢) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب ذكر البلاد.

(٣) المصدر نفسه، المنتظم.

(٤) الهيئة والإسلام، ص ١٣٠ - ١٣١.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: "إن خلف مغربكم هذا تسع وثلاثون مغرباً، أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله تعالى طرفة عين".

وفي البحار ومناقب الشيخ رجب البرسي والمصباح للكفعمي بإسناده إلى الإمام الكاظم عن آبائه (عليهم السلام أجمعين) عن النبي صلى الله عليه وآله أن جبرائيل قال له: "والذي بعثك بالحق نبياً إن خلف الغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله" وفي العوالم عنه عليه السلام: "فيها خلق من خلق الله يعبدونه ولا يعصونه" ^(١).

وفي حديث عجلان بن أبي صالح الذي قال: "دخل رجل على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال له: "جعلت فداك هذه قبة آدم عليه السلام؟ قال عليه السلام: نعم، والله قباب كثيرة، إن من خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً، أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله تعالى طرفة عين، ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق" ^(٢).

أربعون شمساً

ومن أحاديث كثيرة أخرى يتبين لنا بوضوح أن المقصود بالمغرب ليس مغرب الأرض بل مغارب الأكوان والمجرات الأخرى، فقد أخرج السيد نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢ هجرية في النور الأرضي من كتاب (الأنوار النعمانية) وأبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هجرية في (البرهان في تفسير القرآن) في تفسير سورة الفاتحة: عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: "إن من وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس، ما بين عين شمس إلى عين شمس أخرى أربعون عالماً فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله تعالى خلق آدم أو لم يخلقه. وإن من وراء قمركم هذا

(١) المصدر نفسه، الهيئة والإسلام، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الهيئة والإسلام، الشهرستاني، ص ٢٨١.

أربعون قرصاً ما بين القرص إلى القرص الآخر أربعون عالماً فيها خلق كثير ما يعلمون أنّ الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه" (١).

وعن أبي حمزة الشماليّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام وأنا عنده ونظر إلى السماء: "هذه قبة أبينا آدم عليه السلام وإنّ لله عزّ وجلّ سواها تسع وثلاثون قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين" (٢).

سكّان السماوات السبع والأرضين السبع

ومن خطبة البيان لأمير المؤمنين عليه السلام جواباً على سؤال صعصعة بن صوحان وميثم التمار ومالك الأشتر (رحمهم الله ورضي عنهم) في قولهم: "يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الأرضين السبع وكيفيتها؟ فقال صلوات الله عليه: والأرض الثالثة خلق فيها خلقاً وجوههم كوجوه بني آدم وأفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم كأيدي الناس وأرجلهم كأرجل البقر وأصوافهم كأصواف الضأن لا يعصون الله ما أمرهم طرفة عين" (٣).

وفي البحار عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: "سألته عن السماوات السبع فقال: سبع سماوات، ليس منها سماء إلا وفيها خلق... قلت والأرض؟ قال: سبع منهنّ خمس فيهنّ خلق" (٤).

وفي البدء والتاريخ "عن عطاء بن يسار في قول الله تعالى: "الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ" قال: في كلّ أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم" (٥).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديثه الذي أخرجه محمّد بن حسن الصفار في

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٢) عجائب الملكوت، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٣) عجائب الملكوت، ص ٣٣.

(٤) البحار للمجلسي، جزء ٥٥ ص ٩٧.

(٥) البدء والتاريخ، ابن المطهر المقدسي.

بصائر الدرجات في الجزء الثامن الباب الخامس عشر بعدة طرق، وأخرجه المفيد في الاختصاص، والصدوق في كمال الدين وإتمام النعمة، والمجلسي في بحاره: "أما أنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع، خمس عوامر واثنان خرباوان".

وفي البحار في رواية عن المثنى الحنط، وفي رواية أخرى عن أبي بصير قال: سألت الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن السماوات؟ فقال: "سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق، وبينها وبين الأخرى خلق حتى ينتهي إلى السابعة. قلت: والأرض؟ فقال: سبع منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنان هواء ليس فيها شيء"^(١).

حديث القرآن عن السكان الكونيين

إن من يدقق النظر في الكتب السماوية التوراة والإنجيل والقرآن يجد هناك إشارات واضحة إلى ما يبدو وكأنه خطاب موجه إلى سكان غير أرضيين يقطنون في أركان الكون، ويقول الدكتور جواد بشارة: "بمقدورنا الرجوع إلى الكتب المقدسة للأديان السماوية التوحيدية الثلاثة لنقتفي أثر المركبات الفضائية القادمة من الفضاء الخارجي وهي التي ورد وصفها بدقة في الكثير من نصوصها". وهو اعتراف ضمنى بوجود فكرة عن السكان الكونيين في الكتب المقدسة^(٢).

وهذا ما ستتكلم عليه بإيجاز، وستكون رحلتنا الأولى مع القرآن الكريم. ففي القرآن الكريم هنالك صنفان من الخلق هما: الثقلان، بحسب التفسير المعتمدة، ويقصد بهما الإنس والجن كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾^(٣) وهناك آيات أخرى

(١) البحار للمجلسي، جزء ٥٥، ص ٩٧، وعجائب الملكوت، ص ٢٩.

(٢) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11450&Itemid=99

(٣) سورة الرحمن، الآيات ١٤ و ١٥.

تتحدث بعمومية أكبر، تتحدث عن سماوات وأرضين، وتتحدث عن معارج ومنافذ وأبواب وضيق صدر وحرس شديد، كما في: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَمَعْتَنَ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ صَدْرُكُمْ ضَبْحًا كَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

هل معنى هذا أن الملائكة كانوا يشعرون بضيق الصدر عند صعودهم ونزولهم مثلا، أم ذلك الخطاب موجه إلى البشر الأرضيين تحديداً يعلمهم بضيق الصدر الذي يصاب به من يصعد إلى السماء!

وأخيراً أقول ما معنى قوله تعالى: ﴿حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ ولأجل من وضع الله سبحانه الحرس وسخر الشهب؟ هل جعلها لحماية بعض المناطق الكونية المغلقة من دخول الجنّ وحدهم؟ أم هناك أقوام أخرى قد يكون بعضهم شريراً مطلقاً ممنوعاً عليه الوصول بمركباته إلى تلك المناطق؟

إنّ في القرآن الكريم إشارات وافية إلى وجود أقوام أو مخلوقات جمعها سبحانه كلها تحت مسمى (الدوابّ) والدابة لغة: كلّ ما يذبذ على الأرض وبه حياة كالإنسان والحيوان وباقي المخلوقات الحيّة الأخرى، وقيل: هي ما تُحمل عليه الأثقال. وفي مفردات ألفاظ القرآن: "الدبّ والدبيب: مشي خفيف ويستعمل في كلّ حيوان، قال أبو عبيدة: عنى الإنسان خاصّة، والأولى إجراؤها على العموم."^(١) وفي القرآن مثال واضح على عموميّة هذه التسمية من حيث إطلاقها على الكفار والمشركين كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾^(٢) ويتبيّن من وصف الإمام

(١) ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ص ٣٠٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٢.

عليّ ﷺ أنّ لهذه المخلوقات أو الدوابّ نظاماً حياتية تتواءم وطبيعتها وطبيعة المكان الكوني الذي تعيش فيه، وهو ما أطلقنا عليه اسم (القوانين الكونية) في حديثنا عن الكون، ولذا تختلف صورها وهيئاتها وأحجامها وأشكالها وطرائق عيشها وتغذيتها وتنقلاتها من كون إلى آخر ومن سماء إلى أخرى، ولكنهم يشتركون معاً بمشتركين اثنين:

الأول: عمومية الأممية المجتمعية التي تحدّثت عنها الآية الشريفة ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾^(١).

والثاني: إنّ هذه المخلوقات مكلفة بعبادة الله وتوحيده حيث وردت مجموعة من الآيات التي تتحدّث عن هذا التكليف، كما في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢) ومعناها: الله يسجد ما في السماوات والأرض من دوابّ أي: مخلوقات، والملائكة الذين هم من صنف آخر يسجدون كذلك. وهم جميعاً (المخلوقات والملائكة) يخافون ربهم من فوقهم وينفذون أوامره.

ومنها قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ﴾^(٣).

ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾^(٤).

وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَنْتَبَوا يَمًا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾^(٥).

والآية الأخيرة صريحة جداً وفيها إشارة واضحة إلى أنّ ما لله من

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآيات ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة الرعد، الآية ١٥.

(٤) سورة الصافات، الآية ٥.

(٥) سورة النجم، الآيات ٣١ - ٣٢.

مخلوقات في الكون كلّه مكلفون بالعبادة، وأنّ الله سبحانه سيجزى الذين أحسنوا منهم الحسنى ويعاقب المسيئين بأعمالهم السيئة، وحاشا لله أن يظلم أحد مخلوقاته فيحاسبه ويعاقبه قبل أن يلقي عليه الحجّة ويدله على طريق النجاة، والإمام الحجّة هو حجّة الله عليهم.

أما هذه المخلوقات أو الدوابّ، سمّتها ما شئت فهي من آيات الله سبحانه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِنَّ مِنْ ذَكَاةٍ﴾^(١) ولذا ليس شرطاً أن تكون كلّ المخلوقات الواعية ذات الشعور والإحساس من جنس بني آدم ومن نسل أبينا آدم عليه السلام؛ لأنها قد تكون من نسل آدميين آخرين بدلالة أنهم لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق كما في الأحاديث التي مرّت علينا من قبل، وكما في الأحاديث التي أوردتها لكم أدناه لعلاقتها بجنس هذه المخلوقات، ومنها:

في البحار والدرّ المنشور للسيوطي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين. فقيل: يا نبي الله أهم من ولد آدم؟ فقال صلى الله عليه وآله: ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق"^(٢).

وفي تفسير الفاضل النيسابوري في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٣) ناقلاً: "إنّ في كلّ أرض منها خلق. قال: حتى قالوا: إنّ في كلّ منها آدم وحوّاً"^(٣).

ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى تعددية الأجناس البشرية من حيث الأصل. ورتما لهذا السبب قال المقدسي: "قد أجازت جماعة من القدماء أن يكون في العلوّ سبع وبهائم غير محسوسة للطافة أجسامها"^(٤).

كما نستشفّ من أحاديث أخرى أنّ الله تعالى لم يخلق آدمنا فقط ثم خلقنا

(١) سورة الشورى، الآية ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، الهيئة، ٢٨٧.

(٣) المصدر نفسه، الهيئة.

(٤) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ١٠، في ذكر الأنبياء ومدة اعمارهم.

من نسله فكنا سلالته والمخلوقات الأدمية الوحيدة في الكون كله، بل خلق أيضاً ألف ألف آدم في العوالم الألف التي خلقها بمعنى أنّ هنالك مليون عالم فيها مليون آدم كما في التوحيد للصدوق والخصال وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وشرح الصحيفة ونور الثقلين وغيرها مسنداً عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام : " قال له : ولعلك ترى أنّ الله تعالى خلق هذا العالم الواحد أو ترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنتم في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين". ومثله في البحار ومشارك الأنوار عن الإمام السجاد عليه السلام :

وفي البحار عن ابن عباس في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله فيما وراء السماء أنه قال : "ومن وراء ذلك ظلّ العرش وفي ظلّ العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون أنّ الله تعالى خلق آدم ولا ولد آدم ولا إبليس ولا ولد إبليس وهو قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾" ^(١).

هذا؛ فضلاً عن وجود أحاديث أخرى تنصّ صراحة على أنّ في بعض الأكوان خلقاً كخلقنا نحن الأدميين سواء من حيث الشكل والهيئة أو من حيث مصدر الخلق وهو الله سبحانه وتعالى، وكما جاء في الفتوحات المكية والأنوار النعمانية عن ابن عباس (رض) قول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " وإنّ في كلّ أرض من الأرضين السبع خلقاً مثلنا" فالضمير (نا) في قوله (مثلنا) مرّة يعني مثلنا نحن البشر، ومرّة أخرى يعني مثلنا نحن مخلوقات الله. فنحن وهم كلنا من مخلوقات الله سبحانه، ولكن كونهم مثلنا نحن البشر أقرب إلى القبول بسبب ورود إشارات لهذه المثلية في أحاديث أخرى ولكن أعود وأقول: ليس بالضرورة أن تكون المثلية من ناحية الشكل والتكوين بل ربّما هي من حيث التكليف العبادي.

فضلاً عمّا تقدّم هناك أحداث كبيرة أشار إليها القرآن لها علاقة أو هي

(١) المصدر نفسه، المقدسي، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

مختصة بالأكوان مثل حدث الإسراء والمعراج وحكاية البراق؛ أي: الحصان الطائر الذي أقلّ النبي محمّداً ﷺ في ثوانٍ معدودة من مكّة حيث المسجد الحرام إلى القدس حيث المسجد الأقصى كما تقول الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وبعد ذلك عرج به إلى السماوات حيث التقى الأنبياء الذين سبقوه، بحسب نصّ الرواية، وهناك رواية تمزيق جيش إبرهة الحبشيّ الذي هاجم مكة بالفيلة حيث تعرّض جيشه لهجوم من السماء بطيور "قد تكون طائرات صغيرة بلا طيار موجهة عن بعد"، ترميهم بحجارة من سجيل^(١).

هذه النقول وغيرها تؤكد وجود عوالم مسكونة غير الأرض هي خمس من أصل سبع أرضين، وسكانها مكلفون بالواجبات الشرعيّة، ولذلك أرسل الله تعالى لهم الرسل والأنبياء، حيث جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي مسنداً إلى عطاء بن يسار التابعي المعروف في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٢) عن النبي ﷺ قال: "وفي كلّ أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم"

وقد قال صاحب الميزان في تفسيره: "وقوله: "ومن الأرض مثلهنّ" ظاهره المثليّة في العدد، وعليه فالمعنى: وخلق من الأرض سبعاً كما خلق من السماء سبعاً"^(٣).

وفي البحار للمجلسي ومشارق أنوار اليقين للبرسي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: "أتظنّ أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم، وأنت والله في آخر تلك العوالم".

(١) ينظر: المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11450&Itemid=99

(٢) سورة الطلاق، الآية ١٢.

(٣) الميزان، الطباطبائي، تفسير سورة الطلاق، الآية ١٢.

وفي رواية في البدء والتاريخ: " قيل إنه كان قبل آدم ألف ومثنا ألف آدم وقيل نوح ألف نوح وهو آخر الآدميين" (١).

ويفهم من هذه الروايات وما سبقها من الروايات التي اتضح بها أنّ المقصود بالمغرب قسم من الكون لا قسم من الأرض، يفهم منها جميعها أنّ في كلّ أرض من الأرضين السبع في الكون أنبياء أرسلهم الله لسكانها مثل الأنبياء الذين أرسلهم إلينا. ولكن بعض المفسرين والكتاب أغفلوا هذه الجنبية المهمة ولم يتبعوا أنفسهم بالبحث عن مصاديقها، فبقوا محصورين في نطاق الأرض وحدها، ولذا أصرّوا على أنّ المقصود بالأرضين أقساماً أخرى من أرضنا التي نعيش عليها، والمقصود بالآدميين أشخاص يقومون في أقوامهم كما قام أولئك الرسل، وكما في الحديث الذي أخرجه ابن الجوزي: " روى الضحاك عن ابن عباس قال: في كلّ أرض آدم كآدمكم ونوح كنوحكم". والذي قال ابن الجوزي في تعليقه عليه: ومعنى هذا أنّ لكلّ أرض ساعة يقوم كبيرهم ومتقدمهم مقام آدم ونوح فينا (٢). ولكن هذا القول لا يعتدّ به.

سكان الأكوان في فكر الديانات الأخرى

هنا يجب أن نلتفت إلى ناحية مهمّة جدّاً وهي أنّ وجود المخلوقات الأخرى في الأكوان ليس من اعتقادات المسلمين وحدهم، فمثل هذا الاعتقاد موجود أيضاً في فكر بعض الديانات التي سبقت الإسلام مثل ديانة الصابئة المندائيين الذين تربط ديانتهم بالكواكب حتى إنّ بعضهم توهم بأنهم يعبدونها، فالصابئة يؤمنون كذلك بوجود أكثر من آدم في الأكوان ويقولون: 'بأنّ هناك أكثر من كوكب مأهول بالبشر وأكثر من آدم، فهناك (آدمنا)

(١) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ٧ خلق السماء والأرض وما فيها.

(٢) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب ذكر سكان الأرضين السبع.

المخلوق من طين أرضنا، ونزلت روحه من عالم النور بأمر الحيّ الأزليّ، كما أنّ هناك آدم آخر هو آدم الخفيّ (كسيه) ^(١).

وفي معتقداتهم الدينيّة يختلف الصابئة المندائيّون مع من يدّعي أنّ آدم زوّج أبناءه من بناته ^(٢) فجئنا من نسلهم (أي من نسل زواج الأخ بأخته) بل يقولون إنه أرسل بناته إلى عالم آخر فيه أناس مثلنا يسمّى (مشوني كسطه) أي: أرض العهد، وجلب بدلاً منهم نساء لأولاده من ذلك العالم فتزوّجوهنّ ^(٣).

وقد جاء في الموسوعة المندائيّة: "وعلى هذا الأساس أمر الهيّ ربّي قدامي، الحيّ الأزليّ بنقل بنات آدم من هذا العالم (اره اد تيبيل) الأرض، وجلب زوجات من عالم مشوني كسطا لأولاده، إذ إنه بحسب العقيدة المندائيّة، لم يتزوّج الأبناء أخواتهم، إنما أرسلت البنات إلى عالم آخر فيه أناس مثلنا ويسمونه مشوني كسطه، أي أرض العهد. وجيء بفتيات من مشوني كسطه إلى أولاد آدم فتزوّجوهنّ. وعليه فالمرأة في نظر الدين من عالم غير عالمنا، فقد أتت من عالم الطهارة، وحبّة المندائيّة في طهارة المرأة "أنّ آدم خلق من طين وحواء خلقت من جسمه، وبناء على ذلك تعدّ تسمية الابن باسم أمّه أعلى من تسميته باسم أبيه (آدم من طين اهوه، هوه زوي من كان ادناشي اهوت) أي إنّ آدم من طين وزوجته حواء من نفسه، وبذلك هي أظهر من الطين" ^(٤).

بمعنى أننا على رأي عقائد الصابئة من نسل هجين بعضه أرضيّ يعود في

(١) موضوع (آدم ومشوني كسطه) موقع الجمعية الخيريّة المندائيّة <http://www.mandaean.dk/> node/177

(٢) نظراً لأهميّة هذا الموضوع سوف نتوسع في بحثه لاحقاً.

(٣) ينظر: الأديان والمذاهب، رشيد الخيون، ص ٢٤.

(٤) موضوع (آدم ومشوني كسطه) موقع الجمعية الخيريّة المندائيّة <http://www.mandaean.dk/> node/177

نسبه إلى آدم ﷺ وبعضه الآخر كونيّ يعود في نسبه إلى مخلوقات كونية أخرى آدمية غير بشرية.

وبناءً على هذا الاعتقاد يؤمن الصابئة بأنّ الإنسان المستقبليّ سوف يتصل بأخواله وأقربائه من سكان الكواكب الأخرى ويلتقي بهم ويحلّ ضيفاً عليهم، إذ يقول (غضبان رومي) وهو أحد المثقفين المندائيين في حديثه عن زواج رجال الأرض بنساء أرض العهد (مشوني كسطه) التي تقع في إحدى المجرات البعيدة: "من ذريتهنّ تكوّن الإنسان الحاليّ الذي أخذ يزحف من عالمنا هذا نحو الكواكب الأخرى. وليس ببعيد أن يصل في آخر المطاف إلى عالم "مشوني كسطه" وينزل ضيفاً على أخواله" (١).

ثمّ إنهم يؤمنون أنّ أولئك البشر أكثر منّا رقيّاً؛ لأنهم (شبه روحيين) وكائنات نورانية ولذا جاء في مدوناتهم قولهم: "يؤمن المندائيون أنّ هناك بشراً (شبه روحيين) وكائنات نورانية تسكن الكواكب السماوية ما دون عالم النور. وتشير الكتب المندائية إلى وجود عوالم يسكنها بشر مثلنا، وتركز بالدرجة الأولى على ما يسمّونه عالم العهد (مشوني كسطه) وتذكر أيضاً أنّ البشر في هذا العالم لا يختلفون عنا كثيراً" (٢). وهي النتيجة نفسها التي توصل إليها المرحوم عالم سبيط النيلي في حديثه عن سكان الأكوان العرفانيين وعرفانية الطور المهديّ، ولهذه الرؤية علاقة كبيرة بحديثنا عن قوانين الأكوان.

وهم شاءوا أم أبوا يؤكدون هنا صحّة اعتقادنا بأنّ المخلوقات الكونية سوف تلتقي مع البشر الأرضيين في عصر الظهور، وهو ما وضعنا هذا الكتاب لأجله.

(١) الأديان والمذاهب، مصدر سابق، عن ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها لآداموف ص ٢١٥.

(٢) موضوع (آدم ومشوني كسطه) موقع الجمعية الخيرية المندائية <http://www.mandaean.dk/>

يتماهى مع التصور الصابئيّ عن صعود بشر (بنات آدم) إلى الفضاء الكونيّ من أورد من المسلمين روايات تتحدّث عن صعود أقوام إنسانيّة من نسل آدم وحواء إلى الفضاء المجهول، ففي كتاب (آثار البلاد) لـزكريا بن محمّد القزويني في حديثه عن مدينة (جابرسا) قال: "مدينة بأقصى بلاد المشرق، عن ابن عباس (رض) قال: إنّ بأقصى المشرق مدينة اسمها جابرس، أهلها من ولد ثمود، وبأقصى المغرب مدينة اسمها جابلق أهلها من ولد عاد، ففي كلّ واحد بقايا من الأمتين. ومع أنّ الحديث يبدو وكأنه يتحدّث عن كرتنا الأرضيّة، إلا أنّ سبب ذلك يعود باعتقادي إلى ما أشرنا إليه من قبل من أنّ بعض المسلمين بقوا محصورين في نطاق أرضنا مثل ابن الجوزي ولم يكن في تصوّره أنّ هناك في الأكوان آدميين آخرين.

هذا؛ فضلاً عن أنّ اليهود كذلك يعتقدون: أنّ أولاد موسى، ﷺ، هربوا في حرب بخت نصر، فسيرهم الله تعالى وأنزلهم بجابرس، وهم سكان ذلك الموضع لا يصل إليهم أحد ولا يحصى عددهم.

ففي كتاب سفر الخروج هناك ذكر لسحابة أو لغمامة معدنيّة تتنقل فوق جيش الأعداء لبث الفوضى والرعب بينهم فإذا لم ترتفع الغمامة فإن أبناء إسرائيل لا يتحركون بل ينتظرون إشارة البدء في مسيرتهم ومواصلة رحيلهم بارتفاع الغمامة - الدليل الذي يقودهم برعاية السماء.

وفي كتاب الملوك يقول أحد النصوص المدهشة: "بينما كانا يسيران جنباً إلى جنب ويتحدّثان، هبطت بينهما عربة من نار وجياد من لهب، فصعد النبيّ إيليا إلى السماء بتلك الدوامة".

كما ورد نصّ يتحدّث عن عربات طائرة ترتفع عن الأرض وسط لهب هائل. وإن أفضل وصف وأدقّه وصل إلينا من العهد القديم عن المركبات الفضائيّة في ذلك الزمن، كان على لسان النبيّ حزقيل، حيث اعتلى إحداها وحلق في السماء مرتين في المرّة الأولى حلق وعاد ليصف ما شاهده في ملكوت الله وفي المرّة الثانية رحل بواسطتها إلى السماء ولم يعد.

أورد (كارين هاريل وبريندا لويس) في موسوعتهما (الظواهر المستعصية على التفسير) آثاراً لما يمكن اعتباره كلاماً عن أطباق طائفة في التوراة. وذكرت الموسوعة كلام التوراة عن (عمود الدخان الذي ظهر في النهار وعمود النار الذي ظهر في الليل لإرشاد أطفال إسرائيل خلال التيه في سيناء) وعزت هذا الدخان إلى عوادم مركبة فضائية. كما ذكرت حديث التوراة عن وصف (الغيمة التي تحيط بالنبى إيليا وتأخذه إلى السماء داخل مركبة من نار) وقالت الموسوعة إن الكثير من المفسرين يعتقدون أن ذلك ما هو إلا لقاء مباشر مع كائنات فضائية، وإن تلك الحادثة ربما تكون واحدة من أوائل الحوادث التي تعرف بالخطف على يد مخلوقات فضائية^(١).

وفي تكملة قصة جابرس وأولاد ثمود نقل القزويني في آثار البلاد عن ابن عباس (رض) قال: إن النبى ﷺ في ليلة أسري به قال لجبريل، ﷺ: إني أحب أن أرى القوم الذين قال الله تعالى فيهم: ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، فقال جبريل، ﷺ: بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذاهباً وست سنين راجعاً، وبينك وبينهم نهر من رمل يجري كجري السهم لا يقف إلا يوم السبت، لكن سل ربك، فدعا النبى ﷺ وأمن جبريل، ﷺ، فأوحى الله إلى جبريل أن أجب إلى ما سأل، فركب البراق وخطا خطوات، فإذا هو بين أظهر القوم، فسلم عليهم فسألوه: من أنت؟ فقال: أنا النبى الأمي.... والقصة طويلة يقول في نهايتها: "فعرض عليهم النبى، ﷺ شريعته، فقالوا: كيف لنا بالحج وبيننا وبينه مسافة بعيدة؟ فدعا النبى، ﷺ قال ابن عباس: تطوى لهم الأرض حتى يحج من يحج منهم مع الناس"^(٢).

ومع أن هذه الرواية تبدو وكأنها تتحدث عن السكان الأرضيين، إلا أن ورود أسماء هاتين المدينتين في أحاديث يأجوج ومأجوج، مع إثباتنا استحالة

(١) بحث (الأطباق الطائفة بين الحقيقة والخيال) للباحث محمد النبي نشر في ٢٥ شباط ٢٠٠٨.

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني.

وجود هذه الأقسام على الأرض، فإن المتحصل منها أنها تتحدث عن بشر سكنوا في الأكوام الأخرى، وهي نظرية لا يستبعد العلم المعاصر.

ثم لا ننسى بأن الكتب الدينية مثل التوراة والتلمود والراماينا والفيديا تحدثت كلها عن نزول هؤلاء السكان إلى الأرض أو صعود سكان الأرض إليهم، وقد تحدثت التوراة عن السكان الكونيين في أماكن عدة منها: "إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الأزل لهم اسم" (١).

بل وتجد في كتاب زرادشت أن حرباً كونية قامت بين ملك الشر وبين سكان النجوم والكواكب قادت العالم إلى الدمار.

وفي البدء والتاريخ، عند حديث المقدسي عن قصة إدريس النبي، قال: "وكان مستخلفاً خلافة نبوة لا خلافة رسالة... ونبأه الله بعد وفاة آدم وأنزل عليه النجوم والطب واسمه عند اليونانيين هرمس وكان يصعد له من العمل في كل يوم مثل عمل بني آدم كلهم فشكر الله ذلك له فرفعه مكاناً علياً، واختلف الناس كيف رفع" (٢).

وفيه أيضاً أن أولاد آدم كانوا يصعدون وينزلون ويجلبون مما في السماء من فواكه وطيبات حيث روى عن أبي أن آدم لما احتضر اشتهى قطعاً من قطف الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه فتلقاهم الملائكة فقالوا: ارجعوا فقد كفيتموه، فانتهوا إليه، فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلوا عليه جبرائيل والملائكة خلفه وبنوه خلف الملائكة ودفنوه، وقالوا هذه سنتكم في موتاكم يا بني آدم" (٣).

المهم أن إيمان الصابئة المندائيين وبعض أتباع الديانات الأخرى بوجود

(١) التوراة، الاصحاح: ٦، العدد: ٤.

(٢) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ١٠، في ذكر الأنبياء ومدة اعمارهم.

(٣) المصدر نفسه، البدء والتاريخ، الفصل ٨ ظهور آدم وانتشار ولده، ومعارف الدينوري،

عوامل مسكونة في الكون، واعتقادهم بأنّ تواصلًا كان قائماً بين سكانها وبين البشر الأرضيين من قبل، وأنه سيقع في المستقبل، وقيام الكتب المقدسة لتلك الديانات بتوثيق هذا المعتقد وهي كتب لا تزال متداولة منذ آلاف السنين، كلّ ذلك يمثل ركيزة صلبة لاحتمالية وجود سكان في الأكوان لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها، وبإضافة هذه الموارد إلى الأحاديث النبوية وأحاديث الأئمة المعصومين الموجودة في تراث المسلمين عن هؤلاء السكان يتولد شعور يبعث حقاً نوعاً من الاطمئنان في النفس بإمكانية وجود أقوام في الكون، وأن التواصل المستقبلي معهم لن يكون أمراً عصياً، وأسلمة هذه المخلوقات على يد الإمام المهدي ليست بالأمر المعجز ولاسيما أنّ العلم الحديث جاء بنظريات تؤيد صحة بعض معلوماتنا عن وجود هذه المخلوقات الكونية.

وقبل الانتقال للحديث عن رأي الحضارات بالسكان الكونيين، أرغب في الحديث مختصراً عن ما يعرف بالزواج بين الكائنين الأرضي والكوني لعلاقة ذلك بمحور البحث.

التزاوج بين الأرضيين والكونيين

عرفنا قبل قليل أنّ الصابئة يعتقدون: بأنّ آدم ﷺ أرسل بناته إلى عالم آخر فيه أناس مثلنا يسمّى (مشوني كسطه) أي: أرض العهد ليتزوّجنَ برجال ذلك العالم، وجلب بدلاً عنهنّ نساء لأولاده من ذلك العالم فتزوّجهنّ^(١).

وقد تبين أنّ هناك أدياناً ومعتقداتٍ تتماهى وهذا التصوّر وتؤمن بصحة هذا الزواج الغريب، فالديانة اليهودية التي تعرف بخيالها الجامح تناولت موضوع الزواج بين الكيانين بأسلوب آخر، حيث تلمح التوراة اليهودية إلى أنّ هذه الكيانات القديمة هي بالأصل كائنات فوق البشر تعيش خارج حدود

(١) ينظر: الأديان والمذاهب، رشيد الخيون، ص ٢٤.

عالمنا الأرضي، وقد تزوّج رجالها من نساء البشر فأنجبت مسوخاً. وهناك كتاب يهودي يحكي عن ٢٠ شيطاناً جاءوا إلى الأرض وتزوّجوا من بنات البشر، فأنجبن ذرّية مخيفة تعلموا كيف يصنعون أسلحة غريبة ومجوهرات وكيف يشربون الدم. وقد جاء في التوراة: "وأنت لتمر، عندما ابتداء الرجال بالتكاثر على وجه الأرض، والبنات ولدوا منهم، حين رأى أبناء الله بنات الرجال أنهم جميلات، اتخذوا منهنّ زوجات لهم... كان هنالك عمالقة على الأرض في تلك الأيام، وأيضاً بعد ذلك، عندما أتى أبناء الله عند بنات الرجال، وحملن أطفالهم، وأصبحوا رجالاً أشداء وبارزين"^(١). التلمود كذلك يحكي القصة ذاتها عن زواج الكونيين بالأرضيين.

أما الحضارة السومرية فقد تبين بالسجلات التي عثر عليها في معابدهم القديمة أن تزواج كلا الجنسين الذكر والأنثى اللذين جاءا من كوكبين مختلفين مع ذكر وأنثى أرضيين قد تم قبل ٣٠٠ ألف عام وقد توصل الباحث الأميركي (ساخاريا سيتكين) إلى أنّ السومريين كتبوا بعض الألواح التي تتحدّث عن كائنات غريبة جاءت إليهم من كوكب مجهول^(٢).

أما في عقيدتنا الإسلامية فنجد كثيراً من الروايات التي تقول إنّ آدم ﷺ تزوّج أبناءه من بناته، ونحن من نسل زواج المحارم هذا، كما في المعارف لابن قتيبة الدينوري، عن وهب بن منبه: إنّ آدم كان يولد له من كلّ بطن ذكر وأنثى، وكان الرجل منهم يتزوّج أيّ أخواته شاء إلا توأمه. المعارف^(٣).

وفي منتظم ابن الجوزي "وكان الرجل منهم ينكح أيّ أخواته شاء إلا التي ولدت معه فإنها لا تحلّ له. وروى السدي عن أشياخه قال: كان لا يولد

(١) التوراة، الفصل السادس، سفر التكوين.

(٢) ينظر: اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين، جمعية الفلك بالقطف

<http://qasweb.org/qasforum/index.php?showtopic=11033&st=40>

(٣) ابن قتيبة الدينوري، ص ١١.

لآدم مولود إلا ومعه جارية وكان يزوّج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر وجارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر. حتى ولد له قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب صرع وكان قابيل الأكبر وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل وطلب هابيل أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال: هي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره آدم أن يزوجه إياها فأبى. [أي إنه أراد الزواج بأخته التوأم!] ينظر: المنتظم في التاريخ، الجزء الأول، باب ذكر آدم، والظاهر أنّ المسلمين أخذوا هذه القصة من اليهود حيث قال ابن العبري في تاريخه: "وعلى رأي مارثوديوس بعد ثلاثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قايين وقليميا أخته توأمين. وبعد ثلاثين أخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا أخته توأمين. وبعد سبعين سنة أخرى حاول آدم تزويج كل واحد منهما بتوامة أخيه. فأبى قايين طالباً توأمته لأجل ذلك قرب قرباناً" (١).

ومن المدهش حقاً أن تجد هنالك علماء يتحدثون عن العلاقة بين الكونيين والأرضيين بما يبدو وكأنه تكرار لحديث الصابئة عن زواج الكونيين بأبناء آدم، يتفق الدكتور جواد بشارة (٢) والدكتور نبيل فاروق (٣) في حديثهم عن علاقة الدكتور الفرنسي (جان بيير بوتى) بسكان كوكب يومو والرسائل التي تسلمها منهم بالقول: "وأغرب ما أشار إليه زوار يومو في رسائلهم، هو أنهم أبناء عمومتنا، أو بمعنى أدق أن أبحاثهم أثبتت أننا وهم من أصل واحد، ولكنهم أبداً لم يفسروا ما يعنيه هذا، هل كان أجدادهم أرضيين، من حضارة سابقة، ثم هاجروا إلى ذلك الكوكب البعيد، أم أننا وهم أتينا من كوكب آخر، ولكن بعضنا اتجه نحو الأرض، وبعضهم الآخر نحو كوكب

(١) تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، الدولة الأولى.

(٢) الأجسام المحلقة مجهولة الهوية، حقيقة أم خيال؟، الدكتور جواد بشارة، موقع (الناس)

<http://al-nnas.com/ARTICLE/JBashra/25kn4.htm>

(٣) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، جيسيكيا ويليامزون ص ١٥٤. ١٥٥.

يومو؟ فهل يعني ذلك أن قصة الصابئة صحيحة، وأن هناك في الكون أنساب وأقرباء لنا نحن البشر؟ وإذا ما كان هذا الأمر صحيحاً، فهل تصدق قصة اللقاء المرتقب بيننا وبينهم؟ وإن صدقت قصة اللقاء، متى يعتقد أنها ستتحقق، وكيف، ولماذا، ومن سيحققها؟ أليس الإمام المهدي المنتظر هو المؤهل الأوحد لتحقيقها؛ لأنّ بتحققها تتحقق الحقيقة القرآنيّة ﴿لِيُظْهِرُ عَلَىٰ الَّذِينَ كُفِّرُوا﴾؟ ألا يمكن أن يكون قول الدكتور (جان بيير بوتى) الذي نقله عنه الدكتور نبيل فاروق مصداقاً لما نؤمن به؟ لقد جاء في موضوع الدكتور نبيل قوله: "بعض العلماء يتساءلون بسخرية ولماذا لم يعلن سكان يومو المزعمون عن وجودهم على نحو صريح، بدلاً من الرسائل العجيبة الملتوية؟ فقال البروفسور أي جان بيير بوتى: إن الوقت لم يحن بعد للتصريح بوجودهم، وعندما تحين اللحظة المناسبة يبدؤون بالاتصال برؤساء وملوك الدول للإعلان عن وجودهم" (١).

الحضارة الكونيّة

يفهم من نصوص كثيرة قديمة وحديثة أن كوكب الأرض كان مرتعاً للزوار القادمين من الكون، وأنّ الحضارات المتطورة التي عرفها كوكبنا ليست من نتاج البشر الأرضيين وإنما أنشأها رواد قدموا من حضارات كونيّة بعيدة، وهذه الحضارات دامت قروناً عديدة لكنها اختفت أثناء الطوفان، ثم بعد الطوفان بدأ البشر الناجون بقيادة النبي نوح ﷺ من نقطة الصفر تقريباً لتأسيس حضارة أرضية جديدة مستمرة إلى يومنا هذا (٢). ويعزو بعض الباحثين سبب اختفاء الحضارات الأولى إلى تعارض مناهجها مع مناهج الكونيين أنفسهم.

(١) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، جيسिका ويليامز ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) ينظر: المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

كما ويحدثنا القرآن الكريم عن حضارات قديمة عظيمة شديدة القوة هائلة التطور كانت موجودة في الأرض منذ القدم، وقد تمكنت من إعمار الأرض بنحو لافت للنظر، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ (١).

بما يبدو شيئاً غريباً، وغرابته دفعت الكتاب والباحثين للسؤال: من أين تأتي لتلك الحضارات أن تبلغ هذا الشأو البعيد من الرقي والمدنية إن لم يكن لها اتصال بحضارات سابقة لها أو قدرات أخرى، ومن أين جاءت الحضارات الأولى بعلومها لو لم تكن هناك قدرات غيبية مجهولة قد تكون نزلت إلى الأرض من الكون علمتها العلوم؟ ويعتقد بعضهم أن السكوت عن الحضارات والقدرات المؤثرة الأخرى له أسبابه الدينية والمجتمعية وحتى العvisية.

وعن الأسباب الدينية والمجتمعية التي دعت الناس إلى السكوت عن تلك العلاقة بين الكونيين والأرضيين يستعرض (جيبى برينان) في كتابه (رحلة عبر الزمن) اكتشافات أثرية كثيرة عظيمة في مناطق كثيرة ومختلفة من العالم، في الصين والبيرو وتايلند والعراق وبحر إيجه تثبت ظهور مجتمعات بشرية قديمة مجهولة تميزت بتقدمها التكنولوجي الكبير. وبعد كل مرة يستعرض فيها اكتشافاً كهذا يتساءل عن سرّ اختفائه وعدم انتشاره، ولماذا حاربه الأوساط الدينية أو العلمية المحافظة، في إشارة منه إلى ادعاء عالم الآثار الأمريكي (مايكل كريمو) في كتابه (التاريخ المخفي للجنس البشري) إلى أن الكنيسة حاربت أو طمست العديد من الاكتشافات الأثرية والأحفورية القديمة لمجرد أنها تتعارض مع الروايات الإنجيلية حول الخلق وتطور المجتمعات الأخرى. علماً أن (كريمو) استعرض في كتابه هذا قائمة طويلة لمثل هذه المواقف التي تبناها الفاتيكان والكنيسة الإنجيلية في المئتي عام الماضية - مثل موقف

(١) سورة الروم، الآية ٩.

الكنيسة البريطانية من ضريح توت عنخ آمون، واعتراض الفاتيكان على فكرة عيش الديناصورات قبل ملايين السنين^(١).

أما عن السكوت لأسباب عصبية فيعترف الكاتب البريطاني (آرثر كلارك) في كتابه (التاريخ الغامض) بوجود مواقف سلبية تعارض أي اكتشاف يهدد نظرتنا لأنفسنا أو يخالف إيماننا بفكرة التراكم المعرفي للحضارة الإنسانية. فالأوساط العلمية المحافظة في الغرب على قناعة بأننا أكثر الحضارات البشرية تطوراً على مرّ العصور وأنّ تطوّرها التكنولوجي الحالي سمة خاصة بالقرنين الأخيرين فقط، ليس هذا فحسب بل يصعب على المتزمتين منهم تصوّر ظهور حضارات أكثر تطوراً في بلدان معروفة بتخلفها الحالي مثل إثيوبيا والبيرو أو في مواقع بعيدة عن القارة الأوروبية في اليابان أو تايلاند مثلاً^(٢).

نجد بالمقابل أقوالاً وروايات تستند إلى كثير من المعطيات والوثائق وتعترف بمصدر الحضارة الأولى الكوني كما في قول (زاخاريا سيتكين) الخبير الأمريكي المعروف بدراساته عن الحضارات الشرقية ومنها الحضارة السومرية: "إنّ السومريين هم من الأقوام الأقدم حضارياً في العالم، وقد تركوا وراءهم أخباراً عرفنا من خلالها أنّ جميع المعلومات المهمة التي وصلت إليهم جاءت من خلال بعثات فضائية إلى الأرض قام بها رواد فضاء سّمّاهم السومريون بـ Anunnaks أي الكائنات الفضائية الغريبة التي جاءت من السماء وحطت على الأرض. وحسب السومريين فإنّ هذه الكائنات قد وصلت إلى المريخ قبل أكثر من ٤٥٠ ألف سنة^(٣)."

(١) ينظر موضوع (اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين)، جمعية الفلك بالقطيف <http://qasweb.org/qasforum/index.php?showtopic=11033&st=40>

(٢) ينظر: اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين، جمعية الفلك بالقطيف، مقال الأستاذ فهد الأحمري.

<http://qasweb.org/qasforum/index.php?showtopic=11033&st=40>

(٣) ينظرالمصدر نفسه: اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين، جمعية الفلك بالقطيف.

بل وهناك من يدّعي أنّ درجة التحضر التي اكتسبها البشر الأرضيون نتيجة علاقتهم بالسكان الكونيين والتعلم منهم مكنتهم من الصعود إلى الفضاء والنزول على سطح القمر قبل ميلاد السيد المسيح ﷺ، ففي كتابه (التاريخ المحرّم) يقول علاء الحلبي (الفصل السادس والعشرون تحت عنوان: صعود القمر قبل ٢٣٠٩ قبل الميلاد): "إنّ زيارة الإنسان الأرضي إلى القمر تمت في عام ٢٣٠٩ قبل الميلاد أي قبل حوالي ٤٣١٩ سنة، وهو يرى أنّ أعظم الحضارات وأعرقها كانت حاضرة على كوكبنا منذ آلاف السنين واندثرت في عصور ماضية^(١)."

ويتماهى الباحث صباح حاتم مع الرأي السابق عند حديثه عن الحضارات القديمة بقوله: "وأنّ تلك الحضارات سيدها الكونيون الذين نزلوا إلى الأرض و"النظرية التي تشير إلى أنّ حضارة سومر سيدها كائنات فضائية هي أقرب النظريات إلى أصل السومريين" ويذهب إلى أبعد من ذلك ليقول إنّ: "العلاقة بين الحضارة السومرية والسماء تكاد تكون ماثلة للعيان، إذ إنّ جميع التماثل السومرية تتسم بعيون كبيرة شاخصة إلى السماء،؛ فضلاً عن وجود إشارات ملحة في التاريخ والملاحم السومرية إلى العلاقة بين الأرض والسماء، ومن بينها ملحمة كلكامش ورحلته الطويلة التي أكمل فيها دورة الأرض وجلب عشب الحياة من أمريكا الجنوبية، ثمّ عودته عن طريق الشرق" ويقول في نهاية المطاف: "لقد قرأت جميع النظريات التي تفسر حضارة سومر وحللتها بدقة ووجدت أنّ نظرية الكائنات الفضائية هي الأقرب إلى الواقع"^(٢).

ولمثل هذا الرأي يذهب الدكتور جواد بشارة ويقول: "منذ ٨٠ ألف عام أو أكثر كانت الأرض مهبطاً للعديد من السفن الفضائية القادمة من حضارات

(١) حضارات متقدمة سبقتنا إلى القمر قبل ٤٣١٩ عاماً!! جهينة نيوز - ربما ديوب:

<http://www.jpnews-sy.com/ar/news.php?id=4569>

(٢) الباحث صباح حاتم في حديثه لوكالة كردستان للأنباء (آكانيوز) نظرية الكائنات الفضائية هي

الأقرب لنشأة الحضارة السومرية، نادي الفكر العربي <http://www.nadyelfikr.com/>

كونية بعيدة متفاوتة المستوى العلميّ ومتباينة الأهداف، ومن أجناس وشعوب مختلفة، ساهم بعضها في تحويل الأرض الجذباء إلى أرض ملائمة لاحتضان الحياة فيها" (١).

إنّ نظرية المعلمين الكونيين منتشرة بين العلماء والباحثين انتشاراً كبيراً جداً، وهم غالباً يذكرون نماذج خاصّة موجودة على الأرض يدعون أنها لا يمكن أن تكون على علاقة بالأرض وما فيها، ومن ذلك حديثهم عن:

١ - الجبل المقشوط ورسومه التخطيطية: في صحراء (نازكا) في البيرو؛ فهناك جبل تمّ قشط قمته وتحويلها إلى هضبة مستوية تشبه إلى حدّ ما مدرجاً لمطار أو قاعدة جوية طولها ٢٣ كيلومتراً، والأغرب أنه لم يكن هناك أيّ ركاب حجريّ على جانبي الجبل من مخلفات القشط. كما أنّ هناك رسومات تخطيطية كبيرة الحجم محفورة على السطح المقشوط لذلك المدرج أو القاعدة، ومن ضمن تلك الرسوم خطوط معقدة متوازية ومتقاطعة ومتشابكة، ورسوم لحيوانات مختلفة مثل الطير نقار الخشب، حوت، سمكة، قرد، عنكبوت، دينصور، كائن إنسانيّ الشكل، وهذه الرسوم لا يمكن معرفة ما تمثله إلا في حالة رؤيتها من الجوّ بسبب كبر حجمها، حيث يصل قطر بعضها لـ ٦٠٠ قدم والموضوع كلّه يبدو تعجيزياً ومستحيل الإنجاز بالنسبة لحضارة (نازكا) القديمة التي وجدت شعوبها في أميركا الجنوبية بين السنوات ٣٠٠ قبل الميلاد و٨٠٠ ميلادية. يعتقد أغلب المختصين بأنّ المطار ورسومه هو خارطة جوية لتوجيه وإرشاد المركبات الفضائية القادمة من كوكب آخر، وأنّ هذه الخارطة ربّما لا تزال تخدم صانعيها لحدّ اليوم.

٢ - الطائرات الذهبية: في غواتيمالا - كولومبيا وجد المنقبون (١٢) طائرة صغيرة في إحدى القبور البائدة، طول كلّ طائرة عدّة سنتمترات، ويعود تأريخ صنعها لعدّة آلاف من السنين قبل الميلاد، وجميعها مصنوعة من الذهب

(١) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

الخالص، وتمثل طائرات نفاثة مُقاتلة بعدة تصاميم وأشكال، علماً أنه حتى العجلة لم تكن معروفة في تلك الأزمان.

٣ - معجزة بناء الهرم الكبير: حيث ترك الفراعنة معلومات تقول: إنهم بنوا الإهرامات بواسطة الإنسان ومساعدة أوصياء من السماء. والسؤال هنا: من كان هؤلاء الأوصياء السماويون يا ترى، إن لم يكونوا كائنات من حضارات فضائية كونيّة؟.

٤ - سومر: تقول العلوم الحديثة إن الميثولوجيا بدأت مع السومريين قبل المصريين والرومان والإغريق والأنكا والمايا والهند، ولكن العلماء لا يزالون يجهلون من أين جاء الشعب السومريّ الذي ظهر فجأة في بلاد ما بين النهرين قبل حوالي ستة آلاف سنة، ويقول بعضهم إنهم جاءوا مهاجرين من أماكن ليست ببعيدة عن بلاد ما بين النهرين، ولكن الذي يُناقض هذه الفكرة أن لغة السومريين لا تُشابه أية لغة أخرى في الشرق أو في كلّ العالم، برز هذا الشعب بحضارته الشامخة المُذهلة وبطريقة مُباغته لا تحمل أيّ تطوّر ارتقائيّ متواصل مع الشعوب التي سبقتة جغرافياً وتاريخياً أمثال المرحلة الثانية؛ وهي عصر تلّ العبيد، وهو الذي سبقتة المرحلة الأولى وهي عصر "حلف" وهي التي كان موقعها على نهر البليخ في تلّ زيدان.

قدّمت حضارة سومر للعالم أوّل لغة مكتوبة (المسمارية) ومدارس ونظام تدريس، وحسابات النظام الستينيّ في العدد، وخرائط وأطواق بناء هندسيّ معماريّ، وكانوا أوّل من أوجد بناء القبة والصروح الفخمة كالزقورات في أور وأوروك ولكش، وقضاة ونظاماً للقضاء، وعلوم الرياضيات والطب وعلم المعادن والرسم والنحت والأساطير والملاحم واكتشاف العجلة واستخدام المحراث وتدجين الحيوانات والزراعة ونظام الريّ وحتى صناعة لعب الأطفال^(١).

(١) موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨ - الرابط

٥ - نحت الخليقة في بؤابة الشمس: في أعالي جبال الأنديز في البيرو؛ فهناك نصب حجريّ يسمّى (بؤابة الشمس)، يتكوّن من كتلة حجرية أحادية هي عبارة عن سور بطول ٢٥ متراً، ووزن ١٠ أطنان. وهناك نقش على واجهة البوابة لوجوه منحوتة بدقة تمثل كلّ أقوام أمم الأرض، واللافت للنظر أنّ الوجوه والملامح والألوان تختلف الواحدة عن الأخرى، ويمكن بسهولة تشخيص الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأسمر وغيرهم. والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف عرف ذلك النحات الأنديزي وهو قابع في جبله المنعزل البعيد عن بقية الحضارات، وفي ذلك الزمن العتيق، ألوان قسماّت وجوه كلّ أقوام وشعوب الأرض وتفاصيلها؟

٦ - القلعة الحجرية في قمة الجبل: من أغرب مخلفات أسلاف شعب (الأنكا) قلعة (أولنتايامبو) في أعلى تلك الجبال بنيت من كتل حجرية مقطوعة بطريقة تصعب حتى على المكائن الحديثة وتزن الواحدة منها ١٢ طناً، جلبت من مقالع حجرية تُبعد ١٢ كيلومتراً عن الجبل ولإيصالها يجب اجتياز شق أرضيّ بهاوية عمقها ألف متر في قعره يوجد سيل مائيّ عنيف، كما ويبدو من المستحيل مدّ جسر بين طرفي الشرخ المتباعدين، وحتى لو تم بناء جسر فهو لن يتحمل ثقل الحجارة المنقولة فوقه، ولو افترضنا أننا عبرنا الشرخ أو الصدع الأرضي، فكيف ستمكن من رفع كلّ تلك الحجارة الضخمة إلى أعلى الجبل؟! علماً بأنّ كلّ الدروب الجبلية المؤدية إلى القمة ضيقة جداً تكفي لمرور إنسان واحد أو حيوان اللاما الجبليّ. الغريب أنّ هناك منحوتة ضخمة قرب القلعة تمثل رجل فضاء ببذلة وخوذة فضائية واقية، مع ما يشبه علبة تحكم وسيطرة على صدره.

٧ - كيف أضاء الفراعنة ظلمة داخل الهرم؟: لم تعرف إلى اليوم الطريقة التي أضاء بها الفراعنة باطن الهرم المظلم أثناء إنجاز الأعمال في داخله، حيث لم يوجد أيّ أثر للسخائم الناتجة من حرق المشاعل أو أيّ نوع من المحروقات لتوفير الإضاءة اللازمة للعمل، ثمّ إنه لا توجد داخل الهرم كمّية

كافية من الأوكسجين لحرق عود ثقاب واحد. وقد جرب بعض العاملين على فك أسرار الهرم بطريقة المرايا العاكسة ولكن طول المسافة وتعرجات الممرات منعت وصول انعكاسات ضوء النهار. ثم وجدوا منحوتات داخل الهرم الكبير المصباح الكهربائي بحجم طول الإنسان، ويقول العلماء إن تلك المصابيح كانت سرّاً لم يكن يعرفه غير عدد قليل من كبار الكهنة ورجال الدين. فمن أين جاء الفراعنة بتلك المصابيح الضوئية الشبيهة جداً بالتي نستعملها اليوم؟ وأي نوع من الطاقة استعملوا لتشغيلها، ولماذا كانت سرّاً لا يعرفه غير القلائل من الكهنة؟

٨ - بطارية بغداد: تم اكتشاف ١٢ بطارية ذات صناعة بدائية في بغداد، سماها الباحثون (بطارية بغداد) يبلغ عمرها ٤٠٠٠ سنة، من صنع هذه البطارية؟ وكيف ولماذا، وأين هي الأسلاك الكهربائية التي من المفروض وجودها معها؟

إنّ كلّ ما حولنا يكاد ينطق ويقول لنا بأنّ في الكون كائناتٍ غيرنا، وإنها سبق أن زارتنا ولمراتٍ كثيرة، وإننا ربّما نكون مُستعمَرين وبطريقة لم يكتشفها الذكاء البشريّ بعد^(١).

الآلهة الكونيّون

الحديث عن إسهام السكان الكونيّين بإنجاز بعض المهمّات الأرضيّة المستحيلة له علاقة كبيرة بموضوع آخر لا يقلّ عنه أهميّة يقول إنّ الآلهة الذين عبدهم البشر من دون الله سبحانه على مدى التاريخ هم الكائنات الكونيّة نفسها التي علمتهم العلوم، وهناك الكثير من الأخبار والروايات التاريخيّة التي تدّعي أنّ الآلهة التي كان يعبدها الوثنويّون من البشر قديماً هي كائنات فضائيّة ذات تطوّر علميٍّ ومعلوماتيٍّ كبير جداً نزلوا إلى الأرض واختلطوا بشعوبها المتخلفة الأميّة الجاهلة فأخرجوا علومهم ومعارفهم ليبثوها بين

(١) موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨ - الرابط.

البشر، فظهروا وكأنهم متميزون عن غيرهم بعلومهم الغريبة التي رفعتهم فوق مستوى البشر البدائيين فعبدهم هؤلاء ظناً منهم أنهم آلهة، وهناك من يرى أن الكونيين لم يقصدوا تأليه أنفسهم ووصول الأمر إلى مرحلة العبادة؛ لأن هدفهم كان نبيلاً ومقتصراً على الإسهام في تطوير الواقع المزري للإنسان الأرضي المتخلف، أو منحصراً بالبحث عن بعض المعادن النفيسة التي يحتاجون إليها، ولكن الإنسان المتخلف حولهم بجهله إلى آلهة وقدم لهم فروض الطاعة.

من حيث الأصل الكوني لتلك الآلهة قدم العالمان الفلكيان (ستيجن) و(شاتيلان) في كتابين صدرا لهما تفسيرات حول الآلهة القديمة التي كان يعبدها قدماء البشر تؤكد أنهم كانوا مخلوقات فضائية وصلوا إلى الأرض منذ مئات آلاف السنين، قادمين من كوكب تطوّرت فيه الحياة الذكيّة. وبحسب الرُقْم السومرية التي أشارت إلى أماكن هبوطهم، أنّ الهدف من زيارتهم معدّ سابقاً، وأكدت أنهم جاءوا إلى الأرض للبحث عن المعادن النفيسة الثقيلة كالذهب والفضة والزئبق^(١).

وطبعاً هناك الكثير من الآراء الأخرى التي تؤكد أنّ الآلهة التي عبدت في تلك الحقب السحيقة كانوا سكاناً كونيين نزلوا من السماء لإنجاز مهام خاصة، ففي حديثه عن عقيدة الفداء المسيحية يقول الباحث المصري هشام محمّد طلبة: "اطلعت على كتاب لعالم أديان أمريكي هو Kersey Graves، عنوانه: The worlds sixteen saviors (المخلصون الستة عشر) ذكر فيه أنّ هذه العقيدة تكاد تتطابق مع ست عشرة عقيدة سابقة لها بزمن بعيد"^(٢).

وأنا لست بصدد الحديث عن هذه العقيدة أو عمّن ادّعت له على مدى

(١) ينظر: صحيفة المثقف، صادق الصافي، الرابط

[http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=41177:2010-](http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=41177:2010-12-10-01-34-04&catid=34:2009-05-21-01-45-56&Itemid=53)

12-10-01-34-04&catid=34:2009-05-21-01-45-56&Itemid=53

(٢) دراسة للباحث هشام محمّد طلبة.

التاريخ؛ ولكنني أريد الإشارة إلى الاقتباسات التي أخذها كاتب البحث هشام محمّد من أقوال المؤلف الأمريكي عن هؤلاء الآلهة؛ وهي التي تبين جميعها أنهم نزلوا من السماء أي: إنهم من السكّان الكونيين وليس من السكان الأرضيين حيث قال عن "كرشنا" الإله الوثني الهندي ١٢٠٠ قبل الميلاد: "يعدّ "كرشنا عند أتباعه من الآلهة التي تواضعت لتهبط من مسكنها السماويّ فوق سهول الهند، وذلك من خلال ولادة بشرية لتموت من أجل ذنوب وخطايا البشر"

ويقول عن الإله الوثني الهندوسي "ساكيا" ٦٠٠ قبل الميلاد: "لقد ترك الجنان وهبط على الأرض لقد كانت تغمره الشفقة على ذنوب مآسي البشرية"

ويقول عن الإله "إندرا" مخلص بلاد التبت ٧٢٥ قبل الميلاد: "إنه هبط من السماء من أجل خير البشرية وعاش حياة العزوبية عازفاً عن الزواج"

ويقول عن "ثوليس" الإله المصري ١٧٠٠ قبل الميلاد: "إنه هبط إلى الأرض من أجل خير البشرية وأنه كان يمتلئ حباً وحقيقة، وبعد معاناته في موته الشديد دفن وبعث، وصعد إلى السماء، وهناك أصبح قاضياً بين الأموات أو بين الأرواح في المملكة المستقبلية"^(١).

وقد تبين لي أنّ هناك حيرة كانت تلف عقول الأقدمين بشأن العلاقة بين الكائن الأرضي القديم وما يمكن أن يكون مخلوقات فضائية غزت الأرض فرادى أو مجاميع (عدد الآلهة السومرية يتجاوز الأربعة آلاف) ضمن حدود مشاريعها الخاصة لتبني في الأرض إقاماً حضارة أو ديانة تسهم في تنمية قدرات الإنسان؛ ليصبح أهلاً للتواصل مع تلك الشعوب، وهي الحيرة نفسها التي تلف عقول العلماء المعاصرين اليوم، إذ لا يمكن الجزم بصحة نزول هؤلاء الأجناس الفضائيين، ولا الجزم بصحة تعليمهم البشر تلك العلوم التي طوّرتهم تطويراً مفاجئاً من دون مقدمات، ولا الجزم بصحة عبادة البشر

(١) دراسة للباحث هشام محمّد طلبة.

الأرضيين لهم، ولا الجزم بانعدام سكان كونييين سبق لهم أن نزلوا إلى الأرض.

هذه الحيرة هي التي ولدت تصورات مختلفة لدى العلماء، فادعى بعضهم أنّ حضارات كونية أكثر منا تطوّراً حاولت نقل تجاربها العلمية إلى السكان الأرضيين ليستفيدوا منها في تطوير قدراتهم، وادعى آخرون أنّ الآلهة القديمة التي عبدها البشر الأرضيون هم في الواقع مخلوقات فضائية كانوا يرون أنفسهم أعلى شأنًا من الإنسان نظراً إلى كونهم يتمتعون بصفات ومواصفات فريدة، وهم الذين فرضوا أنفسهم على الإنسان القديم ودفعوا أجدادنا إلى تأليههم وتقديسهم.

ما يعيننا من هذا الأمر أنه يؤكد وجود تواصل من نوع ما بين الكائنات الأرضية والكائنات الكونية وقع في الأزمان السحيقة، ولأهمية الموضوع أرى ضرورة التوسع في بحثه.

أصحاب الرؤية الأولى يقولون: إنّ من يقرأ تاريخ المجتمعات الأرضية القديمة ويتابعها متابعة دقيقة سيلحظ على الدوام بروز مجتمعات وحضارات ذكية ومتقدمة تقدماً مذهلاً على من حولها من مجتمعات أخرى، والسؤال هنا: كيف ومن أين جاءت تلك الحضارات الذكية التي تفجرت عبر ليل الزمن، وكيف اختفت؟

وهل كان ذلك التحضر حقاً حصيلة تطوّر أرضي بشري ارتقائي تدريجي كما تفترض القاعدة والعلوم والمنطق، أم أنه كان فورياً مفاجئاً نتيجة قطف مساعدات وتدخل من لدن حضارات متقدمة جداً لكائنات من خارج الكرة الأرضية؟

ومن أجل تثبيت هذه القناعة نجد هناك آلاف البحوث والدراسات والتفسيرات والتقارير التي تُثبت بدقة دامغة أحياناً أنّ كائنات ذكية من كواكب وعوالم أخرى زارت أرضنا وتركت إثباتات تؤكد وجودها في أمكنة وأزمنة مختلفة عبر التاريخ.

"فمنذ بدايات الوعي عند الإنسان القديم ظهرت آلاف الأساطير والخرافات والمعتقدات والأديان والحكايات عن آلهة من كل نوع ولون وشكل نزلت من السماء واتصلت بالبشر بشيء ما أو بآخر"^(١).

يعني هذا أن احتمال كون الحضارات الإنسانية القديمة وجدت بمساعدة مخلوقات غير أرضية توجد عليه دلائل كثيرة في مناطق مختلفة من العالم تحدثنا عن بعضها سابقا، فضلا عما ذكرناه هناك نجد صعوبة في تجاوز ما جاء في سفر التكوين عن مراكب نزلت من السماء تصدر صوتاً قوياً وتشتعل النار من خلفها، وصعوبة في عدم تصديق ما جاء في المخطوطات السومرية القديمة ومنها ملحمة كلكامش التي تتكلم على آلهة هبطت من السماء وعلمتهم الزراعة والفلك والبناء.

وما يزيد الأمر صعوبة أننا نجد في تراث شعوب قديمة أخرى خارج منطقتنا وبعيداً عنها ما يؤكد أن آلهتهم الكونية تشبه الآلهة التي تحدث عنها السومريون إلى حد بعيد، فالهة (المايا) تحديداً لها أوصاف ومواصفات آلهة سومر نفسها؛ فهي الأخرى تأكل وتشرب وتزوّج وتنجب وتلهو وتموت، أي إنها مخلوقات حية حقيقية تزوجت مع البشر الأرضيين وأنجبت كائنات نصفية كما هو الإله السومري كلكامش الذي كان نصفه إلهياً ونصفه الآخر بشرياً - بحسب قولهم - وهو من ثمرات هذه العلاقة الكونية الأرضية^(٢).

ونجد الدكتور جواد بشارة يتماهى مع الرأي القائل بكونية الآلهة القديمة، فيقول: "واليوم يمكننا أن نعكس اللوحة ونتخيل ماضي الأرض السحيق، قبل آلاف السنين، عندما كان السكان في أول سلم التطور عندما التقوا بزوار من

(١) ينظر: موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨ الرابط

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=231298>

(٢) ينظر: موضوع (حضارة المايا والأزتيك) الرابط

<http://www.armephy.com/vb/archive/index.php/t->

298.html?s=d49800a4ee49b250589fb0a9ef105595

الفضاء الخارجي، متقدمين ومتطوّرين جدّاً من الناحية العلميّة والتكنولوجيّة، فاتخذوهم آلهة لهم يعبدونهم ويقدمون لهم القرابين. والحال أنّ هذه اللوحة لم تكن أسطورة أو خرافة بل حقيقة واقعيّة حدثت بالفعل في تاريخ البشريّة حيث دوّنتها وحفظتها النصوص القديمة ككتاب الأموات في مصر القديمة وأساطير السكان الأصليين في استراليا، وفي الأمريكيتين الشماليّة والجنوبيّة المسمّون بالهنود الحمر^(١).

هناك رأي آخر لا ينكر كونيّة الآلهة القديمة ولكنه يرى أنّ البشر أنفسهم هم الذين تطوّعوا لعبادة الكونيين نظراً إلى التمايز الكبير بين الاثنيين (الأرضيين والكونيين) من حيث الشكل واللون والتكوين والعلوم وأنّ "فكرة الآلهة ابتدأت عند الأقوام البدائيّة القديمة منذ فجر التاريخ، ولا تزال الكهوف تحمل صورها وأشكالها بوضوح، ويعتقد بعض العلماء أنّ قسماً من الأسباب ربّما يتعلق بزيارات رجال كونيين من كواكب أخرى، وتمّ التعامل معهم - بشريّاً - على أنّهم آلهة هبطت من السماء.

كذلك تحكي الكثير من روايات الأقدمين عن الرحيل الأخير الحزين لتلك الآلهة البكاء، وهي التي لا أحد يعرف أسباب رحيلها المفاجئ، فكلّ ما تركته الأقوام القديمة من معلومات تصف آلهتها بأنها عبارة عن: "رجل أبيض ملتج، علمهم الكثير ممّا يجهلون، لكنه يرحل دائماً في نهاية المطاف لوحده أو مع مساعديه وهو يبكي ويقول لشعبه الأرضيّ: سأعود في المستقبل البعيد، ولا تثقوا بمن سيجيء بعدي"

وعلى غرار ذلك ظهر في جنوب أميركا أشخاص خارقون عاملتهم تلك الشعوب كآلهة، مثل (فيراكوشا) و(كتزاكواتيل) و(كوكولكان) وغيرهم الكثير في كلّ حضارات العالم القديم المتفرّقة والمتباعدة جغرافياً، وأغلب تلك

(١) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

الحضارات والأقوام قالت بأن آلهتها نزلت من السماء وعادت إليها بطريقة من الطرق!^(١)

بالمقابل هناك من يرى أن الكونيين الذين نزلوا إلى الأرض هم في الواقع آلهة حقيقيين وإنهم مارسوا ألوهيتهم على الأرض التي كان سكانها قد نزلوا من قبل من الكواكب التي جاء منها الآلهة ذاتها، وهناك في اليابان وثيقتان تاريخيتان تسمى الأولى (كوجيكي) أو (سجلات الوقائع القديمة) ويقصد بها تأريخ بدايات اليابان القديمة، وتسمى الثانية (نيهون شوكي) كلتا الوثيقتين تتحدثان عن تاريخ متشابه يصف اليابان على أن بداية عصر الآلهة الكونيين كانت في اليابان، وتقول: عندما كان هناك رجال ونساء كونيون يشبهون الآلهة نزلوا من مكان يدعى (تكاما) أي (المكان السماوي الأعلى) على جبل (تكاشيهو) بعد أن رأت الآلهة أن الأرض التي تسكنها سلالات بشرية نزلت من قبل من المكان نفسه الذي جاء منه الآلهة أصبحت مهتأة لاستقبالهم، ومن هناك انتشروا في جميع أصقاع الأرض. كما يتضح ذلك من الوثائق التي قالت: إن الإمبرطور (جينمو) جمع شعبه وقال لهم: إن سبب نزولنا إلى الأرض جاء لزرع السلام في هذا العالم الذي جاءه أجدادنا فكتم من نسلهم، فأدرك الشعبان انحذارهم وانتماءهم الأوحده لذاك المكان السماوي الذي أتوا منه فأنشأوا معاً بلداً جديداً يسمى (نيهون) أو اليابان.

فضلاً عن هاتين الوثيقتين هناك أساطير يابانية أخرى تعترف بفضل الآلهة الآتية من العالم الخارجي بمنحنا المزيد من العلوم والتقدم، كالتقويم الشمسي والقمرى، وعلوم الطب، وتقنية البناء الهرمي، والعلوم الكونية القائمة على تفاعل طاقتين كونيتين متجانستين ومتكاملتين في خلق حياة لا متناهية في هذا الوجود الأكبر^(٢).

(١) موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨ الرابط

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=231298>

(٢) زيارات من العالم الخارجي، موقع بيت الصياد، الرابط

<http://www.baytalsayyad.com/Article-2-263.html>

آلهة سومر القديمة

أمنت أغلب الحضارات القديمة بأن الآلهة التي كانوا يعبدونها نزلوا من الأكوان الخارجية إلى الأرض، وعلى مستوى حضارتنا السومرية القديمة هناك الكثير من القصص التي تتحدث عن الآلهة السومرية، السومريون أنفسهم كانوا يعتقدون بأن الملوكية كذلك نزلت من الكون، وقد نزلت على (أريدو) مرتين. نرى كذلك في المسلات - حتى المتأخرة منها - والسامية الأصل مثل مسلة (حمورابي) صورة الملك يتسلم الملوكية من السماء (من إله الشمس شمش) كما يتحدث السومريون عن الإله (إنكي) الذي نزل إليهم من الكون وهناك صورة له تظهره في الأغوار المائية وهو يسكن غرفة عجيبة وكأنها غواصة.

وكما هي الوثائق اليابانية القديمة التي تقول إن أصل البشر كونوي (اليابانيين الكونيين) وإنهم نزلوا من الكون إلى الأرض، كذلك تذهب الوثائق السومرية إلى المذهب نفسه وتدعي أن السومريين نزلوا في سومر من الكون (الأصل الكونوي للسومريين) ونجد هذه المعلومة تتردد في كتابين للعالم الأمريكي (زكريا سيتشن) الكتاب الأول بعنوان (الكوكب الثاني عشر) والكتاب الثاني بعنوان (كتاب أنكي المفقود) اللذين أصدرهما في سبعينات القرن الماضي، كما نجد المعلومة تتكرر حرفياً في كتاب (السر الأكبر) للكاتب (ديفيد أيكه)^(١).

عن الأصل الكونوي للسومريين يتساءل الباحث صباح حاتم قائلاً: "إذا هل قدم السومريون من الفضاء؟ أم أخذوا علومهم من كائنات فضائية؟! ويجب على السؤال بقوله: "ظهر السومريون على صفحات التاريخ بصورة

(١) ينظر: نظرية الكائنات الفضائية هي الأقرب لنشأة الحضارة السومرية، موقع نادي الفكر العربي، الرابط

مفاجأة قبل ستة آلاف سنة وبدأت كتاباتهم ناضجة قبل ثلاثة آلاف سنة، لم يكن هناك أيّ تدرّج واضح في هذا الظهور الفذ الذي خط أول نواميس الحضارة، عشر نظريات تتنافس على تفسير هذا الظهور المفاجئ كلها تقترح أماكن محيطة بالعراق القديم كمصدر لنزوح السومريين من مرتفعات الأناضول في آسيا الصغرى إلى أواسط آسيا والصين وجبال زاكروس في إيران وحتى مناطق الشام القريبة أو الأصل العربيّ (عاد) في الجزيرة العربية إلى الإيجيين في البحر المتوسط ولا تنتهي بوسط أوروبا وتشابه اللغة السومرية مع نظيرتها الهنكارية.

لماذا حصل هذا النزوح وحتى لو حصل كيف نفسّر ظهور الحضارة بهذا الشكل المفاجئ؟

لكن هذه النظريات لم تجب على السؤال الملحّ: كيف حصل السومريون على كلّ هذه العلوم والمعارف وكيف تطوّر لديهم الدين هكذا بحيث كانوا أكبر شعب متديّن عرفه التاريخ؟ نظرة واحدة فقط على فهرست كتاب ألواح سومر لصاموثيل كرىمر ستجعلكم تعرفون لماذا الاستغراب، الحضارة تبرز فجأة ومن دون سابق إنذار!!!

هنا لو حاولنا أن نقفز على الفكر الأكاديمي التقليدي ونقترح أطروحة محتملة بوجود كائنات فضائية قادمة من حضارة متطورة زارت السومريين وتعايشت معهم فترة طويلة وعلمتهم فنون الكتابة والفلك والدين الريّ والهندسة والرياضيات المتطورة. عندها سيكون هؤلاء الزوّار هم الذين نعّتهم السومريون بالقادمين من السماء، وهم من أصبح فيما بعد آلهة السومريين الكثر والذين صورتهم الرقم الطينية بنحو بشريّ كامل مع وجود الأجنحة في أغلب الأحيان^(١).

(١) الباحث صباح حاتم: نظرية الكائنات الفضائية هي الأقرب لنشأة الحضارة السومرية، نادي الفكر العربي

إنّ الوثائق التي تركها السومريّون خلفهم تؤكد كلها أنّ آلهتهم وفدت من الكون الخارجي، ففي سنة ١٨٥٠ وجد الباحث (أوستن هنري) بعض الرُّقْم والألواح الطينية السومرية قرب مدينة الموصل في العراق، وكانت واحدة من تلك الألواح تتكلم على آلهة سومرية باسم (أناناكي) كانت تعيش بين السومريين، وتقول اللوحة بأنّ الأناناكي وفدوا من كوكب عملاق بعيد اسمه (نييرو) وهو الذي لم يكتشف علماء الأرض وجوده إلا قبل سنوات وحددوا موقعه خلف كوكب (بلوتو) وأسموه (x - planet x).

كذلك تقول معلومات السومريين بأنّ الأناناكي نزلوا إلى لأرض قبل ٤٥٠ ألف سنة في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات والمعروفة تاريخياً باسم أرض (شنعار) أو (ميزوبوتاميا)

كذلك يقول السومريّون إنّ الأناناكي هم الذين خلقوا البشر من طين على صورتهم، وأعطوهم من نورهم، وإنّ أسباب قدومهم للأرض كانت من أجل استخراج الذهب ونقله لكوكبهم البعيد، وأنهم كانوا يُديرون مناجم للذهب كثيرة جداً وفي المنطقة المعروفة اليوم باسم (زمبابوي)^(١).

وقد يكون (الأناناكي) الذين تحدّث عنهم السومريّون هم أنفسهم الزوّار الكونيّون الذين تحدّث عنهم السويسري (إيريك فون دانكين) في كتابه "عربات النار" المنشور عام ١٩٦٨ بقوله: "إنّ الأرض كانت محطة لزوّار من الفضاء الخارجي في الفترة بين الأعوام ٤٠,٠٠٠ و ٥٠٠٠ قبل الميلاد، ويعزو إلى هؤلاء الزوّار الإنجازات العلميّة على الأرض ومنها الإشراف على بناء أهرامات في مصر

سكان الأكوان في فكر الحضارات الأخرى

نجد بالمقابل حديثاً واسعاً عن طيران حقيقيّ بواسطة مركبات فضائية من

(١) موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨ الرابط

صنع أرضي بناها البشر القدماء للتواصل مع سكان الأكوان الذين كانت لهم قواعد أرضية تهبط فيها مركباتهم.

ففي النصوص الصينية القديمة هناك إشارات صريحة إلى تنين الحكمة، وإلى الطائر الحديدي الذي يقذف النار من ذيله. ومنذ بضعة سنين اكتشف الصينيون بعض الوثائق في (لهاسا) في التبت وقاموا بإرسالها إلى جامعة (تشاندريغار) لكي تتم ترجمتها ومؤخراً، قالت الدكتورة (روث رينا) التي تعمل في تلك الجامعة بأن الوثائق تحوي تعليمات تتعلق بكيفية بناء مركبة يمكنها السفر بين النجوم، طريقتهم في تسيير المركبة تعتمد مبدأ "مقاومة الجاذبية". وقد اعتمد هذا المبدأ على مبدأ مشابه لمبدأ "اللاجيما" الذي يتبعه أتباع اليوغا الهندوسية، وهو الذي يقول إن هناك في جوهر الإنسان قوة طاردة مركزية قادرة على مقاومة أي نوع من الجاذبية تسمى (اللاجيما) تمكن الإنسان من العوم في الهواء. أما المركبة فيمكن استخدامها لنقل مفرزة من الرجال لأي كوكب، بحسب الوثيقة التي يعتقد أن عمرها يبلغ عدة آلاف من السنين^(١).

كذلك نجد في النصوص الهندية المقدسة ولاسيما الملاحم الهندية ك(المهابهاراتا) ورود وصف مذهل لعربة سماوية ينبثق منها تألُق النار كالمذنب في السماء وأشارت الملحمة المذكورة إلى (الفيمانيا فيديا) التي تعني فن الطيران في مركبات هوائية^(٢).

وهناك واحدة من الأساطير الهندية العظيمة اسمها (رامانيا) تحكي قصة مفصلة حول رحلة إلى القمر باستخدام مركبات (الفيمانا) أو (الأسترا) وفي

(١) تكنولوجيا الطيران والسفر عبر الزمن في الحضارات القديمة - VIMANA؟؟

موقع الملاحم والفتن <http://alfetn.net/vb3/showthread.php?t=40865>

(٢) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11450&Itemid=99

الحقيقة تحكي تفاصيل معركة جرت على سطح القمر مع سفينة فضائية لشعب
ال(أزفين) أو (الأتلانتين)

ووفقاً للنصوص الهندية القديمة كان الناس يملكون آلات طائرة تدعى
"فيمانا". تصفها الأساطير الهندية القديمة على أنها طائرة مؤلفة من طابقين
لها شكل دائري مع عدد من النوافذ وقبة، كما لو أننا نتخيل صحناً طائراً،
تطير "بسرعة الريح" معطية "صوتاً شجياً"، وكان هناك في الأقل أربعة أنواع
مختلفة من الفيمانا، بعضها يشبه الصحنون الطائرة، وبعضها الآخر يشبه
الأسطوانات "طائرات على شكل السيجار".

في كتاب "ماهاويرا البهافابوهوتي" نجد نصاً دينياً من القرن الثامن، أُخذَ
من نصوص وتعاليم قديمة يقول: "إنّ السماء مليئة بالكثير من الآلات
الطائرة، وهي سوداء كالليل، ويمكننا تمييزها من الضوء ذي البريق المائل
إلى الصفار الصادر عنها"^(١).

سكّان الأكوان في فكر الأمم المعاصرة

بغضّ النظر عمّا كان يعتقدُه الناس قديماً نجد نسباً كبيرة من الشعوب
المعاصرة تؤمن يقيناً بوجود السكان الكونيين ففي عام ٢٠٠١ وافق ٣٠٪ من
الناس الذين شملهم بحث قامت به مؤسّسة العلوم القومية في الولايات
المتحدة أنّ "بعض الأشياء الطائرة الغامضة التي أُخبر عنها هي حقاً مركبات
فضائية من حضارات أخرى" كما وجد بحث قامت به مجلة العلوم الشعبية
(popular science) في عام ٢٠٠٠ أنّ ٤٥٪ من الأمريكيين اعتقدوا أنّ كائنات
فضائية قد زارت الأرض. كما أظهر استفتاء في بريطانيا عام ١٩٩٩ أنّ ٦١٪
من المراهقين البريطانيين وثقوا بوجود الكائنات الفضائية والأشياء الطائرة
الغامضة (UFO) ثمّ إنّ الإيمان بوجود الكائنات الفضائية في الصين هو واحد

(١) تكنولوجيا الطيران والسفر عبر الزمن في الحضارات القديمة - VIMANA؟؟.

من الآراء الجديدة القليلة التي سمح لها بالتوسّع لتصبح حركة منظمة ويقول مدير مؤسسة بحث (UFO) في بكين أنه يتلقى كمّية كبيرة من تقارير عن زيارات فضائيّة بحيث إنّه لا يحاول التقيّص عنها إلا إذا كان لدى الناس صور عن تجاربهم^(١).

مشاهدات موثقة

من يتابع حديث الشعوب المعاصرة عن مشاهداتهم للصحون الطائرة أو المركبات الفضائيّة أو السكان الكونيّين يجد هناك كمّاً كبيراً يخلط بين الواقعيّة والخيال، ولذا سأقوم باختيار نماذج محددة تبدو قريبة من التصديق ومنها قصة انفجار سيبريا.

تقول القصة: في تمام الساعة الخامسة وسبع عشرة دقيقة من يوم ٣٠ يونيو/ حزيران من عام ١٩٠٨ دوى انفجار رهيب في حوض نهر (تونجوسكا) بمنطقة (كراسنويارسكي) بأعماق سيبريا ارتجت له المنطقة كلها بعنف، وارتفعت كتلة هائلة من اللهب أكد شهودها العيان أنها أضخم وأغرب كتلة نيران رأوها في حياتهم، حيث أضاءت السماء بوهج ساطع أحال مساء تونجوسكا إلى نهار، بل أضاء روسيا كلها حتى صباح اليوم التالي، وبلغ شدة وهج هذا الانفجار العظيم إلى حد إمكانية قراءة الصحف في إنجلترا عند منتصف الليل، وأضاءت سماء استوكهلم فاستطاع بعض المصورين التقاط صور من دون حاجة إلى إنارة، وحظي الألمان بنهار دام لمُدّة أربعة وعشرين ساعة، وشعر أغلب سكان المعمورة وقتها باهتزاز الأرض تحت أقدامهم، كما لفحت النيران الفلاحين على بعد عشرات الكيلومترات من موقع الانفجار، كلّ هذا ذكره الشهود وأكدته الصحف والوثائق في ذلك الوقت، ومنها

تقرير صدر في صحيفة (سيبر) التي تصدر في (إركوتسك) بروسيا، في ٢ يوليو/ تموز من العام نفسه وقالت الصحيفة: وقدر العلماء قوّة الانفجار بأنه

(١) ينظر: حقيقة ينبغي أن تغير العالم، جيسكا وويليامز، ص ١٥٣.

يعادل أضعاف قوّة انفجار قنبلة هيروشيما الذريّة بـ ٦٠٠ : ١٠٠٠ ضعف، أي: إنّ قوّته تساوي قوّة ٦٠٠ : ١٠٠٠ قنبلة ذريّة، وبلغ من تأثير هذا الانفجار أن دارت موجته التضاغطيّة حول الكرة الأرضيّة مرّتين.

في عام ١٩٢١ بدأت أولى الأبحاث العلميّة الجادّة عن انفجار سيبيريا على يد العالم السوفيتي الشاب (ليونيد كوليك) وبعد عدّة رحلات امتدّت إلى عام ١٩٢٧

أصدر (كوليك) كتابه (انفجار سيبيريا، التفسير الحاسم) أكد فيه أن مسبّب انفجار نيزك ضخّم من الصلب وعقب إصداره للكتاب اندلعت الحرب العالميّة الثانية، وفجرت أمريكا في عام ١٩٤٥ م قنابلها الذريّة في هيروشيما وناكازاكي، وكان لدراسة آثار تلك الانفجارات الذريّة وتأثيرها الإشعاعيّ ومقارنتها بانفجار سيبيريا الغامض أبلغ الأثر في ظهور تفسيرات أخرى لأسباب هذا الانفجار، وربّما تكون أكثر منطقيّة.

لاحقاً أفادت وكالة الأنباء الروسيّة (انترفاكس) أنّ علماء روساً عشروا على بقايا حطام مركبة جاءت من الفضاء تحطمت في موقع تونجوسكا في سيبيريا في ١٩٠٨، وعثر العلماء الذين يعملون في إطار (صندوق ظاهرة تونجوسكا الفضائيّة) على حجر يزن خمسة كيلوجرامات أرسل للتحليل في مدينة (كراسنويارسك) في سيبيريا.

العالم "زولوتوف" الذي كان مكلفاً من لدن الحكومة السوفيّتيّة لرصد قنبلة هيروشيما الذريّة ودراسة آثارها الإشعاعيّة والتدميريّة انتبه إلى التشابه الكبير بين التقارير التي تصف آثار قنبلة هيروشيما الذريّة والتقارير التي وضعها العالم (ليونيد كوليك) حول انفجار سيبيريا الغامض، وكان التشابه بين الانفجارين يثير الدهشة لأقصى الحدود. وكرس زولوتوف وقته وعلمه لعامين كاملين لدراسة الأمر، وفي أوائل عام ١٩٤٧ قاد حملته إلى (التايجا) حيث مركز انفجار تونجوسكا، ووصل العلماء إلى مركز الانفجار وهم يرتدون ثياباً واقية من التأثيرات الإشعاعيّة النوويّة، بعد أن افترض زولوتوف أنّ كلّ

الأعراض والأمراض الغريبة التي كانت تصيب العلماء الذين يحاولون الوصول إلى مركز الانفجار كانت بسبب التأثيرات الإشعاعية التي لم يكن من الممكن أن ينجح الأطباء في فهمها أو تشخيصها قبل انفجار هيروشيما، وكانت النتائج أكثر من مذهلة، فكل شيء في مركز الانفجار كان يشير بوضوح للآثار النووية للانفجار الغامض.

وبلا أدنى شك، وبكل تأكيد، أجمع علماء رحلة زولوتوف على أن هذا الانفجار الذي حدث هو انفجار نووي. وأكدوا أنه لم يحدث عند ارتطام جسم ما بالأرض، بل انفجر قبل أن يرتطم هذا الجسم بالأرض، وبالتحديد على ارتفاع ٨ كيلومتر من الأرض.

وأخذ العالم زولوتوف يجمع أقوال الشهود العيان للانفجار ويدرس كل كلمة نطقوا بها، واستوقفه وصف مدهش اتفق عليه أغلب شهود العيان، فبالرغم من اختلاف ثقافة الشهود وطباعتهم إلا أنهم اتفقوا على رؤيتهم لجسم اسطواني شبه منتظم ولامع يهوي من السماء بزاوية ميل واضحة، ثم يتحرك أفقياً من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، ثم يعاود الهبوط فينفجر على ارتفاع ٨٠٠٠ متر من الأرض كما قدر العلماء.

وبعد دراسة العالم زولوتوف الوافية للانفجار وآثاره الذرية الإشعاعية وأقوال الشهود خرج بنظريته الجديدة؛ وهي التي آمن بها تماماً رغم غرابتها في ذلك الوقت عام ١٩٤٧ تقول إن الجسم الذي انفجر على ارتفاع ٨ كيلومتر من الأرض كان سفينة فضاء قادمة من كوكب آخر عن كوكب الأرض في العلوم والتكنولوجيا، وتستخدم تلك السفينة الفضائية الطاقة النووية في تسييرها.

وقد اختلف العلماء يومئذ ما بين مصدق ومتحفظ، ولم يصبح الموضوع مسلماً به بالمعنى الذي تقصده إلا قريباً جداً، وذلك أن آخر البعثات العلمية التي نظمت عام ١٩٩٩م بقيادة البروفيسور الإيطالي (ليجيو فوتشيني) حملت معها جدولاً دقيقاً للأجرام التي مرّت بقرب الأرض عام ١٩٠٨ وقبل سنين

قليلة أنهت البعثة أعمالها وأعلن (فوتشيني) أنّ الانفجار كان بسبب جرم فضائيّ من المائيلد، وهذا النوع من الاجرام لم يتعرّفه العلماء إلا عام ١٩٩٧ ويملك كثافة منخفضة لا تزيد كثيراً عن كثافة الماء، وذكر فوتشيني في الثلاثين من أكتوبر ٢٠٠١ أنّ المائيلد دخل الأرض من جهة الجنوب الشرقيّ بسرعة ٤٠ ألف كيلومتر في الساعة^(١).

سكان الأكوان في نظر العلوم الحديثة

لا يؤمن العلم إلا بما تزوّده نتائج دراساته، ولا يعدّ العلماء القضايا الروحانيّة جزءاً من البحث العلميّ؛ لأنهم يؤمنون بالمادّي الملموس، ولذا تراهم لا يجزمون بوجود المخلوقات الفضائيّة أو انعدامها باعتبار أنهم لا يستطيعون البرهنة على صحة أيّ من هذين الرأيين إلى الآن، وهم مع ادّعائهم بأنهم لم ينجحوا إلى الآن في إثبات وجود المخلوقات الفضائيّة إلا أنهم لا ينكرون وجودها ولا ينفون. ومع تطوّر نتائج أبحاثهم نراهم يميلون إلى الرأي القائل بوجود هذه المخلوقات؛ وذلك بعد أن توفرت لديهم معلومات شبه مؤكدة عن وجود كواكب وفضاءات من الممكن أن تكون صالحة لوجود أنواع من الكائنات، ومن ذلك على سبيل المثال اكتشافهم مؤخراً لكوكب مشابه للأرض وصفوه بأنه يحتوي على طبيعة تشابه طبيعة الأرض حيث مشاهد من المحيطات السائلة، وقارّات متحرّكة، قالوا: إنه كوكب صخريّ مثل الزهرة والأرض والمريخ، ويبدو أنه يمتلك درجة الحرارة المناسبة للحياة على الأرجح، وله غلاف جويّ. وعليه أفادوا أنّ هناك فرصة لأن تكون أرضه صالحة للحياة، بل ربّما تكون هذه الحياة موجودة ومتطوّرة.

وقد وردت معلومة اكتشاف هذا الكوكب في الموقع الإلكتروني لوكالة

(١) اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين، جمعية الفلك بالقطف

(BBC) بعنوان (كوكب خارق) وقالوا: "إن مجموعة من رواد الفضاء في الولايات المتحدة الأمريكية أعلنوا عن اكتشاف كوكب جديد غنيّ بالمياه، ويقارب في حجمه كوكب الأرض، إلا أنّ الأجواء قد تكون حارّة بعض الشيء فيه، إذ إنّ غطاءه الجويّ كثيف. وهذا الاكتشاف يشكل نقطة مهمة في طريق البحث عن حياة أخرى في الكون تكون مشابهة لتلك الموجودة على الأرض". "ديفيد شاربونيو" البروفيسور في جامعة "هارفارد" ورئيس المجموعة يقول: "المثير في الاكتشاف هو العثور على كوكب يزخر بالمياه، كما أنه قريب من كوكب الأرض". ومع هذا الاكتشاف، تمّ دحض النظريات التي تقول بأنّ كواكب مثل الأرض لا يمكنها أن تتواجد إلا في ظروف مشابهة لظروف معجزة درب التبانة.

هذا وكانت شبكة النّبأ المعلوماتيّة قد نشرت موضوعاً من إعداد صباح جاسم تحدث فيه عن وجود عشرة أنظمة شمسيّة شبيهة بنظامنا الشمسيّ، وقال المعدّ: يقول فلكيون: إنّ كواكب صخرية شبيهة بالأرض قابلة للحياة وتعيش عليها كائنات ربّما تسبح في مدارات حول نجوم قريبة. لكنهم قالوا: إنّ هناك نحو عشرة أنظمة شمسيّة شبيهة بنظامنا على بعد نحو ثلاثين سنة ضوئية في الأقلّ، وهذا الأمر يجعل من شبه المستحيل أن تكون هناك وسيلة نقل لمعرفة المزيد على هذا البعد الخياليّ.

كما قال العلماء: إنهم رصدوا انبعاثات موسميّة لغاز الميثان على المريخ فيما يُعتبر إشارة إلى نشاط جيولوجي أو بيولوجي في باطنه، واصفين ذلك بأنه تقدم على طريق البحث عن وجود حياة على الكوكب الأحمر. هذا وقد وجد العلماء في تراب المريخ الذي جلبوه مؤخراً أحفوريّات لكائنات حيّة. وقالت عالمة جيولوجيا الفلك "ليسا برات" من جامعة إنديانا في بلومينجتون في مؤتمر صحفيّ: "انه أمر مشجع لأن لدينا الآن مؤشرات يمكننا أن نركز عليها للتفكير بشأن احتمال وجود حياة على المريخ". وأضافت برات المشاركة في الدراسة التي نشرتها مجلة "سيانس": "إنها فكرة جيدة البحث عن إمكانية وجود حياة على المريخ تنتج الميثان".

وأضاف الباحثون قائلين بأن الأجسام الحيّة على الأرض تنتج أكثر من ٩٠٪ من الميثان الموجود في الجو، والـ ١٠٪ الباقية مصدرها جيوكيميائي. وقد يكون الميثان على المريخ إشارة إلى أحد هذه الأنشطة. وحجم انبعاث الميثان الذي نُحِظ على المريخ شبيه بذلك الموجود في مواقع ناشطة على الأرض، كما لفت عالم الكواكب "مايكل موما" مدير مركز البيولوجيا الفلكية في مركز غودارد سبيس فلايت التابع لوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) والمشرف على هذه الدراسة. وقال موما: "إن هذا الميثان يوحي بأن هذا الكوكب ما زال حيّاً، بالمفهوم الجيولوجي في الأقلّ".

وقال "ألان بوس"، عالم الفيزياء الفلكية من معهد "كارنيغي" للعلوم: هناك نحو عشرة أنظمة شمسية شبيهة بنظامنا على بعد نحو ثلاثين سنة ضوئية في الأقل، وأعتقد أنّ عدداً من هذه النجوم، ربّما نصفها، لديها كواكب شبيهة بالأرض تدور حولها. وأضاف أنه واثق من أن أشكالاً من الحياة تطورت على بعض هذه الكواكب. وقال: "لا أتحدث عن كوكب عليه حياة ذكية، ولكن أقول إن كان لديكم عالم قابل للعيش فيه يدور حول نجم على مدى أربعة أو خمسة أو عشرة مليار سنة، فكيف يمكن أن تتخللوا أن تتوقف الحياة عليه؟". وتحدث "ريموند جانلوز"، أستاذ العلوم الفضائية والفلك في جامعة كاليفورنيا في بركلي باستفاضة في هذا الاتجاه معتبراً بأنه نظراً لما تعلمناه عن الأحياء الدقيقة المتحجرة على الأرض، يصبح وجود شكل من أشكال الحياة على بعض هذه الكواكب "مسألة حتمية".

وردّاً على سؤال حول وجود حضارات خارج الأرض، قال "ألان بوس": إنه موضوع بحثي مهمّ وإن كانت احتمالات العثور عليها ضعيفة جداً.... لكن إن عثرنا على شيء فسيكون اكتشافاً هائلاً ممّا يجعل عملية البحث تستحق العناء.

إنّ المسافات الهائلة التي تفصلنا عن تلك الكواكب تحوّل اليوم دون الوصول إليها بالإمكانات التكنولوجية المتوفرة لدينا، لكن يمكن مشاهدة هذه

الكواكب عن بعد. و"الان بوس" مقتنع بأن تلسكوب "كيلر" الفضائي الأمريكي سيكون قادراً على العثور على كواكب بحجم الأرض، مثل القمر الفرنسي الأوروبي "كورو" الذي وضع في المدار في ٢٠٠٦. وقال: "سيكون مفاجئاً ألا يتمكن كيلر أو كورو من اكتشاف أي كوكب شبيه بالأرض لأننا وجدنا مثل هذه الكواكب أصلاً". وأضاف "ألان بوس" الذي كتب مؤلفات عدة حول الموضوع: "هناك في الواقع الكثير من الكواكب الشبيهة بالأرض وهذا يعني أن كيلر وكورو سيرشداننا إلى مواقعها مما سيتيح صنع الجيل التالي من التلسكوبات الفضائية القادرة على التقاط صور مباشرة".

هذا وقد اعتقد العلماء منذ مدة ليست بالقصيرة أن إثبات كون الحياة ليست موجودة على الأرض وحدها هو التحدي الكبير لهم لأنهم يؤمنون نظرياً بوجود كائنات حية في الفضاء بصورة ما يجهلون ما ولذا قامت إدارة الطيران والفضاء الأمريكية "ناسا" بإطلاق سفينة الفضاء "كيلر" لتبدأ رحلة طويلة في البحث عن كواكب تشابه الأرض في مجرة درب التبانة. وتعد مهمة "كيلر" الأولى من نوعها للبحث عن كواكب صخرية دافئة على سطحها مياه سائلة ضرورية لنشوء حياة فيها، وفق "ساينس ديلي". وهي مزودة بأضخم كاميرا تطلق نحو الفضاء، بـ ٩٥ ميغابيكسل. ومن المقرر أن تمضي "كيلر" ثلاثة أعوام ونصف العام في تفحص أكثر من ١٠٠ ألف نجم شبيهة بشمسنا بحثاً عن أدلة على كواكب تشبه الأرض في الحجم والتركيبية. وقال "جون مورس" مدير الفيزياء الفلكية بناسا: "كيلر عنصر حيوي في سياق جهود ناسا الأوسع للعثور على كواكب مشابهة للأرض".

وأضاف مورس: "ستدفع كيلر لما وراء حدود المجهول في منطقتنا من مجرة درب اللبانة. وقد تغير اكتشافاتها بصورة جوهرية نظرة البشرية لنفسها".

وقال "وليام بروكي" من مركز "ايمز" للأبحاث التابع لناسا في موفيت فيلد بكاليفورنيا: "ما يهمنا هو العثور على كواكب ليست حارة أكثر مما ينبغي ولا باردة أكثر مما ينبغي وإنما في الدرجة المناسبة. وأضاف: "نبحث

عن كواكب تكون الحرارة بها مناسبة للماء السائل على سطح الكوكب. وهذا هو المجال الذي نعتقد أنه قد يحفز الحياة" باعتبار أن الماء عنصر أساسي للحياة"^(١).

أي إن المشكلة التي يعانيتها العلماء اليوم ليس نتاج الشك بوجود مخلوقات في الفضاء من عدمه، وإنما بسبب ضعف الآليات وبعد المسافات بين أرضنا وبين تلك الكواكب التي يعتقدون وجود مخلوقات فيها، وهي في هذا الاكتشاف تبعد عنا حوالي (٣٠) سنة ضوئية، ولك أن تقيس بعد المسافة بيننا وبينها. ولذلك يقول العلماء إن هذه المسافات الهائلة التي تفصلنا عن تلك الكواكب هي التي تحول دون الوصول إليها بالإمكانات التكنولوجية المتوافرة حالياً^(٢).

وفي دراسة أخرى لعلماء الفضاء نشرتها مجلة الفيزياء الفلكية الأمريكية أعلن رئيس فريق البحث "جان هوليز" من مركز (غودار) للملاحة الفضائية التابع لوكالة الفلك والفضاء الأمريكية نجاح العلماء في العثور على ثمانية جزيئات عضوية في الفضاء في أثناء عامين ليصبح عدد الجزيئات العضوية المكتشفة إلى الآن (١٤١) جزيئاً كلها على علاقة بعلوم الحياة في الفضاء السماوي، وفي بعضها أحماض أمينية كاملة مهمة جداً للحياة على الأرض، ولاسيما أنهم وجدوا في إحدى الجزيئات المكتشفة مادة (اسيتاميد Acetamid) التي تحتوي على نوع من الأواصر الكيميائية المهمة لربط الأحماض الأمينية مع بعضها.

هذا، وقد نجح العلماء في بناء هيكل صغير مشابه لجدران الخلية في الكائنات الحية عن طريق محاكاة ظروف الفضاء العميق في المختبر حيث قادتهم التجربة للإعلان عن احتمال وجود المخلوقات ذات التركيب الجزيئي

(١) ينظر: شبكة النبا المعلوماتية يوم الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٩.

(٢) ينظر موقع جريدة المنارة، يوم ٢٤/٢/٢٠٠٩.

المعقد في الفضاء، على الأقل في المناطق التي نجحوا في مسحها بالأجهزة المتطورة إلى الآن، أما نوع المخلوقات في الأكوان الأخرى وهي التي خارج إمكانياتهم فلا يعرفون عنها شيئاً. لكن مجرد توصلهم لهذه النتيجة يدل حتماً أن لله سبحانه مخلوقات أخرى في هذه الأكوان.

ثم إن للعلماء نظريات يبدو فيها رأيهم بوجود مخلوقات في الأكوان الأخرى شبه مؤكد ولاسيما أنهم وجدوا صوراً للحياة في أغرب الأماكن على كرتنا الأرضية حيث وجدوا في القطب الجنوبي تحت عمق مترين تحت الجليد وبدرجة برودة ٥٦ درجة مئوية تحت الصفر كائنات حية، ووجدوا كذلك في أعماق النقاط التي تمكنوا من الوصول إليها في أعماق المحيطات كائنات لا تحتاج إلى الأوكسجين للتنفس أو الضوء لتعيش؛ فضلاً عن كونها تعيش تحت ضغط كبير جداً من الممكن أن يسحق غيرها من الكائنات، كما وجدت العالمة "كريس ماكي" في وادي الموت الذي هو أكثر مناطق الأرض ملوحة نوعاً من الحياة الأولية وأنواعاً من الطحالب تحت طبقات الملح وكائنات تتغذى على هذه الطحالب! كذلك عثرت إحدى العالمات في أنابيب الحمم البركانية التي لا تصل إليها الشمس في نيو مكسيكو كائنات حية تحصل على طاقتها بالتغذي على المعادن الموجودة في جيوب الحيطان ووجدتها تأقلمت مع درجات الحرارة المتجمدة هناك. وفي منتزه يولستون القومي اكتشف العلماء مخلوقات حرارية في الماء المغلي الذي يخرج من جوف الأرض مما أوحى لهم باحتمال وجود مخلوقات في الكون تأقلمت مع ظروف الكواكب وقوانينها التي تعيش عليها، وقد سبق أن أشرنا إلى وجود هذه القوانين، كما أشار إليها ضمناً المرحوم عالم سبيط النيلي.

وأنا أرى واقعاً أن العلماء لولا تأكدهم من الاحتمال الكبير بوجود مخلوقات حية في العوالم الأخرى ما كانوا قد أسسوا معهد كاليفورنيا للبحث عن المخلوقات الفضائية وصرفوا له مئات الملايين من الدولارات سنوياً؛ لكي يستمرّ بعمله إلى اليوم، وما كانوا قد منحوا الدرجات العلمية العالية في

تخصّصات علم الأحياء الفضائيّة الذي بات الإقبال عليه كبيراً. صحيح أنّ الكونكرس الأمريكي قام مؤخراً بتخفيض تمويل الإدارة الوطنيّة لعلم الطيران والفضاء (NASA) من أجل البحث عن مخلوقات ذكيّة خارجيّة كما تقول جيسিকা ويليامز^(١) إلا أنّ ذلك لا يعني أنهم تركوا هذا المجال أو غادروه حيث "يقود معهد البحث عن مخلوقات ذكيّة خارجيّة أكبر بحث شامل في العالم في هذا المجال... وبحلول عام ٢٠١٥ يجب أن يكون معايير الكواكب الخارجيّة العائد لناسا قد بدأ بحثه لإيجاد كواكب صغيرة تشبه الأرض"^(٢).

كما يعتقد العلماء بأنّ بعض الكواكب كانت مأهولة من قبل، ثمّ بسبب فقدان مقومات الحياة لأسباب يجهلونّها ففنت المخلوقات التي كانت عليها ويستشهدون في ذلك إلى عثورهم على مخلفات مائيّة في بعض الأقمار والكواكب ففي تايتن أحد أقمار زحل وجدت إحدى المركبات الاستكشافيّة الثلج، ووجدت بيئة القمر تشبه بيئة الأرض قبل نشأة الحياة عليها وقد أرسلوا عام ٢٠٠٥ مجسماً اكتشف أحاديّد وخط شاطئي وآلاف البحيرات واحدة منها أكبر من مجموع بحيرات أمريكا الجنوبيّة.

وفي كوكب الزهرة أقرب جار كوكبيّ لمجموعتنا وجدوا براكين وحمماً تغطي ٨٥٪ من سطحه وعثروا على محيطات متبخرة؛ لأنّ درجة حرارته ٤٦٠ درجة مئويّة وأنّ الأبخرة كوّنت غلافاً للكوكب وفي عام ١٩٨٢ وعلى ارتفاع ١٤ كيلومتر من الكوكب وجدت المركبة السوفييتيّة في الغيوم جزيئات الماء البخاريّ.

وفي خبر أوردته قناة (BBC) أنّ كبير علماء الفلك البريطانيّين اللورد "ريس" رئيس الجمعية الملكيّة للعلوم في بريطانيا قال: إنّ التكنولوجيا قد أحرزت في الآونة الأخيرة من التقدّم قدرأ كبيراً يساعد علماء الفلك على سبر

(١) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، ص ١٥٧.

(٢) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، ص ١٥٦.

أغوار الكون بدقة وثقة أكبر... إن هذا التقدّم قد بلغ درجة تمكّنا، وللمرّة الأولى، من أن يكون لدينا أمل واقعيّ وحقيقيّ باكتشاف كواكب جديدة لا يتجاوز حجمها حجم كوكب الأرض، وهذه الكواكب تدور في فلك نجوم أخرى... وسيكون بإمكاننا أن نعلم ما إذا كان هنالك ثمة قارات ومحيطات وأن نعلم أيّ نوع من الغلاف الجويّ يحيط بها... وعلى الرغم من أنه سيلزمنا الكثير لنتمكن من أن نعلم أكثر عن حياة أيّ منها، إلا أنه يمكننا القول إنه لتقدّم هائل أن نتمكن من الحصول على نوع من الصور عن كوكب جديد، أشبه ما يكون بالأرض، وهو يدور في فلك نجم آخر.

وقد دأب العلماء على مدى السنوات الخمسين الماضية على سبر أغوار الفضاء وما تيسّر لهم الوصول إليه في السماوات بحثاً عن وجود موجات صوتية يمكن أن تبعث من مثل تلك (الحياة الذكيّة الثانية) المحتملة، إلا أنهم لم يسمعوا سوى السكون. بيد أنّ اللورد "ريس" يرى أنّ تقدّم التكنولوجيا وتقنيات الرصد والاكتشاف أعطت أحلام علماء الفلك وآمالهم دفعاً جديداً ممّا أدّى إلى زيادة فرص اكتشاف حياة أخرى، الأمر الذي سوف يغيّر، فيما لو حدث، من نظرتنا إلى ذواتنا ومكاننا وموقعنا في الكون من حولنا... أشكّ بأن يكون هنالك ثمة حياة وذكاء من الأنماط والأشكال التي يمكننا تصوّرها أو تخيلها. وقد يكون هنالك بالطبع أشكال للذكاء ما وراء مقدرتنا وطاقتنا البشرية، وقد يكون ذلك بعيداً عنّا بقدر بعدنا نحن البشر عن الشمبانزي".

فانظر ما أكثر ما يبدو هذا القول متساوقاً والنتائج التي توصل إليها المرحوم عالم سبيط النيلبي عن أولئك السكان الكونيين المتطوّرين. هذا وقد تزامنت تصريحات اللورد "ريس" مع توافد عدد كبير من العلماء على العاصمة البريطانيّة لندن للمشاركة بمؤتمر دوليّ يناقشون فيه آفاق اكتشاف حياة ثانية وإمكانيتها أبعد من كوكب الأرض الذي نعيش عليه^(١).

(١) موقع قناة BBC القسم العلميّ الاثنيّن، ٢٥ يناير/ كانون الثاني، ٢٠١٠.

كما أورد الباحث عبد الدائم كحيل في موسوعة الإعجاز القرآني في ضمن بحث بعنوان (عشر حقائق علمية يكشفها القرآن) ما يلي: "بعد اكتشاف آثار لحياة بدائية على سطح أحد النيازك القادمة من الفضاء الخارجي بدأ العلماء بالسفر عبر الفضاء لاكتشاف المخلوقات الكونية، وبعدها تأكدوا من وجود الماء على سطح المريخ وكواكب أخرى أصبح لديهم حقيقة كونية تقول: إن الحياة منتشرة في كل مكان! هذه الحقيقة التي لم يتأكد منها العلماء إلا في القرن الحادي والعشرين، طرحها القرآن في القرن السابع الميلادي في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(١) وبالفعل يقول العلماء إن هناك إمكانية كبيرة لاجتماع سكان الأرض بمخلوقات من الفضاء! فمن الذي أخبر النبي الأمي عليه الصلاة والسلام بذلك؟"^(٢).

كما ويقول الكاتب فليكس فيرول في موضوعه (لماذا نحن بحاجة للأديان): "إن أي دين سوف يمضي في الاتجاه الخاطئ إذا ما وضع الإنسان في مركز الكون كمعيار أولي للأشياء... وكم يكون تافهاً وسخيفاً، ذلك الادعاء بأن ثمة "إيمان هو وحده الحق"؛ ذلك الادعاء الناتج عن شكل الحياة على سطح كوكب واحد بعينه (هو الأرض) والذي يكون صحيحاً لجانب منه فقط (أي لبعض سكانه دون غيرهم). إن ذلك الضرب من الإيمان لا يمكن أن يستلقت الملاحظة والانتباه مع احتمال وجود حياة على غير كوكب الأرض"^(٣).

وفي سلسلة وثائقية لقناة "ديسكفري" العلمية الفضائية، وتحت عنوان 'هوكينغ والكون' أعرب عالم الفيزياء البريطاني الشهير ستيفن هوكينغ الذي

(١) سورة الشورى، الآية ٢٩.

(٢) موقع موسوعة الإعجاز العلمي للقرآن بحث بقلم عبد الدائم كحيل المتخصص بهذا النوع من الدراسات.

(٣) ترجمة علي المبروك.

نفى وجود الله تعالى في أكثر من كتاب من كتبه عن اقتناعه بوجود أشكال حياة أخرى في الفضاء الخارجي ورجح احتمالات تنقل تلك المخلوقات حالياً في الكون، ليس لغرض الاستكشاف بل للاستيطان في كواكب أخرى ربّما بعد استهلاك موارد الكواكب كافة التي أتت منها. وقال: "ما علينا إلا أن ننظر إلى أنفسنا لنرى كيف يمكن أن تتطور حياة عاقلة إلى شيء لا نريد مواجهته. وقد تصبح مثل هذه المخلوقات الفضائية المتقدمة مخلوقات مرتحلة تسعى إلى الغزو والاستيطان في أيّ كواكب تستطيع الوصول إليه... إنه من المؤكد تقريباً أن توجد حياة في الفضاء الخارجي، ففي الكون مئة مليار مجرة كلّ مجرة منها تحوي مئات الملايين من النجوم. وفي مثل هذا الفضاء الهائل فإن من المستبعد أن تكون الكرة الأرضية هي الكوكب الوحيد الذي نشأت فيه حياة... بالنسبة لعقلي الرياضي فإنّ الأعداد وحدها تجعل التفكير في وجود مخلوقات فضائية تفكيراً عقلياً تماماً. والتحدّي الحقيقي هو التوصل إلى ما قد تبدو عليه هذه المخلوقات في الواقع".

وتقول الكاتبة ويليامز: "إن الاعتقاد بوجود أشخاص آخرين في الفضاء، أشخاص قد يودون التحدّث إلينا ومصادقتنا يدل على حاجة إنسانية أساسية. إننا بحكم طبيعتنا الفعلية مخلوقات اجتماعية، وفكرة أننا قد نكون وحدنا في كلّ هذا الوجود هي موحشة بالفعل"^(١).

وفي يوم ٢٧/٠٤/٢٠١٠ نشر موقع باب خبير تحذير العالم (ستيفن هاوكينج) من مخاطر التعامل مع الكائنات الفضائية الموجودة بالفعل، وأنها قد تحتاح الأرض فقط بهدف الحصول على موارد. وأشار إلى أن الكائنات الفضائية موجودة ولكن على البشر أن يبذلوا ما في وسعهم لتفاديها. وشبه نتائج زيارة هذه الكائنات إلى الأرض بما حدث حين اكتشاف (كريستوفر كولومبوس) أمريكا وهو أمر لم يكن جيّداً للسكان الأصليين^(٢).

(١) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، جيسিকা ويليامز، ص ١٥٦.

(٢) بحسب ما أوردته صحيفة "البيان" الإماراتية.

هذا وقد تحدثنا تحت عنوان تبادل الزواج بين الكونيين والأرضيين عن رابطة القرابة التي تربطنا بالسكان الكونيين بحسب رؤية ديانة الصابئة وبعض الحضارات وبعض العلماء المعاصرين، فهلا تشفع لنا رابطة القربى معهم لتجنبنا مخاوف شرهم التي تحدث عنها (ستيفن هاوكينج) أم إنّ بين السكان الكونيين أقواماً مسالمة وأخرى عدوانية، وأنّ العدوانيين هم أقوام يأجوج ومأجوج، والمسالمين هم المنتظرون الذين ينتظرون ظهور الإمام المهديّ، الذين تحدثنا وسوف نتحدث عنهم، وأنّ العلماء لم يدركوا هذه الحقيقة ولذا يخافون؟

المهمّ أنّ الخلاف بشأن وجود السكان الكونيين ما زال على أشده بين الرافضين والمؤيدين، وإذا ما كان الرافضون بلا دليل ملموس على صحة أقوالهم فإنّ المؤيدين يدعون امتلاكهم وثائق وأدلة على وجود الفضائيين، ومن هؤلاء الدكتور نبيل فاروق والدكتور جواد بشارة.

يقول الباحث الدكتور نبيل فاروق: "هناك من يثق بوجود المخلوقات الفضائية مثل البروفيسير "جان بيير بوتى"^(١) وهذا الرجل هو أكثر من يؤمن - على وجه الأرض - بوجود مخلوقات في الكواكب الأخرى، ويؤمن أيضاً بأنها تعيش بيننا على كوكبنا الأرض. وأعلن أنه على اتصال بمخلوقات من كوكب آخر منذ ما يقرب من نصف القرن، وأنهم يرسلون إليه بانتظام رسائل تحوى في بعض الأحيان معادلات فيزيائية مذهشة وحلولا علمية مذهلة لمشكلات حار فيها أعظم العلماء، ويؤكد أنه ليس الوحيد الذي يتلقى رسائل مخلوقات الكواكب الأخرى، ولكنه واحد من مجموعة كبيرة من العلماء والمفكرين الذين تصل إليهم هذه الرسائل، والذين ينبهرون بما فيها من معلومات وأخبار وحلول.

(١) يعمل أستاذاً ومدير أبحاث، في المركز القومي للأبحاث العلمية في فرنسا، وهو فيزيائي شهير، وأخصائي في علم الكون والفلك وميكانيكا السوائل، عُرف بالجديّة والالتزان، وبالاهتمام الشديد بكل الظواهر العلمية والميتافيزيقية، وبحسن التحليل والاستنباط استناداً إلى مبادئ العلم والمنطق وقوانين الفيزياء المثبتة علمياً.

وقال: هؤلاء الزوّار ينتمون إلى كوكب يحمل اسم يومو (UMMO) يبعد عنا بخمسة سنوات ضوئية تقريباً.. وجاذبيته تزيد قليلاً عن جاذبية كوكب الأرض حتى إنّ سكانه يشعرون على سطح الأرض بأنهم أخفّ وزناً بمقدار ٢٠٪ وكتلة الكوكب تزيد مرّة ونصف على كتلة الأرض وطول يومه ٣٢ ساعة، بدلاً من ٢٤ ساعة، وتمرّ به فصول أربعة تماماً مثل الفصول المناخية عندنا، ولكن ليس له أية أقمار، لذا ليله حالك الظلمة، ثمّ إنه لم يمرّ بمرحلة انشقاق القارّات، ولهذا ليس فيه سوى قارّة واحدة، وجنس واحد من الشُّقر الطوال القامة، يتحدّثون لغة واحدة، ممّا ساعد على سرعة التقدّم العلميّ، والتطوّر التكنولوجي... وأصبح على سكان يومو أن يطوّروا أنفسهم، ويسعون للتفوق والتقدّم، وذلك يوم التقطت أجهزتهم رسالة، أو إشارة منظمة آتية من كوكبنا الأرض ولأنّ كوكبنا كان يبدو لهم أشبه بالمرعب طبقاً لرسائلهم مع لون أزرق باهت، فقد أطلقوا عليه في لغتهم اسم أوياجا (OYAGAA) حيث إنّ كلمة (OYA) تعني المربع، و(GAA) تعني البارد... أي إنّ كوكبنا كان معروفاً عندهم باسم المربع البارد

وضمن برنامج رحلاتهم الفضائية انطلق رواد الفضاء من يومو لزيارة كوكب الأرض، وهبطوا فوقه في ٢٨ مارس عام ١٩٥٠ ولقد حدد زوّار يومو في إحدى رسائلهم موقع هبوطهم بالتحديد، ووصفوا كلّ ما رأوه من هذه النقطة، وقالوا إنهم أخفوا بعض معدّاتهم في مغارة جبلية، نجحوا في إخفائها بمهارة، وتركوا ستة منهم لدراسة اللغة والعادات المحلية، ثمّ رحلوا لإبلاغ كوكبهم بنتائج زيارتهم الأولى.

ولم يترك المهتمّون بالأمر هذه المعلومة تمرّ ببساطة، بل كوّنوا فرقة بحث وانطلقوا إلى النقطة التي حدّدها زوّار يومو، وكانت في انتظارهم مفاجأة مذهلة، لقد حاولوا رؤية كلّ ما جاء بالرسالة، من الإحداثيات التي حدّدها الرسالة، ولكن ذلك بدا مستحيلاً، إلا إذا ارتفعت ١٢٠ متراً عن سطح الأرض من ذلك الارتفاع وحده، وعثروا هناك على أحجار حمراء اللون، لا

تشبه آية عَيْنَات جيولوجية معروفة على وجه الأرض. ورسائل يومو نفسها مطبوعة على ورق خاص من العسير صنع مثله إلا باستخدام تكنولوجيا متطورة للغاية، والختم الذي تحمله تصدر عنه إشعاعات ذرية محدودة، كما لو أنه مطبوع بمادة مشعة من أحد النظائر التي لم يتم الحصول عليها بعد في معامل الكيمياء العادية، حتى إنَّ جان بيير يقول عن هذا: كلُّ الدلائل تشير إلى أنه إمَّا أنَّ أصحاب الرسائل هم مجموعة من أكبر علماء الفيزياء وأكثرهم عبقرية، تعاونهم مختبرات تكنولوجيا رائعة، ويسعون لصنع أكبر دعاية في التاريخ، وإمَّا إنهم بالفعل من سكان كوكب يومو.

ومن الطبيعي أن تعلو الأصوات معترضة على سرعة وصول سكان يومو إلى كوكبنا، وعلى رحلتهم القصيرة نسبياً وهي التي تستغرق عامين قياساً بالمسافة التي تفصلنا عنهم وهي التي تبلغ خمس سنوات ضوئية كاملة، ولكن رسائل يومو نفسها تحمل الجواب، لقد تحدّثوا في رسائلهم عن نظرية أطلقوا عليها اسم توأمية الكون، هذه النظرية تشبه إلى حدِّ ما نظرية المادة المضادة، التي وضعها البريطاني بول دريك عام ١٩٢٨ بعد أن صهر عدّة معادلات سابقة لنظيرتي (الكَم) للعالم ماكس بلانك، و(النسيّة) لألبرت أينشتاين، وتوصل إلى وجود مادة معكوسة تكون نواة الذرة فيها سالبة، وإليكتروناتها موجبة، ونظرية يومو تقول: إنه لا يوجد كون واحد، وإنما هناك كونان توأمان، تربطهما ببعضهما تلك المناطق، التي نطلق عليها اسم الثقوب السوداء، وبالمروور عبر هذه الثقوب السوداء بشبكة اتصالات خاصة تمت دراستها منذ قرون عديدة تستطيع سفن يومو الفضائية اختصار الزمان والمكان وعبور ملايين الوحدات الفضائية في أيام معدودات، ومن الطبيعي أن تواجه هذه النظرية هجوماً عنيفاً، ولكن هذا لا يعني أنها نظرية خاطئة، بل يعني فقط أنها نظرية ساحقة، تسحق صحّتها كلَّ النظريات التي جاءت قبلها.

بعض العلماء يتساءلون بسخرية ولمَّ لمَّ يعلن سكان يومو المزعمون عن وجودهم على نحو صريح، بدلاً من الرسائل العجيبة الملتوية؟

فقال البروفسور: إن الوقت لم يحن بعد للتصريح بوجودهم، وعندما تحين اللحظة المناسبة يبدؤون بالاتصال برؤساء وملوك الدول للإعلان عن وجودهم.

وسكان يومو يمكنهم التجول بحريّة وسط البشر فتكوينهم الخارجي بشريّ للغاية، باستثناء أنهم أطول قامة في المتوسط، وأنهم شاحبو الوجه كثيراً، ولكن هذا لا يمنعهم من الذوبان وسط طوفان البشر، وخصوصاً في المدن المزدحمة، مثل نيويورك وروما وحتى القاهرة.

وأغرب ما أشار إليه زوّار يومو في رسائلهم، هو أنهم أبناء عمومتنا، أو بمعنى أدقّ أنّ أبحاثهم أثبتت أننا وهم من أصل واحد، ولكنهم أبدأ لم يفسّروا ما يعنيه هذا، هل كان أجدادهم أرضيين، من حضارة سابقة، ثمّ هاجروا إلى ذلك الكوكب البعيد، أم أننا وهم أتينا من كوكب آخر، ولكن بعضنا اتجه نحو الأرض، وبعضهم الآخر نحو كوكب يومو؟

العالم الفرنسي تحدّى الحكومة الفرنسيّة، في نهاية كتابه، بكلّ مؤسّساتها العلميّة، وهيئاتها الرسميّة، أن تنكر ما جاء فيه، تحدّثها أن تنكر أنّ المسؤولين تلقوا بدورهم عشرات الرسائل من زوّار يومو، وأنّ الهيئات العلميّة تدرس الأمر بمنتهى الجديّة، بل وتحاول إجراء اتصال رسميّ مباشر مع هؤلاء الزوّار.

إنّ جان بيير بوتى ليس أوّل من أشار إلى وجود سكان من الفضاء الخارجي تمّ التواصل معهم، فقد سبقه إلى هذا القول الكاتب الشهير تشارلز بيرلنز عندما قام بتحقيق واسع النطاق حول ما أطلق عليه اسم: حادثة روزويل، وروزويل قرية صغيرة فى ولاية نيومكسيكو الأمريكيّة، استيقظ سكانها ذات ليلة من ليالي يوليو عام ١٩٤٧ على دويّ هائل، ونيران ترتفع في الأفق وانطلق مأمور القرية في الشوارع يصرخ: الغزاة هبطوا من الفضاء.. الغزاة هبطوا من الفضاء، وقبل أن يندفع أهل القرية إلى منطقة الحقول الشماليّة، حيث سقط جسم غريب، بدت قبته الخضراء الضخمة واضحة على الرغم من تحطم قاعدتها، كان الجيش يحيط بالمكان كله، وبمنع التجوال، وكان من الواضح أنّ الأمر بالغ الأهميّة والخطورة، ولكن مع طلوع النهار

انصرف رتل من السيارات وهو يحمل أشياء ضخمة، أخفيت بعناية بالغة، تحت خيام كبيرة محكمة الإغلاق، واقتصر الحظر على منطقة السقوط وحدها التي امتلأت بالباحثين والمنقبين لمدة طويلة.

وعندما تتبع تشارلز بيرلتز هذا الأمر، توصل إلى أنّ ذلك الشيء الذي سقط كان أحد الأطباق الطائرة، التي حوت جثث بعض المخلوقات من الفضاء الخارجي، وأنّ أحد هذه المخلوقات لم يلق مصرعه مع السقوط فاحتفظت به المخبرات المركزية في معامل أبحاث الفضاء لتقوم بدراسته، ولكنه مات بعد أسبوع واحد متأثراً بإصابته وعندما نشر بيرلitz كتابه هذا، أصيب المجتمع الأمريكي بصدمة بالغة، وطالبوا الحكومة بكشف كلّ الحقائق المتعلقة بهذا الحادث، إلا أنّ الحكومة الأمريكيّة التزمت الصمت التام، من دون أن تكذب الموقف أو تنفيه، أو تعترف به، واستفز هذا الموقف أحد أعضاء جمعيات المراقبة الفضائية، فقرّر أن يقاضى وكالة المخبرات الأمريكيّة، لإخفائها الحقائق عن الشعب، وعندما انعقدت المحاكمة في يناير ١٩٧٢ طلبت المخبرات الأمريكيّة أن تكون الجلسة سرّيةً لأمر تتعلق بالأمن العامّ، وبعد سبع جلسات مغلقة، أصدرت المحكمة حكمها بإدانة وكالة المخبرات المركزية الأمريكيّة، ولكنها أسفت لعدم استطاعتها إصدار حكم بكشف كلّ تفاصيل الحادث لأنّ هذا يتعارض مع الأمن الأمريكي، واعتبر العاقبة هذا الحكم اعترافاً من الحكومة وجهاز المخبرات، بكلّ ما جاء في كتاب تشالز بيرلتز.

وفي صيف عام ١٩٩٤ نشرت مجلة "أومني" العلميّة، وهي إحدى المجلات القليلة الجادّة في هذا المجال مقالاً مختصراً، يذكر الناس بحادثة روزويل وطلبت منهم أن يتقدّموا بطلب للحكومة لنشر تفاصيل الحادثة، بعد مرور أكثر من خمسة وأربعين عاماً على وقوعها، وحتى ديسمبر ١٩٩٤ وصل عدد المطالبين إلى أكثر من أربعة عشر مليوناً من الأمريكيين، ولكن الحكومة ما زالت ترى أنّ الأمر يحتاج لأن يظل حبيس الأدرج.

وربّما لهذا السبب وجد استفتاء لقناة (إن إن/ تايم) أجري في حزيران

عام ١٩٩٧ أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الحكومة تخفي معرفتها بوجود أنماط حياتية فضائية، وهو الأمر التي قالت جيسিকা بصده: "ومن يدري ربّما هم على حق" (١).

ثمّ جاء بعد هؤلاء الدكتور جواد بشارة ليقول عن علاقة الدكتور (جون بيير بيتي) بسكان كوكب يومو: "حيث كان من الشجاعة بمكان أنه أعلن بأنه على اتصال غير مباشر عبر البريد بكائنات متقدمة علمياً وتكنولوجياً من كوكب أومو Ummo زوّده بآلاف الصفحات من المواضيع والحسابات والمعادلات والمعلومات العلميّة البحتة التي لا يعرفها البشر أو لم يتوصلوا إليها بعد، أي لم تكن تلك الرسائل مجرد مواضيع عامّة أو شرح لوجودهم وكيفيّة وصولهم إلى الأرض، فحسب، وإنما تحتوى في كثير من الأحيان على معادلات فيزيائية مذهشة، وحلول علميّة مذهلة لمشكلات حار فيها أعظم علماء الأرض ولم يجدوا لها تفسيراً أو حلوّاً بعد" (٢).

وفي كتابه (الذين هبطوا من السماء) (٣) قال أنيس منصور: "خلاصة الآراء المتوافرة لدى علماء الفلك والفضاء اليوم تقول: هناك في الأكوان مليارات الكواكب ولا نستبعد وجود حياة حيّة على بعضها وأنّ بعض أنواع هذه الحياة عاقلة وأن السكان ينتقلون من كوكب إلى آخر تبعاً لظروف حياتهم ومتطلبات عيشهم"

ويقول أنيس منصور في كتابه الثاني (الذين عادوا إلى السماء): "شركة كيبيل أند برلس البريطانية لديها هيئة علميّة مهمتها رصد الأصوات التي تأتي من الفضاء الخارجي، والباحث الألماني "إيريش فون دينكن" كتب مجموعة كتب تتحدث كلها عن نزول سكان الفضاء إلى الأرض وعودتهم إلى

(١) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، جيسিকা ويليامزن ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) الأجسام المحلقة مجهولة الهوية، حقيقة أم خيال؟، الدكتور جواد بشارة، موقع (الناس)

<http://al-nnas.com/ARTICLE/JBashra/25kn4.htm>

(٣) دار الشروق، قرص سي دي.

أوطانهم.... إن جملة "لسنا وحدنا في الكون" تكررت على ألسن العلماء مئات المرّات وأصبحت عناوين لكتب حازت شهرة عالية "

وتوجد في مالي قبيلة كبيرة (تدعى دجون) تتحدّث صراحة عن اتصال أسلافها بمخلوقات فضائيّة متطوّرة - بل وتملك رسوماً بدائيّة لمركبات فضائيّة أثار هبوطها الكثير من النار والغبار... وأول دراسة منظمة لهذه المفارقة تمت على يد المؤرخ الإنجليزي روبرت تمبل في كتابه "أسرار سايروس" عام ١٩٨٠، وفي هذا الكتاب يظهر تمبل دهشته من معرفة الدجون لكوكب بعيد يدور حول النجم الشعري (سايروس) يدّعون أنّ أجدادهم قدموا منه.. والمدهش هنا أنّ هذا الكوكب لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ولم يتأكد العلماء من وجوده قبل عام ١٩٧٠ - في حين يمتلك الدجون رسوماً دقيقة لمداره الإهليلجي منذ آلاف السنين^(١).

وجاء في موقع باب بتاريخ ١٣/٤/٢٠١٠ خبر عن مركبات فضائيّة تهاجم الرعاة في انكلترا، قام بترجمته خالد قاسم، فيه تأكيد زيارة هذه المخلوقات إلى الأرض، ومنه قولهم: "سلسلة من الحوادث الغريبة تضمنت خرافا في مقاطعة شروبشاير جعلت المزارعين يدّعون أنّ أغراباً يهاجمون ماشيتهم. يدّعي مزارعون قرب شروسبوري أنهم شاهدوا خرافاً تسلط عليهم أشعة ليزر من ضوء غير محدّد منبعث من مركبات فضائيّة. وربطوا تلك الحوادث غير المفسّرة، حيث قلعت عيون الخراف وأدمغتها، بأضواء برتقاليّة غامضة في السماء. ووجدوا الخراف مع ثقوب مرتبة حيث اقتلعت أدمغتهم وأعضاء داخلية أخرى منها.

وتحت عنوان (رائد فضاء أمريكي يطالب أوباما بكشف حقيقة المخلوقات الفضائيّة) نشر موقع العربية نت يوم الثلاثاء ٢١/٤/٢٠٠٩ عن واشنطن - د ب أ: "أكد رائد فضاء أمريكي سابق أنه لا يشكّ في وجود مخلوقات غير

(١) السومريون، كيف عرفوا بوجود نبتون؟ فهد عامر الأحمدى، مؤسسة الموهوبون

أرضية، معبراً عن اقتناعه بـ "أننا لسنا بمفردنا"، ومطالباً الرئيس أوباما بكشف ما تعرفه حكومته عن المخلوقات غير الأرضية. وقال ايدجار ميتشل الذي صعد للقمر في إحدى رحلات "أبولو" الفضائية الأمريكية إنه مقتنع بأن الحكومة الأمريكية تعلم بوجود هذه المخلوقات غير الأرضية وتعتمد إخفاء ذلك عن شعبها.

وبحسب قناة "سي أن أن" الإخبارية فإنّ ميتشل دعا الحكومة الأمريكية بقيادة الرئيس باراك أوباما لكشف ما تعرفه بشأن المخلوقات غير الأرضية وبشأن ما يعرف بالأطباق الطائرة. وذهب ميتشل في حديثه مع القناة إلى أنّ الجيش الأمريكي بذل آنذاك كلّ ما يستطيع من جهد للتكتم على هذا الحدث ومنع شهود العيان من الإدلاء بشهاداتهم حول هذا الأمر، وأنه أحد المطلعين على هذه الحقيقة.

وبحسب ميتشل فإنه استطاع قبل ١٠ سنوات العثور على آذان مصغية لروايته في البنتاغون، وتحدّث مع أدميرال، لم يسمّه، وقال إنّ هذا القائد البحريّ أكد له حقيقة ما حدث في مدينة روسويل، ثمّ قام الأدميرال فيما بعد بمحاولات لاكتشاف المزيد من التفاصيل في هذا الشأن، قبل أن توقف جهة أخرى هذه المحاولات. وأيدت صحيفة "دايلي مايل" البريطانية هذا الخبر بقولها: إنّ رائد الفضاء الدكتور إدغار ميتشيل، الذي بلغ سطح القمر على متن المركبة الفضائية "أبولو ١٤" قال إنه علم بزيارات قامت بها مخلوقات فضائية للأرض في أثناء عمله في الناسا غير أنه جرى التكتّم عليها. وتابع ميتشل (٧٧ عاماً): أنّ موظفين في الناسا قالوا إنهم التقوا بمخلوقات فضائية وصفوها بأنها "مخلوقات صغيرة غريبة عنا". وقال: إنّ هذه المخلوقات قد تكون تشبه فعلاً الصورة السائدة عنها؛ أي: إنها صغيرة الحجم ذات رأس كبير وعينين كبيرتين^(١).

التواصل مع سكان الأكوان

ينصبّ جهدي هنا للبحث عن طرائق وأساليب اعتمدت هنا وهناك على أمل خلق نوع من التواصل بين البشر والسكان الكونيين المفترضين، وعند متابعتي لهذا الجهد وجدت أنه لو لم تكن هناك الكثير من القنوات شبه المؤكدة على وجود السكان الكونيين ووجود رغبة أكيدة بضرورة التواصل معهم لما كانت الدول المتقدمة لتتحمل التكاليف الباهظة لمشاريع بغيتها تأمين نوع من التواصل مع الكائنات الفضائية، فقد حاول العلماء الاتصال بالعالم الخارجي لإطلاع سكانه إن وجدوا على ما وصل إليه الإنسان من حضارة وتقدم علمي وتكنولوجي؛ وكذلك عن موقعه في هذا الفضاء الفسيح وموقع مجموعته الشمسية ولإقامة علاقة سلمية معهم وهذا الاتصال تم بعدة طرق؛ منها إرسال المركبات وإرسال الإشارات الراديوية وتم إرسال الكثير من المركبات الفضائية لدراسة الكواكب المحيطة بالأرض والمجرات القريبة والنجوم وما في الفضاء من غبار وكويكبات ومذنبات ونحو ذلك ومن المركبات التي أرسلت لغرض البحث والاتصال بالعالم الخارجي مركبة فويجيرا التي أرسلت عام ١٩٧٦م ثم تلتها المركبة الفضائية فويجيرا عام ١٩٧٧م وكلّ منهما كانت تحمل معلومات عن المجموعة الشمسية وعن كوكبنا الأرض وما إلى ذلك من معلومات أخرى عن سكان الأرض^(١).

ومع أنّ البحث عن حياة خارج كوكب الأرض كان قد بدأ في العام ١٩٥٩ عندما فكر الفيزيائيان (جيسب كوكوني) و(فيليب موريسون) باستخدام التقنية الجديدة المتوافرة في التلسكوبات الراديوية لالتقاط إشارات محتملة من الكائنات الفضائية، إلا أنّ الجهود لم تثمر عن تواصل رغم ظهور أكثر من ٦٠ مشروعاً كبيراً للاستماع إلى هذه الكائنات، كان أهمّها مشروع (فونيكس)

(١) فرضية وجود حضارات ذكية في الفضاء يطرحها علماء الفلك والفيزياء، اعداد: محند

للبحث عن كائنات فضائية ذكية، وقد تمّ بهذا الخصوص دراسة أكثر من ١٠٠٠ نجم وجه العلماء إليها تلسكوباتهم الراديوية للاستماع إلى الترددات المنطلقة منها، وحتى الآن لم يلتقط العلماء أية إشارة تدلّ على احتمالية وجود كائنات من هذا النوع.

وهو ما حدا بالعلماء عام ١٩٨٠ لوصف هذا اللغز بتعبير (الصمت الكبير) فهم يرون أنّ الفضاء يزخر بالكثير من الحضارات الذكية مستندين إلى مبدأ علمي أساسيّ يسمّى المبدأ (الكوبرنيكسي) نسبة إلى الفيزيائيّ (كوبرنيك) الذي أثبت أنّ الأرض ليست مركزاً للكون، وطبقاً لهذا المبدأ فإنه على الإنسان أن يفترض دائماً أنّ البشر ليسوا في مركز العالم وأنّ مكاننا في الفضاء لا يزيد ولا ينقص عن أيّ مكان آخر في الكون، وأنّ قوانين الفيزياء تنطبق على ما يحدث في المختبرات كما تنطبق على أبعد المجرات في الكون. ويرى كوبرنيك أنه إذا كان ثمة حياة ذكية، فإنها ليست مقتصرة على الأرض وأنها شائعة في جميع أرجاء الكون.

السؤال المحيّر الذي يتردّد على ألسن العلماء يقول: ولكن لِمَ لمْ نتمكّن حتى الآن من رصد الكائنات الذكية الأخرى الموجودة في الكون؟

جواباً يعتقد بعض العلماء أنّ سعة الكون وعدم التيقن من وجود الحياة في كوكب محدّد بعينه يحول الأمر إلى فرضية قائمة على التجريب، أي: تجربة الاتصال بكوكب محدّد في كلّ مرّة، ولما كانت مجرتنا تتكوّن من مليارات الكواكب والنجوم فإنّ ذلك قد يستغرق زمناً طويلاً.

في العام ١٩٥٠ ضرب الفيزيائيّ الإيطالي (إنريكو فيرمي) المثال الآتي: لتخيّل أنّ ثمة حضارة فضائية متقدمة عن حضارتنا بشيء قليل، ولنفترض أنّ أصحاب تلك الحضارة يحاولون اكتشاف النجوم الموجودة في مجرة درب التبانة باستخدام مجسّات فضائية قادرة على الاستفادة من المصادر الطبيعية للكواكب واستنساخ كواكب تشبهها شهاً كبيراً، فلو انطلقت المركبة الأولى نحو نجم قريب باستخدام صواريخ قوية تعمل بالوقود (الحراريّ النوويّ) وبسرعة تعادل ٥٪ من سرعة الضوء، فإنها من المرجّح أن تبلغ هدفها بعد

ألف سنة! ولتخيل كذلك أنّ مركبتين انطلقتا بعد ألف سنة نحو نجمين آخرين. فكم سيلزم من الوقت لاكتشاف نجوم درب التبانة برمتها؟ وإذا كنا نعلم أنّ مجرتنا تحوي ٢٠٠ مليار نجم، فهذا يعني أنّ كلّ هذه النجوم ستشهد زيارة واحدة على الأقل في أثناء ٣٨ جيلاً قادمًا، وهو ما يعادل ٣٨ ألف سنة!^(١)

ويبحث العلماء اليوم عن طرائق متنوّعة، من الممكن أن تنجح إحداها في تأمين هذا التواصل، حيث هناك:

طريقة التواصل بالسفن الفضائيّة: فبالرغم معرفة العلماء والفلكيّين ببطء سرعة السفن والمركبات الفضائيّة بالنسبة للسّير في الفضاء الواسع إلا إنه تمّ إرسال السفينة الفضائيّة (فويجيرا) إلى الفضاء عام ١٩٧٦ والسفينة الفضائيّة (فويجير) عام ١٩٧٧ ووضعت على كلّ منهما أسطوانة من النحاس المغطى بالذهب وسجل على كلّ أسطوانة معلومات كبيرة عن سكان الأرض ومعلومات عن الحمض النوويّ وتسجيل تحيّة خاصّة لسكان الفضاء بنحو ستين لغة منها اللغة العربيّة وصوت أكبر كائن حيّ على الأرض هو الحوت الأزرق وبعض أنواع الموسيقى، وقامت كلّ من السفينتين بدراسة كواكب المجموعة الشمسيّة أثناء خروجهما من المجموعة الشمسيّة ويتوقع أنهما يتخلصان من الجاذبيّة الشمسيّة تماماً منتصف القرن الواحد والعشرين وبذلك يعتبران خارج نطاق المجموعة الشمسيّة وتبعد فويجير الآن عن الأرض أكثر من اثني عشر مليار كيلومتر وبهذا تكون أبعد سفينة أرسلت من الأرض حيث تجاوزت في ١٧ فبراير / شباط عام ١٩٩٨ مركبة (بايونير) التي أطلقتها وكالة الفضاء الأمريكيّة ناسا المركبة الفضائيّة لاستكشاف الفضاء الخارجيّ وكانت المهمّة الرسميّة للمركبة هو استكشاف الغلاف الجويّ للمشتري وهي التي وصلت إليه بعد عام من انطلاقتها وكسبت بالدوران به دفعة جديدة وقويّة جعلها تتخلص من جاذبيّته وبدل من تحطمها على سطحه انطلقت بقوة خياليّة

(١) فرضيّة وجود حضارات ذكيّة في الفضاء يطرحها علماء الفلك والفيزياء، اعداد: محمّد هاني عطوي.

بلغت ٤٤٥٧٩ كيلومتر في الساعة وفي عام ١٩٩٩ انقطع الاتصال بالمركبة وقدّر ما مقطعته مسافة عشرة مليارات كيلومتر تقريباً وخرجت من نطاق المجموعة الشمسيّة لحيث الفضاء العميق ويتوقع وصولها إلى المجموعات الشمسيّة كلّ مليون سنة وإذا قدّر أن اطلعت على السفينة مخلوقات ذكيّة فسوف تعرف موقع الأرض الذي أرسلت منه السفينة؛ وذلك عن طريق اللوحة المعدنية التي وضعها العالم (فرانك دريك) وهي عبارة عن خريطة توضح موقع المجموعة الشمسيّة وموقع الأرض منها، وكذلك صورة رجل وامرأة وبينهما طفل صغير؛ وكذلك تسجيلاً لبعض الأصوات الموجودة على الأرض كارتطام الأمواج وضجيج الكونكوردي وزقزقة العصافير وكلمات ترحيب بشتي اللغات منها اللغة العربيّة وما يهمنّا هو ماذا سجّل باللغة العربيّة؟ إنه شيء يشير العجب أنه سجّل قوله تعالى ﴿يَمَعَشَرُ اللَّيْلِ وَالْأَيَّامِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣).

وقد تمّ الاتصال بها مرّة أخرى بعد ثمانية أشهر من الانقطاع الذي حدث في ١٩ اغسطس ١٩٩٩م حيث تمكّن أحد المراصد الأسبانية استقبال إشارات واهنة منها، وقد يصعب الاتصال مرّة أخرى لأنها لا ترسل إلا بتعليمات من ناسا ويستغرق الضوء للوصول إليها إلى اثنتين وعشرين ساعة وقد تخطت المركبة مدار بلوتو عام ١٩٨٣ وخرجت عن المجموعة الشمسيّة وإذا استمرت في الإبحار فستصل بعد مليوني عام مجموعة تورس النجميّة ولا أحد يعلم هل توجد بها حياة أم لا؟ وتقدر المسافة التي قطعت من انطلاقها إلى معاودة الاتصال بها أكثر من أحد عشر مليار كيلومتر.

وهناك طريقة الرسائل اللاسلكيّة الموجهة: التي أطلقت أولها في السادس عشر من شهر نوفمبر/ت ٢ عام ١٩٧٤ بهدف الاتصال بأهل الفضاء ومقدار الوقت المحدّد للرسالة ثلاثة عشر ألف سنة للوصول للمجموعة النجميّة المستهدفة والمسماة أم ١٣ وهي التي تتكون من ثلاثمئة ألف نجم مع العلم أنه توجد مجموعات نجميّة أقرب من تلك المجموعة ولكنها لا تقع في طريق الرسالة.

وبسبب عدم نجاح أو تأخر وصول نتائج التجارب السابقة ينشغل العالم اليوم في البحث عن وسائل أخرى أكثر تطوراً عسى أن يمكنها تسلّم إشارات راديوية من سكان الكون حيث السباق دائر بين الولايات المتحدة وروسيا لإنتاج أجهزة كمبيوتر متطورة جداً على شكل روبوت لإرسالها في مركبات فضائية بعيدة المدى على أمل التقاط إشارات عن احتمال وجود أيّ حضارة بعيدة. وهذا الكمبيوتر الذي يجري تصنيعه في الولايات المتحدة تصل طاقته إلى طاقة نحو ٣٥ ألف ترانزيستور وبإمكانه التقاط إشارات من بعد ملايين الكيلومترات والتميز بينها بكلّ دقة كما بإمكانه إجراء نحو ١٢ مليار عملية حسابية دفعة واحدة وهو قادر على التقاط كلّ الموجات الكونية وتحليلها. وهو المشروع الذي قالت عنه (لين غريفيث) مديرة المشروع الأمريكي: "إذا استطاع الكمبيوتر اكتشاف والتقاط إشارات من خارج الفضاء الأرضي فإنّ مفاهيم علمية عدّة سوف تتبدّل".

ولقد تأكد لي أنّ البشرية لم تعطِ موضوع التواصل أهمّيته التي يستحقها بعد؛ ليس لإيمانهم بانعدام سكان في الأكوان فتلك مسألة شبه محلولة، وإنما لأنهم يعتقدون أنّ الإنسان المعاصر ليس مستعداً بعد لمثل هذا التواصل بكلّ ما يحمله من الاحتمالات ولاسيّما أنّ دول العالم تعيش في حالة نزاع شبه دائم فيما بينها، وهو ما أوضحه رائد الفضاء الروسي (فيودور يورتيخين) الذي كان موجوداً في محطة الفضاء الدوليّة، بقوله: "إنّ الإنسانية ليست مستعدة بعد للتواصل مع ممثلي الحضارات الكونية الأخرى، حتى وإن وجدت.... إنّ التواصل بالنسبة لي يعني "لا تؤذ... منذ تطوّر الحضارات وظهور الإنسان العاقل اختفى من وجه الأرض الكثير من الدول والمدن والقوميات. نحن لا نزال نقترّب من مفهوم العيش في عالم واحد. نحن غير مستعدين للتواصل بعد. يجب أن نتعلم أولاً التواصل فيما بيننا"^(١).

وهناك بالمقابل رأي آخر يقول إنّ السكان الكونيين هم الذين لا يرغبون

(١) موضوع بعنوان (البشر غير مستعدين للتواصل مع الحضارات الكونية) الرابط

في التواصل " نظراً لنزعة الإنسان العدوانية ونزوعه للعنف والقتل لكل ما هو مجهول لديه، تخشى الكائنات والمخلوقات الفضائية إجراء اتصالات مباشرة مع بني البشر في وقتنا الحاضر خاصة أنّ الإنسان صار يمتلك أسلحة دمار شامل، نووية وبيولوجية وكيميائية وجرثومية، لذلك قرّرت تلك الكائنات الفضائية البشرية المظهر، الاكتفاء بالمراقبة عن بعد وتقديم المساعدة على دفعات قصيرة وبالتدريج ومنع الإنسانية من تدمير نفسها إذا لزم الأمر^(١).

صعوبات الاتصال بالعالم الخارجي ومخاطره

ويعزو العلماء عدم حصولهم على نتائج إلى مجموعة أسباب منها:
 أولاً: صعوبة التفاهم مع المخلوقات الذكّية الغريبة عند الاتصال بها إذا وجدت.

ثانياً: المسافة الشاسعة للفضاء وهي التي تستغرق الرحلات الفضائية ملايين السنين للوصول لأقرب مجموعة نجمية.

ثالثاً: إنّ سرعة الرسائل الموجية والراديوية هي سرعة الضوء وهي وإن بدت هائلة فإنها لا تعتبر شيئاً في هذا الفضاء الفسيح ولو أرسلنا رسالة لاسلكية لأقرب مجرة وهي مجرة الأندروميديا وهي التي تبعد بنحو مليوني سنة ضوئية فإنها ستستغرق أربعة ملايين سنة ذهاباً وإياباً.

رابعاً: بنيت النظريات في الاتصال بالعالم الخارجي على شيء غير متيقن وجوده وهو الكائنات الغريبة العاقلة.

خامساً: المراسلات تمّت وفق تصوّراتنا الأرضية التي قد لا تتواءم وتصوراتهم الكونية^(٢).

(١) المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط

http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11450&Itemid=99

(٢) آيات قرآنية ورسائل أخرى إلى الحضارات الأخرى في الكون، موقع ستار تايمس

<http://www.startimes.co/f.aspx?t=28920389>

وهذا لا يعني أنّ القناعات بشأن وجود تلك المخلوقات قد تزعزعت فلو لم تكن قناعة وجود السكان الكونيين قد وصلت إلى مراحل يقينية لما حذر بعض العلماء من الاتصال بالعالم الخارجي ومن مخاطر الاتصال بكائنات ذكية ربّما تسبب بكارثة بشرية، وكذلك يجب عدم الردّ على أيّ إشارة ترد علينا منهم، وقد قال العالم الدكتور (زيدنيك كوبال) أستاذ العلوم الفلكية بجامعة مانشستر البريطانية إنّ لدى هذه المخلوقات الكونية حضارات متقدّمة تجعلهم ينظرون إلينا كما ننظر للحشرات وقد يستخدموننا في تجاربهم كما نستخدم الفئران في مختبراتنا وإذا نجحنا في الاتصال بتلك المخلوقات فقد نتعرّض إلى خطر الفناء فالمغامرة غير مأمونة العواقب

وقال البروفيسور (كلايد تومبوك) من نيومكسيكو: إنّ هذه الكائنات قد تستعمر الأرض في حالة وجود تضخم سكاني في كوكبها وقد يستبعدوننا أو يستبعدوننا بحسب أهميّة وجودنا بالنسبة لهم مؤكدين في ذات الحال وجود ما لا يقلّ عن بليون كوكب في مجرتنا تتوفر فيها مقومات الحياة ويتوقع تومبوك اتصالهم بنا قريباً لأنّ الإشارات والموجات الراديوية التي انطلقت في العشرينات من القرن العشرين لا بدّ أنها قد وصلت إلى كواكب بها حياة ذكية عرفت بوجودنا ولا بدّ أن يرسلوا رحلات استكشافية إلينا للتحقق من وجودنا وإن كان يستلزم مرور زمن طويل.

ويقرّر العالم (روجر ماكجوان) وهو يحتلّ مكانة عالية في مشروع صنع الرؤوس الذريّة بولاية ألباما الأمريكية وليس من المهتمين بالأطباق الطائرة يقرّر أنّ الإنسان يوشك على النجاح في الاتصال بالكائنات الذكية الموجودة في العالم الخارجي وربّما كان الاتصال مع آلات مفكرة وأنّ كثيراً من الحقائق تؤكّد أنّ هذه الكائنات قد وضعتنا تحت المراقبة وربّما وصلت إلى حدّ التحكم بنا^(١).

(١) آيات قرآنية ورسائل أخرى إلى الحضارات الأخرى في الكون، موقع ستار تايمس، الرابط

يرى الكثير من العلماء أنّ الفضاء الخارجي يضمّ العديد من الحضارات بل إنّ بعضهم يعتقد أنّ نسبة لا بأس بها من هذه الحضارات أكثر تقدماً وتطوراً من حضارة الأرض وعليه فإنّ اليوم الذي تزور فيه كائنات من هذه الحضارات الأرض لن يكون بعيداً. عندها سيبرز السؤال: ما الذي نعمله لاستقبال هذه الكائنات من الفضاء الخارجي؟ إنّ هذا السؤال ليس ضرباً من الخيال فالعديد من دول العالم ومن بينها الحكومة الأمريكية أعدت خططاً سرّية لهذا الغرض. وكانت هذه الخطط استجابة لتولد قناعة لدى العديد من العلماء أنّ السؤال هو ليس في وجود حضارات ذكيّة في الفضاء ولكن في مستوى ذكائها؟

(إنّ التاريخ يتحدّث عن العديد من الأمثلة التي تعرّضت فيها المجتمعات إلى التفكك على الرغم من ثقافتها العالية بنفسها عندما احتكت مع مجتمعات أخرى تحمل أفكاراً وطرقاً مختلفة في الحياة، إنّ تلك المجتمعات التي استمرت دفعت ثمناً مقابل ذلك من خلال التغيير في القيم والسلوك والاتجاهات).

إنّ الإنسان واجه عبر تاريخه تحديات على جميع المستويات وتمكن من التعامل معها والبقاء ولن يكون اللقاء مع المخلوقات الفضائية أمراً مختلفاً عن ذلك أبداً^(١).

يقول الدكتور جواد بشارة: كان عالم الفلك (فرانك دراك) أوّل من قام ببحث منظم عن إشارات ورسائل ذكيّة قادمة من الفضاء من حضارات كونية سنة ١٩٦٠، وذلك في إطار مشروع أوزما إلا أنّ الاستماع لإشارات قادمة من نجمتين متشابهتين وجهت إليها الصحنون اللاقطة، وهما إيسلون إريداني وتو سيتي لم يعط شيئاً. وفي سنة ١٩٦١ قدّم دراك معادلة رياضية عرفت بمعادلة

(١) كيف نستقبل الكائنات من الفضاء الخارجي، مها محسن، جريدة المدى

دراك للوجود الحيّ في الكون تتعلق بعدد الحضارات الكونية الذكيّة المفترض وجودها في مجرتنا درب التبانة أنّ أغلب مفردات أو ثوابت ودلالات تلك المعادلة مجهولة، كنسبة الكواكب الملائمة للحياة، ونسبة الكواكب التي ظهرت فيها الحياة، ونسبة الكواكب التي ظهرت فيها حياة ذكيّة ومتطورة، الخ.. وكانت النتيجة النهائيّة لصيغة دراك الرياضيّة تعتمد كثيراً على تقدير متوسط الحياة لحضارة متقدمة تكنولوجياً، فلو أعطينا قيمة مرتفعة لهذه الدالة L في المعادلة فإنّ النتيجة تقول إنّ المجرة مأهولة بملايين الحضارات الذكيّة وإذا كانت القيمة لهذه الدالة L صغيرة، بسبب التدمير الذاتي المحتمل للحضارات المتقدّمة تكنولوجياً على سبيل المثال، فإنّ الحضارات الذكيّة المفترضة أو المحتملة تعدّ بالمئات في المجرة. وبعد أن فشل مشروع سيني في تقديم نتائج مشجعة قطع الكونغرس الأمريكي التمويل عنه وصار يشغل اعتماداً على الهبات الخاصة من الشركات وتبرعات بعض الأثرياء في العالم منذ عام ١٩٩٤.

وانطلاقاً من معادلة (دراك) استنتج العلم الفلكي بيبير غيران وجود ثلاثة أنواع من الحضارات الكونية أو الفضائية آخذاً بالاعتبار معيار مستوى التطور التكنولوجي لحضارتنا الأرضية حالياً.

النوع الأوّل: حضارات لم تكتشف بعدُ وسائل الاتصال الحديثة ومستواها التقني والعلمي لا يتجاوز ما حققه البشر في حقبة القرن التاسع عشر وعندذاك ليس بوسع مثل هذه الحضارات أن ترسل إشارات أو رسائل لحضارات أخرى ومنها حضارتنا نحن.

النوع الثاني: حضارات تمتلك مستوى علمياً وتقنياً يشابه ويقارن بالمستوى التكنولوجي لحضارتنا الأرضية في القرنين العشرين والحادي والعشرين.

النوع الثالث: حضارات حققت تقدماً تكنولوجياً هائلاً يتفوق على حضارتنا بمئات الآلاف أو بملايين السنين.

فلو استثنينا النوع الأوّل لعدم قدرته على التواصل تكنولوجياً معنا أو مع حضارات أخرى تتفوق عليه، نأخذ النوع الثاني ونتساءل هل من المنطقيّ أو الأمر الذكيّ والنافع أن تطلق حضارة من هذا النوع الذي يتساوى مع مستوانا التقنيّ والعلميّ، إشارات ورسائل كهرو - راديويّة مكلفة على أمل أن تلتقطها إحدى الحضارات المشابهة أو تشخصها وتعرف مصدرها مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ تلك الرسائل ستستغرق عشرات أو مئات أو آلاف السنين؛ لكي تصل إلى الجهات المرسلّة إليها؟ وكذلك الأخذ بالاعتبار أنّ الرّد عليها سيستغرق المدّة الزمنيّة نفسها التي استغرقها إرسالها إذا كان هناك ردّ ما؟ بعضهم يعدّ هذه الخطوة ذكيّة عندنا لأنها ستجعل الآخرين يعرفون يوماً ما بوجودنا داخل المجرّة وفي هذا الكون كمن يرمي قنينة فيها رسالة في المحيط لعلّ أحداً يعثر عليها حتى بعد فوات الأوان. ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا هو موقف أو قرار حضارات أخرى بمستوانا ومن نوع حضارتنا. والسؤال الآخر يتعلق بـ "ما هو احتمال وجود حضارة تقارن بمستوى حضارتنا في القطاع الجغرافيّ الكونيّ المختار والمستهدف والمرسلّة إليه الرسائل وهي احتماليّة ضعيفة جداً نظراً للتنوع الكبير والتفاوت في المستوى الزمنيّ لمستويات التطوّر" كما يقول غيران. أمّا حضارة من النوع الثالث الذي سبقنا بآلاف أو ملايين السنين من التطوّر والتقدّم التكنولوجي فلن تضيع وقتها بلا طائل بإرسال رسائل بطرق كهرو - راديويّة بدائيّة تجاوزها الزمن وباتت بالية من وجهة نظر تقدّمها العلميّ وتحتاج لزمن طويل جداً لكي تصل إلى هدفها، وإن وصلت فقد لا يكون بمقدور من يتسلمها فكّ طلاسمها وفهمها. وليس من المعقول أنّ حضارات متطوّرة ومتفوقة علينا بآلاف أو ملايين السنين لا تمتلك وسائل أخرى للتواصل والاتصال غير تلك المعتمدة على الموجات الكهرو-مغناطيسيّة والراديويّة وهي التي تتحدّد سرعتها بسرعة الضوء الثابت بحسب نظرية النسبيّة وهي التي لا يمكن تجاوزها وهي ٣٠٠٠٠٠٠٠ كلم/ثانية وهي بطيئة بالنسبة للمسافات الموجودة بين المجرّات والنجوم في الكون وهي التي

تحسب بمليارات السنين الضوئية. صحيح أننا نحن البشر لا نستطيع التنقل والسفر بأسرع من الضوء؛ لأنّ الزمن يصبح صفراً بالنسبة لنا ولا نمتلك الأدوات التقينية القادرة على السفر بسرعة تقرب من سرعة الضوء في المكان الثلاثي الأبعاد في كوننا المرئي والقابل للرصد والمراقبة إلا أنّ بعض الفيزيائيين المنظرين في مجال هندسة الكون وتركيبته وتكوينه؛ يقولون إنّ لهذا الأخير عدّة أبعاد، بل ويقولون بوجود عدّة أكوان متداخلة أو متوازية أو متجاورة يوجد غيرها مختصرات طرق زمكانية وثقوب أو قنوات دودية زمكانية يمكن استغلالها لإرسال الرسائل أو السفر من دون انتهاك أو خرق لقوانين النسبية وبطرق علمية لا يعرفها البشر بعد، كاستخدام المادّة المضادّة والمادّة الشبحيّة أو المادّة الظلّ ومحركات البلازما ومضادّات الجاذبيّة؛ وهي التي سنتطرق إليها بالتفصيل العلميّ الدقيق في مقالات لاحقة، وقد أثبت العلماء وجود تلك الممرّات الخفيّة أو غير المرئية التي تستقلها الأطباق الطائرة للتجوال بين الكواكب لذلك من غير المتوقع تسلم رسائل من حضارات من النوع الثالث ترسل لحضارات بدائيّة مثلنا وبطرق بدائيّة كالتي نستعملها نحن اليوم، ومن غير المحتمل أيضاً وجود حضارات من النوع الثاني في محيط يبلغ قطره بضعة آلاف من السنوات الضوئية حول شمسنا. أو هم موجودون ولكن بمستوى حضاريّ وتقنيّ يعود إلى العصر الحجريّ الذي مررنا به نحن أو حتى قبله، أو على العكس من ذلك توجد حضارات تمتلك فيزياء متطورة جداً لا تخطر على بال بشر ولن يفيدنا إرسال رسائل راديوية فهم يعرفون بوجودنا ويراقبوننا عن بعد ممّا يدلّ على عبثيّة ولا فائدة مشروع سبتي للتواصل الكونيّ^(١).

(١) هل سنتصل يوماً بالعوالم الأخرى في الكون؟ الدكتور جواد بشارة

نظرة إلى الرأي الدولي العام

ثمّ ممّا لا شكّ فيه أنّ الآراء تختلف بشأن السكّان الكونيّين ومركباتهم الفضائيّة أو صحونهم الطائرة؛ إذ نجد قبالة النشاط الحادّ الذي يريد ترسيخ حقيقة وجود السكان الكونيّين لدى الناس نشاطاً آخرَ موازياً له يبغى التشويش على تلك القناعات والتشكيك بمصداقيتها لأسباب كثيرة قد لا يكون من بينها الإيمان بأسطوريّة هذه الأجسام، أو الاعتقاد باستحالة وجودها، وينحصر النشاط الموازي بمجموعة آراء تقال هنا وهناك، منها ما قد يبدو كثير التأثير بنظريّة المؤامرة، ويمكن تلخيصها بما يلي:

* الأطباق الطائرة مجرد خداع كما هو رأي العالم البريطانيّ الشهير سير (برنارد لوفيل) الذي يؤكد أنها لم تكن سوى أوهام أو ظواهر جويّة بل ربّما تكون سرباً من الأوز البرّيّ ينعكس عليه ضوء القمر أو أضواء سفن بعيدة

* مؤامرة حكوميّة الغرض منها إخفاء تكنولوجيا عسكريّة لا يريدون البوح بها.

* مصدر الظاهرة قوى وأحداث طبيعة منها سحب أوتوترات كهربائيّة في مناطق التصدّع الجيولوجي، تأيّن الهواء تبعاً لنظريّة التوتر الناتج عن حركة قشرة الأرض.

* سفن فضائيّة حقيقيّة تحمل مخلوقات غريبة جاءت لاكتشاف الأرض.
* حقيقة مصدرها قوى روحيّة خارقة.

* مؤامرة بين الحكومات والمخلوقات الغريبة.

ومع كلّ هذا التناقض يؤكد علماء آخرون مجموعة حقائق؛ منها:

١ - أنّ المعلومات المذهلة عن الأطباق الطائرة ظلت مطموسة عن الرأي العامّ العالميّ خوفاً من أن تسبّب قلقاً واضطراباً؛ ولكن بعد تكاثر هذه الظاهرة كثرة لافتة في الآن الأخير أصبح من الواجب كشف كلّ ملبساتها.

٢ - على الرغم من التضخيم الإعلامي الذي رافق هذه الظاهرة الغربية فإن لا أحد يمكنه إنكار حقيقتها العلميّة خصوصاً أنّ دلائل عدّة تشير إلى وجود أجسام طائرة مجهولة تزور عالم الأرض بين الحين والآخر^(١).

وربّما لهذه الأسباب تجد الدكتور جواد بشارة ينبري للدفاع عن العلماء الذين يرفضون التحدّث عن هذه الظواهر فيقول: "ومن النادر أن تعثر على عالم مرموق يتصدّى علناً لهذا الموضوع ويعالجه ويناقشه بجدّيّة. وفي فرنسا هناك عالم كبير ومشهور تحلى بالجرأة والرصانة العلميّة، وكوّس نصف قرن من عمره العلميّ، وقد ناهز الثمانين اليوم، لدراسة هذه الظاهرة العلميّة ونشر العديد من الكتب والأبحاث والمحاضرات العلميّة والمداخلات في العديد من المؤتمرات العلميّة الجادة حول هذا الموضوع، وهو عالم الكونيّات والفيزياء الفلكيّة والأستاذ الجامعيّ ومدير الأبحاث في المركز الوطني للأبحاث العلميّة CNRS والخبير في ميكانيك السوائل ومنظر في مجال التصدّر الكونيّ، ومخترع محرّكات الدفع المغناطيسي - الهدرو - ديناميكي أو محرّكات MHD، وأقصد به جون بيير بيتي وهو عالم جادّ وامتزن يحظى باحترام وتقدير زملائه في مختلف بقاع الأرض بالرغم من تناوله لموضوع الأجسام المحلقة مجهولة الهوية وما يرتبط بهذا الموضوع من ظواهر علميّة وقوانين مثبتة بالتجارب العلميّة والمختبريّة التي قادته للاعتقاد بوجود كائنات وحضارات أخرى ذكيّة ومتطوّرة في الكون المرئيّ"^(٢).

الذي أراه أنّ العالم الرأسماليّ المعاصر الذي يحسب للدولار الواحد ألف حساب قبل أن يصرفه، ويبحث في جدوى صرفه ومقدار الفائدة التي يحققها ومقدار الربح المتوقع من صرفه ومدى خدمته للنهج الرأسماليّ

(١) ملخص موضوع (الأطباق الطائرة بين الوهم والحقيقة) منشور في موقع (معكم) في الرابط

<http://forum.m3com.com.sa/t79749/>

(٢) الأجسام المحلقة مجهولة الهوية، حقيقة أم خيال؟، الدكتور جواد بشارة، موقع (الناس)

<http://al-nnas.com/ARTICLE/JBashra/25kn4.htm>

وللحكومات والنظم، ومدى تأثيره على اقتصاديات البلدان الأخرى وأشياء كثيرة أخرى، يتعذر بل يستحيل عليه أن يوافق على صرف ملايين الدولارات في مشاريع غير مقنعة أو غير ذات جدوى أو تبدو قريبة من الفشل مثل موضوع البحث عن السكان الكونيين، لكن مع كل هذا الحرص نجدهم ينشئون مراكز اتصالات خاصة، مهمتها إيصال رسائل إلى السكان الكونيين، ويرسلون مركبات خاصة تخترق أعماق الكون محملة برموز بشرية عسى أن تواجه سكاناً كونيين يفكّون تلك الرموز، وفوق هذا وذاك نجد هناك صناعات كبيرة تعتمد على نوع من الخيال صرفت عليها ملايين الجنيهات لا لكي ترسخ مفهوم السكان الكونيين عند الناس ولا لكي تكذبه، وإنما لكي تطرح رؤية تبدو في ظاهرها محايدة، كما هو المعرض الخاص الذي أقيم في (متحف لندن للعلوم) بعنوان: "علم الكائنات الفضائية الغريبة" بهدف تعريف عامة الناس بإمكانية وجود حياة خارج الأرض واحتماليتها، وتقديم نموذج لأنماط بيئية بما فيها من أنواع ومخلوقات مختلفة بناءً على معطيات علمية ونماذج للطقس والجو مولدة عن طريق الحاسوب. وبالطبع من أهداف المعرض أيضاً حمل الزائر على التساؤل حول قضايا طرحها الإنسان على نفسه منذ الأزل، مثل وجوده على الأرض، وإن كان هو الكائن الأذكى الوحيد في الكون أم هناك كائنات أخرى^(١).

يعني ما تقدّم من معلومات أنّ الإيمان بوجود السكان الكونيين بات من المسلمات اليقينية التي لا تثير غرابة، وأمر التحقق اليقيني منها أو إعلان هذه الحقيقة بات مسألة وقت لا أكثر، ولكي ندعم هذه الرؤية بمعلومات أخرى لا بأس من التحدّث عن الحيرة التاريخية الفاشية بين الناس؛ وهي التي ينقسمون فيها بين رافض ومؤيّد لوجود سكان في الأوان بما يبدو أنّ الأرض تفرّدت باحتضان مخلوقات الله من دون الكون كله!

(١) بحث (الأطباق الطائرة بين الحقيقة والخيال) للباحث محمّد النبي نشر في ٢٥ شباط ٢٠٠٨.

اعتباطية الإيمان بفردانية الأرض

إذا ما كان الآخرون يؤيدون أو يشككون بحقيقة وجود المخلوقات الكونية، وغير واثقين بصحة وجودها، فبالنسبة لنا نحن المسلمين نعتقد بصحة وجود مخلوقات في الأكوان؛ لأن أخبار هذه المخلوقات وصلت إلينا من أصح المصادر اليقينية، القرآن الكريم وسنة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ ففي القرآن الكريم هنالك مئات الآيات التي تتحدث عن الكون وسكانه، وفي السنة النبوية مثلها.

كما نعتقد عقلاً أنه إذا ما كانت الحياة بمختلف مخلوقات المعروفة وغير المعروفة موجودة على الأرض أو في داخلها، أو في غلافها الجوي، فما المانع من وجود حياة أخرى على الكواكب الأخرى أو في داخلها؟ وإذا ما كان اعتقادنا راسخاً أن الله قادر على خلق الإنسان وباقي المخلوقات على الأرض؛ فهذا الاعتقاد الراسخ يقودنا حتماً إلى الإيمان بأنه سبحانه القادر المقتدر غير عاجز عن خلق مليارات المخلوقات الأخرى في الكون الفسيح. ولذا قال بعض الحكماء الذين أصابتهم الحيرة مثلنا: "إن لم يكن في فضاء الأفلاك وسعة السماوات خلائق، فكيف يليق بحكمة الباري جلّت قدرته تركها فارغة مع شرف جوهرها، فإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغاً حتى خلق منه أجناس الحيوانات وغيرها، ولم يترك جوّ الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير، ولم يترك البراري اليابسة والآجام والجبال حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات"^(١).

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا القزويني، ص ٤١.

وهو ما أكده عالم الفيزياء البريطاني الشهير ستيفن هوكينغ بقوله: "وفي مثل هذا الفضاء الهائل فإنّ من المستبعد أن تكون الكرة الأرضية هي الكوكب الوحيد الذي نشأت فيه حياة" ولهذا السبب بالذات قال عالم الكونيات المشهور (كارل ساغان) بعد حديثه عن سعة الأكوان: "إذا كنا نحن فقط، فهذا يبدو كمضيعة هائلة للمكان"^(١) وقال علماء آخرون: "إذا نظر الإنسان إلى سعة الكون الهائلة ثمّ يتصوّر أنه وحده في هذا الكون، فإنّ ذلك يُعدّ من الإسراف الذي لا مبرر له".

إنّ مجرد سعة الكون اللامتناهي واللامحدود، وهي التي تقصر مداركنا وستبقى قاصرة عن تصوّر مداه حتى بالخيال الجامح تدلّ حتماً على وجود مخلوقات أخرى غيرنا نحن البشر فيه، فمن الاعتباط أن نعتقد أو نتصوّر أننا المخلوقات الإلهية الوحيدة على كويكب الأرض الذي هو مجرد جرم صغير في الكون الشاسع الفسيح، هذا الكويكب الذي لا يعدو كونه مجرد وجود ذرّي لا يقارن بحجم الوجودات الكونية الأخرى التي هي أعظم منه ملايين المرّات.

وقد جاء عن الإمام السجّاد قوله في إحدى مناجاته لله سبحانه: "وأشهد سماءك وأرضك ومن أسكنتهما من ملائكتك وسائر خلقك"^(٢) بمعنى أنّ الإمام عليه السلام يشهد مخلوقات الله سبحانه كلها على صحّة إيمانه بوحدانية الله؛ سواء منها التي أسكنها الله في الأرض، أو في باقي الأكوان من الملائكة ومن سائر خلقه من الأصناف الأخرى، وهذا يدلّ على أنّ أصناف المخلوقات لا تتجمّع في الأرض فقط وإنما في الأكوان كلها أيضاً! فهل يمكن لعامل أن يدعي بأننا والكائنات التي تعيش معنا على كويكب الأرض مخلوقات الله الوحيدة في الكون، أو المخلوقات الوحيدة التي تمكن الله تعالى من صنعها وكفى؟

(١) حقيقة ينبغي أن تغير العالم، جيسكا ويليامز، ص ١٥٣.

(٢) الصحيفة السجّادية في معانيها الجليلة، نبيل شعبان، ص ٨٥.

أقول: للأسف نعم، هنالك بعض أتباع الديانات يؤمنون بهذه الاعتباطية، أو هكذا يبدو بترائهم الفكري، فالديانة اليهودية في مزاميرها تعتقد بوجود المخلوقات على الأرض فقط، وتنفي وجود مخلوقات أخرى في الأكوان عدا الملائكة، ويبنون اعتقادهم بخلو الأكوان من السكان من غير الملائكة على الآية (١٦) من المزامير، التي جاء فيها: "السموات سماوات الرب، أما الأرض فأعطاها لبني آدم"^(١) وأنا أجد هذه الآية بغض النظر عن صحتها أو تحريفها تصبّ في مصالح النتائج التي توصلنا إليها، وتؤكد وجود مخلوقات في الأكوان أكثر من كونها تنفي وجودها، لأن إعطاء الرب الأرض لبني آدم لا يمنع أن يكون قد أعطى باقي الأكوان إلى مخلوقات أخرى أو إلى آدميين من غير نسل آدمنا الأرضي. ثم إنهم فسروها على أنها تنفي وجود المخلوقات وأي شكل للحياة في الأكوان، برغم أنّ أرضنا التي نعيش عليها ليست لنا وحدنا بل يشاركنا العيش فيها مليارات الكائنات المرئية وغير المرئية الأخرى، وأجد أنّ هذا التفسير وليد نوع من الأصولية الدينية السلفية المسيحية التي يمثلها البروتستانت، أقرب المكونات المسيحية إلى الفكر اليهودي، يفضح وجود هذه الأصولية ويظهرها؛ ممّا ينضوي عليه التفسير نفسه من جمود على النصّ الموروث، وأخذه بالشكل الحرفي النصّي، بعيداً عن التأويل الذي هو أعلى أصناف التفسير، وهو الذي يقول عنه الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم: "ونحن إذا لاحظنا كلمة التأويل وموارد استعمالها في القرآن نجد لها معنى آخر لا يتفق مع ذلك المعنى الاصطلاحي الذي يجعلها بمعنى التفسير"^(٢).

ويتوافق موقف السلفية المسيحية وموقف السلفية الإسلامية في هذا الجانب، حيث يرى السلفيون المسلمون مثلاً في قول الله سبحانه ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: أنّ الله يداً حقيقيةً يضعها فوق أيديهم. وإلا فإنه حتى مع فرضية صحة هذا النصّ، وصحة إشارته إلى أنّ الله أعطى الأرض لبني آدم، فذلك لا يمنع أن يكون قد أسكن على الكواكب في الأكوان مخلوقات أخرى ليست من

(١) ينظر كتاب: الكتاب المقدس وعلم الفلك، جون سي ويتكيب.

(٢) علوم القرآن، آية الله العظمى محمّد باقر الحكيم، ص ٢٦٣.

جنس بني آدم، كما أشار إلى ذلك الحديث النبويّ الذي مرّ علينا، وهو الذي تحدّث فيه رسول الله ﷺ عن مخلوقات الله الكونيّة فوصفهم بقوله: "لا يعلمون خلق آدم أم لم يخلق"؛ فضلاً عن أنّ التوراة نفسها تحدّثت عن رفع بعض الأنبياء للعيش في السماوات كما في قولهم: "وقال الله عزّ وجلّ لإلياس: سلني أعطك، فقال: ترفعي إليك وتؤخر عني مذاقة الموت، فرفعه الله إليه بعد أن كساه الريش وجعله أرضياً سمائياً ملكياً يطير مع الملائكة"^(١).

والظاهر أنّ العلماء غير المسلمين التفتوا أيضاً إلى حقيقة عدم تقبّل العقل لأن يكون كويكب الأرض هو المكان الوحيد المأهول في الكون كله، "ويتكلم" صاحب التفسير الذي ينفي فيه وجود مخلوقات أخرى في الكون يقول: "فلا بدّ من طرح السؤال: لماذا توجد نجوم ومجرات لا عدد لها في كلّ أرجاء الكون... لماذا مضى الله إلى خلق مليارات المجرات ثمّ وضع الحياة فقط في كوكب صغير نسبياً؟"^(٢).

الغريب أنّ الباحث أجاب عن هذا السؤال بتعليقات أوقعته في متاهات لا يمكن أن ينجو منها، ربّما لأنه كان مجبراً على التصريح بهذا الرأي؛ لأنّ الجواب الصحيح يتعارض وإيمانهم أنّ الأكوان لا تسكنها سوى الملائكة حيث قال: "إنّ المجيء الأوّل للمسيح كان حادثاً غير ذي أهميّة نسبياً في حياة ابن الله، وتوقفه لفترة وجيزة على الأرض ولذلك رفعه الله إليه وسارفي طريقه إلى الكواكب والمجرات لكي يحمل إليها رسالة كونيّة من الوحي والفداء" وهذا النصّ الذي أراد الباحث توظيفه لنفي وجود المخلوقات الكونيّة، يصبّ في مصالح النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث بشأن وجوبيّة تحقق كونيّة الأطروحة المهدويّة لإظهار دين الإسلام على أديان الشعوب الكونيّة ومنها الشعوب التي يقولون إنّ السيّد المسيح مرّ بها في طريقه حاملاً لها رسالة الوحي والفداء كما في النصّ المذكور آنفاً.

(١) المعارف، الدينوري، ص ٣٠.

(٢) ينظر: الكتاب المقدس وعلم الفلك، ويتكلم.

وحتى لو اعترفنا جدلاً بأن الله سبحانه رفع السيّد المسيح إليه ليرسله نبياً إلى الكواكب والمجرات الكونيّة فإنّ هذه البعثة لم تأتِ إلى جوهر ومعدن الكواكب والمجرات ذاته، وإنما إلى المخلوقات الساكنة فيها لأنه من غير المعقول أن يرسل الله نبياً إلى من لا يعقل مثل الحجارة والغازات والأبخرة والفلزات والمعادن والمركبات الكيماويّة الأخرى التي تتكوّن منها كتل تلك الكواكب. وهذا اعتراف كامل بوجود مخلوقات في الكون لا نعرف عنها شيئاً.

ومن أجواء هذه المتاهة التي دخلها الرجل بإرادته عاد فدخل متاهة أخرى لا تقلّ عنها غرابة فقال: "إنه ما من دليل كتابيّ وحده كافٍ بذاته ليظهر فريدة الحياة على الأرض. إلا أنه... من المهمّ أن ندرك أنه ما من كلمة واحدة قد أعطيت لتأييد مفهوم حياة عاقلة خارج كوكب الأرض".

ويعني هذا القول المحيّر: أنه لا يوجد دليل توراتيّ أو إنجيليّ على أنّ الأرض وحدها تشتمل على كلّ مخلوقات الله، ولا يوجد أيضاً دليل ملموس على وجود مخلوقات في غير الأرض!

وأنا أرى أنّ رأيه هذا يخالف منطوق صلاة المسيحيّين التي يطلبون بها أن يكون ملكوت الله في الأرض مشابهاً لملكوته في السماء؛ أي: مع سكان السماء، فهم يقولون في صلاتهم: "أبانا الذي في السماوات ليتقدّس اسمك ليأتي ملكوتك لتكون مشيئتك كما في السماء كذلك في الأرض"^(١) فتبعاً لهذه المفردات الصلواتيّة يتمنون أن يكون ملكوت الله في الأرض مثل ملكوته في السماء.

ولذا أجزم أنّ آراءهم مجرد تخمين أو استنتاج سببه عدم التيقن، وهم ليسوا وحدهم في مثل هذه الحيرة؛ فمنذ أن أخذ علم الفضاء مكانه بين العلوم الأخرى، والمشتغلون فيه محتارون كذلك بشأن وجود المخلوقات في الأكوان. ولكن اكتشاف العلوم الأخرى لبعض المعطيات التي تؤكد أنّ على

(١) الكتاب المقدس، إنجيل متى ٦: ٩ - ١٠.

الأرض وحدها بلايين الأنواع من المخلوقات التي تعيش على سطحها وفي أجوائها ووسط مياهها وداخل قشرتها وفي أعماقها، وإنّ عدد الأنواع التي اكتشفوها إلى الآن أكثر من مليونين، يصبّ في مصالح افتراض الوجود! ويؤكد صحّة افتراضهم بوجود مخلوقات أخرى في الأكوان الأخرى.

وتبعاً لذلك ولدت مجموعة كبيرة من الفرضيات والنظريات التي تقول: إنّ مجرد وجود مئات مليارات الكواكب في مجرتنا وحدها يشجعنا للقول أنّ الكثير منها قد يكون مكسوّاً بالغبار الكيميائيّ الذي ندعوه "الحياة". وفرضيات أخرى تقول: "المنطق العلميّ يجب أن يستغرب من وجود الحياة على الأرض فقط من بين ملايين المجرات في المدى اللامتناهي للكون"^(١).

وقد تكون الأرض غريبة لكنها قد لا تكون أعجوبة. وبناءً عليه أورد "رينر غلاسر" المختصّ بكيمياء الجزئيات في جامعة ميسوري في كولومبيا الأمريكية نظرية تقول: إنّ المكونات الضرورية للحياة تشكلت في الأساس في الفضاء الخارجيّ وليس على سطح الأرض، وهناك في الفضاء غيوم من جزئيات (الأدنين) أحد مكونات مادّة (دي أن أي) الوراثة الأساسيّة يمكنها أن تتشكل وتنجو من الظروف القاسية في الفضاء ثمّ تتقاطر إلى الكواكب. وهذا الاستنتاج يتوافق وما ورد عن قصّة الخلق في الأديان كلها حيث تجمع الأديان على أنّ الله سبحانه خلق آدم وحواء في الفضاء ثمّ أنزلهم إلى الأرض.

أمّا الأطروحات التي تنفي وجود مخلوقات في الأكوان فهي تدلّ بالتأكيد على اعتباطيّة الإيمان بالرأي القائل أنّ الله سبحانه جمع كلّ مخلوقاته في كوكب الأرض وحده. واعتباطيّة الرأي المتطرّف الآخر الذي ينكر دور الله سبحانه ويرى أنّ وجود المخلوقات الأرضيّة لم يكن عملاً إلهيّاً وإنما كان مجرد حادث عرضيّ وقع بمحض الصدفة ولن يتكرّر، وصاحب هذا الرأي هو

(١) ينظر: السومريون سيناريو الأصل الفضائي / هل جاء السومريون من الفضاء؟، الرابط

العالم (ستيفن جاي غولد) الذي يقول: "إنَّ وجودنا كان نتيجة حدث عرضي للتطوُّر الأعمى، وإذا كانت الحياة عبارة عن حادث وقع بمحض الصدفة فلا مجال لاحتمال تكرار هذا الحادث أو تكرار هذه الصدفة في مكان آخر في الكون".

وقد وجدت بالبحث أنَّ السؤال عن فردانية الأرض كان يتردّد في مخيلة المفكرين والكتاب والفلاسفة على مدى التاريخ، ولم يقتصر على وقتنا الحاضر وحده، يقول الدكتور عبد المحسن صالح: "وأوّل ما يطوف بالبال هو ذلك السؤال: هل أرضنا هي الوحيدة في المجرّة التي جاءت خصيبة للحياة والباقيات عقيّمت" ثمّ أردف قوله: "الغريب أنّ هذا التساؤل نفسه قد طرأ على بال الفيلسوف اليونانيّ القديم "مترودوروس" وهو من تلاميذ الفيلسوف "ديموقريتس" وأجاب بقوله: إنّ اعتبار الأرض هي العالم الوحيد المأهول بالحياة في الفضاء المتناهي هو اعتبار مجحف ومنافٍ للعقل فمثله كمثّل من يقول إنّ هناك حقلاً قد زرع بحبوب القمح فلم تنبت فيه إلا حبة واحدة"^(١).

إنّ مجرد إيمان العلم بوجود مخلوقات في الكون إذا ما رُبط بحقائق الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن بعثة الله الأنبياء إلى كلّ مخلوقاته يعدّ بحدّ ذاته دليلاً واضحاً على حقيقة كونيّة الأطروحة المهدويّة. ولكن هذا لا يعني أنّ العلم الفضائيّ المعاصر يتوافق وما نراه، حيث نجد بين العلماء مؤيدين لفكرة وجود السكان الكونيّين، مثلما نجد بينهم من يعترض بشدّة على هذا الرأي.

المؤيّدون

سبق أن أوردنا قولاً للعالم الفلكيّ الأمريكيّ الدكتور (كارل سيغان) مفاده: "إذا كنا نحن فقط، فهذا يبدو كمضيعة هائلة للمكان" وفي حديثه عن

(١) من أسرار الحياة والكون، دكتور عبد المحسن صالح، ص ١٢٩.

مجرّتنا يقول هذا العالم: " في مجرّتنا درب التبانة هناك كوكب واحد من كلّ ٢٠٠٠ كوكب يحتوي على أوكسجين وسماء وجاذبيّة مشابهة للتي عندنا على الأرض، وهذا يعني أنّ هناك في الأقلّ ٣٠٠٠ حضارة قد تكون بعضها ذات مستوى ذكاء يفوق مستوى ذكاء حضارتنا الأرضيّة " فكم حضارة يا ترى ممكن أن يحوي الكون وفيه مليارات المجرّات؟^(١).

الدكتور جواد بشارة يؤيد فكرة وجود مخلوقات أخرى في الأكوان ويقول بهذا الصدد: " هل نحن وحدنا في هذا الكون الشاسع؟ ليس هناك جواب علمي قطعاً بل سيكون هناك جواب منطقيّ. فالعقل والمنطق السليمين يقولان لنا إنه من العبث أن يوجد كون نهائيّ الأبعاد لا نعرف ماذا يوجد خارجه، أو أنّ هناك عدداً لا متناهيّاً من الأكوان، خالية من الكائنات عدا الجنس البشريّ الذي يعيش فوق كوكب تافه لا قيمة له بالنسبة لما يوجد في كوننا المرثيّ المكوّن من مئات الآلاف من مليارات المجرّات والنجوم والمجموعات الشمسيّة والكواكب وتوابعها من الأقمار ناهيك عن الأكوان التي ليس بمقدرونا رصدها وإثبات وجودها علمياً"^(٢).

علماء آخرون لا يقفون عند الاعتقاد بوجود المخلوقات الكونيّة فقط؛ بل يتعدّونه للقول أنّ بعض أولئك السكان يعيشون اليوم بيننا، ومن هؤلاء العلماء (تشارلز فورت) المتخصّص في البحث عن الظواهر والمكتشفات التي عجز العلم عن تفسيرها، إذ يقول: "أعتقد بأنّ الجنس البشريّ ليس إلّا مُلكيّة لكائنات أخرى ذكيّة جداً ليست من الأرض، وإنّ هناك بيننا عدداً من تلك الكائنات، وهم أعضاء في سلك أو عبادة ما، وهم على اطلاع وإمام بكلّ ما

(١) موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨، الرابط

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=231298>

(٢) مقال بعنوان "متى يستيقظ الإنسان من خرافة الكون الواحد المحدود؟" نشر في موقع

الاتحاد الديمقراطي العراقي الرابط:

<http://www.idu.net/portal/modules.php?name=News&file=article&sid=12387>

يحدث لنا وعلى أرضنا، وهم يقودوننا جميعاً كالخراف، حسب تعليمات وتخطيطات يتلقونها لا ندري من أين»^(١).

وهناك قسم آخر من العلماء لا يقف عند الاعتراف بحقيقة وجود السكان الكونيين فقط أو أنهم يعيشون بيننا فحسب وإنما يصرّ على امتلاكهم حضارات أرقى تطوراً من حضارة الأرض معتمداً في ذلك على الحسابات الرياضية ولاسيما ما يسمّى (المعادلة السوداء) التي تربط احتمالية اكتشاف حضارة فضائية ذكية بالعديد من العوامل مثل حجم الكون، وعدد النجوم التي تدور حولها كواكب شبيهة بالأرض. ومع اكتشاف كلّ كوكب خارج مجموعتنا الشمسية تزداد احتمالية العثور على حياة ذكية في الفضاء الخارجي. وقد أخذت العديد من الحكومات والهيئات الدولية موضوع تزايد احتمالية العثور على حياة ذكية في الفضاء الخارجي بنظر الاعتبار وعلى الرغم من انعدام تصريح موثق لأيّ مسؤول حكومي في العالم عن صحّة نظرية الأطباق الطائرة إلا أنّ الحكومات بدأت وبجدية بالتحضير لواحد من أهمّ الأحداث في تاريخ البشرية ألا وهو اللقاء الأول مع المخلوقات الفضائية، وهي اللحظة التي سيكتشف فيها سكان الأرض أنهم ليسوا وحيدين في الكون، ومن المحتمل أن يتمكن سكان الأرض من الحصول على نوع ما من التحذير الأولي عن هذا اللقاء، وهذا سيعتمد بالطبع على الجهة التي ستكتشف هذه الحضارة أولاً^(٢).

أمّا الفلكيَّان الأمريكيَّان الدكتور (جيفري مارس) والدكتور (بوك باتلر) الأستاذان بجامعة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية، وهما العالمان اللذان اكتشفا كوكبين جديدين لم نكن نعرف عنهما شيئاً يدوران حول شمس أخرى في مجموعات شمسية خارج نطاق مجرتنا فيقولان:

(١) موضوع بعنوان (الحكيم البابلي) نشره موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨.

(٢) كيف نستقبل الكائنات من الفضاء الخارجي، مها محسن، جريدة المدى، الرابط

"يبدو أننا لسنا وحدنا في هذا الكون الفسيح الذي بلا نهاية، بل توجد حياة أخرى من نوع مختلف على كواكب أخرى، ولكننا لا نعرفها حتى الآن"^(١).

الرافضون

مقابل ذلك هنالك علماء متشائمون يعتقدون أنّ الحياة الذكيّة محصورة في الأرض وحدها، وإنّ الحياة في الفضاء إن وجدت فهي تقتصر على الأشكال البدائية مستندين في اعتقادهم إلى الخواصّ الفيزيائية الفريدة التي تتمتع بها الأرض بما فيها المجال المغناطيسيّ الذي يحرف الأشعة الكونيّة، والقمر الذي يجذب النيازك. وهؤلاء يعتقدون أنّ هذه الخواصّ تجتمع معاً لتجعل الأرض ميناءً آمناً يُمكن الحياة من التطوّر من شكلها البدائيّ إلى كائناتها المتطوّرة.

أي: إنّنا نمثل الحياة الذكيّة الوحيدة في الكون ووجودنا تمّ بمحض الصدفة، وهي صدفة لن تتكرر، وهذه نظرة عبثيّة لأنّ الكون المعروف بحجمه اللامحدود لا يمكن أن يكون وجوده عبثياً وفارغاً إلا من حفنة من البشر لا يشكلون ذرّة غبار بالنسبة لمكوّنات هذا الكون العظيم المكوّن من مئات المليارات من المجرّات؛ وهي التي تحتوي بدورها على مئات المليارات من النجوم والكواكب الملحقة بها والدائرة في أفلاكها.

يدّعي أحد هؤلاء العلماء أنّ عمر الكون المعروف لدينا اليوم بوسائلنا العلميّة البدائية لا يتجاوز الخمسة عشر مليار سنة في حين أنّ متوسط عمره في أسوأ الأحوال بحسب تقديرات العلماء هو عدّة مئات المليارات من

(١) هل نحن وحدنا في هذا الكون؟ حلم البحث عن العالم المفقود، منتديات الحكمة، الشيخ مصطفى الهادي

السنين، بعبارة أخرى أنّ الكون بنظر هذا العالم، لا يزال في طفولته ولا يمكنه أن ينجب هذا الكمّ الهائل من المخلوقات الذكيّة والعاقلة، وإن وجدت فهي تماثلنا في المستوى أو أدنى منا وموزعة في أعماق الكون البعيدة ولا يمكنها كما لا يمكننا الآن الترحال بعيداً حتى خارج مجموعتنا الشمسيّة للاتصال.

ويستند هذا العالم في رأيه هذا إلى مقولة العالم (ستيفن هوكينغ) في أنّ ظهور الحياة على كوكب ما لا يعني بالضرورة حصول حضارة متطورة وذكيّة. بالرغم من دهشة علماء الفيزياء الفلكيّة عند اكتشافهم لعدد هائل من المجرات والنجوم والغازات الكونيّة الغنيّة بالكاربون والأوكسجين - وهما مصدر الحياة - في حقبة بدايات الكون عندما لم يتجاوز عمره بعد المليار سنة.

العلماء الراضون لفكرة وجود السكان الكونيّين يستندون إلى ما يعرف بـ (مفارقة فيرمي) المنسوبة إلى العالم الإيطالي (أنريكو فيرمي) وهو الذي أطلق عليها هذا الاسم العالم الأمريكيّ المؤيّد لوجود السكان الكونيّين (كارل ساغان) وخلاصة فكرة مفارقة فيرمي: "أنه لو كانت هناك حضارة كونيّة متقدمة تكنولوجياً وعلمياً لكانت استعمرت المجرة منذ زمن طويل وبالتالي كان من المفترض أن نرى كائنات فضائيّة تحتلّ كوكبنا وتديره وهذا لم يحصل".

ووفق هذا الفهم أعلن عالم الفلك (ميكايل هارت) سنة ١٩٧٥ مستنداً إلى مفارقة فيرمي أيضاً: "إنّ غياب الكائنات الفضائيّة الذكيّة عن أرضنا يعني أنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد داخل المجرة" وهي مقولة كرّرها علماء آخرون مثل العالم الفيزيائيّ والفلكيّ (لوي هيندكورت) و(فيليب زاركا) و(ألفريد فيدال مدجار) و(نيكولا برانتروز)؛ فهؤلاء العلماء يؤيّدون مفارقة فيرمي وي طرحون التساؤلات والشكوك نفسها، من قبيل: "إذا كانوا موجودين فأين هم؟ ولماذا لم يأتوا إلينا لحد الآن بشكل علنيّ ولملموس ومثبت؟ فحضارة تسبقنا بمليون سنة لا يمكن إلا أن تكون حاضرة بيننا. وإذا كانت

هناك حضارة كونية فلماذا لم تستعمر الأرض التي لا يتجاوز عمرها الـ ٤,٦ مليار سنة؟

أما عالم الفيزياء الفلكية والرياضيات البريطاني (ستيفن هاوكينغ)؛ فيعتقد أنه إذا كانت هناك حياة ذكية ومتطورة في مكان آخر خارج الأرض فإنها ستكون حتماً بعيدة جداً وإلا لكانت زارت الأرض منذ زمن بعيد وعرفنا بوجودها وزيارتها حتماً ولحدث ذلك وفقاً لسيناريوهات تطرقت إليها أفلام الخيال العلمي من نوع (يوم الاستقلال)، (حرب العوالم)؛ أي: بمعنى أنها ستكون مخلوقات غازية ذات نوايا شريرة وليس كما جاء في فيلم (إي تي) أو فيلم (لقاء النوع الثالث) وحينئذٍ عندما تتاح لنا فرصة استكشاف مجرتنا درب التبانة؛ فربما سنكتشف أشكالاً بدائية من الحياة ولكن بالتأكيد لن نعثر على مخلوقات مثلنا؛ لأن الكائنات التي تشبهنا سوف تدمر نفسها قبل أن تصل إلينا، أو تدمرنا بمجرد عثورها علينا كما نفعل نحن البشر^(١).

(١) ينظر مقال: هل ستصل يوماً بالعوالم الأخرى في الكون؟ الدكتور جواد بشارة

الفصل الثالث

أديان سكّان الأكوان

يأجوج ومأجوج أنموذج السكّان الفضائيين

من مجمل ما تقدّم ولاسيّما حديثنا عن وجود الماء في الفضاء الذي هو من ضروريّات الحياة، أرى من الضرورة الكبرى التحدّث عن صنف من أصناف هؤلاء السكّان معروف لنا نحن المسلمين، وأقصد بذلك أقوام يأجوج ومأجوج، فقصّتهم تكاد تكون أحد الأدلة الصادقة على الكونيّة بسبب ورودها في القرآن الكريم. ثمّ الحديث عن أنماط التكليف الشرعيّ لسكّان الأكوان.

أقوام يأجوج ومأجوج المختلف بشأنهم ربّما يصلحون أنموذجاً للحياة الكونيّة المفترضة، ونحن بوصفنا مسلمين مصدّقين لما جاء في كتاب الله العزيز، لنا رأي يختلف عن رأي العلماء المادّيّين في كثير من القضايا، فنحن نأخذ بما جاء في القرآن من دون نقاش أو اعتراض ليس تحجّراً كما قد يعتقد بعضهم وإنما لأنّ ما ورد في القرآن؛ فضلاً عن قدسيّته ثابت لم يتبدّل، ولطالما جاءت النتائج العلميّة لتثبت صحّة ما في القرآن وخطأ ما جاء به غيره، أمّا ما جاءت به النظريّات العلميّة فقابل للتبديل والتجديد والتطوير والنقض وحتى التكذيب. والقرآن الكريم أورد قصّة يأجوج ومأجوج حيث وعدنا الله ونبيّه الصادق الأمين أنهم سيخرجون من موطنهم في آخر الزمان ويغزون الأرض، وعدّ خروجهم من أصل حتميّات علامات الظهور العشر أو من أشرط الساعة^(١). ومنه ما أخرجه البخاري في صحيحه عن زينب بنت جحش: "أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويل

(١) صحيح مسلم حديث ٢٩٠١ ص ١٢١٦ وما بعده.

للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وخلق بإصبعيه الإبهام وهي التي تليها. قالت زينب: فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث" (١).

إنّ خلافنا مع الآخر لا ينحصر في وجود هؤلاء الأقوام أو انعدامهم، وإنما في أصلهم وجنسهم ومكان وجودهم، حيث يتبين من متابعة الروايات الواردة عنهم وكأنهم موجودون على أرضنا وفي المنطقة العربية تحديداً أو ما جاورها، وهو ما سنتوسّع في بحثه، ولكنني أسأل: إذا كان العلم الحديث بكلّ أجهزته المتطورة ومراصده العلمية ومركباته الفضائية لم ينجح حتى هذه الساعة في تحديد مكان وجود هذه الأمم المليارية، هل يعني ذلك أنّ القصة القرآنية كاذبة مثلاً، أو أنّ وعد النبي ﷺ كاذب؟ أم ذلك يعني أنّ العلم كان وما زال عاجزاً عن إدراك هذه الحقيقة الجليلة التي لا يمكن للمؤمن أن يكذبها. وسيبقى عاجزاً عن إدراك ملايين القضايا المهمة الأخرى التي لا يملك عنها أخباراً يقينية؟ ألم يقل الكتاب العزيز: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْغَيْرِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

إنّ هذه الأقوام المرعبة التي تخوّف النبي الأكرم من كثرة عددهم ووحشيتهم حتى قيل في الروايات إنّ عددهم أكثر من رمال البحار، وإنّ أوائلهم أو طلائعهم يجتمعون على بحيرة طبرية فيشربون ماءها عن آخره، فإذا وصل آخرهم إلى مكانها قالوا: كانت هنا بحيرة فيها ماء اسمها طبرية! وقيل إنّ أطوال بعضهم كشجرة الأرز وبعضهم الآخر بقدر شبر الإنسان، فإذا كانت هذه الأمم موجودة على الأرض، فلمّ لمّ تزل خافية عن رصد أقمار التجسس التي تستطيع رصد المياه والبتروال والمعادن الموجودة في أعماق أعمق الأرض، وهي التي تصوّر ما يدور على كلّ شبر من سطح الأرض بدقة متناهية؛ حتى إنك تستطيع أن تفتح الحاسوب لتتفرج على بيتك وحيك

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٧١٣٥، ص ١٢٦٠ كتاب الفتن وقريبا منه اخرجه مسلم في

باب الفتن من صحيحه، حديث ٢٨٨٠، ص ١٢٠٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

ومدينتك وتطلع على أدق التفاصيل والجزئيات ولاسيما ونحن نعرف أن أمر مراقبة الأرض ومخلوقاتنا بات اليوم أكثر سهولة من قبل، ولا يحتاج حتى إلى الأقمار الصناعيّة؛ لأنّ طائرات الاستشعار المجهّزة بمجسات لرصد حرارة الأجسام باتت متوافرة حتى لدى البلدان الفقيرة والنامية؛ مثل البرازيل التي تستعملها لرصد القبائل البدائيّة الموجودة في غاباتها الكثيفة^(١) والدليل أنّ هذه الطائرات اكتشفت في أواخر عام ٢٠١١ قبيلة بدائيّة في الأمازون لا يزيد عدد أفرادها عن عشرين شخصاً يعيشون في الغابات الكثيفة!

وبعد وجود القوآت الأمريكيّة في منطقتنا (العراق وأفغانستان والقواعد الأخرى في الخليج وغيره) كثر تجوال مثل هذه الطائرات لرصد حركات الإرهابيين كما يدعون أو للبحث عن كنز الفرات كما يدعي غيرهم، فلم لم ترصد أقوام يأجوج ومأجوج وترقب تحركهم وتجوّالهم لو كانوا موجودين على الأرض أو في داخلها، وفي نطاق منطقتنا تحديداً كما تقول الروايات، وهم مثلنا معرّضون لخطر هذه الأقوام وغير بعيدين عنه؟ ألا يعني ذلك أنّ يأجوج ومأجوج موجودون فعلاً، ولكن خارج حدود كرتنا الأرضيّة، وفي مكان ما من الكون الواسع خارج عن مدارك البشر؟

أجبلوا النظر في استعمال النصّ القرآنيّ لكلمة (حَدَب) التي وردت في قوله تعالى ﴿حَقَّقْ إِذَا فُجِّحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(٢) تجدونه قد جاء مطابقاً لحقيقة مكان وجود هذه الأقوام؛ لأنّ (حدب) يقصد به ما ارتفع من الأرض^(٣) كما في مختار الصحاح، أو: الغلظ المرتفع من الأرض، كما في القاموس للفيروزآبادي^(٤) وقال الراغب الأصفهاني عن الحدب: "يجوز أن يكون الأصل في الحدب حدب الظهر، يقال: حدب الرجل حدباً، فهو أحدب واحدوب، وناقه حدباء تشبيهاً، ثم شبه به ما

(١) شبكة سي أن أن الإخبارية ٢٠٠٨/١١/١٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٩٦.

(٣) ينظر مختار الصحاح للرازي، ص ١٢٥.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي صفحة ٨١.

ارتفع من ظهر الأرض^(١) في إشارة إلى العلوّ. وفي تفسير الميزان للطباطبائي: "الحذب بفتحين: الارتفاع من الأرض بين الانخفاض"^(٢) ولما كان معروفاً أنّ الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ لا تشير إلى أنهم يسكنون جبلاً أو مناطق مرتفعة؛ فمن المؤكد أنّ اللفظ القرآني يشير إلى الفضاء الخارجي الذي سوف ينسلون منه لاحتلال الأرض، والانسلال: من انسل؛ أي: أسرع، وانسلّ الصوف نسلوا؛ أي: سقط^(٣) والنسل: الانفصال عن الشيء، ينسلّ انسللاً إذا أسرع^(٤) والنسول: الخروج بإسراع ومنه نسلان الذئب^(٥).

فالآية تدلّ صراحة على وجودهم في مكان مرتفع عالٍ (الفضاء)؛ وتدلّ على أنهم سوف يسقطون، أو يقعون، أو ينفصلون عن مكانهم الذي هم فيه (ينسلون) منه سراعاً إلى الأرض. بمعنى أنهم من سكان الفضاء ومخلوقاته، وليس لأنهم موجودون في تركيا، أو أرمينيا، أو أذربيجان، أو أمريكا الشماليّة، أو سيبيريا، أو قرب بحر قزوين وما شابه من أقوال؛ لأنّ في هذه المناطق أماكن مرتفعة كما يحلو لبعضهم أن يدّعي. فدافع هذه الأقوال هو التأويل والتعليل الذي لا يقوم على دليل منطقيّ مقنع وإنما يقوم بعضه على أحاديث ضعيفة منسوبة إلى النبي ﷺ فيها الكثير من الخيال الجامح والبعد غير المنطقيّ المخالف لقدرة الله سبحانه، ولنتائج العلوم، وللأحاديث المتواترة المجمع على صحتها. أمّا الدوافع الحقيقيّة لهذا التأويل فهي بالغالب سياسيّة الأصل هدفها محاربة الفكر المهدويّ والتشويش على عقول الناس؛ لكي يشككوا بمصداقيّة ما بين أيديهم من نقول وأحاديث صحيحة، وهي في أحسن الأحوال مجرد آراء قابلة للنقض والتفنيد؛ لأنها لا تملك مقومات الثبات.

(١) مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، حرف الحاء، ص ٢٢٢.

(٢) الميزان، تفسير الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء.

(٣) القاموس المحيط، المصدر نفسه، صفحة ٩٨٠.

(٤) ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٨٠٢.

(٥) الميزان، تفسير الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء.

جنسهم وأصلهم؟

إنَّ الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية والمكذوبة والمختلقة نجحت في خلق حالة من الاضطراب الفكري لدى المسلمين نتيجة تعارضها مع بعضها، بل وتباين ما ورد فيها من معلومات. ومع أنَّ ابن الجوزي أخرج في المنتظم عن أبي العالية قوله: "الجنَّ عالم والإنس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض"^(١) إلا أنَّ القصص التي تحكي أصل هذه الأقوام تعددت وتنوَّعت كثيراً. فقال بعضهم إنهم بشر من نسل آدم، وقال آخرون إنهم نصف بشر، وقال القسم الثالث إنهم ليسوا بشراً ولا من نسل آدم.

من قال إنهم نصف بشر:

فهم نصف بشر برأي كعب بن باع الحميري المعروف بكعب الأحبار، اليهودي الذي أسلم أيام الدولة العمرية، وهو الذي تحدَّث عن أصل خلق هذه الأقوام، من دون أن نعرف من أين جاء بحديثه؛ لأنه لم ينسبه إلى النبي ﷺ وإنما خالف ما جاء عن النبي، لذا أعتقد أنه من الإسرائيليات التي كثيراً ما تحدَّث بها كعب، يقول كعب عن خلقهم في روايته: "هم نادرة من ولد آدم، وذلك أنَّ آدم احتلم ذات يوم، وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم"^(٢).

وما يزيد يقيني في حقيقة إسرائيلية قول كعب هذه أنَّ هناك في التوراة قصصاً فيها افتراء على الأنبياء، منها القصة التي تقول إنَّ ابنتي النبي (لوط) ﷺ خافتا من انقراض البشرية فقامتا بمضاجعته في ليلتين متتاليتين بعد أن سقتاه خمراً وأسكرتاه، فحملتا من أبيهما، وولدت البكر ذكراً أسمته (مو

(١) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب ذكر البلاد.

(٢) المعجم الموضوعي، ص ١٠٧ عن شرح مسلم ٩٨/٣ وفتح الباري ١٣ / ٩٤.

آب) وولدت الصغرى ذكراً سمّته (ابن عمي) وهكذا لأجل إدامة البشر والنسل نسبوا إلى أنبياء الله ما نسبوه من قول شطط وفعل خبيث! (١).

وبمناسبة حديث كعب أقول: من طرائف التوفيقات أني في أثناء جمعي لمادة أحد كتبي الذي يتحدث عن تاريخ قبائل العجر في العالم وأصلهم وجدت العجر يدعون أنهم من أبناء آدم وحواء؛ ولكن ولادتهم وتكاثر نسلهم جاء بطريقة غريبة مشابهة نوعاً ما لقصة كعب الأحبار عن خلق يأجوج ومأجوج، تقول قصة العجر: إنه عندما مات أبونا آدم وقبل أن يدفن جاءت أمنا حواء التي أدركت أنها لن تتمتع معه بعد الآن ونامت معه، وعاشرتة، فحملت من تلك المعاشرة، وولدت توأمين هما أب العجر وأمهم الحاليتين. وهي قصة أسطورية فيها كثير من الشبه بأسطورة كعب، وربما يكون الرجل قد سرق مضمون قصته من العجر ونسبه إلى علومه الغريبة وأدخله عقول بعض المسلمين، فذلك ليس أمراً مستحيلاً. ولكن الأمر المستحيل أن نسمح لفكر خرافي مسروق ليتحكم بقواعد ديننا، فيأتي أحد الذين نصبوا أنفسهم، أو نصبهم الحكام للفتيا بين الناس في القرن الحادي والعشرين ليبيح للرجل معاشرة زوجته الميئة حديثاً، فالداعية المغربية رئيس الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في فقه النوازل الشيخ المدعو (عبد الباري الزمزي) أجاز للمرأة إشباع رغبتها الجنسية. وأباح للرجل الاستمنا، وأجاز للزوج معاشرة زوجته الميئة للتوّ، وللعايزيين ممارسة الجنس مع الدمى والعادة السرية. وتناول الصائم الأدوية نهاراً في رمضان، لكن من دون ماء (٢).

يجرّنا هذا العجب إلى الحديث عن إسرائيليات كعب ورهطه من اليهود الذين ادّعوا الإسلام. وأودّ بدءاً التنويه إلى أن لكعب ورهطه اليهود الشيء الكثير من هذه الإسرائيليّات في تراثنا الإسلامي؛ منها مثلاً قصة كعب عن

(١) سفر التكوين، الاصحاح التاسع عشر.

(٢) موقع شبير، الرابط <http://forum.shabir.tv/index.php?page=topic&show=1&id=21703>

مدينة (إرم) ذات العماد التي أهلكتها الله، ففي رواية عن فقدان هذه المدينة قالوا: "فأخفاها الله، لم يدخلها بعد ذلك إلا رجل واحد في أيام معاوية يقال له عبدالله بن قلابه، فإنه خرج من صنعاء في طلب إبل ضلت، فأفضى به السير إلى مدينة، صفتها ما ذكرنا، فأخذ منها شيئاً من المسك والكافور وشيئاً من الياقوت، وقصد الشام وأخبر معاوية بالمدينة، وعرض عليه ما أخذه من الجواهر، وكان قد تغير بطول الزمان. فأحضر معاوية كعب الأحبار وسأله عن ذلك؛ فقال: هذا إرم ذات العماد التي ذكرها الله تعالى في كتابه، بناها شداد بن عاد، لا سبيل إلى دخولها ولا يدخلها إلا رجل واحد صفته كذا وكذا. وكانت تلك الصفة صفة عبدالله بن قلابه، فقال له معاوية: أما أنت يا عبدالله فأحسنت النصح، ولكن لا سبيل لها. وأمر له بجائزة" (١).

ومن الإسرائيليات ما ورد عن وهب بن منبه، أورده المقدسي: "وزعم وهب أن الله خلق في الهواء طيراً أسود فهي التي طارت بالحجارة على لوط وعلى أصحاب الفيل. وروى ابن إسحاق عن النبي ﷺ أنه قال: إن مما خلق الله ديكاً برائنه تحت الأرض السابعة وعرفه منطوي تحت العرش قد أحاط جناحاه بالأفقين فإذا بقي ثلث الليل الأخير ضرب بجناحيه، ثم قال سبحان ربنا الملك القدوس فيسمعها من بين الخافقين فترون أن الديكة إذا سمعت ذلك تصيح" (٢).

بالمناسبة أودّ التذكير بأنّ المسلمين لم يكونوا كلهم غافلين عن هذه الإسرائيليات، ولكنهم لم يكونوا يشككون بنيات أصحابها، فابن كثير في تفسيره يقول: "وذكر وهب بن منبه في إسرائيليّاته أنّ الله خلق الخيل من ریح الجنوب، والله أعلم" (٣).

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني.

(٢) البدء والتاريخ، المقدسي، الفصل ١٠، في ذكر الأنبياء ومدد اعمارهم.

(٣) تفسير ابن كثير، سورة النحل، الآية ٨.

ومن إسرائيلياتهم ما أخرجه ابن الجوزي في المنتظم: "حدثنا معاوية بن عبدالله قال: سمعت كعباً يقول: أول من ضرب الدنانير والدراهم آدم ﷺ وقال: لا تصلح المعيشة إلا بها"^(١). ولا أدري هل كان أبونا آدم يدفعها إلى أمنا حواء حينما يطلب منها حاجة أو خدمة، أم ماذا؟ المهم أن وهب بن منبه أخذ على عاتقه تزويق هذه الخرافة؛ فقال لكي يرسخها في عقول المسلمين: "لما ضربت الدراهم والدنانير [أي على يد آدم] حملهما إبليس فقبلهما، وقال: سلاحي وقرّة عيني وثمره قلبي، بكما أغري، وبكما أطغي، وبكما أكفر ابن آدم، وبكما تستوجب النار ابن آدم"^(٢).

ومنها عن كعب قال: "إنّ آدم ﷺ لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة فذهبوا يطلبون له منها فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوط ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل؛ فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون. قالوا: أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة، قالوا لهم: ارجعوا قد قضى أبوكم. فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال: إليك عني إنما أتيت من قبلك خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له وألحدوا له وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه، ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم"^(٣).

وقد أثرت هذه الإسرائيليات في نمط تفكير المسلمين كثيراً حتى إنهم رَوَوْا قصصاً أخرى تظهرهم وكأنهم صدّقوا ما جاء به كعب ورهطه عن امتزاج نطفة آدم بالتراب، فالقزويني في حديثه عن جزيرة تسمى (جزيرة النساء) قال: "في بحر الصين، فيها نساء لا رجل معهنّ أصلاً، وإنهنّ يلقحن من الريح

(١) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب ذكر آدم.

(٢) المنتظم، المصدر نفسه.

(٣) المنتظم، المصدر نفسه.

ويلدن النساء مثلهنّ، وقيل: إنهنّ يلقحن من ثمرة شجرة عندهنّ يأكلن منها فيلقحن ويلدن نساء" (١).

من قال إنهم بشر من نسل آدم وحواء

وهم بشر من نسل آدم وحواء، كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه الطيالسي في مسنده وابن حماد في فتنه، وعبد الحميد في تفسيره وغيرهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إنّ يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أنهم أرسلوا على الناس لأفسدوا عليهم معاشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذرّيته ألفاً فصاعداً، وإنّ من ورائهم ثلاث أمم: تاويل، وتارليس، ومنسك" (٢) أي: إنّ عبدالله يكذب بحديثه هذا حديث كعب الأحبار، فعبدالله يدعي أنهم أختوتنا من أبناء أبينا آدم وأمنا حواء، أمّا لماذا لا يشبهونا في الخلقة؟ فذلك ما لم يوضحه هذا الصحابي.

وكذلك الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وهو الذي أكد فيه إنسانية هذه الأمم وعرفهم بأنهم المغول ذوو الوجوه التي تشبه المجان المطرقة؛ وقد جاء في هذا الحديث: "خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب إصبعة من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لا عدوّ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوّاً حتى يأتي مأجوج ويأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف، من كلّ حدب ينسلون، كأنّ وجوههم المجان المطرقة" (٣).

وربّما لهذا السبب قال ابن الجوزي: "الأرض كلها سبعة أقاليم فالإقليم الأوّل الهند والثاني الحجاز، والثالث مصر، والرابع بابل، والخامس الروم، والسادس الترك ويأجوج ومأجوج والسابع الصين ومقدار كلّ إقليم سبعمئة فرسخ في سبعمئة فرسخ" وقال أيضاً: "والإقليم السادس: يبتدئ من المشرق

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، مصدر سابق.

(٢) المعجم الموضوعي، ص ١٠٧ عن شرح مسلم ٩٨/٣ وفتح الباري ١٣ / ٩٤.

(٣) المعجم، الجزء ٢، ص ٢٨٩.

فيمرّ على بلاد ياجوج وماجوج ثمّ على بلاد الخزر ويمرّ على القسطنطينية، وينتهي إلى بحر المغرب^(١). فعَدّ أقوام ياجوج وماجوج من ضمن سكان الإقليم السادس مع الترك.

وهناك من أخذ بهذا الرأي وصدقه مثل الدكتور الشفيح الماحي الذي قال في كتابه عن ياجوج وماجوج: "ياجوج وماجوج هو الابن الثاني لياث أحد أبناء نوح عليه السلام والذين من أصلابهم تفرقت البشرية في الأرض بعد الطوفان واختار نوح لابنه يافث مشرق الأرض سكناً له وفي الركن المنزوي بعيداً في الشمال الشرقي منها وضمن مساحة عالية الارتفاع، استقرّ ياجوج وماجوج وذريتهما فسميت تلك الأرض بادئ الأمر باسمها ولما شاع الاسم وتداولته ألسن إخوانهم وأبناء عموماتهم في مختلف العصور خضع لقواعد لغاتهم وطرق نطقها وحرف وبَدَل فيه إلى أن صار منغولياً"^(٢) أي: إن منغولياً أخذت اسمها من سكن هذه الأقوام فيها!

ومثله ما ورد عن منصور عبد الحكيم في قوله: "شعوب الأرض تأتي كلها من نسل نوح عليه السلام، لأنه بعد ما عذب الله أهل الأرض بالطوفان لعدم إيمانهم، بقي فقط من هم على ظهر سفينة نوح عليه السلام، لكن بقيّة الخلق الموجودين على السفينة لم يتناسلوا، باستثناء أولاد النبي نوح؛ ولذلك يسمّى بآدم الثاني، ونسل الأرض جاء من أولاده الثلاث: سام أبّ العرب وفارس والروم، وحام أبّ القبط والبربر والسودان، ويافث أبّ ياجوج وماجوج والثرك والصقالبة. ويافث ابن نوح عليه السلام هو أب قوم ياجوج وماجوج، أولاد يافث هم: جومر، ماجوج، ماداي، ياوان، توبال، ماشك، تيراس. وهم الآن حرفياً تحت الأرض، أغلب الظنّ أنهم يعيشون في أنفاق أشبه ما يعمله

(١) المنتظم في التاريخ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الجزء الأول، باب: ذكر البلاد.

(٢) بتصرف عن كتاب ياجوج وماجوج للدكتور الشفيح الماحي أحمد.

الإنسان المعاصر للقطارات ونحوه، لكن أيضاً بقي منهم قوم قليل فوق الأرض هم الأتراك والمغول (أهل جمهورية منغوليا وما حولها) والتتار^(١).

الغريب أن بعضهم يصرون على هذا الرأي رغم أن هناك بينهم من أدرك عمق أثر الإسرائيليات في قصة يأجوج على العقل المسلم وحذر منها كما في قول الشيخ محمد حسان: "وهذه الأخبار والروايات لا تعدو أن تكون مجرد خرافات وأوهام وخيالات وأساطير، لأنها أُجِدَّت من الإسرائيليات. أُجِدَّت من غير المصادر اليقينية؛ أي: القرآن والسنة النبوية الصحيحة، فلا يجوز لأحد بحال أن يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية إلا بالدليل الصريح من القرآن أو بالدليل الصحيح من سنة النبي عليه الصلاة والسلام. فلسنا في حاجة على الإطلاق لأن نلهث وراء الإسرائيليات والأخبار العجيبة والموضوعة لنتكلم على يأجوج ومأجوج أو عن ذي القرنين، وإنما يجب علينا جميعاً أن نقف عند النصّ اليقيني في كتاب ربنا وفي سنة الحبيب نبينا؛ ففيه الغنى". ولكنه مع ذلك التحذير الذي أطلقه يروي المناكير كما في قوله: "يأجوج ومأجوج أمثال من البشر من ذرية آدم ﷺ" (٢).

وفي رواية عن أبي هريرة تدعي أن في أقوام يأجوج ومأجوج من يدخل الجنة رغم أن النبي ﷺ قال في حديثه أنهم رفضوا الأخذ بما جاءهم به وأصرّوا على شركهم، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري (رض) أن النبي ﷺ قال: "يقول الله يوم القيامة: يا آدم فيقول آدم: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول الله جلّ وعلا: أخرج بعث النار؛ فيقول آدم ﷺ: وما بعث النار يا رب؟ فيقول الملك: من كلّ ألف تسعمئة وتسعة وتسعون إلى جهنم، وواحد إلى الجنة، فسوّ ذلك على أصحاب النبي المختار، وفي رواية 'فيئس القوم حتى ما أبدوا بضحكة' وفي رواية "فبكى أصحاب الرسول

(١) يأجوج ومأجوج، من الوجود وحتى الفناء، منصور عبد الحكيم.

(٢) من خطبة للشيخ محمد حسان في صلاة الجمعة في السعودية.

وقالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ فقال المصطفى: "أبشروا، أبشروا، فمن يأجوج ومأجوج تسعمئة وتسعة وتسعون ومنكم واحد" ثم قال المصطفى: "والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة" فكبرنا. قال: "والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة" فكبرنا. فقال في الثالثة: "والله لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"^(١).

وتجد من ينظر إلى هذه الرواية على أنها تدلّ يقيناً على إنسانية أقوام يأجوج ومأجوج، كما في قول الشيخ السعدي: "فحديثهم هذا صريح في أنهم من ذرية آدم"^(٢).

وذهب الشيخ السعودي عبد الرحمن السعدي إلى الرأي القائل بإنسانية هؤلاء الأقوام بقوله: "إن يأجوج ومأجوج أمّتان من بني آدم، من نسل يافث بن نوح، وليسوا عالمياً غيبياً كالملائكة والجنّة، إنهم من جنس الترك جيرانهم وأبناء عمومتهم، مشابهون لهم في الخلقة. وما يوجد من الآثار الدالة على مخالفتهم لصفات الأدميين فكذب مناقض للأدلة الصحيحة"^(٣).

ولم يقف الشيخ السعدي في ضمن حدود هذا الرأي بل تعدّاه مدّعياً بأنّ الكثير من الأمم الغربيّة المعاصرة، وشعوب الأرض الأخرى؛ هم من أقوام يأجوج ومأجوج كما في قوله: "إنّ الأولى أن يكون لفظ (يأجوج ومأجوج) المشتقّ من الأجيح والسرعة، اسم جنس، يشملهم، ويشمل غيرهم ممّن تنطبق عليه صفاتهم، من كثرة الشرّ والكفر، ولا يقتصر على طائفة مخصوصة"^(٤) وكما في قوله الآخر: "إنّ هذه الأمة اندفعت من مساكنها الأصليّة في منغوليا وتركستان، وتفرّعت عنها: التتر، والصين، واليابان،

(١) من خطبة محمّد حسان.

(٢) رسالتان في فتنة يأجوج ومأجوج، الشيخ عبد الرحمن السعدي، ص ٧٧.

(٣) رسالتان في فتنة يأجوج ومأجوج، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص ٥١.

(٤) المصدر نفسه، رسالتان، ص ٥٢.

والروس، واكتسحت الشعوب الأوربية، وامتزجت بهم. فهم هذه الأمم، وإن صارت لهم أسماء مخصوصة، ومن وراءهم من الأمم، كأمريكا، حكمها حكمهم^(١).

وبقي الرجل مصرّاً على هذا الرأي حتى إنه قدح بكلّ رواية تعارض رأيه، بل وقدح بروايات في مسلم والبخاري كما في قوله: "ولعلّ أبا هريرة تلقاه من كعب الأحمبار، فإنه كثيراً ما كان يجالسه، ويحدّثه، فحدّث به أبو هريرة، فتوهّم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه، والله أعلم"^(٢).

وكما في قوله الآخر: "إنّ حديث النواس بن سميان (رض) حجة للمعارض أن جنح إلى التأويل، معرضاً بأنّ الحديث قد يكون غير محفوظ! مع كونه في صحيح مسلم"^(٣).

فهو في القول الأوّل يتهم أبا هريرة بالتأثر بإسرائيليات كعب وأخذ المعلومات منه وخلطها مع السنة، وفي الثاني يتهم حديث النواس الوارد في صحيح مسلم الذي قالوا عنه (كلّ ما جاء به صحيح) بالضعف (غير محفوظ) أي: غير سالم!!

وقد خالفه محقق رسالته الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي بالقول: "وتبقى المسألة الأخيرة، وهي تحديد هوية ياجوج وماجوج الآن! فأحسب أنّ الشيخ رحمه الله، قد توسّع فيها توسعاً زائداً إلى الحدّ الذي يُفقد هاتين الأمتين كينونتهما المميّزة، واستقلالهما العرقيّ والجغرافيّ الذي دلت عليه النصوص، ويجعل اسمهما (اسم جنس) مشاعاً بين جميع الأمم والأعراق، استناداً إلى اندماج الشعوب التركيّة الطورانية بمختلف شعوب الأرض، حتى أفضى به الأمر إلى حسابان معظم أمم الأرض من ياجوج

(١) المصدر نفسه، رسالتان، ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، رسالتان، ص ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٢.

ومأجوج. وهذا غير مُسَلَّم. فالأمم والشعوب معروفة بأسمائها وأعرافها من عهد النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة. ولم تزل تقع بين الأمم والشعوب غزوات وامتزاجات دون أن تلغي خصوصيتها، أو تسلبها أصلها. ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس" (١).

وسبب هذا الخلط الهجين أنهم كانوا على قناعة تامّة بأنّ مساكن أقوام يأجوج ومأجوج تقع "في شماليّ آسيا، وتحديداً منغوليا، وشرقيّ تركستان، منحايزين فيها، لم يتمكنوا من الخروج بسبب ردم ذي القرنين مدداً طويلة" (٢).

أما مصدر هذه القناعة وهذا الاعتقاد فقد استقوه من ثلاثة مصادر:

الأوّل: مجموعة روايات نبويّة تتحدّث عن قبائل التتار التي ستغزو أرض المسلمين، فظنوا أنّ المقصود بهم أقوام يأجوج ومأجوج، وقد ذكر الشيخ السعدي بعض من ذكرها من الباحثين ليدعم قناعته بإنسانيّة هذه الأقوام فقال: "وفي منجم العمران، ص ٥٨ من ج ١: "ومن الأمم التي عرفت حركات مهاجرتها قبيلة هيونكنو التركيّة، فإنها أقدم القبائل التي نعرف تأريخ حملها على أمةٍ أخرى، ربّما كانت الأمة الهنديّة الجرمانيّة، التي كانت قاطنةً بالقرب من يوتي غاته، في الجهة الشماليّة الغربيّة من الصين، فتلك الحملة التي جعلت شأنها الفتح والتخريب، والسلب والنهب، صدرت من السور العظيم المبنيّ لصدها سنة ٢١٤ قبل الميلاد، وامتدّت حتى بلغت أقاصي غرب أوروبا، سائرةً في أواسط آسيا في الجهة الشماليّة من سلسلة جبال هملايا" إلى أن قال ص ٦٢: "ولمّا رأى الأوربيّون ما رأوا من فتوحات المنغول [هكذا في الأصل وأظنه يقصد المغول] التي امتدّت من سور الصين إلى "كراكو" في أواسط أوروبا، وإلى سواحل البحر المتوسط من غربي آسيا، في ست وعشرين سنة وقع الرعب في قلوبهم". وفي "المقتبس" قال المسعودي في كتاب

(١) المصدر نفسه، رسالتان، ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه، رسالتان، ص ٥١.

"التنبيه": "وحد الإقليم الخامس بحر الشام إلى أقصى الروم ممّا يلي البحر، إلى "تراقية" وبلاد "برجان"، و"الاستبان"، واليأجوج ومأجوج، والترك، والخزر، واللان والجلالقة" فجعلهم في أرض الترك. وقال ابن رسته: الإقليم السادس يبتدئ من المشرق، فيمرّ على بلاد يأجوج ومأجوج، ثمّ على بلاد الخزر، وينتهي إلى البحر المغرب) فانظر كيف صرّح بمجاورته لأرض الخزر، وهي معروفة قريب من قزوين. وقال البلخي في تاريخه، صفحة ٥٣٤: الإقليم السادس: يبتدئ من المشرق، فيمرّ على بلاد يأجوج ومأجوج، ثمّ على بلاد الخزر، ثمّ على وسط بحر جرجان، إلى بلاد الروم"^(١).

الثاني: رواية أخرجها أهل السنن على لسان التابعي سعيد بن المسيب يبدو أنها من فهمه الخاصّ أو منسوبة إليه، ومصدرها ليس عن حديث نبويّ، وكان الحاكم أحد الذين أوردوها وفيها: عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: "ولد نوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة: سام وحام ويافث، فولد سام: العرب وفارس والروم وفي كلّ هؤلاء خير، وولد حام: السودان والبربر والقبط، وولد يافث: الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج"^(٢).

الثالث: كما لا ينكر أثر العلوم الفلكيّة المستوردة من الحضارات الأخرى على فهم المسلمين، فأنا أرى - والله أعلم - أنّ تقسيم الأقاليم جغرافياً لدى المسلمين بهذا الشكل مأخوذ بنحو ما من قواميس علماء اليونان الأقدمين أمثال كراتس دي مالوس وبوزيدونيوس وبوليبي الذين وضعوا مثل هذه التقسيمات في زمنهم^(٣).

في ضمن هذا النسق التقليديّ الخالي من الإبداع والتجديد يقول ابن مسكويه في حديثه عن مراتب الأفق الإنسانيّ: "وأول هذه المراتب من الأفق

(١) رسالتان، مصدر سابق، الصفحات ٩٧ - ٩٨ - ٩٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الجزء ٤، ص ٥٠٩، حديث رقم ١٣٧/٨٤٢٩.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات الجغرافيّة، ييار جورج، ص ٧٠٠.

الإنساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصي المعمورة من الشمال والجنوب والشرق والغرب، كأواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج وأواخر الزنج وأشباههم من الأمم التي لا تميز عن القروذ إلا بمرتبة يسيرة^(١).

من قال إنهم أجناس غير آدمية

وقال القسم الأخير: إنهم من مخلوقات الله تعالى الأخرى، فلا هم من البشر ولا هم من الشياطين أو الجن كما يتضح ذلك من حديث حذيفة بن اليمان الذي سأل النبي ﷺ قال: "قلت: يا رسول الله وما يأجوج ومأجوج؟ قال: يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمئة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه! قال: قلت: يا رسول الله صف لنا يأجوج ومأجوج؟ قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز الطوال، وصنف آخر منهم عرضه وطوله؛ سواء عشرون ومئة ذراع في مئة وعشرين ذراعاً وهم الذين لا يقوم لهم الحديد، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى"^(٢).

وكذلك ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بما يؤكد أن هذه الأمم من مخلوقات الله سبحانه ولا تمت إلى البشر الأدميين بصلة قربي، كما في حديثه: "وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج"^(٣).

ومنه نعرف أنهم لا يمتون لبني آدم بصلة، فالناس كما يقول الإمام علي (ما خلا يأجوج ومأجوج) أي ما عدا هذه القبائل فإن الناس سبعون جنساً

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب الرازي المعروف به مسكويه، ص ٥٣.

(٢) المعجم الموضوعي، ص ١١٠.

(٣) المعجم الموضوعي للكوراني، ص ١٠٧.

كلهم من نسل آدم وحواء، وهي الحقيقة التي يستسيغها العقل والمنطق؛ ونحن نعول على هذا الحديث أكثر من غيره، لا لتعزيد حديث الإمام عليّ على حساب الحديث النبويّ مطلقاً كما قد يرى بعضهم، بل نعزده على حساب أحاديث منسوبة إلى النبيّ نشكّ بصدقها بل لا نصدّق بها؛ لأنها تتعارض حتى مع العقل، ذلك لأننا نؤمن بشخصيّة عليّ عليه السلام وصدقه، ونؤمن أنّ كلّ علم عليّ عليه السلام هو من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو القائل: "علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب" وحديثه عن أصل هذه الأمم جزء من ذلك العلم الذي أخذه عن النبيّ لا ينبغي من ورائه منفعة سياسيّة أو دنيويّة، خلاف الذين جاءوا بأحاديث منسوبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ييغون من ورائها إقناع الأمة أنّ هذه الأقوام جزء نادر من أنواع البشر الذين ليسوا من ولد حواء؛ بل من ولد آدم وتراب الأرض، أو أنهم المغول، كلّ ذلك من أجل التقليل من شأن المهديّة، وفكّ عُرى التواصل بينها وبين المسلمين بالتشويش الممنهج، لأنّ السياسة كانت ولا تزال تخشى من المهديّة أكثر من خشيتها من أعدائها الدنيويّين.

الغريب أنّ الذين سعوا لأنسنة هؤلاء الأقوام عجزوا عن إخبارنا عن محلّ وجود هذه الـ ٨٠٠٠٠٠ ألف أمة باستثناء حديث أخرجه البخاري يدعي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله الذي يبدو ببعض الروايات أنه كان يعرف كلّ شيء عنهم، ويبدو من روايات أخرى أنه يجهل كلّ شيء عنهم، كان في الواقع يجهل مكانهم إلى أن جاءه رجل وأخبره أنه رأى السدّ الذي بناه عليهم ذو القرنين، ووصفه للنبيّ كأنه البُرْد المحبّر [أي: العباءة المخططة] فصدّقه النبيّ^(١) فهل يعقل أن يكون هذا الرجل من أهل منغوليا التي تقول الروايات إنها ارض بأجوج وجاء ليقصّ خبرهم على النبيّ؟ ولمّ لمّ يحاول أحد غير هذا المخبر الذهاب لرؤيتهم، أو لمّ لمّ يرسل النبيّ صلى الله عليه وآله أحد الصحابة لرؤيتهم والتثبت من صحّة الرواية والاطمئنان على متانة السدّ بعد أن رأى الرؤيا المرعبة التي

(١) المعجم الموضوعي، ص ١٠٨ عن البخاري ٤/١٦٧.

نقلتها لنا زينب بنت جحش كما مرّ من قبل، بدل أن يبقى متخوّفاً على العرب من الشرّ الذي يراه قد اقترب؟ ولاسيّما أنّ هناك رواية أوردها المقدسي تشير إلى أنهم يسكنون الأرض؛ وقد يكونون قريبين من وجود المسلمين: 'عن مكحول أنه قال: مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها خمس مئة سنة، متتان من ذلك البحر ومنتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيه يأجوج ومأجوج وعشرون فيه سائر الخلق" (١).

ولو كانوا من جنس البشر الأدميين لما قال رسول الله عنهم: "فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس" (٢) حيث إنه ﷺ لم يدمجهم مع ولد آدم ولا مع ولد إبليس.

هذا، وقد جاء في تنمة رواية حذيفة المذكورة آنفاً: "يشربون أنهار المشرق حتى تيبس" كما جاء في رواية طويلة أخرجها الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة تحدّث فيها عنهم قائلاً: "فتمرّ الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها، ثمّ تمرّ الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثمّ تمرّ الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرّة ماء" (٣).

فما هي مصادر المياه العظيمة الموجودة عندهم في أماكن سكناهم الأرضية الحالية وهي التي كانت وما زالت تكفيهم وتكفي مزارعهم ودوائهم منذ أن خلقهم الله وستبقى إلى أن يهدموا السدّ ويخرجون؟ لِمَ لَمْ يرها أحد ولم ترصدها الطائرات والأقمار وتحّدّد أماكنها لو كانت ضمن حدود الأرض وما الكرة الأرضية اليوم سوى بيضة دجاجة موضوعة في يد علماء الفلك والجيولوجيا ودوائر الجاسوسية العالمية يقبلونها كيفما يشاءون؟ فكيف خفي أمرهم أو أمر مياهم الغزيرة التي من المفترض أن تكون أكثر من كلّ المياه المكتشفة الموجودة على سطح الكرة الأرضية لكي تكفي عددهم الملياري؟

(١) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ٧ خلق السماء والأرض وما فيها.

(٢) المعجم، ج ٢، ص ٢٩٣ والكافي، الجزء ٨، ص ٢٢٠ حديث ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه عن مسند أحمد ٥١٠/٢.

ولم لم تهتمّ دوائر الاستخبارات العالميّة بموضوع الماء الوفير لديهم، هذا إذا ما كانوا على الأرض، وهي تعرف تمام المعرفة أنّ شحّة المياه في العالم اليوم قد تقود البلدان إلى التقاتل والحروب؟

هذا وتبيّن من أحاديث وروايات كثيرة أخرى أنّ هناك أقواماً أخرى ليست من جنسهم تشاركهم السكن في مناطقهم، منها كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو الذي مرّ علينا قبل قليل الذي جاء فيه " وإنّ من ورائهم ثلاث أمم: تاويل وتارليس ومنسك " وحديث آخر أخرجه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه والترمذي في سننه عن أبي هريرة، وأخرجه أبو يعلى والطبري عن كعب الأحبار عن النبي ﷺ قال: " فيحفرون حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤوسهم " (١) أي: تسمع الأمم الثلاث المجاورة لهم صوت فؤوسهم التي يستعملونها في هدم السدّ.

وقول الديميري في حديثه عن هذه الأمم المجاورة لياجوج ومأجوج: 'ومنها منسك وهم جهة المشرق بقرب ياجوج ومأجوج لهم آذان مثل آذان الفيلة، كلّ آذن مثل كساء يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى' (٢).

يستفاد من أحاديث كهذه أنّ الأقوام المشاركين لأمم ياجوج ومأجوج في سكناهم يشابهونهم من حيث كثرة العدد ومن حيث النموّ السكانيّ ويشاركونهم في الخلقة، كما في حديث ابن مسعود الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ: " وإنّ من ورائهم أمم ثلاث: منسك وتاويل وتاريس لا يعلم عددهم إلا الله " (٣) وجملة (لا يعلم عددهم إلا الله) تستعمل عادة للدلالة على الكثرة المفرطة التي يستعصي على البشر إحصاؤها، أي: إنّ مجموع هذه الأمم إذا أضيف إلى مجموع جيرانهم أمم ياجوج ومأجوج يكونون شعوباً فوق مليارية يصعب عدّها وإحصاؤها ولا يمكن وهي في مثل

(١) المعجم، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الديميري ٤٤٧/٢.

(٣) المعجم، ج ٢، ص ٢٩١.

هذا العدد المهور أن تخفى عن الأنظار مهما تسترت وتموّهت؛ سواء كانت فوق سطح الأرض أو تحتها، هذا باستثناء فيما إذا كانت أثيرية الأجسام نشابه الجنّ في تكوينها وهذا ما لا يوجد عليه دليل.

ندرك من الروايات أنّ هؤلاء الأقوام الذين يدّعي بعضهم آدميتهم، أو أنهم من نسل آدم؛ ولكن ليس من نسل حوّاء - كما تقول بعض الروايات الغربية - يمتازون بطول العمر أو كما جاء في الحديث السابق " لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه " وأنّ نسبة النمو السكانيّ عندهم عالية جداً تفوق التصرّور، أو كما في الرواية السابقة " ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذرّيته ألفاً فصاعداً " يعني أنّ أعدادهم تزداد يومياً بنسب مهولة وغير معقولة، وتبعاً لهذا تزيد أعدادهم عن عدد البشر الذين لا يزيدون اليوم عن السبعة مليارات ضمن نسب الولادات فيهم، ملايين بل مليارات المرّات، فأين هم على كرتنا الأرضية؟

هذا، وقد جاء في حديث حذيفة عن النبيّ: هم ثلاثة أصناف، صنف أمثال الأرز الطوال، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء مئة وعشرون ذراع في مئة وعشرين ذراع؛ وهم الذين لا يقوم لهم الحديد، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى. ونلاحظ من هذا الوصف.

* أنّ أمة منهم يشبهون الأشجار من حيث الطول.

* والثانية من أمهم على شكل المكعب الذي طول ضلعه ١٢٠ ذراعاً؛ أي: ما يساوي بحدود ٦٤٠٠٠ متراً مكعباً.

وهذه الأحجام المتباينة تجلب الأنظار إليهم بحيث يصعب عليهم الاختفاء والاختباء بسهولة، فمع هذه الأحجام غير المعهودة يمكن رصدهم بيسر وسهولة، فإذا كانت الأجهزة المتطورة الحالية قادرة على رصد حركة النملة على ظاهر الأرض، فكيف تعجز عن رصد مثل هذه الكتل الكبيرة التي تقارب إحداها في الحجم ناطحات السحاب؟

وفي حديث خروجهم ترد إشارة إلى أنهم يرمون بسهامهم إلى الفضاء فترجع مخضبة بالدم فيقولون: "غلبنا أهل الأرض وأهل السماء" (١) التي يفهم منها أنهم يرمون بسهامهم من الأرض نحو السماء، والصحيح أنهم يخوضون حرباً فعلية مع سكان السماء، وإنّ السهام التي يرمونها من الأرض لها قدرة الوصول إلى أولئك السكان الفضائيين وإصابتهم، وهذه السهام ليست من جنس السهام البدائية المعروفة التي لا يتجاوز مداها عشرين متراً. وإلاّ فإنهم واقعاً لم يغلبوا أهل السماء قبل نزولهم إلى الأرض، وربما تكون الحرب قد نشبت بينهم وبين سكان السماء عند تهديمهم للسّد؛ ولكنهم فضلوا النزول إلى الأرض للسيطرة عليها والتفرغ لمقاتلة أعدائهم الفضائيين؛ فآخذوا يشاغلون أعداءهم السماويين بالسهام التي تعود إلى الأرض ملطخة بالدماء، وهذا يؤكد أنهم من سكان الفضاء، ويؤكد أنّ هناك في الفضاء سكاناً من غير جنسهم.

وإذا كانت أقوام ياجوج وماجوج متوحشة دموية فإنّ الأحاديث لم تتحدّث عن جيرانهم من الأمم الأخرى، دلت على أنهم مسالمون ولم يشتركوا بغزو الأرض، فلم تسكت عن سماع طرق فؤوسهم ولا تبلغ بذلك أحداً أو تنشر ذلك على شبكة الإنترنت أو الفضائيات أو الصحف؛ وهي ترى فيه تهديداً لوجودها أيضاً، هذا إذا ما كانت هذه الأقوام من سكان الأرض فعلاً كما هي بعض الآراء التي تحصر وجودهم بالأرض، وفي هذا تأكيد على أنهم لا يسكنون الأرض ولا يعيشون بقربها؟

وآخر ما أريد الإشارة إليه لإثبات وجود هذه الأمم خارج كرتنا الأرضية أمران:

الأوّل: عن ابن عباس في فتن ابن حماد، والفردوس، والدر المنثور، وجامع الأحاديث، وجمع الجوامع، وكنز العمال، ومجمع البحرين، وجمع

الفوائد، وعلامات قيام الساعة، وغيرها عن النبي ﷺ قال: "بعثني الله تعالى حين أسري بي إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأبوا أن يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس" (١).

هنا قد يستند بعضهم إلى قول النبي (أسري بي) للدلالة على وجود هذه الأقوام المليارية بأحجامها الأسطورية على الأرض، وتحديدًا في المنطقة العربية دون سواها مستنداً إلى أساس ثابت؛ وهو أن الإسرائ كان أرضياً تبعاً للنص القرآني ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ (٢) والمعراج كان كونياً سماوياً، ولما كان الإسرائ أرضياً فيجب أن تكون هذه المقابلة قد وقعت على الأرض وليس في السماوات. وأقول جواباً: إن النص القرآني أشار إلى أن الإسرائ كان من مكة المكرمة إلى بيت المقدس الشريف والمفروض بهذه الأقوام تبعاً للنص أن يكونوا ضمن هذه الرقعة الجغرافية على الأرض وليس في منغوليا لكي يتسنى للنبي ﷺ ملاقاتهم ودعوتهم في رحلة الإسرائ الأرضي، فأين هم؟ ولم لا نعلم بوجودهم لو كانوا حقاً في هذا المكان؟

ثم إن ما بين أيدينا من النصوص يثبت أن النبي ﷺ لم يكن يذهب إلى من يريد دعوتهم إلى الإسلام بنفسه وإنما كان يرسل لهم بعض صحابته كما في رسائله إلى كسرى فارس، وملك بيزنطة، والنجاشي، والمقوقس، وصاحب البحرين، وملكى عمان، وأكثم بن صيفي، وملوك حمير، والمنذر بن ساوى وغيرهم (٣) وقد وصل إلى أيدي المسلمين اليوم أكثر من (٣١٦) رسالة كتبها النبي ﷺ، وما لم يصل إليهم منها ربّما لا يقلّ عن ذلك عدداً وكثرة (٤) فلم لم يرسل إليهم بعض صحابته وذهب إليهم بنفسه لو كان أمر الوصول إليهم متاحاً لأصحابه أو لأحد غيره من البشر؟

(١) المعجم، ج ٢، ص ٢٩٣ والكافي، الجزء ٨، ص ٢٢٠، حديث ٢٧٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١.

(٣) ينظر: كتاب مكاتيب الرسول، علي بن حسين علي الأحمدي.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، مكاتيب الرسول، ص ٥.

ولذا اعتقد أن النبي ﷺ قصد بذلك القول الإسراء والمعراج، كليهما ولم يذكر كلمة المعراج للاختصار على أساس أن الحادثة معروفة للمسلمين ولا داع للإطالة، وأنه ﷺ التقى بهم في المعراج تحديداً، وفي مكان ما من الكون، وإن جزءاً من مهام المعراج كانت لدعوتهم إلى الإيمان بالإسلام، وهي الدعوة التي رفضوها.

الثاني: إن الذي يتسبب بموتهم بعد نزولهم إلى الأرض هو:

أما الاختلاف الحاصل بين أجواء الأرض وأجواء كوكبهم أو كواكبهم كما يوضحه الحديث "فبيننا هم على ذلك إذ بعث الله دوداً في أعناقهم كنفج الجرار الذي يخرج من أعناقهم فيصبحون موتى" (١) أي: إن أعراض التبدل لا تظهر عليهم لحظة نزولهم إلى الأرض، بل بعد ذلك بمدة قصيرة، بعد أن تقلّ مناعتهم الطبيعية. أو بسبب انتهاء مفعول المواد الواقية التي تناولوها قبل النزول إلى الأرض.

أو بتأثير جوّ الأرض على بدلاتهم الفضائية ممّا يؤدي إلى تلفها وتعرضهم للأذى من جراء ذلك.

أو بعمل ربّانيّ من نوع خاصّ مشابه لتلك الأعمال التي أباد بها الأمم العاصية من قبل مثل أهل (مدين) الذين قال القرآن بوصفهم: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ فالرجفة التي أصابتهم بالهلاك لم تكن زلزلاً من نمط الزلازل المعروفة كما يرى بعض المفسرين والباحثين، لأنهم أبيدوا إبادة كاملة، ولم تصب مبانيهم ومساكنهم بأذى فبقيت آية للعالمين.

وهناك بين المعاصرين من يقول إن الرجفة: "كانت نتيجة تأثير الرنين الناتج عن الموجات تحت الصوتية في أعضاء الجسم وهي التي تتسبب بارتجاج بعض الأعضاء الداخلية للإنسان. وما يمكن أن يدلنا على ذلك هو الاستخدام الحديث لبعض الأسلحة الفتاكة وهي التي تعتمد على الموجات

تحت الصوتية التي يبلغ ترددها (٧ هيرتز) مع درجة شدة معينة من (الديسيلز)؛ فإنها تولّد ذبذبة مماثلة لدرجة ذبذبة الموجات الصوتية، نتيجة للرنين، ولهذا تصاب الأعضاء بالرجفة التي تؤدي بدورها إلى انفجار العضو الداخلي لجسم الإنسان^(١).

ولنا في حديث القرآن الكريم قدوة حسنة، فكم من آية ذكرت فيها (الصيحة) عندما يكون الحديث عن أمر الله بفناء الأقسام العاصية مثل مدين وثمود وقوم لوط، وحتماً تتبادر إلى الذهن مجموعة أسئلة محيرة مفادها:

ما هذا الصوت ومن أين يصدر، وما درجته؟

كيف يتحوّل الصوت إلى وسيلة قتل وإبادة جماعية؟

لِمَ لا يؤثر هذا الصوت القاتل المبيد الصوت في المباني والمنشآت؟

لِمَ تختار الإرادة الإلهية وقت الصباح لتنفيذ الأمر من دون سواه؟

إن مجرد التمهيد في أمر الصيحة يدعونا إلى التمهيد أكثر في أمر النعف، نظراً إلى اختلاف أعداد الأقسام الذين أهلكوا بالصيحة عن أعداد قبائل يأجوج ومأجوج، وأرى أنّ الروايات التي تناولت موضوع النعف الذي سيتسبب بموتهم وفنائهم؛ قد جاء لتقريب المعنى، على أساس أنّ كثرة عددهم تجعل من أمر قتلهم بالأسلحة التقليدية أمراً مستحيلاً، ولما كان لا بدّ من سبب لهذا الفناء المفاجئ فلا بدّ أن يكون السبب غير تقليديّ بالمرّة بحيث يكفّ من يسمع الخبر عن الإلحاح بالسؤال عنه. ولكن حديثهم لا يعدو كونه مجرد استنتاج لا يقوم على دليل.

ولو عدنا إلى الآية القرآنية التي ورد فيها ذكرهم وذكر الردم الذي بناه ذو القرنين ليمنعهم من الخروج وقارناه بعددهم وسعة أرضهم نجد أنه يستحيل كلياً بناء مثل هذا الهيكل القادر على حجب حركة مليارات المليارات من البشر بكلّ ما متوفر لدى الدول المتقدمة المعاصرة وآلياتها المتطورة والحديثة

(١) موضوع بعنوان (الصيحة في القرآن) للكاتب رنا داود الناظر.

في أثناء عقدين أو حتى خمسة عقود؛ فضلاً عن حاجة المسؤول عن العمل إلى مليارات الأيدي العاملة التي تدير الآليات، وتديم توفير المواد وغيرها، فكيف استطاع ذو القرنين بناء ذلك الردم؟

إن قصة الردم تؤكد وجود هذه الأقوام في الفضاء، وتؤكد أن الردم المقصود لم يكن سداً مادياً يبنى بمواد البناء العادية أو صهارة النحاس والحديد والقيرو غيره؛ بل كان شيئاً أثرياً يتناسب ومكان وجودهم وكثرة عددهم وطرائق حجبهم.

وكل ما تقدم يعطينا صورة واضحة تؤكد أن هذه الأقوام موجودة خارج أرضنا بالتأكيد، وهو الرأي الذي يشاركني فيه الكثير ممن تكلموا على هذه الأقوام ومنهم الشيخ الكوراني الذي أشار إلى حقيقة وجودهم خارج الأرض أيضاً، بانياً رأيه هذا على نقلين مهمين:

١ - إن يأجوج ومأجوج قد يكونون في مكان آخر غير أرضنا، ويشير إليه قوله تعالى ﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبَأًا * هَٰؤُلَاءِ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ فقد يكون هذا السبب وسيلة فضائية، ويكون مطلع الشمس الذي بلغه في غير الأرض.

٢ - ورد أن يأجوجاً ليسوا من أبناء آدم ﷺ ففي الكافي ٢٢٠/٨ عن عليّ ﷺ قال:

"وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج"^(١) كذلك استند الباحث عباس الربيعي إلى طريقة التحليل العقلي للحديث النبوي الذي رواه حذيفة بن اليمان في أوصاف هذه الأمم للوصول إلى حقيقة وجودهم خارج الأرض فقال: "فقد افترضنا أن أيّ شعب ذكر في القرآن إما أن يكون:

١ - وجد على الأرض وانقرض.

(١) المعجم الموضوعي، الشيخ الكوراني، ص ١٠٧.

٢ - لا يزال معاصرنا على الأرض.

٣ - سيظهر في قادم الأيام.

٤ - أنه ليس من سكان الأرض.

* والأول منفيّ بنصّ القرآن الذي ذكر أنّ يأجوج ومأجوج سيعودون للإفساد في الأرض.

* والثاني منفيّ بالوجدان فلا يوجد في عصرنا ولا في أيّ عصر منذ ظهر الإسلام إلى يوم الناس هذا شعب تنطبق عليه تلك المواصفات التي ذكرنا.

* والثالث منفيّ بنصّ القرآن الذي ذكر أنّ لهم وجوداً سابقاً على نزوله.

* فيتعيّن الاحتمال الرابع وهو أنّ شعبي يأجوج ومأجوج ليسا من سكان كوكبنا^(١).

والآن بعد أن أثبتنا بصريح النصّ صحّة فرضيّة وجود هذه الأقوام. وأثبتنا استحالة وجودهم وعيشهم على أرضنا لمخالفة ذلك للمعقول والمنطق. وأثبتنا منطقيّة فرضيّة وجودهم في الفضاء الخارجيّ والعالم الآخر. فمن ألحتم بل من المنطق الاقتناع بوجود أقوام أخرى من غير جنسهم في أماكن أخرى من هذا الكون، قد يكونون هم الأمم التي وردت تسميتها في الأحاديث السابقة، أو أمماً أخرى لم ترد إشارة بشأنهم وهم مكلفون ومشمولون بإظهار الدين عليهم ممّا يستوجب امتداد سطوة الدولة المهدويّة إلى أماكن وجودهم.

طول أعمارهم

وقبل مغادرة موضوع هذه الأقوام لا بدّ من التنويه إلى ما ورد من حديث

(١) ينظر: المهديّ في العراق، عباس الربيعي، ص ١٩٥ - ١٩٦، وقد تناول الكاتب أقوام يأجوج بدراسة رائعة في الصفحات من ١٩٣ إلى ١٩٨ أثبت من خلالها وجودهم في الفضاء الخارجيّ ولكنه لم يربط ذلك بكونيّة حكومة الإمام المهديّ.

عن طول أعمارهم الذي وردت بشأنه روايات كثيرة منها رواية في سنن الداني تقول: إنّ رسول الله ﷺ قال لحذيفة الذي سأله عنهم: " لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه" ^(١) فإذا فرضنا جدلاً أنّ نساءهم يلدن في كلّ عام مرّة مثل كثير من المخلوقات ولاسيّما البشر - على أساس أنّ الروايات تقول إنهم من ولد آدم من غير حواء - أي: إنهم أخوة غير أشقاء لنا نحن البشر، فمعنى الرواية أنّ رجالهم يعمرّون أكثر من ألف سنة متزوّجين وسنين طويلة أخرى بما فيها مدّة ما قبل الزواج التي لا نعرف طولها ومدّة الشيخوخة التي لا نعرف طولها أيضاً! ويعني هذا أنّ أعدادهم قد تضاعفت مليارات المرّات منذ أن تحدّث عنهم النبي ﷺ في زمن البعثة إلى يومنا هذا، فأين هم من الأرض، وفي أيّ بقعة منها يسكنون، وكيف يتغذون ويشربون ويلبسون ويتبضعون؟ ألا يدلّ ذلك على أنهم ليسوا أرضيين وإنما من سكان الأكوان الواسعة؟

(١) المعجم الموضوعي، ص ١١٠.

الرسالات وعموميّة التكليف

في القرآن الكريم شواهد كثيرة على أنّ الله سبحانه لم يستثن أحداً من مخلوقاته من حجة إرسال الرسل منذرين ومبشرين، ولذلك ضرب للكافرين الذين أنكروا أن يكون النبيّ محمّد البشريّ قد أرسل نبيّاً كما أرسل الرسل من قبل؛ فقالوا: كيف يبعث الله بشراً رسولا؟ فقال لهم سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشِيًا لَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ الرُّسُلَ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكَاتًا رَسُولًا﴾^(١) ويعني هذا أنّ مخلوقات الله التي قال عنها القرآن: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ولاسيما منها الأزواج الحيّة العاقلة التي خلق أزواج النبات والحيوان الأخرى وسخرها لها لتقتات عليها مشمولة بلطف الله في إرسال الرسل إليهم؛ سواء كانوا موجودين على الأرض أو في الأكوان الأخرى. وسواء آمنوا بالرسول أم لم يؤمنوا. وفي هذه الأكوان سكان ودور عبادة

بيوت العبادة الكونيّة

وجود أماكن طقسيّة شعائريّة للسكان الكونيّين كما هي موجودة في الدنيا أحد الأمور المتفق عليها بين المسلمين الذين يعتقدون بوجود كعبات في تلك الأكوان مماثلة لكعبتنا في بيت الله الحرام. ففي البحار والأنوار النعمانيّة والفتوحات المكيّة عن ابن عباس في حديث عن الكعبة: "إنها بيت واحد من

(١) سورة الإسراء، الآية ٩٥.

(٢) سورة يس، الآية ٣٦.

أربعة عشر بيتاً، وإنّ في كلّ من الأرضين السبع خلق مثلنا حتى إنّ فيهم ابن عباس مثلي»^(١).

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكَتَابٍ مَّتَشَوِّرٍ * فِي رَقٍ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾^(٢) حيث قال المفسّرون عن البيت المعمور كما في تفسير ابن جرير: "سأل ابن الكواء عليّاً عن البيت المعمور، قال: مسجد في السماء يقال له الضراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثمّ لا يعودون فيه أبداً. وقال العوفي عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش تعمّره الملائكة، يصلي فيه كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثمّ لا يعودون إليه"^(٣).

وقال عنه الطبري في تفسيره: "وهو بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض. عن مالك بن صعصعة، عن رجل من قومه، قال: قال نبيّ الله ﷺ: رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ. عن خالد ابن عرعر، قال: سمعت عليّاً (رض) وخرج إلى الرحبة، فقال له ابن الكوّاء أو غيره: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السادسة يقال له الضراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ لا يعودون فيه أبداً. عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ"^(٤).

وفي تفسير ابن كثير: "ثمّ رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم، وفي كلّ سماء بيت يتعبّد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة. وزعم الضحاك أنه يعمّره طائفة من الملائكة يقال لهم الجحّ من قبيلة إبليس فالله أعلم"^(٥).

(١) الهيئة والإسلام، ص ٢٨٤.

(٢) سورة الطور، الآيات ١ - ٤.

(٣) تفسير ابن جرير للآيات الربع الأولى من سورة الطور.

(٤) تفسير الطبري للآيات.

(٥) تفسير ابن كثير للآيات.

وقال السيد الطباطبائي: "وفي الروايات المأثورة أنّ البيت المعمور بيت في السماء بعزاء الكعبة تزوره الملائكة" (١).

وكما جعل الله سبحانه أهل البيت ﷺ أماناً لأهل الأرض الدنيا فقد جعل النجوم أماناً لأهل الأكوان الأخرى. ولذا جاء في ينابيع المودة عن أحمد بن حنبل عن ابنه، وعن الحموي في فرائد السمطين، وعن الحاكم في المستدرک وابن حجر في صواعقه المحرقة عن علي بن أبي طالب ﷺ وابن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبي سعيد الخدري وسلمة بن الأكوخ وأبي موسى الأشعري وهم جميعاً سمعوه من النبي ﷺ: "النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض" (٢).

أنبياء المخلوقات الكونية

ولمن يشكك في حقيقة إرسال الرسل إلى هذه المخلوقات أقول: لما كان القرآن قد أكد جنبة إرسال الرسل للجنّ كما للبشر كما في قوله تعالى ﴿يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّونَكُمُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٣) فإنّ الإرسال يتعدى حتماً هذين الصنفين إلى كلّ الأصناف الأخرى الموجودة في الأرضين والأكوان الأخرى وإن لم يشر القرآن الكريم إليه صراحة بالاسم كما أشار إلى الجنّ. أمّا عدم الإشارة الصريحة فسببها أنّ عقول الناس لم تكن مهياًة للقبول بمثل هذا القول كما هي عليه اليوم، ولذلك اكتفى بذكر ما يعرفونه ويثقون بوجوده وهو الجنّ الذي كان واحداً من موروثاتهم الثقافية، ولم يذكر ما لا يعرفونه ولا يصدّقون بوجوده. لكنه ترك الباب مفتوحاً لكلّ الاحتمالات التي من الممكن أن تراود فكر الإنسان

(١) تفسير الميزان، سورة الطور، الآية ٤.

(٢) الهيئة والإسلام، ص ٢٨٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٣٠.

المستقبلي، فعزز ذلك بإيراد قصة يأجوج ومأجوج؛ لتكون أحد الشواهد على ذلك، رغم أنهم لم ينجحوا في تحديد هوية هؤلاء ومكان وجودهم لقصور فيهم لأنهم لم يسألوا النبي ﷺ عن المكان الذي التقاهم به ودعاهم للإيمان برسالته.

وفي هذا تأكيد أيضاً أن هذه الأقوام والمخلوقات مكلفة بالعبودية لله بدلالة إرسال الرسل إليهم، بدلالة قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهناك "من المسلمين من يقول إن في الجن أنبياء كما في الإنس ويحتج بقوله تعالى ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ مَا نَتَقَىٰ وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ وزعم ابن حائط أن في كل خلق من الخلائق أنبياء حتى في الحمر والطير والبراغيث واحتج بقوله ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا حَلِيبٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ﴾ وبقوله عز وجل ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١).

وهذا التكليف لا يسقط عن المخلوقات بانتهاء مرحلة الرسالات كما هو حال الأقوام المكلفة الأخرى؛ ومنها البشر الذين لم يسقط تكليفهم بانتهاء مراحل رسلمهم، فاليهودية لا تزال تعمل بتكليف الرسالة الموسوية، والمسيحية لا تزال تعمل بتكليف الرسالة العيسوية والمسلمين لا يزالون يعملون بتكليف الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات السماوية.

ثم إن مجرد وجود التكليف عند هذه الأقوام يوجب عدلاً أن يشملوا بكل ما تشمل به الأقوام المكلفة الأخرى ومنها البشر، ولذلك جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي مرّ علينا سابقاً: "ولا يبقى ذو أذن إلا سمع ذلك النداء" دلالة على إلقاء الحجّة عليهم وتنبههم بساعة الظهور المقدّس لكي يستعدوا لاستقبال المنقذ.

ولأنّ عدالة الله سبحانه اقتضت بعثة القائم بوصفه آخر مرحلة من مراحل البرنامج الإلهي المرسوم للكون، فإنّ هذه العدالة نفسها توجب أن يشمل

(١) البدء والتاريخ ابن المطهر المقدسي، فصل ١٠، في ذكر الأنبياء ومدة أعمارهم.

الفكر المهدويّ وبعثته المباركة هذه الأقوام أيضاً إكمالاً لما ابتدأه الرسل والأنبياء من قبلُ ومنهم نبينا الأكرم ﷺ الذي ورد في الروايات أنه أُعْرِجَ به إلى السماء أكثر من مرّة باتفاق أقوال المسلمين، حيث يتبيّن من هذا التكرار ومن الحديث الذي مرّ علينا حول دعوته ﷺ يأجوج ومأجوج إلى الإسلام، أنّ من ضمن مهامّ هذا المعراج كانت تبليغ الأقوام والأمم الأخرى رسالة الله، وهذا هو السبب الحقيقيّ لمعراجه المتكرّر إلى السماوات والعوالم الأخرى، وإنّ لم يتحدّث معهم بشأنه بنحو مكرّر؛ لأنه إمّا كان ممنوعاً عن الحديث عنه، أو أنه كان مسموحاً له الحديث بدلالة حديثه عن دعوة يأجوج، ولكنه لم يحدثهم به لأنه يعرف أنهم سيكذبونه ويشكون بصدق روايته كما شككوا في صدق روايته عن المعراج الأوّل. ولاسيّما أنه ﷺ يملك تجارب كثيرة في هذا الشأن منها قصّة استماع الجنّ للقرآن التي وردت في كتاب الله حيث حدثهم عن استماع الجنّ للقرآن وإيمانهم بدعوته وزيارتهم له واحتكامهم عنده، ومع نزول سورة الجنّ مصداقاً لذلك إلا أنهم اختلفوا في هذه المسألة كثيراً حتى إنّ بعضهم أنكر وقوع الحادثة، وبعضهم أنكر أن يكون الرسول ﷺ قد زار الجنّ أو إنهم زاروه، ولهم في ذلك أقوال غريبة موجودة في كتب السيرة والحديث والتفسير. هذا مع كونهم كانوا يؤمنون بوجود الجنّ ويروون عنهم القصص والروايات والأساطير، ويروون قصصاً عن زواجات عقدت بينهم وبين الجنّ، وقصص قول الجنّ الشعر في مدح بعض الرجال المشهورين وراثتهم^(١)، وما شابهها من القصص الأخرى؟ فكيف يا ترى سيكون الوضع إذا حدثهم عن زيارته لأقوام أخرى ليس من جنس البشر وليس من جنس الجنّ الذي كذبوا قصة استماعهم للقرآن رغم إيمانهم بوجودهم؟

وأجد في المعراج المحمّديّ رمزيّة للمعراج المهدويّ ونكتة لم يُلتفت إليها من قبلُ وهي أنّ النبيّ الأكرم صلى بالأنبياء في البيت المعمور في

(١) ينظر فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبن الجوزي.

السماء كما ورد في كثير من التفاسير؛ ومنها تفسير (البرهان في تفسير القرآن) للسيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هجرية عن النبي ﷺ: "لَمَّا أَعْرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ انْتَهَيْتُ مَعَ جِبْرَائِيلَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَرَأَيْتُ بَيْتًا مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: هَذَا هُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ، وَجَمَعَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ فَصَلَّيْتُ بِهِمْ" (١) فصلاة النبي ﷺ فيهم كانت دلالة على سلطة الظهور الديني الذي سوف يتحقق على يدي المهدي الذي سوف يعرج إلى الأكوان ويصلي أيضاً بأتباع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى للأكوان.

من خلاصة ما مرّ من الممكن أن نستخلص مجموعة مبادئ مهمة؛ منها:

* هنالك عوالم كثيرة غير عالمنا وغير مجموعتنا الشمسية.

* هذه العوالم مسكونة ومعصورة بمخلوقات من خلق الله تعالى.

* هذه المخلوقات مكلفة بأداء العبادات والواجبات كما هو الإنسان مكلف بالعبادات والواجبات، ولذلك أرسل الله لهم الرسل والأنبياء وجعل لهم كعبات يحجّون إليها كما نحجّ نحن لبيت الله الحرام.

* هنالك تواصلية من نوع خاص بين أهل البيت المعصومين وبعض هذه المخلوقات سببها أنّ بعض أصناف هذه المخلوقات آمنت برسالة الإسلام وهذا ما يوضحه الحديث الذي أخرجه الصفار في بصائر الدرجات عن هشام الجواليقي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "إِنَّ اللَّهَ مَدِينَةٌ خَلْفَ الْبَحْرِ سَعْتَهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِيهَا قَوْمٌ لَمْ يَعْبُوا اللَّهَ قَطُّ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِبْلِيسَ وَلَا يَعْلَمُونَ خَلْقَ إِبْلِيسَ، نَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ فَيَسْأَلُونَا عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَا الدُّعَاءَ فَنَعْلَمُهُمْ، وَيَسْأَلُونَا عَنْ قَائِمِنَا مَتَى يَظْهَرُ، وَفِيهِمْ عِبَادَةٌ وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ... فِيهِمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَضَعُوا السَّلَاحَ مِنْذُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قَائِمِنَا يَدْعُونَ أَنْ يَرِيَهُمْ إِيَّاهُ، وَعَمَرُ

أحدهم ألف سنة إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقربهم إليه، إذا حبسنا ظنوا أنّ ذلك من سخط يتعاهدون الساعة حتى نأتيهم فيها لا يسأمون ولا يفترون، يتلون كتاب الله كما علمناهم ولهم خرجة مع الإمام إذا قاموا يسبقون فيها السلاح منهم ويدعون الله أن يجعلهم ممّن ينتصر به لدينهم.... لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام، فإذا أمرهم الإمام بأمر قاموا أبداً حتى يكون هو من يأمرهم بغيره، لو أنهم ردّوا على ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأنفوسهم في ساعة واحدة، لا يعمل الحديد فيهم ولهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلا لقتّه حتى يفصله، يغزو بهم الإمام الهند والديلم والكرك والترك والروم والبربر وما بين جابرسا إلى جابلقا وهما مدينتان واحدة بالمشرق وأخرى بالمغرب، لا يأتون على أهل دين إلا دعوهم إلى الله وإلى الإسلام وإلى الإقرار بمحمد ﷺ ومن لم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلا أقرّ^(١) وفي هذا الحديث دلالات عظيمة يوجب الوقوف عندها، ومنها:

- ١ - إنّ حديث الإمام ليس عن السكان الأرضيين وإنما عن سكان كونيين.
- ٢ - إنّ من بين سكان العوالم الأخرى من يؤمن برسالة الإسلام التي جاء بها النبي الأكرم محمد ﷺ.
- ٣ - إنهم أكثر إيماناً من كثير من سكان الأرض.
- ٤ - إنّ تواصلية هؤلاء الأقوام مع أهل البيت، كانت لأنهم يأخذون أصول دينهم وفروعه عنهم ويتبعونهم في الفتاوى، أي: إنهم مسلمون.
- ٥ - إنهم ينتظرون ظهور الإمام المهديّ، وعندما يخرج سيكونون من

(١) المعجم الموضوعي للشيخ الكوراني، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

المقاتلين الأشداء بين يديه الشريفتين، وأنهم سيكونون نواة جيشه الذي يغزو به الفضاء والعوالم الأخرى لأنهم أساساً من سكان الفضاء.

٦ - إنهم أكثر تطوراً من البشر بدلالة أن الحديد؛ أي: السلاح لا يعمل فيهم ولا يؤثر، وسيوفهم من حديد غير الحديد؛ أي: سلاهم ليس من صنف الأسلحة المعروفة للبشر وله قدرة محو الجبال من على سطح الأرض بضربة.

٧ - إنهم ليسوا من البشر لأنهم يعمرن ألف عام.

أي: إنّ تبديل عقائد المخلوقات الأخرى ودياناتهم من غير البشر سيتم على أيديهم باتباعهم أوامر الإمام المهديّ، لكي يظهر الله دين الإسلام على الدين كله. ولذلك جاء في العياشي ١/ ١٨٣ عن رفاعة بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِيَّاهُ يُرْجَعُونَ﴾ قال: إذا قام القائم لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة لا إله إلا الله محمّد رسول الله^(١).

وفي الإرشاد / ٣٦٤ عن عليّ بن عقبة عن أبيه قال: "إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها وردّ كلّ حقّ إلى أهله ولم يبقَ أهل دين حتى يظهرها الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله سبحانه يقول ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِيَّاهُ يُرْجَعُونَ﴾" ^(٢).

إنّ الآية التي استشهد بها الإمام في حديثه تدلّ دلالة صريحة على وجود أقوام مكلفين بعبادة الله سبحانه في العوالم الأخرى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويدلّ كلام الإمام على أنّ المهديّ (عج) سوف يحمل إلى

(١) المصدر نفسه، المعجم الموضوعي، ص ٢٩٢.

(٢) المعجم الموضوعي، ص ٣٩٣.

هذه الأقسام رسالة الإسلام التي جاء بها جدّه النبيّ محمد ﷺ؛ فلا يبقى أحد في السماوات السبع والأرضين السبع إلاّ وآمن برسالة الإسلام، أي: إنّ رسالة الإسلام التي نسخت الديانات السابقة في زمن النبيّ لأنها خاتمة الرسالات ولأنّ محمداً ﷺ خاتم الرسل والأنبياء سوف تنسخ أيضاً رسالات الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله سبحانه إلى الأمم الأخرى الموجودة في العوالم الأخرى، ويحدث ذلك بالتأكيد في زمن الدولة المهدوية. وهو ما أكدّه الحديث الآخر "ولم يبقَ أهل دين حتى يظهر الإسلام ويعترفوا بالإيمان" ممّا يعني أنّ سكان العوالم الذين هم من أهل الدين بدلالة وجود أنبياء ورسل عندهم لن يستثنوا من هذا الإلزام وهم ملزمون بتبديل ديانتهم والاعتراف بالدين الإسلاميّ الذي سيحمله المهديّ إلى أوطانهم وهناك يصفح المؤمنون الملائكة (السكان)، كما في حديث المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام الذي أورده الشيخ الكوراني في معجمه^(١) حيث سيتمّ الاتصال بالمجتمعات الأخرى خارج الكرة الأرضية: "وهذا يعني أنّ الحياة على الأرض ستدخل في مرحلة جديدة يكون أوجها الانفتاح على عالم الآخرة والجنة الذي يتحرّك عالم الشهادة بزمانه ومكانه وأشياءه نحوه ليلتقي به"^(٢).

وهي اللحظة التي يتحوّل الكون فيها بعوالمه ومجرّاته وسكانه وموجوداته إلى مجرد كيان بمنزلة راحة اليد عند الإمام المنتظر الموعود يحيط بها كما يحيط المرء بما في راحة يده، حيث جاء عن الإمام الصادق أنه قال: "إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى كلّ منخفض من الأرض وخفض كلّ مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته. فأيّكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها"^(٣) حيث يشير الإمام إلى الدنيا وليس إلى الأرض وحدها، والدنيا أشمل وأوسع من الأرض لأنها تعني كلّ الأكوان.

(١) المعجم الموضوعي، الشيخ الكوراني، ص ٧١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١٤ - ٧١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧١٢.

إن الرؤية الكونية الإسلامية تؤكد بما لا يقبل الشك على العلاقة المتينة بين الأرض وسكانها والعوالم الأخرى وسكانها، فالرؤية الكونية التوحيدية كما يقول الشهيد مطهري: "تنظر إلى الكون باعتباره أحد المخلوقات التي تحفظ بالإرادة والعناية الإلهية، ولو ابتعدت عنها تلك العناية الإلهية لأسلمتها إلى الفناء والعدم. ولم يخلق الكون عبثاً ولا باطلاً، وليس للعب. بل هنالك أهداف حكيمة تكمن وراء خلق الإنسان والكون، ولم يخلق أي شيء في غير محله أو من دون حكمة ولا فائدة، والنظام الموجود هو أحسن نظام وأكملها، والكون قائم على أساس الحق والعدل وقد نظم على أساس الأسباب والمسببات" (١).

و يستخلص من هذه النظرة الموجزة حقيقة مفادها:

* إن الغاية التي من أجلها خلق الله سبحانه الإنسان على الأرض وجعلها موطناً له، هي نفسها التي خلق من أجلها العوالم الكونية وجعلها موطناً لسكان من مخلوقاته الأخرى.

* إن من تكاملية عصر الظهور أنه سيكون العصر الذي تفتح فيه هذه العوالم وهذه المخلوقات على بعضها، وتلتقي تحت سماء علم واحد لدولة واحدة هي دولة الاستخلاف الإلهي الأخير حيث سيعطي الله سبحانه للقائد المدخور (كل شيء) كما يقول إنجيل برنابا في الفصل الأربعين: "لأنني أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري، لأنني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء" (٢).

وآخر ما أريد الإشارة إليه أمران مهمان:

الأمر الأول: إن تعدد العوالم في العقيدة الإسلامية ثابت لا غبار عليه،

(١) الرؤية الكونية، الشهيد مطهري، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) ينظر: إنجيل برنابا.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدلّ على هذه التعددية منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿سَبَّارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(١) وقوله: ﴿الَّذِي تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾^(٢) وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجِرًا﴾^(٣).

ثم إن وجود السكان في هذه العوالم ثابت كذلك، وهؤلاء السكان هم من غير الملائكة طبعاً، لأن الملائكة لهم واجبات ووجودات أخرى وقد جاء عن النبي الكريم ﷺ: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أظت وحق لها أن تظّ وما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله"^(٤) ووجود الملائكة غير الوجودات الأخرى، فهم موجودون على الأرض، والجنّ كذلك موجودون ولكنهم بمجموعهم الضخم لا يشغلون حيزاً ظاهراً للعيان، فوجودهم بأيّ عدد كان لا يمنع وجود كائنات أخرى لأنّ أجسادهم أثرية.

وهذا يدلّ على أنّ السكان الذين يرد ذكرهم في الروايات هم من غير الملائكة أو الجنّ، وهم مكلفون بالتكاليف الشرعية ويعبدون الله بحسب الرسالات التي جاءهم بها رسلهم، وهم في الغالب ملتزمون بالعبادة الحقيقية، ولا يعصون الله طرفة عين، وفيهم أيضاً من العصاة الذين لا يؤمنون بالله كأقوام يأجوج ومأجوج، وربما أقوام أخرى مشابهة لا نعرفهم ولم نسمع بهم. وهم في حالتها الإيمان والشرك سوف يحتاجون إلى المهدوية لتكون حجة الله عليهم بضرورة اتباع شريعة الإسلام لمن لا يؤمن بالإسلام منهم؛ سواء كان من المؤمنين بالرسالات الأخرى أم من العصاة المعاندين لكي

(١) سورة الفرقان، الآية ٦١.

(٢) سورة نوح، الآيات ١٥ - ١٦.

(٣) سورة النبأ، الآيات ١٢ - ١٣.

(٤) عجائب الملكوت، ص ٢٢٣.

يتحقق الوعد بظهور دين الإسلام على الأديان كلها، ومن الممكن إدراك الحجية من حديث أبي عبدالله الصادق عليه السلام: "إنَّ الله اثني عشر ألف عالم، كلَّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ عالماً غيرهم، وإني حجَّة الله عليهم" ^(١) إذ يستفاد من هذا الحديث أنَّ إمام كلِّ عصر هو حجَّة على مخلوقات عصره؛ سواء كانوا من سكان الأرض أم من سكان العوالم الأخرى، فالإمام الصادق عليه السلام كان الحجَّة عليهم في عصره والأئمة الذين سبقوه أو الذين جاءوا بعده كلَّ منهم كان حجَّة على هؤلاء في عصر إمامته، والإمام المهديّ المنتظر (عج) سوف يكون الحجَّة عليهم في عصر الظهور، وسيكون آخر حجج الله سبحانه وتعالى عليهم، بل إنَّ حجَّيته ستختلف عن حجَّية الأئمة المعصومين الذين سبقوه؛ لأنَّ من ضمن هذه الحجَّية إلزام هذه المخلوقات باتباع دين الإسلام وترك دياناتهم السابقة. ولذلك ورد عنه (عجل الله فرجه) قوله في رسالته إلى الشيخ المفيد: "ونحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أراد الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت الدنيا للفساقين، فإنَّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم" ^(٢) وهي أمور تدلُّ يقيناً على وجوبية حكم الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، إنَّ الحديث عن الإحاطة بالأنباء، وكون الأئمة المعصومين عليهم السلام حجَّة على العوالم كلها أمر في غاية الأهميَّة؛ ولذا سنتوسَّع بالحديث عنه قليلاً بعد حديثنا عن الأمر الثاني مباشرة تحت عنوان (الإمام المعصوم وعالم الملكوت)

الأمر الثاني: يستفاد من الروايات أنَّ عصر الظهور سوف يكون عصر الانفتاح على هذه العوالم الكونية وسكانها حيث تفتح مخلوقات المجرات بعضها على بعضها الآخر وتفتح على سكان الأرض كذلك، فيقع التعارف

(١) عجائب الملكوت، ص ٣٦ ويوم الخلاص، ص ٤٩٦.

(٢) المهديّ الموعود ربيع الظهور، الشيخ محمَّد مهديّ شمس الدين، ص ٢٢ عن احتجاج الطبرسي ٢/٣٢٢.

بينهم جميعاً وتعرف المخلوقات التي كانت تجهل وجود ما في العوالم الأخرى أنّ الله تعالى عوالم مسكونة، ثمّ تبدأ مرحلة التزاور والتآزر بعد أن يكون المهديّ قد جمعهم على دين الإسلام.

الفصل الرابع

الإمام وعالم الملكوت

عالم الملكوت

قبل الاسترسال بالحديث عن حقيقة موضوع حكم الإمام المهديّ للأكوان وتوحيد مخلوقاتها على الديانة الإسلامية المحمّديّة لتحقيق الوعد الإلهيّ العظيم ﴿يُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وهو أمر قد يراه بعضهم عصياً أو مبالغاً فيه بشدّة أو غلوّاً شيعياً، أرى من الضرورة الحديث عن عالم الملكوت الذي هو نوع من الممارسة الشفهيّة للتواصل مع الأكوان، فقد ورد ذكر هذا التواصل في الكتاب العزيز والأحاديث النبويّة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام التي مرّ عليكم ذكرها قبل قليل، وثبت عن طريق الروايات الصحيحة أنّ الله سبحانه أطلّع بعض أنبيائه ورسله وأوصيائهم على موجودات الأكوان وبواطنها، ومنهم سيّدنا إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(١).

حيث قال ابن كثير في تفسيره: "واللفظ لمجاهد: فرجت له السموات فنظر إلى ما فيها حتى انتهى بصره إلى العرش وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما فيها. وزاد غيره فجعل ينظر إلى العباد على المعاصي ويدعو عليهم، فقال الله له: إني أرحم بعبادي منك لعلهم أن يتوبوا أو يرجعوا. وروى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعليّ؛ ولكن لا يصحّ إسنادهما والله أعلم. وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ فإنه

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

تعالى جلى له الأمر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله إنك لا تستطيع هذا فردّه الله كما كان قبل ذلك، فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عياناً ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة^(١).

وقال الطبري في تفسيره: "واختلف أهل التأويل فقال بعضهم: معنى ذلك: نريه خلق السموات والأرض. ذكر من قال ذلك: ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد قال: آيات السموات والأرض. عن مجاهد قال: تفرجت لإبراهيم السموات السبع. حتى العرش، فنظر فيهنّ. وتفرجت له الأرضون السبع، فنظر فيهنّ؛ وعن السديّ قال: أقيم على صخرة، وفتحت له السموات، فنظر إلى ملك الله فيها حتى نظر إلى مكانه في الجنة وفتحت له الأرضون حتى نظر إلى أسفل الأرض، وعن مجاهد قال: فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهنّ حتى انتهى بصره إلى العرش وفرجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهنّ. وعن سعيد بن جبير قال: كشف له عن أديم السموات والأرض حتى نظر إليهنّ على صخرة، والصخرة على حوت، والحوت على خاتم ربّ العزّة لا إله إلا الله. وعن سلمان، وعن عطاء، قالوا: لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السموات، أشرف فرأى عبداً يزني، فدعا عليه فهلك، ثمّ رفع فأشرف فرأى عبداً يزني، فدعا عليه فهلك، ثمّ رفع فأشرف فرأى عبداً يزني، فدعا عليه، فنودي: على رسلك يا إبراهيم فإنك عبد مستجاب لك، وإني من عبدي على ثلاث: إمّا أن يتوب إليّ فأتوب عليه، وإمّا أن أخرج منه ذرّة طيبة، وإمّا أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه! وعن أسامة: أنّ إبراهيم خليل الرحمن حدّث نفسه أنه أرحم الخلق، وأنّ الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم، فلما رآهم يعملون بالمعاصي، قال: اللهمّ دمّر عليهم، فقال له ربّه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويرجعوا!

(١) تفسير ابن كثير، سورة الأنعام، الآية ٧٥.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس. ذكر من قال: الضحاك ومجاهد وابن عباس، قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني به: نريه الشمس والقمر والنجوم. وعن قتادة، قال: خبيء إبراهيم عليه السلام من جبار من الجبابرة، فجعل له رزقه في أصابعه، فإذا مضى إصبعاً من أصابعه وجد فيها رزقاً. فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والأرض، فكان ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: أنه أراه ملك السموات والأرض، وما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلى له بواطن الأمور وظواهرها^(١).

وقال القرطبي في تفسيره: "ف قيل: أراد به ما في السموات من عبادة الملائكة والعجائب وما في الأرض من عصيان بني آدم، فكان يدعو على من يراه يعصي فيهلكه الله، فأوحى الله إليه يا إبراهيم أمسك عن عبادي، أما علمت أن من أسمائي الصبور. روى معناه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: كشف الله له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين. وروى ابن جريج عن القاسم عن إبراهيم النخعي قال: فرجت له السموات السبع فنظر إليهن حتى انتهى إلى العرش، وفرجت له الأرضون فنظر إليهن، ورأى مكانه في الجنة"^(٢).

أما السيد الطباطبائي فقال في تفسيره لمعنى كلمة (الملكوت) الواردة في الآية: "الملكوت: باطن الأشياء لا ظاهرها" حيث نفهم من هذه الأقوال مجتمعة أن الله أطلع إبراهيم عليه السلام على بواطن ودواخل الأكوان؛ أي: على موجوداتها من المخلوقات وليس على ظاهرها التكويني فقط."

(١) تفسير الطبري، سورة الأنعام، الآية ٧٥.

(٢) تفسير القرطبي، سورة الأنعام، الآية ٧٥.

وأعتقدُ أنّ البواطن التي يتحدّث عنها السيّد الطباطبائي هي نفسها التي قال بشأنها (تيارده شاردان) في كتابه (ظاهرة الإنسان): "لقد حان لنا أن نتأكد أنّ تفسيراً للكون - حتى ولو كان تفسيراً وضيعاً - يظلّ ناقصاً ما لم يشتمل على باطن الأشياء وخارجها"^(١).

ولم يكشف الباطن لإبراهيم وحده، بل نجد أنّ الله أطلع السيّد المسيح ﷺ على بواطن الأكوان أيضاً فقد جاء في الإصحاح الثامن والعشرين من إنجيل برنابا قول السيّد المسيح ﷺ لتلاميذه حينما لاقاهم فوق جبل الجليل "فتقدّم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إليّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض"^(٢).

وهنا قد يعترض معترض على حقيقة امتلاك السيّد المسيح ﷺ سلطاناً في السماء على اعتبار أنه كان نبياً أرضياً وكانت رسالته محصورة في حدود الأرض وحدها، وهذا الاعتراض صحيح نوعاً ما ولكن صحته تنتهي عند الروايات الإسلاميّة التي تتحدّث عن حياة السيّد المسيح بعد أن رفعه الله إليه وأبقاه حياً؛ أي: إنّ الله لم يمته كما أمات باقي الأنبياء. ففي بعض الروايات أنّ السيّد المسيح خرج من قومه وبقي في الأرض بعيداً عنهم حيناً من الدهر، ثمّ عُرج به إلى السماء لأداء مهمّة أخرى لا نعرف كنهها، والموضوع شائك وطويل وفيه اختلاف كثير لا يعيننا الخوض فيه في هذا البحث.

وليس إبراهيم والمسيح وحدهما كشفت لهما البواطن، فكذلك نبينا وسيّدنا محمد ﷺ فهو من جانب ألمّ عن طريق الوحي بأسرار الملكوت؛ فضلاً عن أنه عرج به إلى السماء السابعة فاخترق حجب الأكوان ورأى بواطنها ووصل إلى أبعد ممّا وصل إليه إبراهيم أو اطلع عليه السيّد المسيح أو حتى جبرائيل وغيرهم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٣) وهنا قد يثار

(١) قضية الخلق بين الماديين والمثاليين، عبد الرسول مهديّ عبره، ص ٦.

(٢) برنابا الإنجيل المحرم، حسن علي الصانع.

(٣) سورة النجم، الآية ٨.

سؤال مفاده: إذا ما كان الله تعالى قد أغدق على الأنبياء كرامة الاطلاع على عالم الملكوت، فهل هناك ما يستوجب أن يُطلع الأئمة المعصومين على هذا العالم أيضاً؟

وجواباً عن هذا التساؤل أقول: تؤمن مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن الإمام المعصوم يمتلك المرتبة العلمية العليا بين البشر بما يؤهله لأن يكون من المطلعين على عالم الملكوت والملتمين بأسراره عن طريق العلم المتوارث من الأنبياء؛ ولاسيما جدّهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي جمعت عنده علوم كلّ الأنبياء، ولذا نجد هناك روايات تتحدّث عن هذه التوارثية منها عن زرارة والفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: "إنّ العلم الذي أنزل مع آدم لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان عليّ عليه السلام عالم هذه الأمة وأنه لم يهلك منا عالم إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله" ^(١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: "الراسخون في العلم: أمير المؤمنين والأئمة من بعده" ^(٢).

وعن عبدالله بن مسعود قال: "استدعى رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فخلا به، فلمّا خرج إلينا سأله: ما الذي عهد إليك؟ فقال: علمني ألف باب من العلم فتح لي كلّ باب ألف باب" ^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "ثمّ إنّ رسول الله الذي حضره الذي حضره فدعا عليّاً فقال: يا عليّ إني أريد أن ائتمنك على ما ائتمنتني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه، فلم يشرك والله فيها يا زياد أحداً من الخلق" ^(٤).

وهو ما يقول عنه الأستاذ عالم مجيلس: "رؤية الإمام للأمر الإلهي

(١) الكافي، المجلد ١، ص ٢٢٢.

(٢) الكافي، المجلد ١، ص ٢١٣.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي، الجزء ١، ص ٧٤.

(٤) الكافي، المجلد ١، ص ٢٢٦.

حاضراً في ذاته، معاينته، والإحساس به متحداً بعلمه المتحقق، ثم صدور أمر هداية الناس عن هذا العلم المتحد بالأمر الإلهي ذاته" (١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: "أيها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته فإن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى نبيكم خاتم النبيين في عترة نبيكم محمد" (٢).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر قال: سمعته يقول: "لما قضى محمد نبوته واستكمل أيامه أوحى الله تعالى إليه: أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب فإني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء" (٣).

ولما كان أغلب الأنبياء قد ألموا بعلم الملكوت فإن علمهم انتقل إلى الأئمة المعصومين ليتوارثوه بينهم؛ فينقلونه من أولهم إلى آخرهم وهو الإمام المهدي كما نقله الأنبياء من أولهم آدم عليه السلام إلى آخرهم النبي محمد عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (٤).

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: "السموات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها" (٥).

وعن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام قالوا: "إن الدنيا لتمثل للإمام مثل

(١) الله والإمام، عادل عبدالله مجلس، الجزء ٢، ص ٤٥.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ١٢٤.

(٣) الكافي، المجلد ١، ص ٢٩٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٥) إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، ص ١١.

فلقة الجوز فلا يعزب عنه منها شيء وأنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء" (١).

وفي بحار الأنوار وكامل الزيارة للحافظ ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٨ هجرية مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام من جملة كلام طويل له قال فيه: "وما من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها، وما من أرض من ستة أرضين إلى سبعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم" (٢) وقوله "نؤتى بخبرهم" أي بخبر الساكنين فيها.

وعنه عليه السلام أيضاً: "والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار، وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. أعلمه من كتاب الله، أنظر إليه هكذا، ثم بسط يده" (٣).

طبعاً ليس شرطاً أن تتفق المدارس الإسلامية على حقيقة هذا الفهم ومضمونه وذلك يتوضح من مجمل آرائهم الواردة في تفسيرهم للآية ٧٣ من سورة الأنبياء، حيث ربط المفسرون من مدرسة الخلفاء الآية بما قبلها من آيات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (٤).

فقال ابن كثير في تفسيرها: "وجعلناهم أئمة؛ أي: يقتدى بهم" يهدون بأمرنا، أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام ﴿وَكَانُوا لَنَا عَنِيدِينَ﴾ أي فاعلين لما يأمرون الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو بن هاران بن أزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه" (٥).

(١) يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٣٢٣.

(٢) الهيئة والإسلام، ص ١١٥.

(٣) يوم الخلاص، ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآيات ٧١ و٧٢.

(٥) تفسير ابن كثير لسورة الأنبياء، الآيات ٧١ - ٧٢ - ٧٣.

وقال القرطبي: "أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى بأمرنا أي بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي، فكأنه قال يهدون بكتابنا، وقيل المعنى: يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد الخلق، ودعائهم إلى التوحيد"^(١).

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في إتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويتبعون عليه"^(٢).

فقصروا الحديث على إمامة من ورد اسمه في الآيات المعنيّة دون سواهم من ذرية الأنبياء الآخرين ولاسيما نبيتنا الأكرم ﷺ.

أما مدرستنا فترى غير ما يراه الآخرون، ترى أن الآيات الكريمة أشارت إلى أمر أكبر من هذه المعلومة المعروفة التي تتحدّث عن وراثة ذريّة إبراهيم ﷺ للإمامة، ومنع هذه الرؤية يتحكم به الاختلاف في الأصول بين المدارس الإسلاميّة ولاسيما بخصوص الإمامة. فضلاً هناك بين أيدي أتباع مدرسة الخلفاء قاعدة فقهية تقول (العبرة في عموم اللفظ لا في خصوص السبب) ولكنهم لم يعملوا بها لما لذلك من علاقة مباشرة بإمامة أهل البيت ذريّة رسول الله ﷺ ووارثي علمه، وهذا ممّا نختلف فيه مع المدارس الأخرى، حيث يقول السيد الطباطبائي في تفسيره: "الظاهر كما يشير إليه ما يدل من الآيات على جعل الإمامة في عقب إبراهيم ﷺ رجوع الضمير في "جعلناهم" إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وظاهر قوله: "أئمة يهدون بأمرنا" أن الهداية بالأمر يجري مجرى المفسّر لمعنى الإمامة، والذي يخصّ المقام أن هذه الهداية المجعولة من شؤون الإمامة ليست هي بمعنى إراءة الطريق؛ لأنّ الله سبحانه جعل إبراهيم ﷺ إماماً بعد ما جعله نبياً، ولا تنفك النبوة عن

(١) تفسير القرطبي للآيات نفسها من سورة الأنبياء.

(٢) تفسير الطبري للآيات نفسها.

الهداية بمعنى إراءة الطريق، فلا يبقى للإمامة إلا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وهي نوع تصرّف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر. وإذا كانت تصرّفًا تكوينيًا وعملاً باطنياً؛ فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري؛ بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ * فُسَبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ يس: ٨٣ فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم.

وعلى هذا فقولته: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ يدل على تحقق الفعل أي أن الوحي تعلق بالفعل الصادر عنهم؛ أي: إنّ الفعل كان يصدر عنهم بوحي مقارن له ودلالة إلهية باطنية هو غير الوحي المشرع الذي يشرع الفعل أولاً ويترتب عليه إتيان الفعل على ما شرع. ويؤيد هذا الذي ذكر قوله بعد: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ فإنه يدل بظاهره على أنهم كانوا قبل ذلك عابدين لله ثم أيدوا بالوحي، وعبادتهم لله إنما كانت بأعمال شرعها لهم الوحي المشرع قبلاً، فهذا الوحي المتعلق بفعل الخيرات وحي تسديد ليس وحي تشريع. فالمحصل أنهم كانوا مؤيدين بروح القدس والطهارة مسددين بقوة ربانية تدعوهم إلى فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهي الإنفاق المالي الخاص بشريعتهم. والقوم حملوا الوحي في الآية على وحي التشريع فأشكل عليهم الأمر أولاً من جهة أن فعل الخيرات بالمعنى المصدرية ليس متعلقاً للوحي بل متعلقه حاصل الفعل وثانياً أنّ التشريع عام للأنبياء وأمهم، وقد خصّ في الآية بهم، ولذا ذكر الزمخشري أنّ المراد بفعل الخيرات وما يتلوه من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة المصدر المبني للمفعول، والمعنى: وأوحينا إليهم أن يفعل الخيرات - بالبناء للمجهول - وهكذا، وبه يندفع الإشكالان؛ إذ المصدر المبني للمفعول وحاصل الفعل كالمترادفين فيندفع الإشكال الأول،

والفاعل فيه مجهول ينطبق على الأنبياء وأممهم جميعاً فيندفع الإشكال الثاني وقد كثر البحث حول ما ذكره.

وإذ كان الإمام يهدي بالأمر - والباء للسببية أو الآلة - فهو متلبس به أولاً ومنه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم فالإمام هو الرابط بين الناس وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها كما أن النبي رابط بين الناس وبين ربهم في أخذ الفيوضات الظاهرية وهي الشرائع الإلهية تنزل بالوحي على النبي وتنتشر منه وتوسطه إلى الناس وفيهم، والإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها^(١).

ومما تقدم من الممكن أن نستنتج وجود حياة في العوالم المترامية، وبعض هذه الحياة عاقلة مكلفة، ومشمولة بالتبديل المهدوي المرتقب الذي سوف يطال الأرض في آخر الزمان، بل إنها كانت مشمولة برعاية الأئمة المعصومين في وجودهم. وهو ما تحدث عنه أهل البيت الكرام بأحاديث قد يراها المخالف غلوا ولكنها في الواقع تهدف إلى تمهيد الأمر لإعلان كونية الحكومة المهدوية متى شاءت الإرادة الإلهية لأمر الكونية أن يذاع ويعرف بتبيانهم لنوع من التواصلية التي كانت موجودة بينهم وبين هذه العوالم وهي التي ورثوها عن جدهم النبي الأكرم (عليه أفضل الصلاة والتسليم)

إن هؤلاء السكان وهذه العوالم ومدنها التي أكدت وجودها الروايات السابقة سوف تفتح كلها على يد الإمام المهدي مصداقاً للبشارة المحمدية في الحديث الذي رواه أبو إمامة عن رسول الله ﷺ: "المهدي من ولدي ابن أربعين سنة، إن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان، كأنه من رجال بني إسرائيل، يملك عشرين سنة يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك"^(٢).

(١) ينظر: تفسير الميزان، تفسير الآيات ٧١ إلى ٧٣ من سورة الأنبياء.

(٢) العرف الوردية للسيوطي، ص ٧٩ - ٨٠.

عمر الدولة ووعد الاستخلاف

كل ما مر من حديث يرتبط مباشرة بعمر دولة الاستخلاف الإلهي الأخير، حيث نجد روايات واحاديث تثبط عزائم المؤمنين بإدعائها ان عمر الدولة المهدوية لن يتجاوز بضع سنين، وهذا ما تبينه فرضيات عمر الدولة الفاشية بين الناس.

فرضيات عمر الدولة

إنّ البعثة المهدويّة هي الامتداد اليقينيّ الأخير للبعثة المحمّديّة خاتمة الرسالات التي جاءت للعالمين كافة، لذا من المفروض أن تكون هذه البعثة مسؤولة أيضاً عن إلقاء الحجّة على عوالم المخلوقات الموجودة في الأكوان الأخرى. ومن هنا تأتي كونيّة الأطروحة المهدويّة التي لها وشيجة وعلاقة بحقيقة عمر الدولة المهدويّة. لكن مع كلّ الإشارات الكبيرة الدالة على ذلك لم يجرؤ أحد ما على الحديث عن الكونيّة، وربّما لهذا السبب ولأمثاله قال الإمام عليّ عليه السلام: "إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان. ولا يعي حديثنا إلا حصون حصينة أو صدور أمينة أو أحلام رزينة"^(١).

إنّ الغاية من وراء إثبات امتداد سلطة الحكومة المهدويّة إلى العوالم الخارجيّة الأخرى التي تبعد عن مجرتنا مليارات السنوات الضوئيّة لم يأت بهدف التبجح بالعظمة التي سيظهر بها إمامنا المنتظر، ولا بهدف الافتخار

بدولته التي سوف تسيطر على العوالم والأمم كلها، وليس لكيل المديح لواحده من عقائدنا التي نؤمن بها بقدر ما هو وسيلة لدعم رأينا القائل إنَّ المهدوية بصفتها دولة ونظاماً ستكون الاستخلاف الإلهي الأخير في العوالم كلها، لأنها سوف تشمل كلَّ الكون وتقلب مراتبته المتوارثة بكل سيناتها وحسناتها لتقيم النظام الإلهي الأشمل والأكمل بما لم يشهد التاريخ له مثيلاً من قبل، وهو الرأي الذي استنتجناه واستدللنا عليه من القرآن الكريم وأمّهات كتب التاريخ والحديث، ونقول المدارس الإسلامية، وهو الذي أوصلنا إلى نتيجة منطقية تقول: إنَّ هذه الدولة ونظامها الفريد سوف يستمران تحت قيادة الإمام المهديّ زمناً طويلاً، ويستمران بعد استشهاد المهديّ زمناً أطول يمتدّ لمئات السنين، وإلى ما قبل يوم القيامة بأربعين يوماً فقط. على خلاف الرأي الاعتباطيّ المقابل الذي يدّعي أنّ هذه الدولة (خرافة) وأنها حتى وإن قامت سوف تنهار ويتلاشى أثرها وتأثيرها بعد عدّة سنوات من قيامها. ويعني هذا أننا نقف أمام فرضيتين ومنطوقين مختلفين ومتعارضين ومتقاطعين، أحدهما شيعي:

الفرضية والمنطوق الأول

يمثله رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذي هو رأي المهدويين الذين يعتبرون المهدوية واحدة من أهمّ العقائد الإسلامية، وأنها ستكون في آخر الزمان بمثابة البعثة الأولى، لأنها ستأتي لإنقاذ المسلمين والعالم كله، وإقامة دولة العدل الإلهي، كما أنقذت البعثة الأولى البشر من جاهليّتهم وأقامت دولة العدل الإلهي.

الفرضية الشيعية أو الرأي الشيعي هو رأي من يؤمن بالعقيدة المهدوية الإسلامية الصحيحة التي بشر بها النبي صلى الله عليه وآله على أنها من عقائد الإسلام المهمة، كما ويؤمن هذا الرأي بمجموعة من الحقائق اليقينية الخاصة بالمهدوية مبنية على استقراء علمي للمشروع الإسلامي كله، واستنتاج منهجي

أكاديمي للنصوص الصحيحة الواردة بشأن هذا المشروع العظيم. ولذلك جاءت استدلالاته ناهضة متماسكة وأقرب ما تكون إلى حقائق الإدراك المجتمعي الإنساني بكلّ فئاته ونظمه، وقد خلصت هذه العقيدة في استنتاجاتها حول دولة الاستخلاف الإلهي الأخير إلى الحقائق الآتية:

* إن الاستخلاف الإلهي بمعناه الحرفي تحقق جزئياً في زمن البعثة المشرفة على يد النبي الأكرم ﷺ ومن بعده على يد الأئمة المعصومين ﷺ، وإنه في هذه المراحل لم يتحقق بمعناه الأشمل سراً ولا علناً؛ لأنه علناً لم يشمل الأرض كلها وإنما بقي محصوراً في حدود جغرافية معينة؛ لأنّ الله سبحانه أراد ذلك، أما سراً فإنه كان أكثر شمولية وبعداً، ولكنه لم يكن ظاهراً للناس.

* إن الدولة المهدوية هي وعد إلهي بوراثة الأرض وبالاستخلاف والتمكين الأخير، وهي الجائزة التي سيقدمها الله سبحانه لعباده المخلصين في آخر الزمان، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

* إن الأحاديث النبوية المتواترة الصحيحة هي من سمتها بـ(دولة العدل الإلهي) وهو اسم لم تتسم به لا دولة الإسلام الأولى، ولا دولة الخلفاء الراشدين، ولا الدول التوارثية التي قامت بعد هذه التواريخ في أرض الإسلام، لأن هذه الدولة ستملاً الكون كله عدلاً وقسطاً كما لم تفعله أيّ دولة من هذه الدول من قبل.

* إن هذه الدولة بهذه الصفة الفريدة لم يتحقق وجودها من قبل في أيّ مرحلة من مراحل التاريخ البشري كله، ولا في أيّ بعثة نبوية سابقة.

* إن إرسال الرسل والأنبياء التدريجي كان يهدف إلى إيصال البشرية إلى

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

قبول فكرة الاستخلاف الإلهي الأخير بمعناه ومضمونه الذي سيطبقه الإمام المهدي.

* إنَّ الإيمان بحقيقتها لا يمنع المسلمين من السعي الحثيث والمثابرة المستمرة لإقامة دول إسلامية في أي مرحلة من مراحل حياتهم؛ لأنَّ الإيمان بدولة الوعد الإلهي لا يُسقط التكليف الشرعي أو يمنع المسلمين من السعي في أي وقت لتحقيق الأهداف العظيمة التي يدعو لها الإسلام بما فيها إقامة نظام حكم إسلامي، أي: دولة تقودها الشريعة الإسلامية في أي بقعة من الأرض.

* إنَّ العمر الزمني للدولة المرتقبة سيكون خارج حدود حساباتنا وتوقعاتنا؛ لأنَّ ذلك في غيب علم الله، ويتناسب ومرحلة الإعداد الطويلة التي استمرت منذ عصر البعثة وستستمر إلى ما يشاء الله، وإلى حين ولادة هذه الدولة.

* إنَّ ذلك كله حقيقة ثابتة وليس حديث خرافة كما يحلو لبعض المسلمين أن يسمّوه حسداً وحقداً وخوفاً ووجلاً.

وهذه الحقائق الكلية تأتي على خلاف ما يدعيه المخالفون الذين يرون أنَّ الإيمان بالعقيدة المهدوية التي تبشر المسلمين بالدولة الموعودة يثبط العزائم ويمنع المسلمين من السعي لإقامة أي دولة، أو حتى التفكير بأي مشروع لحكم دولة ما بحسب الشريعة الإسلامية، والاكتفاء بانتظار تلك الدولة المستقبلية؛ لأنَّ العكس هو الصحيح، فهناك روايات صحيحة ومتواترة كثيرة تدعو المسلمين المهدويين المنتظرين إلى ضرورة العمل الجاد والمثابر لنشر الإسلام في العالم؛ سواء بالتبليغ والدعوة أو بإقامة نظم حكم إسلامية جادة؛ لأنَّ إقامة نظم إسلامية قبل الظهور سيكون من ممهّدات الظهور المقدس، وقد جاء في عقد الدرر لأبي فضل السلمي عن رسول الله ﷺ قوله: "وإنَّ الله يبعث من يمهد لولايته تمهيداً يتهدّم له شوامخ الأطواد ويجمع على موالاته

الحاضر والباد" (١) وهذا يعني أنّ المسلمين ملزمون بالعمل المثابر والفعليّ لإقامة دول إسلاميّة أو نظم حكم إسلاميّة تمهّد الطريق لدولة الإمام المهديّ المرتقبة، وأنهم كلما تهاونوا في هذا الأمر بعدت المسافة بينهم وبين رؤية الإمام الذي ينتظر منهم إتمام هذه المهمة ليأتي إليهم، فالتقصير في بناء هذه النظم هو الذي يؤخر خروج الإمام.

إنّ فشل المدّعين في إقامة النظم الحاكمة التي تتواءم ومرجعياتهم الدينيّة والفكريّة والسياسيّة إبان القرون الأربعة المنصرمة في أقلّ تقدير سبّب لهم شعوراً بالدونيّة بسبب تضخم عقدة النقص لديهم مقابل وجود وعد ربّانيّ بحتميّة قيام الدولة المهديّة فأثار ذلك نوازع الشّر في نفوسهم بما دعاهم لاتهام عقيدة المهديّ بأنها (خرافة) والقول عن دولته بأنها (خرافة) أيضاً، وأنّ ما ورد بشأنها من روايات عن النبيّ ﷺ وأهل بيته ﷺ كلّها ومن دون استثناء ممدوسة من قبل أعداء العروبة لأنها - حسبما يزعمون - تثبط عزائم العرب والمسلمين وتمنعهم من السعي لإقامة دولة إسلاميّة، أو كما نقل موقع (إسلام أون لاين) التابع للشيخ القرضاوي على شبكة النت عن الدكتور (حسام الدين عفانه) أستاذ الفقه وأصوله في جامعة القدس بفلسطين قوله: "لا يصحّ الاعتقاد بأنه لن تقوم للإسلام قائمة ولا دولة إلا بظهور المهديّ" وقد شرحت مجلة (الأهرام العربيّ) هذه المقولة على أنّ قصد الدكتور عفانه منها: أنه لا يوجد مهديّ منتظر بل "هو الوهم المنتظر، وأنّ المسألة كلّها دجل في دجل وخزعبلات في خزعبلات لا مكان لها بين أهل العلم إلا في الأدمغة التافهة" ويتساق هذا الرأي وآراء الشيخ السلفيّ (عبد العزيز عزام) والدكتور السلفيّ (طه حامد الدليمي) على موقعه (القدس) على شبكة ألت وشبكة إسلام أون لاين وغيرها من حيث قولهم: إنها "خرافة شيعة" وإنّ

(١) ينظر مقالة التوظيف السياسي لفكرة المهديّ للدكتور عمار عبودي نصار المنشورة في مجلة الانتظار التي يصدرها مركز الدراسات التخصصيّة في الإمام المهديّ.

الحديث عن المهديّ كما تقول مجلة الأهرام العربيّ: "يدخل في إطار الخزعبلات الساقطة اللاقطة"

وهذا كله مخالف لما هو مشهور عن رأي مدرستنا الذي يقف قبالة هذه الآراء، وهو الذي بني قناعاته استناداً إلى مجموعة كبيرة جداً من المباني الفكرية والعقائدية الإسلامية الصحيحة المأخوذة من القرآن الكريم والروايات الموثقة والمتواترة، ولذلك يؤمن فكرنا بأنّ نجاح المسلمين في إقامة دولة أو مجموعة دول إسلامية في هذا الزمان أو في الزمن القادم في أيّ بقعة من الكرة الأرضية سيكون من الخدمات الجليلة التي يمكن أن يقدمها المسلمون للعقيدة المهدوية؛ لأنّ هذه الدولة أو الدويلات إذا ما سارت على نهج الشريعة المحمّدية الصحيحة سوف تحوّل مجتمعاتها إلى مجتمعات عقائدية مؤمنة، وتحول أهلها إلى منتظرين ممهدين لدولة العدل الإلهي.

الذي أراه أنّ فكرة تشبيط العزائم التي يدّعي بعض أنّ الإيمان بالفكر المهدويّ يبثها بين المسلمين قد جاءت من تلك التحليلات الساذجة التي أوردها بعض المشتغلين بالحديث عن بعض الوقائع المهمة التي وقعت على التاريخ الإسلاميّ الطويل ومنها على سبيل المثال قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، حيث عللوا هذا الصلح بأنّ الحسن نزل عن الخلافة لمعاوية؛ لأنه يؤمن بأنّ المهديّ سوف يعيد للهاشميين دولتهم المغصوبة، وكأنّ حالة الانتظار هي التي زرعت (الخدلان) المزعوم عند الإمام الحسن عليه السلام فنزل عن إقامة دولته بانتظار قدوم المهديّ - الذي قد يكون قريباً - ليعيدها له! وقد انطلت هذه الكذبة الصلحاء على المتأخرين من أتباع هؤلاء؛ فأخذوا بهذا الرأي على علته من دون تمحيص، أو دراية، وحوّلوه إلى عقيدة يحاولون بها تضييف الدور المهدويّ وتوهينه.

أعود فأقول: إنّ الحسد الذي يأكل قلوب الخائبيين نتيجة فشلهم المتكرّر في إقامة (ولاية) إسلامية حتى ولو على مساحة أرض لا تزيد عن جلد خروف مدبوغ هو الذي يمنع عقولهم أن تفكر، ويحرّك ألسنتهم فقط لتدّعي من دون تفكير مثل هذه الادّعاءات الباطلة الزائفة.

الفرضية والمنطوق الثاني

يمثله رأي الآخريين وهو بشقين أو رأيين يشتركان في طرح مفاهيم خاصة عن العقيدة المهدوية، والدولة المهدوية تجرّدها من قيمتهما المعرفية، وهيتها، وتأثيرها!

أول الرأيين يدّعي أنّ فكرة الدولة المهدوية المستقبلية ليست فكرة إسلامية؛ وهي من الخرافات الدخيلة! وقد ناقشنا هذا الرأي بإسهاب وفندنا مبانيه قبل قليل. وهو من الآراء التي نجحت السياسة في زرعها داخل الفكر الإسلامي، ونجحت في تحويلها إلى معتقد إسلامي يؤمن به بعض المسلمين، ويعود أصل ولادته إلى الدهاء السياسي لمؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان، وهو ما يوضحه الحوار الذي دار بينه وبين عبدالله بن عباس، ذلك الحوار الذي جاء على خلفيّة ظاهرة كثرة تداول أحاديث المهديّ بين المسلمين يومها نتيجة تشجيع الدولة للرواة بالتحدّث بحديث رسول الله ﷺ ولاسيما منه فضائل الصحابة ونشرها بين الناس، فجاء ناتجاً عرضياً لهذا التوسّع وهذا الإكثار. حيث جاء في الحوارية قول معاوية بن أبي سفيان لابن عباس: "وقد زعمتم أنّ لكم ملكاً هاشمياً، ومهدياً قائماً؟ والمهديّ عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه" (١).

أمّا ثاني الرأيين فيدّعي: "أنّ الدولة المهدوية حقيقة سوف تتحقق في آخر الزمان [أي: إنه لا ينكر هذه الحقيقة] على يد أحد المسلمين وكنيته المهديّ، كما كان الخلفاء الإسلاميون يكونون أنفسهم من قبل، كالمستنصر والظافر والقاهر والمعتمصم، [أي: إنه ينكر خصوصيّة المهديّ المنصوص عليها في الروايات والسبب الحقيقي لتسميته بهذا الاسم المميز] وأنها دولة العدل الإلهي التي سيقمها المصلح المجدّد الذي هو الأخير من بين مجموعة المجدّدين الذين وعد النبي ﷺ بهم أمّته على رأس كلّ مئة عام، [أي إنه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، الجزء ١٦، ص ٤٤ - ٤٥.

يعتقد أنّ المهديّ لا يعدو كونه واحداً من المجدّدين الذين يبعث الله على رأس كلّ مئة عام واحداً منهم لتجديد الدين] وأنها ستكون كأبيّ دولة [عدل إلهي] إسلاميّة أخرى [أي مثل الدولتين الأمويّة والعباسيّة، بل وحتى مثل الدولتين السلجوقيّة والعثمانيّة] ولا ميزة لها عن باقي الدول الإسلاميّة التي تحقّق فيها [العدل الإلهي] ومنها الدول التي أقامها الأمويّون والعباسيّون والسلاجقة والعثمانيّون من قبل، ولكنها مع ذلك ستكون أقلّ جدارة من هذه الدول التي نجحت كلّ منها في قيادة الأمة عشرات السنين، في حين سينتهي أمر دولة الاستخلاف هذه بعد بضع سنين لا أكثر حيث يقوم قائدها بنقل السلطة بالطرق السلميّة والديمقراطيّة إلى السيّد المسيح الذي ينزل ليتولى قيادة المسلمين وتنفيذ قواعد الإسلام، أو تموت بموت مؤسسها!"

وهذا الرأي هو خلاصة لعدّة محاور كلاميّة سبق أن طرحت قديماً وحديثاً من لدن بعض من تحدّث عن العقيدة المهديّة، وتعاد الإشارة إليها في العصر الحاضر متى ما دعت الحاجة لذلك.

وفي الموضوع الذي نشره موقع (إسلام اون لاين) على شبكة ألتنت حول الشائعة التي انطلقت في مصر، وهي التي تقول: "إنّ المهديّ قد ولد حسب الإشارة التي طلعت في القمر وهي التي تبدو وكأنها تمثل امرأة ترضع طفلاً" نجد تأكيداً وإصراراً على هذا الرأي القديم الذي تفضل به على الإنسانيّة الشيخ الألباني والذي جاء فيه: "إنّ كثيراً من المسلمين قد انصرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقرّ في نفسه أنّ دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهديّ، وهذه خرافة وضلال ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وليس في شيء من أحاديث المهديّ ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أنّ النبيّ ﷺ بشر برجل من أهل بيته ووصفه بصفات بارزة من أهمّها أنه يحكم الإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجدّدين الذين يبعثهم الله في رأس كلّ مئة سنة كما صحّ عنه ﷺ".

بمعنى أنه لا حاجة لأن ينهر المسلمون بشخصيّة المهديّ وما المهديّ -

بحسب زعمهم - سوى واحد من أصل (١٤) شخصيّة أخرى مرّت على رأس القرون الأربعة عشر التي عاشها الإسلام حتى اليوم!

أقول لأصحاب هذا الرأي السطحيّ الساذج كلمة واحدة فقط: إذا صحّ وجود هؤلاء الأربعة عشر مصلحاً، فأنا أتحدّاكم أن تعدّدوا أسماءهم بالتسلسل وتعدّدوا منجزاتهم التي جدّدوا بها الدين؟ فإذا عجزتم وحتماً سوف تعجزون، أقول لكم: إذن لم يتكرّر ذكر المهديّ وفعله من دونهم بهذا الشكل الكبير إذا ما كان مجرد واحد منهم؟

وقد أراد هذا الموقع بإيراد هذه الآراء الغريبة إنكار حقيقتين أساسيتين؛ هما: (العقيدة المهدويّة في الفكر الإسلاميّ) و(الدولة المهدويّة في الفكر الإسلاميّ) أمّا الأولى فقد أورد بشأنها حديثاً للشيخ يوسف القرضاوي وهو مستقى ومأخوذ من رأي معاوية الذي أوردناه من قبل؛ جاء فيه: "ليس هناك دعوة تسمّى الدعوة المهدويّة إنما المهديّ حسب ما تشير إليه الأحاديث في هذه القضية هو رجل يحكم بشريعة الإسلام ويقيم العدل في الأرض، يملأ الأرض عدلاً، فإذا وجد الناس هذه الحقيقة، فإنّ هذا هو المهديّ الذي بشر به الرسول".

أي: إنّ الشيخ القرضاوي نفسه إذا ما نجح؛ فضلاً عن المهامّ الرسميّة المنوطة به على كثرتها وتعدّدتها - أن يحكم دولة ما بشريعة الإسلام ويقيم فيها العدل المنشود من الممكن أن يكون هو المهديّ الذي بشر به الرسول ﷺ! وهذا الرأي الساذج الغريب من الآراء التي ضُخمت كثيراً حتى إنّ بعض المروّجين له طالبوا الشيعة الذين يؤمنون بفكرة المهديّ "بالتخلص من هذه الفكرة الأسطورية التي لا تليق بعقل المسلم ولا تشرفه"^(١).

أمّا الحقيقة الثانية التي أراد الموقع إنكارها؛ أي: (الدولة المهدويّة في الفكر الإسلاميّ)؛ فقد أورد رأياً شخصياً لشيخ الأزهر السابق الشيخ عبد

(١) سيكولوجيّة الانتظار، يوسف مدن، ص ١٣٠.

الحليم محمود جاء فيه: "خبر ظهور المهديّ جاءت به نصوص السنة الصريحة، وإنه سيكون أول ظهوره بمكة، وسيكون قبل نزول المسيح عيسى بن مريم (عليه وعلى نينا الصلاة والسلام) وسيظل قائماً بأمر المسلمين ويقودهم في الجهاد حتى ينزل عيسى بن مريم حاكماً بشريعة سيدنا محمد ﷺ منقذاً لقواعد الإسلام"

أي: إنه على افتراض صحة العقيدة المهديّة ودولتها الموعودة؛ فإن أثر المهديّ فيها سيكون مقتصرأ على بناء هذه الدولة انتظاراً لنزول المسيح ﷺ ليتسلم قيادتها منه، ويحوّله إلى مواطن اعتياديّ فيها، ويتولى نيابة عنه الحكم بشريعة محمد ﷺ وتنفيذ قواعد الإسلام! وهذا الرأي مأخوذ حرفياً وبدقة متناهية من حوار معاوية مع ابن عباس المذكور آنفاً أيضاً. وقد تجاوز هذا الرأي قضية في منتهى الأهميّة وهي أنّ السيّد المسيح سيأتي نصيراً للمهديّ، وأنّ المهديّ سيؤتمه بالصلاة؛ أي: إنّ السيّد المسيح سيأتّم بصلاة المهديّ بحسب أوثق المصادر ومنها الصحيحان، وفي هذا بيان للفاضل والمفضول الذي جوزوا بموجبه خلافة أبي بكر؛ لأنّ رسول الله ﷺ أمره بالصلاة واتّم به! وهم استساغوا عدم التركيز على هذا الأمر على أساس أنّ النبيّ ﷺ الذي هو أفضل من أبي بكر وهو القائد الفعليّ للمسلمين صلى في مرضه خلف أبي بكر وائتمّ بصلاته، كما ورد في بعض الروايات! أقف هنا مستغرباً من هذا الرأي من حيث إنه لم يفتن إلى معطيات في غاية الحساسيّة والأهميّة مفادها:

* بوصفنا مسلمين نعتقد عن يقين أنّ نبيّنا محمّداً ﷺ هو آخر رسل الله تعالى للبشريّة ولا نبيّ من بعده..

* بوصفنا مسلمين لنا رسولنا، والسيّد المسيح جاء رسولاً لليهود وانتهت رسالته السماويّة بعد أن رفعه الله إليه، ثمّ نسخت بعد أن جاءت رسالة الإسلام للعالمين كافة..

* إننا نؤمن بأنّ القرآن نفى أن يأتي بعد النبيّ محمّد ﷺ رسول أو نبيّ آخر، سواء كان هذا النبيّ من الأنبياء القدماء الذين سبقت دعوتهم دعوة النبيّ محمّد ﷺ أو البشر المخلوقين بعد موت نبيّنا.

* إنَّ القرآن بشر بعودة المسيح الثانية، ولكنه لم يشر إلى أنه سيعود نبياً من جديد يحمل رسالة جديدة، كما لا يوجد في السنة النبوية الشريفة آية إشارة لأمر النبوة الجديدة، وجلّ ما ورد في شأنه من إشارات أنه ﷺ سوف ينزل بأمر الله لنصرة الإمام المهديّ وإنه سوف يصلي خلف الإمام المهديّ ويأتّم به. وهنا نكتة لطيفة لم ينتبه لها أصحاب ذلك الرأي وهي أنّ الصلاة في الديانتين اليهودية والمسيحية تختلف جذرياً عن صلاة المسلمين، ووقوف السيّد المسيح خلف الإمام المهديّ مأموماً يعني أنه سيؤدّي الصلاة الإسلامية وجوباً شرعياً؛ لأنه لا يجوز أن يقف في الجماعة ويؤدّي صلاة لا تشبه صلاتهم ولا تطابقها، أي: إنه سيأتي مسلماً تصديقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أمّا الديانة المسيحية فهي التي تدّعي أنّ السيّد المسيح سيأتي في عودته الثانية نبياً كما كان في مجيئه الأوّل. بمعنى أنّ من يؤمن بتلك النظرية لا يشكّ بأنه استقاها وأخذها من الفكر الدينيّ المسيحيّ تحديداً، أو الفكر اليهوديّ ممّا يعني أنّ هناك في عقائد بعض المسلمين الكثير من الدخائل اليهودية والمسيحية.

أعود وأسأل هؤلاء بأيّ صفة سيتسلم السيّد المسيح قيادة المسلمين وبقية الأديان الأخرى بعد أن يعزل المهديّ من منصبه الربانيّ الملكوتيّ؟ هل يتسلمها بصفته نبياً جديداً؟ أم نبياً شاء الله أن يعيد بعثته مرّة ثانية برسالته السابقة نفسها؟ أم وكيلاً للنبيّ محمّد ﷺ، ونائباً عنه في إتمام تبليغ رسالة الإسلام؟ أم قائداً سياسياً لا علاقة له بالأديان؟ أم ماذا؟

وكان الذهبيّ من قبلُ قد استغرب أيضاً في تذكرة الخواصّ من غرابة هذا الرأي فقال: "قال السديّ: يجتمع المهديّ وعيسى بن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهديّ لعيسى: تقدّم. فيقول عيسى: أنت أولى بالصلاة، فيصلي عيسى وراءه مأموماً قلت: فلو صلى المهديّ خلف عيسى لم يجز لوجهين: أحدهما لأنه يخرج عن الإمامة بصلاته مأموماً فيصير تبعاً. والثاني؛

لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَقَدْ نَسَخَ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ، فَلَوْ صَلَّى عَيْسَى بِالْمَهْدِيِّ لَتَدَنَسَ وَجْهُ " لَا نَبِيَّ بَعْدِي " بِغِبَارِ الشَّبْهَةِ ^(١).

هذه خلاصة ما تضمنه الرأي الآخر لمدرسة الخلفاء من أفكار وهو الرأي الذي سوف نناقشه ونمتحنه بتوسع الآن إن شاء الله تعالى، لكن علينا أولاً أن نعرف ببساطة مفهوم الدولة لكي نعرف مدى مصداقية هذا الرأي. ولتقريب حقيقة مفهوم الدولة ونظامها لمن لا يعرف حقيقة الدول وكيفية نشوئها واستمراريتها؛ فيدعي أن دولة الإمام المهديّ لن تختلف عن الدول الإسلامية الأولى بدلالة أنها من الممكن أن تنهار بكلّ فواصلها ومؤسساتها في بضع سنين، لا بأس من الاستئناس بالأراء المختلفة للمدارس الفكرية التخصصية في هذا الشأن.

وأول ما يمكن أن نبدأ به هذا المبحث هو حديث الإمام الصادق ﷺ الذي ورد في الإرشاد، وروضة الواعظين، وإعلام الوري، وكشف الغمة، وإثبات الهداة، والبحار والأنوار البهية، ومنتخب الأثر، وغيرها، لكي يكون هذا الحديث مدخلاً لمعرفة معنى الدولة المهدوية التي وصفها الإمام الصادق وصفاً دقيقاً؛ ولاسيما في قوله ﷺ: " إِنَّ دَوْلَتَنَا آخِرَ الدُّوَلِ "

فما هي هذه الدولة التي يتحدّث عنها الإمام؟ وهل تكون آخر الدول ولا دولة بعدها؟

جاء في هذا الحديث الذي أورده ثقاتنا عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق ﷺ: " إِذَا قَامَ الْقَائِمُ حَكَمَ بِالْعَدْلِ وَارْتَفَعَ فِي أَيَّامِهِ الْجُورُ وَأَمِنَتِ السَّبِيلُ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ بَرَكَاتَهَا وَرَدَّ كُلُّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَبْقَ أَهْلُ دِينٍ حَتَّى يَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَيَعْتَرِفُوا بِالْإِيمَانِ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وَحَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِحَكْمِ دَاوُدَ وَحَكَمَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ الْأَرْضُ كَنُوزِهَا وَتَبْدِي بَرَكَاتَهَا وَلَا

(١) الاحتميات من علائم الظهور، فاروق الموسوي، ص ٢٧٣ عن تذكرة الخواص، ص ٣٢٥.

يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولبرّه لشمول الغنى جميع المؤمنين، ثم قال: إنّ دولتنا آخر الدول ولم يبقَ أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لثلاثا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء وهو قول الله ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

مفهوم الدولة

فما هو مفهوم هذه الدولة الغريبة؟ وأقول جواباً: لا يخفى أنّ لفلاسفة الغرب المعاصرين آراء متباينة في مفهوم (الدولة) هذا المفهوم الذي تبلور في أثناء القرون الثلاثة الماضية من فكرة طوباوية غير واضحة المعالم إلى كيان ذاتي مستقلّ ومهمّ، فمن دولة التجوهر التي تجسّد الأمة، وتحمل قيمها حيث تكون الجماعة الإقليمية هي الشخصية الاعتبارية للدولة، إلى دولة القانون التي تكون الجماعات الإقليمية كيانات وسط كيان الدولة، ومن دولة السلطة المطلقة إلى دولة تقنين السلطة، ومن الدولة الشمولية إلى الدولة الديمقراطية، كان الفلاسفة يجولون بفكرهم لوضع التعريفات المعيارية لهذا الكيان. وقد تساءل (جاك باغانار) بقوله: "إذا كانت الدولة سيّداً مطلقاً فكيف نفسّر خضوعها لقواعد الحق"^(٢) حيث أفرز هذا السؤال حقيقة هذا التضارب الفكري الذي يتمثل بأربعة اتجاهات:

* ينكر الأوّل سيادة الدولة ويؤكد تأكيداً قاطعاً أنّ الحق لا يرتبط بها.

* ويدّعي الثاني - ذو الاتجاه الماركسي - أنّ الدولة لا تخضع خضوعاً حاسماً للحق؛ لأنه هو الذي يرتبط بها كما في قوله "وعندما تتغير الطبقة المسيطرة بصورة حتمية بسبب الجدلية الثورية ينجم الحق عن هذه الطبقة الجديدة التي ستزواج مصالحها بالسلطة"

(١) المعجم، ج٧، ص٨٥.

(٢) الدولة مغامرة غير أكيدة، جاك باغانار، ص٦٧.

* ويؤكد الثالث أن القانون الطبيعي المتشكل بالتزامات متأصلة شاملة، فوق الدولة.

* أما الرابع فيعترف بعدم خضوع الدولة المبدئي للحق ويضيف: "إن الدولة بملء إرادتها تقرر الخضوع الذاتي للحق"^(١).

وتؤكد هذه الاتجاهات أو الفرضيات حقيقة نظم الدول التي تعارف البشر على إقامتها على مدى التاريخ. وهناك قبالتها آراء خاصة بالأمة التي هي أساس قيام الدول، ومنها رأي (سيلفيان ريمي) في المعجم الفرنسي الذي يقول: "إن كلمات: شعب - أمة - دولة - بلد - وطن تتحد بتطابق: سمة إنسانية (مجموعة إنسانية) بسمة جغرافية (إقليم محدد) وسمة بنيوية (سلطة مشتركة)" وقد أورد جاك باغانر مجموعة من الآراء في هذا الشأن منها:

الأمة: هي المجموعة الإنسانية التي تشكل جماعة سياسية تقوم على إقليم محدد أو مجموعة أقاليم محددة تتجسد بسلطة وسيادة عليا.

الأمة: جماعة تاريخية لا يمكن لأي مشروع فردي أو جماعي أن يملك القدرة على خلقها وابتكارها.

في حين يقول (إيرنست رينان): "لا يمكن للأمة أن تتماهى بعرق محدد؛ لأننا كلنا هجناء ومولدون وسيكفي لإقناع أنفسنا الكشف عن بعض الذرّيات والأنسال عندها سنكتشف تبخر هذا المعيار السخري الذي من المستحيل أن يعيد انتماء البشر لأرومة صافية".

ويرفض رينان المعيار الديني بسبب ما ترخص به الحرية الدينية ولأنه بعدد غير قليل من الدول المعاصرة ينتمي إلى الأمة نفسها المواطنون الذين يمارسون اعتقادات مختلفة^(٢) أما هذه الفرضيات فتؤكد الخصوصية القطرية التي أنشأتها نظم إقامة الدول الأولى التي شطرت أبناء الأمة الواحدة إلى مجموعة كيانات متصارعة تفضل قطريتها على اثنيها وروابطها الدموية.

(١) الدولة مغامرة، جاك باغانر، ص ٦٧ - ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، الدولة مغامرة، ص ٤٥ - ٤٧.

تجربة إقامة الدول ونجاح هذه التجربة في التطبيقات العملية التي كان من محصلاتها كل تلك المكاسب التي جناها الفرد والمجتمع نتيجة وضع السلطات بيد جهاز مستقل محايد واحتكار هذه السلطات لها بعد أن كانت بيد الأفراد أنفسهم جعلت العالم يرى أنه من المستحيل العيش والاستمرار بالحياة ضمن نسقها التطوّريّ من دون هذا النظام، وهو أمر أكدّه الإمام الصادق عليه السلام بحديثه الذي أورده العياشي في تفسيره والمجلسي في بحاره وغيرهم في تفسير قوله تعالى ﴿إِن يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَذَائِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ بقوله: "ما زال مذ خلق الله آدم: دولة لله ودولة لإبليس، فأين دولة الله؟ أما هو إلا قائم واحد"^(١).

وقد تساءل (باغانار) عمّا يحدث إذا تلاشت الدولة - الأمة واحتفت؟ وتوقع في إجابته أنّ زوال الدولة سيطلق العنان لاندفاعات السوق وقدرته^(٢) بكلّ ما تمثله هذه الاندفاعات المادّية من تهديد مباشر لكلّ القيم، بما فيها القيم الدينية والإنسانية؛ لأنّ انفلات عنانها يعني انعدام قوّة حقيقيّة لها قدرة التأثير في طرق الكسب غير الخاضع للموازن الأخلاقيّة الذي ستسعى لتحقيقه بكلّ السبل والوسائل المتاحة لها. وهو الأمر الذي عشنا تداعيات بعض نتائجه عند انهيار الدولة العراقيّة بصفته نظاماً حاكماً على يد القوات الأمريكيّة الغازية في عام ٢٠٠٣.

ما يجب أن نذكره بفخر أنّ هذه الآراء قبل أن تتبلور بهذا الشكل عند علماء الغرب ومفكره وتصبح من المفاهيم المتداولة كان العقل الإسلامي قد أدرك أهمّيّتها منذ أيّامه الأولى كما أدرك أهمّيّة الدولة والأمة، لا من حيث الحدود المعياريّة الضيقة التي تعيشها الدول اليوم، بل ضمن نسق انفتاحي

(١) المعجم، ج٧، ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٣.

يتماهى مع عقيدة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١) ولذلك بقي هذا التصوّر مستمراً على مدى الأجيال حتى إنّه جعل الدولة الإسلاميّة العالميّة التي ستقوم في آخر الزمان مقياساً معيارياً لكلّ أصناف الدول التي قامت قبل قيامها؛ فانظر لقول الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ دولتنا آخر الدول، ولم يبقَ أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لثلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا بسيرة هؤلاء"^(٢).

المسلمون من جانبهم يتفوقون جميعهم - إلا من شذ منهم - على أنّ للمهديّ الموعود دولة، وهي دولة العدل الإلهيّ الموعود، ولكن ممّا يدعو للدهشة والاستغراب أنهم يختلفون في معرفة حقيقة هذه الدولة وقيمتها وأهمّيّتها ومعناها، وعلاقة هذه الدولة بالبرنامج الإلهيّ المرسوم للكون، وبالوعد الإلهيّ، وبيوم القيامة، وبالرحمة الإلهيّة، وبأصل وجود الكائن البشريّ نفسه.

ونتيجة هذه الاختلافات، اختلفوا في عمر هذه الدولة؛ لأنّ بعضهم لم يعرفها على حقيقتها فيرى بعثيّة واعتباطيّة عالية أنّها لن تدوم سوى سبع سنين أو تسع، وذهب المتفائلون منهم إلى أنّها ربّما ستعيش أربعين أو سبعين عاماً، ولكنها بحسب زعمهم سواء عاشت سبع سنين أو سبعين عاماً؛ فإنّها سوف تنهار بعد ذلك كليّاً بحيث تنتهي منظومتها العقائديّة بالكامل ويعود الإنسان بعدها إلى طبيعته الحيوانيّة الأولى. واستندوا في ذلك إلى مجموعة كبيرة من الأحاديث المتضاربة التي تتحدّث عن عمر المهديّ بعد تمام قيام هذه الدولة ومنها:

حديث أبي سعيد الخدري: "ويعمل على هذه الأمة سبع سنين"^(٣).

(١) سورة سبأ، الآية ٤٨.

(٢) الزام الناصب، الزيدي، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٣) العرف الوردی، ص ٦٧.

وحديث أبي هريرة: "يكون في أمّتي المهديّ إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع" (١).

وحديث الزهري: "يعيش المهديّ أربع عشرة سنة ثم يموت موتاً" (٢).

وحديث أرطاة، ودينار بن دينار قالا: "يبقى المهديّ أربعين عاماً" (٣).

ومع أنّ ما يفهم من هذه الأحاديث أنها تشير إلى عمر المهديّ الذي سيقضيه بعد الظهور ثم يموت، إلا أنهم اعتبروها إشارة تدلّ على مدّة حكمه الفعلية، ومدّة قيام دولته وعمرها على اعتبار أنها سوف تنتهي بموته. وبغضّ النظر عن صحّة المدّة التي سيقود المهديّ فيها دولته بسبب تضارب الروايات أو تضارب درجات فهمنا للروايات الواردة بشأنها كثيراً، حيث لا يتفق اثنان على رقم محدّد ومشهور إلا أنّ في ظنّ هؤلاء أنّ المهديّ؛ سواء عاش سبع سنين أو أربعين أو سبعين سنة؛ فإنّ دولته سوف تنهار بعد هذه المدّة كلياً، ليعمّ الشرّ الكون كله مدّة قصيرة من الزمن لا تزيد على أربعين يوماً، ثم تقوم الساعة بعد ذلك وينتهي عمر العوالم كلها فتقوم القيامة!

وقالوا: إنّ الساعة لن تقوم إلا على شرار الناس وأراذلهم، يوم لا يبقى على وجه الأرض مؤمن بالله تبعاً للحديث النبويّ الذي أخرجه مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه والأشبيلي في الجمع بين الصحيحين والصاغاني في الجمع بين الصحيحين والصنعاني في مبارق الأزهار والقرطبي في التذكرة، بصيغ متقاربة عن أمّ المؤمنين عائشة: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامّ قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث ريحاً

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٣ و ١٢٤.

طَيِّبَةٌ فَتُوفِي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خِرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ" (١).

وهنا لا يفوتني أن أذكر أنّ بعض المسلمين الذين يؤكدون قصر عمر دولة الإمام المهديّ ويعترضون علينا حينما نتحدّث عن هذه الدولة وعمرها الطويل ترفض عقائدهم التي يؤمنون بها مسألة الحساب وتعدّها بدعة مضلة، ولكنهم بعدما أفلسوا أمام صحّة الروايات التي أوردتها كتاب الصحاح التي يصعب عليهم تكذيبها جاءوا ببدعة السنين السبعة، بل جاءوا ببدعة استحالة تحقق الدولة المرتقبة.

ولكي أكشف تناقضهم الغريب هذا سوف أورد أقوالهم التي اعترضوا بها على كتاب أصدره أحد الكتاب المصريّين هو الداعية المهندس أمين محمّد جمال الدين وعنوانه "عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهديّ ﷺ" فقد أغاظ الكتاب كثيراً من المتعصبين الذين هاجموا وكفروا المؤلف ممّا اضطرّه إلى وضع كتاب آخر بعنوان "ردّ السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهديّ ﷺ".

وممّا جاء في الكتاب الثاني قول الداعية المصري: "قالوا: لا يصحّ أن نقول: "عمر أمة الإسلام" ولا أن نقول: "حديث عمر الأمم" ومسألة الحساب بدعة لا تجوز أصلاً" (٢) فأجابهم الداعية بقوله: "قلت: أمّا قولكم: لا يصحّ أن نقول: "عمر أمة الإسلام" فمنقوض بالآتي: قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقال رسول الله ﷺ: "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم.. فالتعبير بلفظ الأعمار أو العمر هو من استعمالات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة" (٣).

(١) المعجم ج ٣ ص ٤٧٥.

(٢) ينظر: رد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهديّ ﷺ، أمين محمّد جمال الدين، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه، رد السهام.

وقال أيضاً: "فإن قال قائلهم: لغة الأرقام التي استخدمها المؤلف ليست معهودة في دين الإسلام، وما استخدمها العلماء من قبل"

قلت: "يا الله العجب! هذا القول لا يسقط فيه أصغر شبل من الأشبال من طلبه العلم ممن يقرؤون القرآن، ولو كانوا يفعلون لوجدوا فيه قوله سبحانه: ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ﴾ وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١).

خلفاء المهدي المرتدون

أما الذين سيدفعون شعب الدولة المهديّة المنهارة إلى الارتداد والنكوص إلى الكفر، فهم - بزعم أصحاب هذا الرأي - الخلفاء الذين يخلفون المهديّ على دولته بعد موته، والذين لا يلبث كلّ منهم أيضاً سوى مدة قليلة كما في حديث كعب في أدناه الذي يؤكد فيه أنّ خلفائه - أي خلفاء المهديّ على حكم دولته من بعده - سوف يمهدون بأنفسهم وبأعمالهم الشريرة والفسادة للارتداد الكلّي للبشريّة، بحيث تعود كلّ الناس إلى عبادة ما كان يعبد آباؤهم من قبل، وطبعاً لن تكون عبادة الله تعالى من ضمن هذه العبادات والمعتقدات، بل إنها ستكون العقيدة الأكثر تضرراً.

ويختلف هذا الرأي مع ما نذهب نحن إليه اختلافاً كبيراً، ولاسيّما أنه يعني أنّ الانقلاب العلمي والسلوكي والعقدي والكوني والمفاهيمي والفلسفي الذي تحقق بمقدم المهديّ، والوعد الربّاني بالظهور والنصرة والاستخلاف ودولة العدل المطلق والإنسان الآدمي الكامل، وكلّ تلك العرفانيّات التي عاشتها البشريّة مئات السنين وهي تتحرّق شوقاً للقاء المهديّ والعيش في أفياء دولته، كلها سوف تنهار دفعة واحدة مقابل قوى الرّدة والظلام والكفر والشرك، حيث تقف إرادة إبليس مقابل إرادة الله تعالى، وتنتصر عليها، حتى

(١) المصدر نفسه، رد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام، ص ١٦.

إنّ الناس كلهم من دون استثناء سوف يتركون عبادة الله تعالى ويعبدون إبليس والأصنام التي زَيَّنَها لهم وأغواهم بعبادتها. والروايات في هذا الشأن مستفيضة ومنها على سبيل المثال:

الحديث الذي جاء به كعب الأحبار، وهو حديث أرى أنه من جعلته وتراثه اليهودي وليس منقولاً عن النبي ﷺ؛ لأنه لا يرجعه إلى النبي أساساً، وقد جاء فيه: "يموت المهديّ موتاً ثمّ يلي الناس بعده رجل من أهل بيته فيه خير وشرّ وشرّه أكثر من خيره، يُغَضِبُ الناس، يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة، بقاؤه قليل، يثور به رجل من أهل بيته فيقتله، فيقتل الناس بعده قتلاً شديداً، وبقاء الذي قتله بعد قليل ثمّ يموت موتاً، ثمّ يليهم رجل من مضر من الشرق، يُكْفِرُ الناس ويخرجهم من دينهم" (١).

والحديث الآخر عن الزهري: "يموت المهديّ موتاً، ثمّ يصير الناس بعده في فتنة ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم فيبايع له فيمكث زمناً. ثمّ يُمنع الرزق" (٢).

والحديث الثالث عن عبدالله بن عمرو بن العاص: "بعد الجبابرة الجابر ثمّ المهديّ ثمّ المنصور، ثمّ السلام ثمّ أمير العصب. فمن قدر أن يموت بعد ذلك فليمت" (٣).

وعنه أيضاً: "ثلاثة أمراء يتوالون تفتح الأرضين كلها عليهم، كلهم صالح: الجابر ثمّ المفرج ثمّ ذو العصب. يمكثون أربعين سنة. ثمّ لا خير في الدنيا بعدهم" (٤).

وحديث آخر عن أبي قبيل: "لا يكون بعد المهديّ أحد من أهل بيته يعدل في الناس. وليطولنّ جورهم على الناس بعد المهديّ" (٥).

(١) العرف الوردي ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، العرف الوردي، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، العرف الوردي، ص ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

ومع أنّ هنالك من خالف هذا الاعتقاد بأنّ قال: إنّ القحطاني وهو الخليفة الذي يجيء بعد المهديّ لا يقلّ عنه عدالة وقدرة وقوّة ونصرة وعوناً، كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير عن قيس بن جابر عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثمّ يؤمر بعده القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه" (١).

إلا أنّ هذا الحديث لم يشفع للعدالة بالمكوث والاستمرار؛ لأنّ هناك أحاديث أخرى على غرار الأحاديث السابقة تقول: إنّ الشر سيأتي بعد موت المهديّ مباشرة، أي حتى قبل المدة التي حددها عبدالله بن عمرو بن العاص في حديثه وباللغة أربعين عاماً. وكما يتبين من الحديثين أدناه:

أخرج الطبراني في الأوسط قال رسول الله ﷺ: "ويظهر العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتهم فيحيا سبع سنين، ثم ما تحت الأرض خير مما فوقها" (٢).

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "فيمكث سبعا أو تسعا ثم لا خير في الحياة بعد المهديّ" (٣).

الذي أراه أنّ هذا التصوّر الغريب والمخيّب للآمال جاء نتيجة عوامل عديدة منها:

* الخلط الحاصل في الروايات، وبالأخصّ بين الروايات التي تحدثت عن مدة حكم الإمام المهديّ وليس عن مدة مكوث دولته التي سيقمها وبين روايات الساعة، وهذا الأمر معروف ومشخص لذوي الاختصاص بالمهدويّة.

* ومنها أنّ بعض هذه الأحاديث جاءت للطعن بقاعدة (الرجعة) التي يقول بها بعض علمائنا.

(١) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٣ - ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٢.

- * ومنها أنها جاءت بسبب المؤثرات السياسيّة التي كانت تعمل بكلّ جدّ للانتقاص من أهل البيت ودورهم البنائيّ والفكريّ والقياديّ.
- * ومنها أنها اختلقت أو حرف معناها بسبب العداة لمدرسة أهل البيت وأتباعها.
- * ومنها التقليل من أهميّة المهدويّة لإطفاء هالتها الوهاجة في عقول المؤمنين خوفاً منها ومن سماع أخبارها.
- * ومنها الخلط والدمج بين الروايات والأحاديث نتيجة الإكثار من الرواية والاشتباه.
- * ومنها ما يعرف بساسيولوجيا التلقي وهي التي يقصد بها اختلاف قدرات التلقي عند المستمعين مما يجعلهم يغيرون صيغ ومضمون ما سمعوه من دون قصد.
- * ومنها التحريف المتعمد والتصحيف المقصود بدوافع مختلفة.
- وإلا فإنّ الأرض كانت تسير منذ نزول آدم ﷺ وستبقى تسير إلى يوم الظهور نحو مرحلة الامتلاء بالظلم والجور، والامتلاء هنا لا يعني التراكم الكميّ كما تتراكم الأشياء بعضها فوق بعضها الآخر، وإنما التراكم الفكريّ التجريبيّ الوراثيّ الذي تنتجه التجارب المختلفة كما هو حال التجارب العلميّة التي تتراكم في الدماغ فتساعد وتسرع إنجاز التجارب اللاحقة. ومرحلة الامتلاء هي المرحلة التي حذر منها النبيّ وأهل بيته الأئمة المسلمة في أحاديثهم المتواترة.
- أما الأرض فإنها سوف تصل إلى قمة انحدارها الذي تصفه الروايات بالجملة المعروفة "ملئت ظلما وجورا" قبل عصر الظهور. وحينما يأتي المهديّ سيملؤها "قسطا وعدلا" في بضع سنين بعمل إعجازيّ توافرت له كلّ مقومات النجاح، وبالتوصيف المقياسيّ والمعياريّ، تعادل هذه السنوات على محدوديتها بالمقدار كلّ المدة الأولى للحاكميات الدنيويّة السابقة منذ بدء

الخليقة، ولكنها تختلف عنها بالاتجاه، فهل من المعقول أن تعود كلّ شرور الأجيال الغابرة بهذه القوة المرعبة في بضع سنين فقط؟ إن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت هذه القوى الشريرة تملك مقومات النصره نفسها التي امتلكها المهديّ في مرحلة البناء أو أكثر منها؛ لكي تنتصر على فكره ودولته.

الذي أراه أنّ هذا التصوّر العبثيّ الاعتياديّ لا يستند إلى دليل، ويخالف العقل والمنطق، لأنّ المهديّ - في رواياتنا - يحكم أكثر من ثلاثمئة عام كما في الحديث المشهور الذي أخرجه السيد علي بن عبد الحميد في الغيبة، والمجلسي في البحار وكتب أخرى منها إثبات الهداة، وملحقات إحقاق الحق، ومفتاح الجفر، عن الإمام الباقر عليه السلام: "يملك القائم ثلاثمئة سنة ويزداد تسعاً كما لبث أهل الكهف في كهفهم يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً فيفتح الله له شرق الأرض وغربها ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمّد ويسير بسيرة سليمان بن داود ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه وتطوى له الأرض ويوحى إليه فيعمل بالوحي بأمر الله" ^(١).

وحتى لو عاش المهديّ سبعاً، أو تسعاً، أو أربعين، أو سبعين سنة كما في بعض روايات المدرستين فإنّ ذلك لا يغيّر من واقع الحال شيئاً؛ لأنه سيكون ساعتها قد أحدث الانقلاب المطلوب، الذي سينجح بإحداثه بواسطة الدعم الإلهيّ غير المحدود، والنصرة غير المتناهية، بحيث يستحيل أن يكون هناك انقلاب آخر له قدرة قلبه وتغييره إلى الضدّ منه، لا في بضع سنين، ولا في عشرات ولا حتى في مئات السنين.

ثمّ إنّ الدولة التي سوف يقيمها المهديّ تعيش إلى ما شاء الله، وتعيش المخلوقات في أفيائها طوراً عرفانياً جديداً ربّما يمتدّ لمئات السنين بدلالة أنّ الإمام عليّاً عليه السلام وصف كلّ نظم الدول التي قامت قبلها بال(الجولة) ووصفها

(١) معجم أحاديث المهديّ، ج ٤ ص ٥٠٢.

بـ(الدولة) كما في قوله في خطبة الافتخار: "ألا وإن للباطل جولة وللحق دولة" (١).

وإن الذين سيتولون قيادتها هم مجموعة من المهديين الكرام كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام: "قلت: فمن بعده؟ قال: من بعده مهديّ بعد مهديّ إلى انقضاء الخلق" وليس كما ادّعى كعب وغيره.

كما أرى أن المؤيدين والمروّجين لفكرة عودة الشرّ بالرغم من استنادهم إلى أحاديث مروية بعضها عن النبي صلى الله عليه وآله هم أقرب تفكيراً لعقيدة (باغانار) الذي يرى "أن الدولة مغامرة غير أكيدة"، مع أنهم يختلفون معه في نظرتهم لسابقتي (تلاشي الدول) و(سيطرة المال) التي يقول بشأنها: "إنّ التقاء هاتين السابقتين سيشهد على عدم واقعية هذا المذهب ولهذا السبب بقيت الدولة الحاجز الضروري" (٢).

الدولة المهدويّة والمعيّار التقيميّ

عليه أجد أنّ الرأي الذي طرحه الإمام عليّ عليه السلام وهو الذي جعل فيه الدولة المهدويّة معياراً تقيميّاً للدول التي أنشأها الإنسان من قبل، أقرب إلى القبول والتصديق، ليس لأنّ خبر الإمام لا يمكن أن يكون مخطئاً فحسب، بل لأنّ العقل يحكم أنه من غير المعقول أن يدّخر الله هذا الرجل الذي كانت الأمة بكلّ مللها ونحلها تنتظره منذ مئات السنين، آملة بالنعيم الذي ستجده على يديه، والخير الذي سيعمّ الأكران، سوف يكون مجرد حلم لحظويّ من عالم الأحلام، لا يلبث أن يتلاشى كفقاعة من على وجه الماء، أو قطعة من الشلج وضعت في ظهيرة تموزيّة وسط الصحراء سرعان ما تذوب فلا تترك خلفها أثراً، ولا يسقي ماؤها عطشان، بعد بضع سنين تافهة نسبة إلى عمر الكون وعمر البشريّة على الأرض وعمر الحاكميّات الدنيويّة التي قامت من

(١) بشارة الإسلام، الكاظمي، ص ١٠٣.

(٢) باغانار، مصدر سابق، ص ١٠٤.

قبل، لتعود البشرية من جديد للعيش في عصر الجاهلية المطلق، حتى إن الأرض ستخلو من عابد لله تماماً، وهي سابقة قد لا يكون لها شبيه في التاريخ الإنساني كله، حتى إن المأساوية الماثلة بهذا الأمر تبديه وكأن الله سبحانه وتعالى بدافع الانتقام من الناس يدفعهم دفعاً حثيثاً للعصيان وارتكاب الموبقات تحت سطوة العوز الفكري والمادي الذي سيتسبب به حملة الأموال الطامعون بالمزيد، وحملة الأفكار الشركية الهدامة، ولاسيما أن البشرية سوف تعتاد على العيش المترف الرغيد والتمرغ بالنعم الذي جلبه لهم قدوم المهدي، سواء منه النعم الفكرية أو النعم المادية.

إن الدولة المهدوية سوف تكون خلاصة تجارب كل تلك الدول التي عرفها الإنسان من قبل، ليس في الجانب المادي فحسب، بل في كل الجوانب الأخرى، سواء من حيث التكامل العقلي، أو العقائدي، أو الفكري، أو الصحي، أو الإلهامي، ونجاحها في تحقيق آدمية الإنسان يعني بلا مواربة أن هذا الأدمي الجديد كلياً سيكون الأحرص على بقاء هذه التجربة الفريدة المفعممة واستمرارها بكل قيم الخير التي لم يعرفها من قبل حتى في زمن الأنبياء، لا في عصر مؤسسها فحسب؛ بل وفي العصور اللاحقة لعصره، لأنه ما من تجربة أخرى يمكنها أن تحقق للإنسان تلك الدرجة الرفيعة التكاملية من الرفاهة الروحية والمالية. وفي ضوء ما هو ثابت من النصوص الدينية المتواترة.

مقومات الانهيار

إن دولة الإمام المهدي دولة عالمية كونية تسقط فيها الحواجز الدينية والفكرية والسياسية والعرقية والاقتصادية واللغوية والاثنية والقومية، فإذا كانت الدولة القطرية التي تقوم على رقعة جغرافية، والإمبراطورية التي تضم عدة بلدان لا يمكن أن تسقط وتتلاشى نتيجة تبدل سلوكيات أهلها في عدة سنين فهل يصح أن تنهار دولة عالمية كونية ونظامها يشتمل على كل هذه الصفات التوحيدية في عدة سنين؟

إنّ مجرد عيش الإنسان في تلك الحقبة التكامليّة الزاهرة سيخلق منه كائناً جديداً بطباع وقيم جديدة، ليس من السهل عليه تغييرها، لا نحو الأحسن، ولا نحو الأسوأ لأنه كما قلنا من قبل سيكون الإنسان الأخير المتكامل، ثمّ إنّ الكائنات التي كانت تحمل الجينات السالبة الشريرة والروح النزاعية المشاكسة سوف تتخلى عنها بعد أن يمرر الله يده على رؤوس العباد "إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد"^(١) وهكذا سوف تتغيّر كلّ معتقداتهم السابقة، فمن سيحمل لواء التغيير نحو الأسوأ والأرض ليس فيها سيّء؟

إنّ الشرّ ظاهرة اجتماعيّة معروفة في المجتمعات، وعلماء الاجتماع يؤكدون أنّ الظاهرة الاجتماعية التي تتمثل في نظام أو اتجاه عام يشترك في اتباعه والوقوع تحت تأثيره أفراد مجتمع ما^(٢) إلا أن تعامل الأفراد والجماعات مع هذه الظاهرة والسير على مقتضاها يختلف من مجتمع إلى آخر ومن فرد إلى آخر في المجتمعات الوضعيّة الدنيويّة نفسها فكيف في مجتمع إلهي تبدل بإرادة الله وفعله نحو الأحسن والأكمل؟

ثمّ إنّ الفكر الصراعِيّ هو أحد أوجه الطبيعة البشريّة، وقد ذهب المفكرون الأوائل والمعاصرون إلى أن الفكر الصراعي موجود في المجتمع الإنساني ولا يمكن إغفاله أو إهماله، حيث أرجع كل منهم بروز ظاهرة الفكر الصراعي لسبب معين فقال ابن خلدون: "إنّ حدوثه يعود إلى العصبية القبليّة"^(٣)، وعزاه ماركس إلى "الصراع الطبقي بين البرجوازيّة والبروليتاريّة" وعزاه (زمل) إلى "غريزة العداة عند الإنسان والعاطفة عند الجماعة"^(٤) إلا أن قانون الأسباب والمسببات الذي سيكون فاعلا ومؤثرا في زمن الدولة المهديّة يفصح خطأ هذه الآراء، فبسبب نفاء الأنفس واختفاء الدوافع

(١) أصول الكافي للكليني، ج ١/١٩ حديث ٢١.

(٢) علم الاجتماع، د. علي عبد الواحد، ص ١٥.

(٣) المقدمة، ابن خلدون.

(٤) ينظر: نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، د. معن خليل عمر، ص ٢٦ - ٢٧.

الشريرة الذي يسببه تمرير الله تعالى ليدته على رؤوس العباد، وبسبب قيام الدولة المهدوية بالقضاء على الصراعات المادية والسياسية والعقائدية، لن يبقى للفكر الصراعي من أثر ولا سيما أنّ أسباب الصراع سوف تكون معدومة ولا وجود لها أساساً وكما بيّنا ذلك في موضوعه (المال).

وإذا كانت المنافسة هي إحدى مؤازرات الفكر الصراعي ودوافعه فإنّ المهدوية كما يتضح من أخبارها لن تترك للمنافسين فرصة التحرك الحر بل لن تترك للمنافسين من أثر بحسب الحديّة التي وصف بها الفعل المهدويّ في الروايات التي مرّت علينا.

إنّ أهميّة المنافسة أمر معروف للمتخصصين بشؤون السياسة الدنيوية والعلوم الاجتماعية، ولطالما أشاروا إليه في دراساتهم، ولذلك قال جاك باغنار: "إن الدولة لا يمكنها أن تقبل المنافسة لسلطتها"^(١).

ويقول صموئيل هنتنغتن في السياق ذاته: "قد ينظر فريق قدم إلى فريق كرة قدم آخر منافساً له لكنه لن ينظر إلى فريق هوكي بتلك الطريقة فكل فريق منها كان يفضل أن يكون الأسوأ على الإطلاق ولكن الأفضل مقارنة مع شخص يرويه منافساً بدل من أن يكون الأفضل حالاً على الإطلاق ولكن بسوية ذلك المنافس. فهزيمة المجموعة المنافسة أكثر أهميّة من الفائدة المحضة"^(٢).

وبرأيي أنّ هذه الأقوال تعدّ مقياساً معيارياً لا تستثنى الدولة المهدوية منه، بل كونها آخر الدول أو كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: "ليس بعد دولة القائم لأحد دولة"^(٣) سيكون من أولوياتها القضاء على جيوب المنافسة أينما وجدت، والروايات تؤكد ذلك، ومنها رواية إظهار الدين التي يتفق المسلمون

(١) الدولة مغامرة غير أكيدة.

(٢) من نحن، التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، صموئيل هنتنغتن، ص ٤٢.

(٣) يوم الخلاص، ص ٣٤٣، عن الإرشاد، ص ٣٤٥.

عليها، ذلك لأنّ المنافسة إن وجدت سوف تكون منافسة فكر مضاد للتوجه الديني للدولة الموعودة بإظهار الدين، وحيثُ من حق الدولة المكلفة بنشر عقيدة الإسلام في العوالم كلها أن تقضي على مثل هذه المنافسة؛ لأنها تعيق تحقيق الظهور الكلي للدين، وعليه سوف تسارع أولاً بالقضاء على كلّ الفكر المنافس المنحرف.

ولما كانت مباشرة السلطة بالنسبة لكل مجتمع هي من ضرورات كفاح القصور والتدهور اللذين يهددان بالفوضى كما يقول باغانار^(١) فإنّ الفكر القياديّ المهدويّ المدعوم بالمدد الإلهيّ المطلق سيجعل تحصين الأمة من التدهور نحو الفوضى من أول أولياته، وهذا الفكر المتكامل له قدرة تحصين المجتمع بوجه الفوضى المحتملة التي يتحدث عنها المفكرون في بحوثهم، وبزمن قياسي لا يحسب حتى بالساعات، لأنه يحدث بطريقة (كن) الربانيّة فقد جاء في جفر الإمام عليّ عليه السلام : "ويجعل الله حجّة على الجامدين والآثمين والخائنين والظالمين والغاصبين والمعاندين والمغضوب عليهم والضالين من جميع العالمين حتى لا تخلو أرض الله من راية له مرفوعة، ولم يكن الله ليذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب"^(٢) ومعنى هذا أنّ التمييز بين الخبيث والطيب قد اكتمل وانتهى عصر الخبيث والخبيثاء والمعاندين وكلّ الأصناف الوارد تعدادها في الحديث العلويّ ولم يبقَ على الأرض إلا الطيبون. فهل يعقل أن يكون خليفة المهديّ بالذات بالشكل الذي تصفه به الروايات لكي تتكس دولته بالشكل الذي يصوّرونه؟

ثمّ إنّ علم العقاب الذي وضعت مبادئه في القرن السابع عشر يعتبر واحداً من التدابير الوقائيّة التي تتخذها الحكومات لحماية مجتمعاتها بمنع الجريمة، ومنع المجرم من ارتكاب جريمة أخرى، ولذلك يعتبر التأهيل أو إعادة تقويم

(١) المصدر نفسه، يوم الخلاص، ص ١١.

(٢) تنبؤات النبيّ والأنمة، مصدر سابق، ص ٢٠٧.

سلوك المنحرفين من طرق حماية المجتمع كما يقول هذا العلم، التأهيل بحد ذاته يخضع نمواً وضموراً إلى مجموعة أبعاد أهمها: "ازدهار الأفكار الديمقراطية/ زيادة الإمكانيات المالية للدولة/ التقدّم العلمي في مجال العلوم النفسية والاجتماعية / التشريعات الخاصة بالتنفيذ العقابي"^(١).

وهي الأسباب أو الأبعاد التي لم تتكامل كلها لبلد ما في كلّ التاريخ الإنسانيّ ممّا يعني أنّ التأهيل الحقيقيّ لم يقع بالشكل المطلوب من قبل، ولن يقع في المستقبل المنظور بسبب تباين حقيقة هذه الأسباب بين الدول. في حين نجد أنّ الدولة المهدوية لا تعاني أيّ مشكلة يمكن أن تعيق هذا التكامل ممّا يعني أنّ إصلاح المنحرفين وتأهيلهم سيكون كاملاً وناجحاً بحيث لا يعود المجرم لارتكاب جريمة أخرى؛ لأنه لا يوجد سبب للانحراف والعودة إلى السلوك الشاذ، وحينئذٍ تتلاشى هذه المفردة من قاموس الدولة المهدوية وتنقرض، فلا يعدّ من وجود لمن تنطبق عليه مواصفاتها بين سكان المجتمع المهدويّ السعيد الذي يملك كلّ ما يحتاج إليه من المال.. العلم.. العدالة.. المساواة.. الحرّية.. التطوّر.. الرفاه.. السعادة.. الصّحة الكاملة.. الاطمئنان.. وحسن العاقبة، وهي الأمور التي يؤدّي فقدانها أو فقدان قسم منها إلى حدوث الانحراف أو الانقلاب في المجتمعات.

كما وهنالك أمر لم يلتفت إليه من قبل؛ وهو أنّ الأحاديث الكثيرة التي تختصّ بالشأن المهدويّ ويكلّف تفرّعات المهدوية لم ترد فيها إشارة إلى وجود السجون أو المؤسسات العقابية في دولته المرتقبة ذلك لأنه لا يوجد في عرف هذه الدولة وقوانينها حيّز عقابيّ بمعناه المتداول اليوم، باعتبار أنها خالية من المسيئين أو ممّن يستحق السجن لكي تبنى فيها السجون، ففيض الأنوار الوجدانية للقائد المختار من الله سبحانه يطغى على أخلاق العباد فينقيها من أدرانها ووسوساتها ويجعلها نقيّة كالثوب الأبيض.

(١) علم العقاب، د. محمّد معروف عبدالله، ١٢ - ١٤.

تجدد الإشارة هنا إلى أنّ عصر البعثة النبوية كان أيضاً خالياً من السجون، وأول سجن في الإسلام أحدث في زمن الدولة العمرية يوم اشترى الخليفة عمر بن الخطاب دار صفوان بن أمية في مكة بمبلغ أربعة آلاف درهم واتخذها سجناً، فأيدته بعض الفقهاء، وعدّ بعضهم الآخر عمله هذا بدعة خارجة عن الإسلام^(١) ومن هذا التاريخ فصاعداً عرفت دولة الإسلام السجون إلى يومنا الراهن. لذا يعتبر عصر البعثة متفرداً في هذه الناحية؛ وهي خلوة البلد من السجون بالرغم من أنّ السجون كانت معروفة قبل ذلك عند الأمم والحضارات التي سبقت الإسلام، وهي التي وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها قوله تعالى ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) وفي السورة نفسها ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعَّ سِنِينَ﴾^(٣) سبب عدم اتخاذ النبي ﷺ للسجون أنه لا توجد في لإسلام جريمة يعاقب عليها بالسجن؛ إذ إنّ العقوبات الواردة في الحدود الشرعية الإسلامية؛ هي القتل، أو القطع، أو الجلد، أو التعزير، أو النفي.

ولأنّ الدولة المهدوية هي البنت الشرعية للدولة المحمدية؛ فهي أيضاً سوف تخلو من السجون؛ لأنها ستعيد الإسلام إلى سيرته الأولى حتى يبدو الإسلام وكأنه جديد، في حين هو الدين الذي جاء به النبي محمد ﷺ وقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: "إن قاتمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله ﷺ وإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"^(٤).

ولذا إنّ الشركلة سوف يزول في ذلك العصر وينتهي وجوده على الأرض إلى ما يشاء الله تعالى. لقد جاء في إحدى خطب الإمام علي عليه السلام: "لقد

(١) المصدر نفسه، علم العقاب، ص ٢٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٥.

(٣) الآية ٤٢.

(٤) البحار للمجلسي، ج ١٣، ص ١٩٤.

اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الضلالة وأحييتهم الباطل وخلفتهم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الأدنى من أهل بدر ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب لرسول الله ولعمري أنه لو قد ذاب ما في أيديهم لدنا التمحيص للجزاء وقرب الوعد وانقضت المدة^(١)، حيث ربط الإمام بين زوال دولة الشرّ كما في قوله (ذاب ما في أيديهم) أي من الملك والسلطان، وبين قيام دولة الحق الإلهي التي سوف تنزل العقاب العادل بذراري دولة الشرك وأتباعهم السائرين على نهج أجدادهم والمؤمنين بأطروحتهم.

وفي موضع آخر هو النهروان مرّ الإمام عليّ عليه السلام بعد انتهاء المعركة على الخوارج وهم صرعى فقال: "لقد صرعكم من غيركم. قيل: ومن غيرهم؟ قال: الشيطان، وأنفس السوء. فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر. فقال: كلا والذي نفسي بيده وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم الدين"^(٢).

مما يعني أنّ قتل الإمام المهديّ لآخر مجموعة من الخوارج الذين تنسب لهم أغلب الحركات الدموية التي وقعت وتقع في التاريخ الإسلاميّ في كلّ حقبة وعصوره سوف يقضي كلياً على مثيري الفتن والإحن ودعاة الانحراف فلا تخرج خارجة بعد ذلك أبداً.

وفي المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثه عن الصيحة من السماء: "فعند ذلك ينادي من السماء منادٍ: أيّها الناس إنّ الله عزّ وجلّ قد قطع عنكم مدة الجبارين والمنافقين وأشياعهم وأتباعهم وولاكم خير أمةٍ أمّةٍ محمد صلى الله عليه وآله"^(٣).

(١) الطور المهديّ، ص ٢٢٤، عن البشارة، ص ٦٣.

(٢) المهديّ في العراق، عباس الربيعي، ص ١٦١ عن مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٤١٨.

(٣) المصدر نفسه، المهديّ في العراق، ص ١٨٢.

وانقطاع مدة الجبارين والمنافقين وأشياعهم وأتباعهم بعد الظهور يعني انتهاء عصرهم إلى الأبد بعد أن يولي الله على عباده خير أمةٍ محمد ﷺ فمن أين يأتي الجبابرة الذين يسقطون دولة الإمام المهديّ؟

هذه الأحاديث الكثيرة إذا جمعت وأضيفت إلى حديث آخر ورد عن الإمام الصادق عليه السلام مرّ علينا سابقاً وجاء فيه: "إذا خرج القائم لم يبقَ بين يديه أحد إلا عرفه صالح أو طالح"^(١) تعطي نتيجة مفادها أنّ الإمام المهديّ لا يخفى عليه شيء من أمر المخالفين لنهجه فهم مكشوفون أمامه يرى دواخلهم كما يرى خوارجهم ويعرف عندذاك سرائرهم وعلائيّتهم، ولما كان الإمام المهديّ مأموراً بقتل كلّ مخالف فإنه سيقتل هؤلاء جميعاً بموجب هذا الأمر فلا يبقى على وجه الأرض مخالف يقود أو يشارك في حركة التغيير السيئة المزعومة. وبهذا العمل البتريّ القطعيّ تموت كلّ نفس مطوية على الخلاف وتبقى النفوس الخيرة والمؤمنة التي من الممكن أن تقود نفسها لكلّ خير حتى من دون حاجة لقيادة جديدة تخلف الإمام المهديّ بعد موته.

من كلّ ما تقدّم يتأكد لنا أنه يستحيل أن تنحرف دولة بمواصفات الدولة المهديّة بعد عدة سنوات من إنشائها حتى في زمننا الحاضر ومهما كانت قوّة الفكر المضاد، هذا إذا كان هنالك فكر مضاد في زمن تلك الدولة الإلهية. وحتى مع افتراض وجودة فإنه سيكون حتماً مفلساً من أسباب النصر والعون التي خص الله تعالى بها مهديّه ودولته؟

من جانب آخر نجد أن (جورج بوردو) في مؤلفه عن العلوم السياسيّة يرى: "أن تشكل الدولة ينجم بصورة رئيسيّة عن تطور عميق الإيمان متعلق بالسلطة" فإذا كنا نشترك بعقيدة الغيبة المهديّة التي دامت منذ ٢٦٠هـ إلى ما يشاء الله فذلك يعني أن الإمام (عجل الله فرجه) عاصر مئات الدول والنظم والحكومات والسياسات والتجارب وعايشها وهي التي تشترك كلها بعقيدة

(١) البحار، جزء ٥٢، ص ٣٨٩.

الإيمان السلطوي، مما أغنى تجربته السياسيّة غَنَاءً لا مثيل له، فإذا أضفنا غنى هذه التجربة إلى غنى التجربة الفكرية والعقيدية، وجمعنا كل ذلك مع المدد الإلهي اللامحدود، والنصرة العظيمة التي أعدها الله له، والآليات المتوفرة عنده، والانفتاح العلمي الهائل، وتبدل السلوكيات المجتمعية للإنسان والحيوان والكائن الآخر وكلّ المخلوقات الأخرى؛ فضلاً عن كونه الإمام المعصوم حامل العلم اللدني، فسوف ينتج عن كل ذلك قاعدة فقهية قيادية لها قدرة بناء نظام دولة تمتلك قدرة الثبات أمام كل التحديات ومنها محاولات التحريف والتغيير لآلاف السنين على أقل تقدير.

أي إنّ التغيير نحو الأسوأ أو تبديل المباني الفقهية والسياسية لهذه الدولة إذا ما كان مقدرًا له أن يحدث بإذن الله سبحانه، فإنه من الممكن أن يحدث، ونحن لا نملك قدرة الاعتراض على أمر الله، لكننا نملك قوّة الاعتراض على من يدعي حدوث الانقلاب بعد بضع سنين، لأنّ محصلات النقل والعقل تجمع على أنه لن يقع إلا بعد انقضاء هذه المدة الطويلة ولهدف واحد وهو إنهاء الوجود وقيام القيامة.

كذلك نحن نعرف أن الزمن في العصر المهدويّ سوف يكون مختلفًا عن سابق الأزمنة والعصور، وإذا كان الزمن في مفهومه العام عرضة للتساؤل فيما إذا كان في المنظور الفقهي زمنًا ساكنًا أم أنه زمن حيوي يتبدل وتجري فيه تحولات وتغيرات ذهنية واجتماعية؟^(١) فإنّ واقع الحال وما بين أيدينا من نقول موثوقة يؤكد أن ذلك الزمن سوف يكون زمنًا حيويًا متحرّكًا، وسوف تجري فيه تحولات وتغيرات ذهنية واجتماعية بعضها إعجازي وبعضها الآخر حثي وتطبيعي وتكوينيّ ليس في المجال الفقهيّ فحسب؛ بل في كلّ المجالات الأخرى بما لا يمكن مقايسته مع أي تبدل آخر حدث على مدى التاريخ، بل لا مجال لمقايسته مع مجمل التبدلات التي حدثت من قبل، ويدل هذا على

(١) ينظر قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر، عبد الأمير كاظم زاهد، ١١٩.

أن شعوب الدولة المهدوية ومخلوقاتهما سوف تكون محصنة بوجه أي انحراف مهما كان نوعه ومصدره.

قال المرحوم النيلي: "ولا عجب في ذلك لأنّ الطور المهدويّ هو طور (لا إله إلا الله) والذي يمثل المرحلة العليا من تطبيق رسالته في دولة عالميّة فاضلة يستخلف فيها العباد الصالحون"^(١) هؤلاء العباد الصالحون هم ثلاثئة وثلاثة عشر قائداً عظيماً وهم كما قال النعماني في غيبته: "حكام الأرض وعمّاله عليها وبهم يفتح شرق الأرض وغربها مع من يؤيده الله به من الملائكة"^(٢) فهل يموتون في ساعة موت القائد دفعة واحدة، أم هل تموت عقائدهم وهممهم وفدائيتهم واندفاعهم بموت قائدهم وإمامهم حتى تنحرف الدولة كلها بهذا الشكل الغريب؟

إنّ الروايات الكثيرة التي جاءت في مدح أنصار الإمام المهديّ وهم خلص أصحابه تجعل المرء مطمئناً إلى مستقبل دولته بعد موته ولا يخاف عليها من الانحراف الذي يقول بعضهم إنه سيأتي بعد موته مباشرة.

بل إنّ التجارب التاريخيّة ذاتها تنفي أن يكون ذلك ممكناً، فمن المعروف أن الانحراف العقائديّ في المجتمع الإسلاميّ الأول هو الذي جاء أولاً بسبب القيادات التي قادت المجتمع، وهو الذي أنتج الانحراف الاجتماعيّ والجماعيّ فيما بعد، أي: إنّ الحكام غير الكفوئين والمنحرفين هم الذين أحدثوا الانحراف العقائديّ الذي أنتج بدوره الانحراف الاجتماعيّ والعقائديّ بعد عصر البعثة، وهي تجربة لن تمر بها المهدويّة؛ لأنّ أصحاب المهديّ الثلاثئة وثلاثة عشر الذين يمسون زمام أمور العوالم لن يموتوا بموته، أو يبعدوا عن القيادة كما حدث من قبل، وإنما سوف يبقون في مراكزهم القياديّة إلى ما شاء الله، فمن أين يأتي الانحراف؟

(١) الطور المهدويّ، عالم سبيط النيلي، ص ٢٠٣.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٥٢.

فضلاً عن أن عذاب الله تعالى لم ينزل بالأمم السالفة إلا لأن الأغلبية منهم كانوا منحرفين عن تعاليم الرسل، ولو كان الضد هو الصحيح ما كان العذاب لينزل، فإذا كان المجتمع المهديّ من أصلح المجتمعات، وفريداً من نوعه من حيث كمال الإصلاح والإيمان فكيف ينزل به عذاب الانحراف؟

ومع أنّ المؤرّخ ابن خلدون سبق له أن أنكر صحّة كلّ الأحاديث المهديّة إلا أنه جاء في مقدّمته برأيين يدعيان ما نذهب إليه ويتعارضان وما يذهب إليه غيرنا، قال في الأول منهما: "ويستولي على الممالك الإسلاميّة" أي: إنّ حدود دولته ستكون واسعة جداً بما لا يسمح لفكر ما أو مجموعة ما بتنفيذ برنامجها التخريبيّ بيسر. أمّا الرأى الثاني فتحدث فيه عن سنن الطبيعة في الدول فقال: "إنّ الدول والحضارات تمرّ أيضاً بمراحل الطفولة والمراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة والهرم ثمّ الموت"^(١) ولو آمنّا بصحّة هذا الرأى، إذن ما الضير في أن يكون لدولة المهديّ هذه المواصفات نفسها؟ ثمّ إنّ تطوّر الدول وتقدّمها يؤثر كثيراً في طول كلّ مرحلة من هذه المراحل وكفاءتها، فكلّما كانت الدول أكثر تطوّراً كانت هذه المراحل أكثر طولاً وعطاءً، ولما كان من المفروض أن تكون دولة المهديّ هي دولة حدّ التقدّم الأقصى فمعنى ذلك أنّ طول هذه المراحل سيكون غير مسبوق.

ونحن كنا ولا نزال منذ قرون طويلة ندعو الله بصدق وإخلاص "اللهمّ إنّنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله" فهل الله الكريم الرحمن لا يتفضل على كلّ هذه الملايين من المؤمنين إلا بسبع سنين فقط؟

وبوصفنا مسلمين نجمع على صحّة حديث نبويّ مفاده: أنّ من حتم الله أن يظهر المهديّ حتى لو لم يبقَ من عمر الدنيا إلا يوم واحد، والحديث جاء بعدة صيغ منها عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "لو لم يبق

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون، الجزء ١، المقدمة.

من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا مني يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلماً".

وعن عبدالله بن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: "والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه من ولدي المهديّ فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلبي خلفه وتسير الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب" (١).

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم، ولو لم يبق إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يفتحها" (٢) (*).

وعن حذيفة بن اليمان قال: "خطب رسول الله فذكر ما هو كائن ثم قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدي اسمه اسمي" (٣).

فإذا كانت دولة هذا المبعوث لن تعمر إلا بضع سنين، فلم نجد هذا الإصرار الإلهي والتشديد العظيم على حتمية ولا بدية بعث هذا المصلح العظيم الذي تنتظره الأكوان حتى ولو في آخر يوم من أيام الدنيا؟ وإذا كانت دولته ستملاً الأرض كلها بالعدل الإلهي هل يكفي اليوم الواحد لمثل هذا العمل الجبار إلا إذا ما كان الله سيمد ذلك اليوم ليصبح مشابهاً لما جاء في صفات أيام الله المشهورة التي يبلغ طول كل منها (ألف سنة، أو خمسين ألف سنة مما تعدون).

(١) دولة الإمام المهديّ، الشيخ كاظم المصباح، ص ٣٩، عن المهديّ عند أهل السنة ١/٨١.
(٢) المصدر نفسه، دولة الإمام المهديّ.

(*) ورد الحديث بصيغ مختلفة في المعجم الكبير، ص ٧٨ - ٨٠ وجامع الأصول من احاديث الرسول ٤٨/١١ وفرائد السمطين وكمال الدين ١/١٤٩ وغاية المرام ٦٩٢ وسنن ابن ماجة باب الجهاد وذخائر العقبى ١٣٦ وعون المعبود ٣٧٠ وسنن أبي داود كتاب المهديّ ١٠٧ ومجمع الزوائد والحاوي للفتاوي وبحار المجلسي.

(٣) المهديّ هذه الخرافة، طه حامد الدليمي. لقد تم تنزيل الكتاب من موقع فيصل نور الالكتروني فأختلف تسلسل الصفحات ولذا لم أشر إليها كما هو معتاد في المصادر.

أعظم من ملك سليمان

أصحاب الرأي القائل أنّ دولة العدل الإلهي ستعمر بضع سنين، ثمّ تنهار فاتهم أنّ ذكر الأرقام في حديث العرب لا يأتي في الغالب للتحديد الحقيقي؛ بل للتقريب والتمثيل والتهويل والمبالغة، وللدلالة على التكرار. وفي أحاديث العمر قد يكون القصد من هذه الأرقام الصغيرة أنّ الناس التي سوف تتمتع بنعيم هذه الدولة وخيراتها وأنوارها القدسيّة تشعر رغم طولها وكأنّها مجرد بضع سنوات.

وفاتهم أنّ تأكيد البحوث والكتابات - التي تعترض على عقيدة المهدويّة - على قصر مدّة حكمه وتحديدّها بسبع سنين هو من بنات أفكار السياسة الدنيويّة التي طالما ارتكبت الموبقات بحق المؤمنين، حتى بات أساطينها يخشون من ذكر اسم المهديّ نتيجة الخوف من العقاب الذي سيوقعه بهم جراء جرائمهم الكبرى. وهو من الوسائل الناجعة التي تستخدمها هذه السياسات في محاربتها للمهدويّة فكرياً وعقيدة.

إنّ الطامة الكبرى تتمثل بوجود قناعات تامّة لدى بعض الرافضين للمهدويّة باعتباريّة وسذاجة أنّ عمر الدولة المهدويّة لن يزيد على سبع سنين، ولكنهم مع ذلك يحاولون بالاعتباطيّة والسذاجة أنفسهما توظيف هذه القناعات لإنكار العقيدة المهدويّة، وتوهين حقيقتها، وتضعيف أهمّيّتها. وتجد ذلك واضحاً في فكر الدكتور طه حامد الدليمي الذي يقول: "ثمّ ما معنى أن يختفي الظلم من الأرض بضع سنين معدودات وقد مرّ عليها آلاف السنين وهي ترزح تحت وطأته؟ هل يستحقّ هذا كلّ هذا الاهتمام، والوعود، والبشارات؟ وما الذي تستفيده منه آلاف الأجيال التي ماتت وهي تعاني الظلم والاضطهاد"^(١).

إنّ هذا القول إنّما هو كلمة حقّ أريد بها باطل، وهو واقعاً يصبّ في غير الهدف الذي أرادته الدكتور، وبالمقابل يؤكد جميع ما ذهبنا إليه في حديثنا عن

(١) المصدر نفسه، الدليمي.

عمر دولة الإمام المهديّ ولاسيّما حديثنا عن اعتباريّة تحديد عمر دولته الكريمة بسبع سنين، فسبحان الذي يدين أعداء المنتظر بأستهم وأقوالهم!

وأقول أخيراً: إنّ كلّ الذين حكموا من قبلُ يشتركون بقول وفعل واحد معناه: "أنّ الملك عقيم" وفي التاريخ مثلاً إشارات لأقوال الخلفاء العباسيين لأبنائهم مثل قول: "والله لو نازعتني الملك لأخذت الذي بين عينيك" وما نشاهده الآن من استقتال الرؤساء والملوك للبقاء على كراسي الحكم حتى خلاف إرادة الشعوب، وتشريعهم للقوانين التي تجيز لهم أن يحكموا مدى الحياة، ثمّ تفضيلهم لأبنائهم على أخوتهم ورفاقهم المقربين. والأمثلة كثيرة على ذلك. فهل أصحاب المهديّ الذين سيخلفونه على حكم دولته بهذه السذاجة ليتركوا مصيرهم معلقاً بيد من يريد زوال دولتهم ذات السلطان العظيم الذي يقول عنه الإمام عليّ عليه السلام لجابر بن عبدالله: "يا جابر إنّ ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود وسلطاننا أعظم من سلطانه" ^(١).

إنّ الأحاديث التي تصف هؤلاء الأصحاب تضعهم في منزلة عالية سامية؛ سواء من حيث فعلهم الذي يبغون من ورائه رضا الله تعالى ولا يتوقفون عنه إلى أن يرضى الله بوقوفهم كما في حديث أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: "وإنّ الرجل منهم ليعطى قوّة أربعين رجلاً وإنّ قلبه لأشدّ من زبر الحديد ولو مرّوا بجبال الحديد لقلعوها ولا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عزّ وجلّ" ^(٢).

أو من حيث تعاملهم مع الناس وباقي المخلوقات حتى تشتاق الأرض لأثر خطواتهم كما في الحديث عن جابر بن يزيد عن الإمام الصادق عليه السلام: "كأنّي بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين فليس من شيء إلا وهو مطيع لهم حتى سباع الأرض وسباع الطير، يطلب رضاهم في كلّ شيء حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم" ^(٣).

(١) إلزام الناصب، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٢) كمال الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٦١٠ - ٦١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦١٠.

أو من حيث نوع العلوم التي يحملونها ببركة الإمام المهديّ وتمريه يده على أجسادهم كما في الملاحم: "وهم النجباء والفقهاء والحكام وهم القضاة الذين يسمح بطونهم وظهورهم فلا يشكل عليهم حكم" (١).

أو من حيث التنصيب الربانيّ لهم بصفتهم حكاماً للأقاليم بأمره تعالى كما في البحار: "وهم أصحاب الألوية وهم حكام الله في أرضه" (٢) ومن يعينه الله تعالى حاكماً لا يمكن لبشر أو لمخلوق مهما كانت قوته وسطوته أن يعزله إلا بأمر الله.

وفي الحديث أيضاً أنّ الأرض لا تخلو من طائفة ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله، إذ جاء عن ثوبان، والمغيرة بن شعبة، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبدالله الأنصاريّ، وعمير بن هاني، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، أنهم قالوا إنّ رسول الله ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" وفي رواية أخرى: "لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة" (٣) فكيف يتواءم هذا الحديث والأحاديث التي تدّعي أنّ الخير يموت بموت المهديّ؟ وأين ستذهب طائفة المقاتلين على الحقّ والظاهرين إلى يوم القيامة؟

وفي كتب الحديث وغيرها أنّ يوم القيامة ليس هو يوم المهديّ، فدولة المهديّ تسبق يوم القيامة بزمن لا يعلم طوله إلا الله تعالى، وبعد أن تؤدّي دورها البنائيّ الإصلاحيّ على مرّ هذه المدّة، تأتي أواخر علامات الساعة وأشراطها، وتأتي الريح الطيبة التي تأخذ أرواح المؤمنين فيبقى على سطح الأرض شرار الخلق الذين تقوم عليهم القيامة كما في حديث عبدالله عن النبيّ ﷺ قال: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس" (٤) فهذا الحديث

(١) الملاحم والفتن، ص ١٧١.

(٢) البحار للمجلسي، جزء ٥٢، ص ١٨٥.

(٣) صحيح مسلم الأحاديث ١٩٢٠ إلى ١٩٢٥، ص ٨٥٩ - ٨٦٠.

(٤) المصدر نفسه، حديث ٢٩٤٩ ص ١٢٣٦.

يخصّ مدّة محدّدة من عمر العوالم لا تتجاوز الأربعين يوماً كما في حديث الشيخ الكوراني تحت عنوان (لا يعود الظلم بعده إلى الأرض): "دولة العدل الإلهي على يد أهل البيت عليهم السلام آخر الدول وتمتدّ إلى يوم القيامة؛ لأنّ الحجة لا ترفع من الأرض إلا قبل يوم القيامة بأربعين يوماً ويسود الأشرار الذين تقوم عليهم القيامة" ^(١) وهؤلاء هم الذين عناهم الله تعالى في قوله الكريم: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٢) فالأيام الأربعون التي أشار إليها الشيخ الكوراني هي الأيام التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله في حديثه الذي رواه عبدالله وأبو موسى في قولهم: قال النبي صلى الله عليه وآله: "إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم ويكثر فيها الهرج" ^(٣)، وهي الأيام التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام في خطبته التي رواها نزال بن سبرة، وهي التي تكلم فيها على آخر الزمان وابتدأها بقوله المشهور "سلوني قبل أن تفقدوني" وهي التي جاء فيها قوله في وصف مدّة الأربعين يوماً المقصودة دون غيرها: "ألا إن بعد ذلك الطامة الكبرى! قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج الدابة من الأرض... فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن قد آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. ثم قال: لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك فإنه عهد إليّ حبيبي صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي" ^(٤).

إنّ مجرد التمعّن بنوع التغيير الذي سوف يحصل في الكون كله يؤكد أنّ الأربعين يوماً كافية لقلب الموازين البنائية القائمة بإرادة الله تعالى؛ لكي يقع الوعد الحتم وتقوم الساعة، لكن ذلك لن يقع بعد الظهر بسنين محدّدة؛ لأنّ هذه السنين مهما كان طولها إنما خلقت بذلك الجزء من رحمة الله الذي أنزله الله إلى الأرض؛ لكي يهدي الظالمين والمخدوعين إلى طريق الإيمان،

(١) المعجم الموضوعي، الشيخ الكوراني، ص ٧٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

(٣) صحيح البخاري، حديث ٧٠٦٢، ص ١٢٥٠.

(٤) معجم بلدان عصر الظهور، عبد الرسول زين الدين، ص ٣٣.

فيضمحل عدد الذاهبين إلى طريق الجحيم. وهي مدّة كافية لتنزيه النفوس وحشد أهل الإيمان الأحياء منهم والأموات في أفواج المرحومين الناجين من العذاب، ثم بعد ذلك ترفع الأرواح ليبقى شرار الخلق قلة قليلة تعيش أربعين يوماً في هرج وحيوانية حيث يتعرضون لأهوال الصيحة وأهوال يوم القيامة. وخلاصة ما أريد قوله في هذا الشأن أمران:

الأمر الأوّل: إنّ مدّة حكم الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) للعوالم وليس مدّة حكم دولته ستكون بالحسابات المتداولة العامة قصيرة نوعاً ما (سبع سنين أو تسع أو أربعين أو سبعين سنة) بحسب اختلاف الروايات. ولكنها بالمفهوم الإعجازيّ ستكون أطول من ذلك كثيراً؛ فقد جاء عن عبد الكريم بن عمر الخثعمي قوله: "قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كم يملك القائم؟ قال: سبع سنين يكون سبعين سنة من سنينكم هذه" ^(١).

وبحدود هذا الشأن أريد أن أقف قليلاً عند جملة (يكون سبعين سنة من سنينكم هذه) لما فيها من غرابة تنافي ما تعودت عليه العقول الماديّة أو التي تؤمن بالنظريات العلميّة ومعطياتها، ومن حق هؤلاء أن يسألوا: كيف تصبح السنة بطول سبعين سنة؟ ألا يعني هذا أنّ النظام الكونيّ سوف يتعرض إلى انقلاب كبير غير معقول؟

وأقول: إن العلوم نفسها باتت قريبة جداً من إثبات هذه الحقيقة المدهشة والإجابة عن هذه الأسئلة، فكما هو معروف أن الحكومة المهدويّة سوف تكون آخر حكومة بشريّة على الأرض وسوف تأتي للتمهيد لليوم الموعود الذي تعود فيه الأجرام والكواكب والمجرات إلى أصلها الأوّل. ومن الآراء اللطيفة التي تحدثت عن هذه الحقيقة الموجودة في كتبنا وهي التي تؤمن بها بقدر إيماننا بالمهدويّة ما جاء به الدكتور أحمد عوض عبد الباقي والنص طويل نوعاً ما، قال: "إنّ فترة مدار الأرض حول الشمس تُقرّر طول السنّة، وهي خاضعة للاختلافات التي تُنتج من التفاعلات بكلّ الأجسام الجذبيّة

(١) غيبة الطوسي، ص ٤٧٤، حديث ٤٩٧.

للكون خاصة القريب جداً كالكوكب الأخرى للنظام الشمسي. يَكْشِفُ السجل الجيولوجي بشكل واضح بأنّ الأقطاب دائماً لم تكن في مواقعها الحالية. كما أنّ هناك ٢١ ثانية أضيفت إلى الساعة منذ عام ١٩٧٢، لذا فإنّ اليوم قد طال بحوالي ٢١ ثانية في ٣٢ سنة. إذاً يُصْبِحُ ضرورياً إضافة أيام أكثر فأكثر في كُلِّ سَنَةٍ. ذلك لأنّ الأرض فعلاً تتباطأ، ومن ثمّ فإنّ كُلَّ تلك الطاقة الحركية المفقودة لن تفني بل ستتحول إلي شيء آخر، ربّما تؤدي إلى هبوط في القشرة الأرضية، تعديل المجال المغناطيسي للأرض، تغيير محور الدوران أو شيء آخر مثل ارتفاع درجة الحرارة الهائل وقد قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤، فلقد تبين أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض حالياً بمعدل ٣٨ ألف ميل / ساعة لكل مليون سنة ضوئية (٣٠٠٠٠٠٠ ألف كيلومتر في الثانية) فيما يسمّى بثابت هبل وحتماً سيأتي وقت تنتهي هذه الحركة وتسكن ومن ثم تقع الأجرام علي بعضها، فيبدأ الكون بالانكماش ومن ثم يجمع الكون كله في نواة صغيرة جداً بالنسبة لحجمها الحالي (the big crunch theory) هذه النواة هي نفسها التي نشأ منها الكون قبل ما يزيد علي ١٢ مليار سنة. وأول أحداث النهاية سيكون طلوع الشمس من مغربها فعن أبي هريرة (رض) أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" رواه البخاري ومسلم وفي الحديث أيضاً قال ابن ماجه: حدثنا حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والداية، والدجال، وخويصة أحدكم، وأمر العامة" ويمثل طلوع الشمس من مغربها أولى حلقات عقد النهاية المتسلسل وهو الذي سيشتمل علي توقف التفاعلات الشمسية والنجمية ﴿يَأْتِي النَّجْمُ طَيِّسَةً﴾ الإنسان: ٨، ووقوع الأجرام الكونية علي بعضها ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ

* وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ * سورة المدثر: ٩، وزلزلة الأرض ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ البينة: ١، وبث الجبال ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ * وَتَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * الواقعة: ٥، وكل ما سبق من وصف دقيق لأحداث النهاية يبين للملحدين أن ما هذا قول بشر وأنه حقاً كلام ربي، كما يبين بلاغة السنة النبوية المشرفة وإعجازها ورحمة النبي صلوات ربي وتسليمه عليه بنا وبأتمته بل بالعالم أجمع حيث يهديه إلي سبيل الرشاد ويفتح له أبواب رحمة الله قبل أن يأتي يوم لا ينفع نفس إيمانها. وطلوع الشمس من مغربها بات يقيناً، فهذا مشابه لما حدث في المريخ منذ قريب، حيث توقف لفترة بسيطة ثم عكس دورانه في اتجاه عقارب الساعة (من الشرق إلي الغرب، بمعنى أن الشمس تطلع عليه من المغرب)، رأينا أن هذا الأمر حدث للمريخ اليوم على الرغم من أن الأحاديث النبوية ذكرت تلك الظاهرة قبل ١٤٠٠ سنة. وما حدث المريخ كأنه مقدمة لما سيحدث على كوكبنا^(١).

الأمر الثاني: إن موت الإمام المهدي لا يعني أن دولته ستموت مع موته، ونحن على كامل اليقين أن دولته لن تنهار بموته وسوف تعمر دهرًا طويلاً على يد أصحابه وتلاميذه النجباء. فقد جاء عن جابر الجعفي قوله: "سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليتمكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمئة سنة يزداد تسعاً. قلت: متى يكون ذلك؟ قال: بعد القائم"^(٢) أي إن دولة العدل الإلهي سوف تعمر بعد موت قائدها ومؤسسها (٣٠٩) سنة فإذا أضفنا هذا الرقم إلى المدة التي يحكم فيها الإمام المهدي قبل موته نحصل على رقم يكذب كل الروايات التي تحصر عمر دولة الإمام بسبع أو بسبعين سنة!

(١) المدرس المساعد بقسم الجيولوجيا كلية العلوم جامعة المنيا المصرية، موسوعة الإعجاز القرآني.

(٢) غيبة الطوسي، ص ٤٧٨، حديث ٥٠٥.

وعد الاستخلاف وعصر الظهور

وعد الاستخلاف

إنّ علاقة الدولة المهدويّة الأرضيّة بالعوالم الأخرى؛ سواء من حيث وحدة القيادة أو من حيث العلاقات التواصليّة والتزاور الذي سيتم بين المخلوقات بما فيهم الملائكة الذين سينزلون إلى الأرض ويتصافحون مع الناس، ويشتركون في تنفيذ المهام العسكريّة والبنائيّة والتنظيميّة للدولة المهدويّة يعني أنّ الكون المترامي بمخلوقاته المتباينة خلقا وخلقاً قد تحول إلى وحدة واحدة يؤثر ما يحدث في أيّ جزء من أجزائها على كليتها؛ لأنّ كلّ أقسام الدولة تشعر بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقها بما يدعوها إلى التحرك الفوريّ القويّ تجاه أيّ عمل تخريبيّ محتمل من أيّ جهة كان، ما دام فيه تهديد للدولة. وفي هذا التعاضد ضمان لاستمراريّة النهج المهدويّ لمئات السنين التي تلي موت الإمام المهديّ من دون أن يحدث أيّ تغيير.

وإذا كان ما يقع اليوم في أيّ قسم من أقسام الأرض يؤثر في الأرض كلها بسبب ترابط المصالح، فالمهدويّة لن تقوم على رقعة جغرافيّة معيّنة ومحدودة ضمن نطاق الكرة الأرضيّة؛ لأنّ العوالم كلها ستكون وحدة واحدة تعيش تحت علم واحد وفكر واحد ومعتقد واحد، في ظاهرة ليس لها شبيه من قبل، ولا يمكن لكيان كهذا أن يسمح بتعرض بعض أجزائه لأيّ تغيير محتمل قد يؤثر في حينه أو في المستقبل على الكلّ لأنّ هذه المخلوقات خرجت من تجربتها الفريدة ضمن قدرة التمييز الكليّة المكتسبة بمحصلة مفادها أنّ قيادتها الحكيمة التي قادتها في مرحلة التغيير الانقلابيّ الكليّ

جاءت ضمن التخطيط الإلهي والبرنامج الرباني للكون هو ما يجعلها على يقين كامل إن أي قيادة دنيوية أخرى شبيهة بالقيادات التي سامتها من قبل سوء العذاب، وحتى تلك التي حكمت بالعدل، لن تتمكن من تسيير أمورها، وكما يقول المرحوم النيلي: "فهناك فرق بين كون القيادة هدفاً إنسانياً، وبين كونها خطة إلهية. وحينما تكون هدفاً إنسانياً بمعزل عن التخطيط الإلهي فالإشكالات تكون صحيحة لأنه ليس لجميع الناس القدرة على تمييز الأفضل. فلا بد من استحواذ طبقة على السلطة وقهر بقية الطبقات" (١).

أي إن قيادة الدولة المهدوية التي تمتاز بميزتين لا يتوفر مثلهما في أي قيادة أخرى تجعل الشعوب كلها على يقين كامل بأنها القيادة التي اختارتها. العناية الإلهية على أنها آخر استخلاف في الكون، وهو الأمر الذي نقدر نحن المنتظرين لقدوم هذه الدولة على إدراكه من تلك الميزتين بالذات، وهاتان الميزتان هما: خلافة الله، ووعده الله.

خلافة الله

وهو نوع الخلافة التي تجعل الناس على يقين من أنموذجيتها، حيث لم يسبق وأن تسمى أي قائد تاريخي بهذه التسمية من قبل، وحتى الإطلاق الوارد في آية ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَلَوَّكُم فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعَقَابِ وَإِنَّهُ لَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) لم يأت للدلالة على الحاكمية التاريخية التي قادت المجتمع الإسلامي كما يذهب المفسرون في تفاسيرهم. ولذلك لم يجرؤ أي حاكم من الحكام الدنيويين على الادعاء أنه خليفة الله على مدى التاريخ كله، بل لم يدع أي نبي من أنبياء الله أنه خليفة الله في الأرض. وجل ما جاء به المفسرون بشأنها قول القرطبي: "خلائف: جمع خليفة. وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة. أي جعلكم خلفاً للأمم

(١) الطور المهدوي، عالم سيط النيلي، ١٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

الماضية والقرون السالفة. ورفع بعضكم فوق بعض في الخلق: الرزق والقوة والبسطة والفضل والعلم.

ليبلوكم في ما آتاكم: والابتلاء الاختبار، أي ليظهر منكم ما يكون غايته الثواب والعقاب. ويقال: ليبلوكم: أي بعضكم ببعض^(١).

وقول ابن كثير: "أي جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن وخلفاً بعد سلف. وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به. وقوله تعالى: "﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾" تهيب وترغيب. وقد قال الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط أحد من الجنة خلق الله مئة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون" وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي" وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية من أن تصيبه" ^(٢).

وقد وردت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة عن الخلافة، ومنها خلافة الأئمة المعصومين الاثني عشر كما في حديث جابر بن سمرّة قال: "دخلت مع أبي علي النبي ﷺ فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش" ^(٣).

(١) تفسير القرطبي، سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير لآخر سورة الأنعام.

(٣) صحيح مسلم، حديث ١٨٢٠، ص ٨٢١، باب الأمانة.

وعنه أيضاً: "لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصاة من المسلمين حتى تقوم الساعة" (١).

وعن المغيرة بن شعبه: "لا يزال ناس من أمّتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" (٢).

ومنها أيضاً: "كنا جلوساً إلى ابن مسعود بعد المغرب وهو يُعلم القرآن فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن سألت النبي ﷺ كم تملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: ما سألتني عنها أحد قبلك. نعم خلفاؤهم اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل" (٣).

لكنه ﷺ لم يقل عن شخص ما أنه (خليفة الله)، وحتى المسلمون الذين تحدثوا عن الخلافة بغضّ النظر عن اختلافهم في مقاصدها تحدثوا عن خلافة الرسول ﷺ وليس عن خلافة الله، ولذلك أطلقوا على الخلفاء الراشدين تسمية (خليفة رسول الله) ولم يسموهم (خلفاء الله).

أما في حديثه ﷺ عن المهديّ فنجد تأكيداً شديداً لربط خلافته بالله سبحانه حيث ورد عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: "يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، لا يصير إلى أحد منهم، ثم يجيء خليفة الله المهديّ فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه فإنه خليفة الله المهديّ" (٤).

وأجد أن في هذا التنصيص والتخصيص رمزيّة وتفرداً وخصوصيّة من حيث سعة حكم الإمام المهديّ، فكما أن سلطة الله تعالى محيطة بكلّ العوالم كذلك يجب أن تكون سلطة خليفته المكلف بإحداث النقلة الكونيّة الأخيرة محيطة بكلّ العوالم، بما لم يتهيأ لأحد من قبل من الخلفاء السياسيين لا المعصومين؛ لأنّ الأئمة المعصومين كانوا يحيطون أيضاً بأمر العوالم وما

(١) منتخب الصحيحين، ص ٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه، منتخب الصحيحين.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٧، ومسند أحمد، جزء ٥، ص ٨٦.

(٤) إزام الناصب، ج ٢، ص ٤٥٥.

يحدث فيها إحاطة دراية وتواصلية وسلطة روحية، لكن للإمام المهدي خصوصية؛ لأن سلطته وتعاملاته مع العوالم ستكون إحاطة فعلية حاكمية. وهو ما يجعل أفراد دولته على دراية بأنها جاءت ضمن التخطيط الإلهي.

وفي هذا الصدد لا بأس أن نتحدث عن آية مباركة تؤكد هذه الإحاطة والشمولية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) التي تعلن صراحة عن وراثة الصالحين للأرض كلّ الأرض على أنها خاتمة لعصر الخلافات المتنوعة والديانات المتباينة والمعتقدات الغربية، ولا يوجد في الآية ولا في غيرها ما يشير إلى أنّ خلافة الأرض سوف تعود ثانية إلى المفسدين بعد هذه الخلافة الخاتمة الممثلة بالإمام المهدي والمهديين من بعده.

ففي تفسير الميزان: "الوراثة والإرث على ما ذكره الراغب انتقال قنيّة إليك من غير معاملة. والمراد من وراثة الأرض انتقال التسلط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات إمّا دنيوية راجعة إلى الحياة الدنيا كالتمتع الصالح بامتعتها وزيناتها فيكون مؤدى الآية أنّ الأرض ستظهر من الشرك والمعصية ويسكنها مجتمع بشري صالح يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ - إلى قوله - ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ النور: ٥٥. وإما أخروية وهي مقامات القرب التي اكتسبوها في حياتهم الدنيا فإنها من بركات الحياة الأرضية وهي نعيم الآخرة كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ الزمر: ٧٤ وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ المؤمنون: ١١.

ومن هنا يظهر أنّ الآية مطلقة ولا موجب لتخصيصها بإحدى الوراثةين

(١) سورة الانبياء، الآية ١٠٥.

كما فعلوه فهم بين من يخصّها بالوراثة الأخروية تمسكاً بما يناسبها من الآيات، وربما استدلوا لتعيينه بأن الآية السابقة تذكر الإعادة ولا أرض بعد الإعادة حتى يرثها الصالحون، ويردّه أنّ كون الآية معطوفة على سابقها غير متعين فمن الممكن أن تكون معطوفة على قوله السابق: "فمن يعمل من الصالحات" كما سنشير إليه. وبين من يخصّها بالوراثة الدنيوية ويحملها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور المهديّ ﷺ الذي أخبر به النبي ﷺ في الأخبار المتواترة المروية من طرق الفريقين، ويتمسك لذلك بالآيات المناسبة له التي أوامنا إلى بعضها.

و بالجمله الآية مطلقة تعمّ الوراثة جميعاً غير أنّ الذي يقتضيه الاعتبار بالسياق أن تكون معطوفة على قوله السابق: "فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن" المشير إلى تفصيل حال المختلفين في أمر الدين من حيث الجزاء الأخرويّ وتكون هذه الآية مشيرة إلى تفصيلها من حيث الجزاء الدنيويّ، ويكون المحصل أنا أمرناهم بدين واحد لكنهم تقطعوا واختلّفوا فاختلّف مجازاتنا لهم أما في الآخرة؛ فللمؤمنين سعي مشكور وعمل مكتوب وللكافرين خلاف ذلك، وأما في الدنيا فللصالحين وراثة الأرض بخلاف غيرهم^(١).

ويكاد رأي مدرسة الخلفاء أن يتفق مع رأينا في هذه الخلافة في بعض جوانبه ولكن من حيث العمومية الإسلامية لا من حيث الخصوصية المهدوية؛ إذ قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عمّا حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقال ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وقال ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن

(١) الميزان في تفسير القرآن، سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

قِيلَهُمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴿١﴾ وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدريّة وهو كائن لا محالة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد ﷺ الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقال مجاهد عن ابن عباس "إن الأرض يرثها عبادي الصالحون" قال: أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدي هم المؤمنون" (١).

وقال الطبري: "ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض. فتأويل الكلام إذن، إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته دون العاملين بمعصيته، وقال: حدثنا صفوان، سألت عامر بن عبدالله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث.

وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا. وقال آخرون: عنى بذلك بني إسرائيل، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به. وقد ذكرنا قول من قال: إنها أرض الأمم الكافرة، ترثها أمة محمد ﷺ. وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة" (٢).

وقال القرطبي: "وأحسن ما قيل فيه أنه يراد بها أرض الجنة كما قال

(١) تفسير ابن كثير، سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٢) تفسير الطبري، سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

سعيد بن جبير، لأنّ الأرض في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم. وقال مجاهد وأبو العالية: ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤] وعن ابن عباس أنها الأرض المقدسة. وعنه أيضاً: أنها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ بالفتوح. وقيل: إن المراد بذلك بنو إسرائيل بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَنَرْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] وأكثر المفسرين على أن المراد بالعباد الصالحين أمة محمد ﷺ^(١).

إن اختلاف تفسير الآية المباركة بين المدرستين له علاقة كبيرة بنظرة كلّ منهما إلى المشروع المهدويّ، حيث نجد المفسرين الشيعة يربطونها بعصر الظهور وصولاً إلى ما بعد يوم الحساب، وأمّا أتباع مدرسة الخلفاء فإنهم يكادون يجرّدونها من بعدها الدنيوي ويختزلون معناها في البعد السماوي كما تبين من أقوالهم، وعليه أكد المفسرون الشيعة علاقة الآية المباركة بالظهور المهدويّ في ذات الوقت الذي أعلنوا اعتراضهم على تجريد المهدويّة من هذا الوعد الربانيّ، كما في قول السيد الطباطبائي في تفسيره للآية: "ومن هنا يظهر أنّ الآية مطلقة ولا موجب لتخصيصها بإحدى الوراثتين كما فعلوه، فهم بين من يخصّها بالوراثة الأخرويّة تمسكاً بما يناسبها من الآيات، وبين من يخصّها بالوراثة الدنيويّة".

وعد الله

ومتما يدعم الرؤى الشيعيّة في أنّ المقصود بالخلافة هو خلافة الإمام المهديّ لله في أرضه؛ فضلاً عن نوع الخلائق الذين سيحقق الله لهم وعده بالخلافة الأرضيّة. وفي القرآن الكريم آيات بينات تكلمت على وعد الاستخلاف الإلهي:

الأولى: بشارة ربانيّة عامّة بأنّ الأرض سوف يرثها في آخر الزمان قوم

(١) تفسير القرطبي، سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

شاء الله لهم وراثتها؛ لأنهم من خيرة المتقين من عباده ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

والثانية: بشارة ربانية خاصة كما في قوله سبحانه ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

إن الاستخلاف الإلهي الموعود سوف يتحقق للذين آمنوا، وحسن إيمانهم لدرجة نيلهم القبول من الباري، وهي الدرجة التي سوف يصل إليها البشري في زمن الدولة المهدوية، وهي التي تؤهلهم لإظهار دين الله على الأديان كلها تحقيقاً للوعد الإلهي حيث يتحولون بعد الظهور الكلي إلى قوة جبارة عظمى لا تضاهيها قوة على وجه الأرض، بعد أن كانوا قبل ذلك مرعوبين خائفين وجلين من قوة أعدائهم التقليديين أمريكا وإسرائيل ودول الغرب والأعداء المحليين وغيرهم، وهذا التبدل الجوهرى من الضعف إلى القوة هو الجوهر الذي سوف تنشأ عليه الأجيال مما يجعلها موقنة بالنصر ولا تأبه لعدو مهما كانت قوته.

خلافة الله، والوعد الإلهي بالاستخلاف لا يدلان على حقيقة المهدوية فحسب وإنما يدلان أيضاً على كونية هذه الخلافة الفريدة التي لم تشهد الدنيا لها مثيلاً من قبل.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

السؤال الخطير

السؤال

أقول في الختام: إذا كان كل الذي تحدثنا عنه مجرد استقرار واستنطاق للروايات والآيات لاستنتاج رأي قابل للخطأ كما هو قابل للمصواب برغم أن كفة صوابه في حالتنا هذه تبدو أثقل كثيراً من كفة خطأه، بل تبدو حقيقة يجب الإيمان بها، فإننا بالمقابل على تمام الثقة بالمهدوية شخصاً وفكراً وعقيدة، ونحن على يقين أنه (عجل الله فرجه) قادم بأسرع ممّا نتوقع ونتصوّر، وسوف يكون ظهوره الشريف بعد الصيحة التي تسمع في الشهر المبارك رمضان الخير "يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة الجمعة ليلة ثلاث وعشرين" صيحة النذير هذه أكدتها مجموعة من الأحاديث التي لا تقبل التأويل، وهي من أشراط الساعة كما روى أبو نعيم بن حماد المروزي عن كثير بن مرة: "ومن علامات البلاء وأشراط الساعة أن يطرقهم صوت من السماء ليلاً" (١) وقد قال رسول الله ﷺ: "يكون في رمضان صوت" وقال أيضاً: "هدة*" توقظ النائم وتقعّد القائم وتخرج العواتق من خدورهنّ في ليلة من سنة كثيرة الزلازل" وجاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "تكون هدة في شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان" كما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: "الفزعة في شهر رمضان.

(١) الفتن، نعيم بن حماد المروزي.

(* الهدة لغة: الصوت الغليظ المخيف المفزع.

فقيل: ما الفرزة يا أمير المؤمنين؟ قال: مناد في السماء يوقظ النائم ويفزع اليقظان^(١).

وهذا يعني أنّ هنالك فرزة أو هدّة أو صوت غليظ مخيف مفزع يأتي من السماء لا يعرف كنهه ومسببه قد جعله الله سبحانه نذيراً بين يدي المهديّ يبشر المؤمنين بمقدمه الشريف ويحذر الكفار والغافلين. هذا الحدث الغريب سوف يقع في سنة كثيرة الزلازل، وفي ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك معلناً للكون كله أنّ ساعة الحقيقة قد أذفت، وحاد يوم الامتحان الذي يكرم المرء فيه أو يهان، أي: إنّنا معرضون لعيش حالة الترقب والتوجس والأمل والشّد والخوف والرعب في كلّ رمضان يمرّ علينا، ولاسيّما أنّ علامات الظهور والأحداث المتسارعة التي تبدو وكأنها تفسر بعض العلامات، تدل كلها على أنّ عصرنا الراهن قد يكون هو العصر المعنيّ بالظهور. لذا من الإنصاف أن نسأل أنفسنا هذه الأسئلة الخطيرة:

هل يا ترى نكون عند سماع الصيحة - إذا ما كتب لنا أن نسمعها ونعيش أجواءها - مؤهلين لاستقباله؟

ما الوسائل التي أعدناها لكي نضعها بين يديه الشريفتين لتشفع لنا عنده عسى أن يقبلنا بين صفوف أفراد دولته السعيدة؟

هل من الممكن أن نكون أعضاء فاعلين في هذه الدولة؟

هل نملك المواصفات المطلوبة لذلك؟

وهي أسئلة خطيرة تحتاج إلى جواب مقنع.

الجواب

وأقول جواباً: إنّنا إذا أردنا أن نكون جزءاً من منظومة الفكر المهديّ الكونيّ علينا أن نفهم فلسفة الانتظار في زمن الغيبة على أنها مرحلة إعداد

(١) المفاجأة، محمّد عيسى داؤد، ص ١٨٥.

المؤمنين فكرياً وجسدياً وعقدياً وليس مرحلة كسل وخمول واتكال. فهي مرحلة تدريب وتهيؤ واستعداد وبناء لتجميع النقاط التي تؤهل المرء للانتقال إلى المراحل الأخرى. ولذا نجد أنّ من لم يحسن بناء شخصيته وتدريبها فكرياً وجسدياً وعلمياً وعقائدياً ومجتمعيّاً، أو أنه اهتم بأحد هذه الجوانب وأهمل الجوانب الأخرى، لن يتأهل لنيل هذا الشرف الكبير. ودليلنا في ذلك أنّ الانتظار بمفهومه العامّ يشمل كلّ الأمتة، فكلّ حيّ موالٍ هو منتظر بالسليقة والفترة، ولكن من سيتأهل منهم يا ترى؟ من سيتأهل للجلوس في فسطاط المهديّ؟ هل هم المنتظرون من الهمج الرعاع الذين ينعقون خلف كلّ ناعق يدّعي أنه سفير المهديّ، أو يمانيه، أو قاضي السماء باسمه، أو الممهّد له، أو نائبه، أو المجتبيّ؟

أمّ المنتظرون من المجاهدين الذين يصلون ليلهم بنهارهم في العبادة وجهاد النفس، وجهاد العدو، والدفاع عن الإسلام وعن المسلمين في كلّ أرجاء المعمورة ويرفضون أن يتسلط على مقادير أمور الإسلام والمسلمين محتلّ غاصب، أو عبّاد المناصب، أو من يدّعي ضرورة فصل الدين عن السياسة.

إنّ الانتظار الحقيقيّ هو عبادة الصبر على المكاره، وصبر العبادة على حقيقتها ولذلك قال سيّد الكائنات ﷺ في وصف المتمسك بالعبادة في زمن الانتظار: "العبادة في الهرج كهجرة إليّ" ^(١) وقال في الانتظار نفسه: "أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله تعالى" ^(٢) وكذلك قال الإمام عليّ عليه السلام: "أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج" ^(٣) وفي كلّ هذه القوال إنما قصدوا بالانتظار العمل البنائيّ وليس الجلوس والترقب، فالانتظار امتحان حقيقيّ لقدرات المؤمن بصدق عقيدته وعمق إيمانه وحقيقة إتباعه لمنهج

(١) صحيح مسلم، حديث ٢٩٤٨، ص ١٢٣٥.

(٢) كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق، ص ٦٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

الحق؛ لأنه التجلي الحقيقي للمعنى الحقيقي للشخصية وقدرتها على تطبيق المفاهيم العقائدية على أرض الواقع بدلالة أنّ الإمام علياً عليه السلام وصف المنتظر الحقيقي بأنه "كالمشحط بدمه في سبيل الله" ^(١) وهو وصف دقيق للحالة التي يجب أن يكون عليها المؤمن في زمن المحنة والامتحان، زمن الردة والانكفاء حيث أخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة" ^(٢).

وفي هذا إشارة للارتداد والعودة إلى عبادة الأصنام بمعناها المجازي وليس الحقيقي وهو ما بانت بوادره في السنين القليلة الماضية، واستشرى بين الناس حتى بات وباء. كذلك أخرج عن أمّ المؤمنين عائشة قولها: سمعت رسول الله يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى" ^(٣) وهي إشارة يقينية إلى حقيقة الارتداد الذي سيحدثه المسلمون؛ لأنّ الأحاديث تكلمت على ذي الخلصة واللات والعزى وهي أصنام العرب التي كانوا يعبدونها في جاهليتهم، ولم تتكلم على أصنام الأمم الأخرى من غير العرب. ولقد تجسد هذا الارتداد بالكثير من أعمال المسلمين اليوم، تلك الأعمال التي يدعو بعضها لكلّ المنكرات ومنها جواز الاجتهاد مقابل النصّ، أو تعطيل العمل بالنصوص وحتى إلغائها، أو أداء الجنسين لصلاة الجماعة معاً بصفوف متداخلة تضمّ النساء والرجال، أو بعدم ضرورة لبس الحجاب في الصلاة وغيرها، أو جواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة؛ سواء كانت سافرة أم كانت محجّبة ^(٤) أو جواز تقبيل الفتيان غير المتزوجين للفتيات غير

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤٥.

(٢) صحيح مسلم، حديث ٢٩٠٦ ص ١٢١٨، أما ذي الخلصة فهو الصم الذي كانت تعبده قبيلة دوس اليمانية قبل إسلامها.

(٣) المصدر نفسه، صحيح مسلم، حديث ٢٩٠٧، ص ١٢١٨، وحديث ٢٩٠٦، ص ١٢١٨ وصحيح البخاري، حديث ٧١١٦، ص ١٢٥٧ - ١٢٥٨.

(٤) من اجتهادات رجل الدين المصري جمال البنا أخ المرحوم حسن البنا رئيس تنظيم الأخوان المسلمين في مصر، التي أدلى بها لبرنامج في الصميم الذي تبثه قناة بي بي سي الإنكليزية.

المتزوّجات؛ لأنّ ذلك من الذنوب الصغيرة التي تمحوها الحسنات، أو فتوى إرضاع الزميلة لزميلها في العمل لكي تحلّ لهما الخلوّة^(١) أو قيام شيخ ومقرئ للقرآن برفع الأذان بمصاحبة (البيانو) في قصر العظم في العاصمة السوريّة دمشق^(٢) أو بتكفير بعض رجال الدين المشهورين للشيعة كلهم؛ لأنّ أحد أبنائهم عرف الحقّ واتبع هذا المذهب^(٣).

فهل نحن بعد هذا مستعدون لأن نتشخط بدمائنا من أجل الجلوس مع المهديّ في فسطاطه، أم أنّ انتظارنا مجرد كلام؟

إنّ الانتظار واقعاً لا يعني السلبية، فمن ينتظر ضعيفاً كريماً لا يجلس ويتمنى أو يحلم أحلام اليقظة، لأنّ الأحلام لا تكرم الضيف ولا تشبعه، بل يتهيأ لمقدمه من كلّ النواحي، وإلاّ فهو أقرب للارتداد منه للاعتقاد، وللعقوق منه للبرّ، وللمفارقة منه للاتباع، وللهزيمة منه للنصرة...

إنّ مجرد تلمظ الله سبحانه وتعالى بوضع العلامات العامّة والخاصّة للظهور إنما أريد به تهيئة الأمة المنتظرة لقدوم المنقذ؛ لكي تترجم انتظاراتها عملاً بالتفاعل مع هذه العلامات.

وللظهور المقدس علامات بعضها عام وبعضها الآخر حتمي خاص. يبلغ عدد العام منها الآلاف، وأمّا الخاصّ منها فخمسة هي: اليماني والسفياني والصيحة والخسف وقتل النفس الزكيّة.

وقد وصل إلينا عن النبيّ وآل البيت (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) الكثير من الأحاديث عن هذين النوعين من العلامات. لكن لم ترد إلينا عنهم حتى ولو مجرد إشارة أن هنالك آيات وعلامات من نوع آخر أعدّها الله سبحانه للأقوام الأخرى من غير البشر باستثناء ما ورد من إشارات مقتضبة في

(١) قناة الساعة الفضائيّة المصريّة وشبكات النت.

(٢) قناة العربيّة الفضائيّة ١٠/١٠/٢٠٠٨.

(٣) كما فعل الشيخ يوسف عبدالله القرضاوي مؤخراً في تصريحاته المتكررة للقنوات الفضائيّة والصحف.

بعض الأحاديث التي أوردناها في هذا البحث، فإذا كانت الأقوام الأخرى مشمولة بالانتظار مثلنا فلمَ اختصت العلامات بأهل الأرض من دون سواهم؟

وجواباً عن هذا السؤال أقول: لا يوجد عندنا ما يثبت أو ينفي تخصيص علامات ظهور للأمم الأخرى، فهذا الأمر من الغيبيات التي لا نعرفها أو نعلم عنها شيئاً مثلما نحن لا نعرف شيئاً عنهم. بل نحن غير مكلفين للبحث في ذلك بعد أن وصف أهل البيت عليهم السلام هؤلاء الأقوام أنهم وصلوا إلى درجة عالية من اليقين والعرفان يستضيئون معها بنور الله. ومن يصل إلى هذه الدرجة لا يحتاج إلى علامات تهديه إلى وقت الظهور أو قربه لأنه يعرف وقته بالسليقة والفطرة، ويؤمن بحتميته بالسليقة بحيث لا يحتاج إلى العلامات لكي تربطه بواقع هو على تمام الثقة بصحته، ولو كنا نحن البشر بمثل درجتهم العرفانية ما كنا سنحتاج إلى العلامات حتماً.

وختاماً أقول جاء في الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "من مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن هو مع القائم في فسطاطه، لا بل كان بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله بالسيف" ^(١) فهل يعطي الانتظار السلبي درجة دخول الفسطاط والارتقاء إلى مرتبة الصحبة؟ أم أنّ هنالك أموراً أخرى كثيرة تنضوي عليها فلسفة الانتظار هي التي تهتئ المرء؛ ليكون كالصحابيِّ المقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله والجالس مع المهديِّ المنتظر في فسطاطه؟

فإذا كان الجواب: نعم الانتظار السلبي يجزي في ذلك، فمعنى هذا أنّ الجميع سوف يدخلون الفسطاط من دون تمييز. ودخول الجميع لا يحتاج إلى ذكر هذا الموضوع وتأكيد الروايات له؛ لأنه يصبح من الأمور العادية التي لا تلفت الأنظار، ولذا أجد أنّ مجرد الإشارة لمن يجلس في الفسطاط بهذه الخصوصية يدلّ على أنهم صفوة الناس الذين أدركوا معنى فلسفة الانتظار وليس كلّ المنتظرين. ممّا يعني أنّ الانتظار مرحلة الإعداد الفكريِّ والنفسيِّ

(١) كمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص ٣٣٨.

للأنصار الحقيقيين لإعدادهم لاستقباله عند مقدمه الشريف، وللمخلصين من أتباعه، ومن يتمكن من تركية نفسه في أثناء مدّة الانتظار ليكون من ضمنهم. وذلك كله لكي يصبحوا مهئين لتحمل واجباتهم الشرعية العظيمة. أمّا أن نجلس ونتكاسل ونتكل على مجرد حبنا للإمام أو اتباعنا لمذهب أهل البيت، أو التحدّث عن الانتظار في مجالسنا وندواتنا وندّعي أننا من المنتظرين فذلك لا يدخل في مفهوم فلسفة الانتظار ولا يثاب من يعمل به أو يجازى بالتأكيد.

لذا أجد أنّ علينا إذا أردنا أن نكون جزءاً من المنظومة المهدوية أن نبدأ منذ الآن بتغيير أنماط حياتنا كافة، وأن نتعامل مع فلسفة الانتظار على أنها رقابة ذاتية لسلوكياتنا ومعياراً إسلامياً لنتائج كل أعمالنا

خرق جدار الفكر

وأختم بحثي بالقول: أنه إذا كانت العلوم الراهنة بتقنياتها المتطورة المبهرة قد حوّلت عالمنا إلى قرية كونية هي أصغر كثيراً ممّا نعتقد، حتى إنّ من يعيش في أقصى شرقها أصبح يسمع ويرى كلّ ما يدور في أقصى غربها وجنوبها وشمالها في لحظة وقوعه نفسها، ويتفاعل معه تفاعلاً جدياً ومؤثراً بمجرد لمسة زرّ، فإنّ ركوب السحاب والرقّي في الأسباب وطّي الأرض، والسير على الماء وغيرها من الأمور الإعجازية العظيمة التي مرّ ذكرها، إذا لم تكن تشير صراحة إلى كونية الأطروحة المهدوية بمعناها الحقيقي لا المجازي، تصبح مجرد أحاديث عادية لا ميزة فيها يتميز بها الإمام المهديّ عن غيره من البشر الذين انحصرت مشاريعهم النهضوية في الحدود الضيقة لأجزاء صغيرة من الأرض لم يتجاوز بعضها مساحة قرية صغيرة لا يعرف الناس اسمها. بل لا ميزة تميزه حتى عن البشر العاديين المعاصرين الذين يتعاملون اليوم مع هذه التقنيات المتطورة تعاملاً لا غرابة أو دهشة فيه.

ومع أن التعصب والمنطق لا يتفقان، إلا أنني أرى أنّ الأدلة المنطقية التي جثت بها في هذا البحث كقيلة بأن تجعل الإنسان يتعصب لأرائه التي يعتقد أو

يؤمن بيقينيتها. ولا يسعني بعد أن أدليت بما عندي سوى ترديد مقولة عالم الاجتماع العراقي المرحوم علي الوردني في كتابه (خوارق اللاشعور): "أنا لا أريد بهذا البحث أن أقنع إلا من يريد أن يقتنع، أما الذي لا يريد أن يقتنع فليس لدينا إزاءه أي حيلة".

وهذا برأيي منتهى الإنصاف من عالم جليل، لأنه أخذ أصل قوله من عالم أجل هو الإمام الباقر عليه السلام في قوله: "إنّ حديثكم هذا لتشمئز منه قلوب الرجال فانبذوه إليهم نبذاً فمن أقرّ به فزيده ومن أنكر قدره...^(١)".

أنا من جانبي أوّمن بأنّ هنالك أفكاراً غير ناضجة يكون مبعثها في غالب الأحيان الإكراهات والقسر الذي يتعرض له المرء في مراحل تطوّره على المستويين الشخصي والمجموعيّ قد تزاخم مبتنيات فكره فتجبره على طرح مشاريع ساذجة لا ترقى إلى درجة القبول ممّا يربك عملية التقييم ويوقع حيرة وشكاً وحتى معارضة ورفضاً. لكن بالمقابل نجد أنّ المشاريع البنائية الناهضة التي يأتي بها الباحث إذا ما كانت قائمة على مرتكزات منطقيّة وعلميّة (عقليّة/نقلية) يصل بعضها إلى درجة الإجماع والتواتر ربّما تنجح في التأسيس لمفاهيم جديدة كان الآخرون غافلين عنها، ولا أقول منكرين، وقد تنجح نتائج البحث في إحداث خرق في جدار الأفكار الموروثة لتؤسس لنفسها كياناً مستقلاً قوياً يبيّن قواعد فهم جديدة لحدود الأطاريح، أو تحدث هتكا في جدار الصمت الذي قد يكون أكثر تدميراً من كلام الخبثاء، ومن هذه المشاريع العظيمة مشروع كونيّة الأطروحة المهدوية وحكم الإمام المهديّ للمجرات الكونيّة التي تختلف بشأنها الكيانات، وهي التي لم تعد نبوءة تبحث عن مصاديق وإنما أصبحت واقعاً ملموساً هو أقرب إلى التحقق من أيّ وقت آخر.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١١٥، حديث رقم ٣٦.

إنه عصر الظهور

ولكي أكون منطقيًا في قلبي هذا وليس مخالفًا للنهي عن التوقيت الذي جاء عن أهل البيت عليهم السلام أقول: جاء في جفر الإمام علي عليه السلام: "يعلو هيكل إسرائيل قبل حكم الله فيهم، ويجعلونه حجر مغناطيس يجلب إليهم الشتيت والهارب والتاجر وصاحب الذهب والصحائف. ألف ألف يهودي، عدوا مثلها ستاً، يتم وعد القدر الحتم معها"^(١).

شرح المعاني:

المقصود بقوله عليه السلام (هيكل إسرائيل): هو الدولة العبرية في فلسطين المحتلة وليس هيكل سليمان الحقيقي كما يتوهم بعضهم ومنهم الكاتب نفسه. والمقصود بقوله عليه السلام (ألف ألف): أي: $1000000 = 1000 \times 1000$ مليون نسمة.

وبقوله (عدوا مثلها ستاً): أي اضربوا $6000000 = 6 \times 1000000$ مليون نسمة.

أي احسبوا لغاية أن يصبح عددهم ستة ملايين يهودي فإذا اكتمل عددهم ستة ملايين يهودي في فلسطين وحدها وليس في العالم كله، يأتي وعد الله الحتم.

ومعنى الحديث: أن عدد اليهود إذا بلغ ستة ملايين في (هيكل إسرائيل) أي (دولة إسرائيل) وليس في العالم كله، سوف يتم حكم الله فيهم ويأتي القدر الحتم الذي لا مبدل له، أي خروج القائم المنتظر (عجل الله فرجه) الذي يقود المسلمين لقتالهم حتى يشهد عليهم الحجر والشجر كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ولكي تكون الصورة واضحة ما دمنا نتكلم بلغة الأرقام والإحصاءات

(١) ينظر المفاجأة، محمد عيسى داود، ص ٣٢٣.

أقول: لقد جاء في إحصاء أصدره مكتب الإحصاءات الإسرائيلي المركزي في مايس عام ٢٠٠٨.

أن عدد سكان إسرائيل يبلغ الآن ٧٢٨٢٠٠٠ نسمة.

منهم اليهود الذين يبلغ عددهم ٥٤٩٩٠٠٠ نسمة.

أما العدد الباقي والبالغ ١٧٨٣٠٠٠ فيمثل الفلسطينيين (المسلمين والمسيحيين) المقيمين في حدود الدولة، ومن لم يسجل يهودياً في وزارة الداخلية الإسرائيلية^(١) مع لحاظ أن معدل النمو السنوي في إسرائيل بحسب مركز الإحصاء ١,٨٪ وهو معدل ثابت منذ ٢٠٠٣ لذا لا بأس من اعتماد إحصاء عام ٢٠٠٨ نظراً لقلّة التبدلات الحاصلة وهي التي يبينها التقرير الذي أصدره المكتب بمناسبة نهاية العام ٢٠١١ من أن عدد سكان إسرائيل تجاوز ٧,٨ مليون نسمة. ووفقاً لوزارة الداخلية، يوجد في إسرائيل سبعة ملايين و٨٣٦ ألف نسمة، من بينهم ٥٩٠١٠٠٠ ألف يهودي (٧٥,٣٪ من مجموع عدد السكان) ومليون و٦١٠ آلاف عربي (٢٠,٥٪ من عدد السكان) و٣٢٥ ألف شخص ليسوا يهوداً ولا عرباً (٤,٢٪).

ألا يعني هذا أننا قد نكون أقرب إلى عصر الظهور ممّا نتوقع ولاسيّما أن عدد اليهود في فلسطين المحتلة قريب الوصول لعدد البشارة التي أخبرنا بها الإمام عليه السلام؟

إن الكثير من علماء الدين العارفين يتحدثون عن الظهور بتفاؤلية يقينية حتى إن أحدهم قال قبل عدة سنوات: "ذكرت مرّة علامات حتمية وغير حتمية لظهور الإمام عليه السلام لكن إن قيل سيظهر الإمام غداً فلا يستبعد ذلك"^(٢) لكنه بعدما توفرت لديه بعض الدلائل الجديدة عاد بعد مدّة وجيزة جداً ليقول:

(١) ينظر موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية على شبكة الانترنت ٧/ مايو/ ٢٠٠٨.

(٢) القول للمرحوم الشيخ بهجت وقد ورد في كتاب المهدي الموعود، ص ٧٧.

"كنا نبشر الشباب بأنهم سيدركون ظهور بقية الله الأعظم ﷺ إلا أنني أبشر الآن الكهول أنهم سيشهدون عصر الظهور"^(١).

وقال فاضل آخر: "إذا قيل لكم إن الإمام المهديّ (عج) يقف خلف الباب فلا تكذبوه" وربما بسبب هذه الروح التفاؤلية والهمة الانتظارية التي تربطنا بالمهديّ والمهدوية يتهمنا البعض بأننا لا نقوم بأيّ عمل سوى انتظار المهديّ الذي شغلنا حتى عن الصلاة كما في اتهام ابن تيمية لنا بقوله: "ومن حماقتهم أيضاً [أي الشيعة] أنهم يجعلون للمتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها كالسرداب بسامرا الذي يزعمون أنه غاب فيه ومشاهد أخرى... ومنهم من يقول في أوقات الصلاة دائماً، لا يصلي خشية أن يخرج [أي المهديّ] وهو في الصلاة فينشغل بها عن خروجه"^(٢).

إن اختفاء الكمّ الأكبر من أحاديث المهديّ وعلامات نهضته وخروجه من مناهج بعض الفرق الإسلامية؛ سواء عن قصد وسبق إصرار أم عن جهل وتهاون لم يسمح للأمة بفهم المهدوية على حقيقتها كما فهمها أتباع مدرسة أهل البيت، مما لم يشعرهم بأهميتها وعظمتها بشعور أتباع مدرسة أهل البيت نفسه، ومن يرجع إلى كتب الحديث يجد أن رسول الله ﷺ أفاض في حديثه عنها في أكثر من مناسبة، حتى إنه كان يحبس الناس عن أعمالهم وشؤون أسرهم التي قال إنها (الجهاد الأعظم) ليحدثهم عن الفتن التي تصيب الأمة بعد وفاته وعلامات ظهور المهديّ بما فيها مراحل ما قبل الظهور، وقد تمتدّ هذه المحاضرات على مدى نهار كامل بطوله، كما في الحديث عن عمر بن الخطاب الذي قال: "صلى بنا رسول الله الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا"^(٣).

(١) المصدر نفسه، المهديّ الموعود، ص ٧٨.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، الجزء ١، ص ٤٤ - ٤٥.

(٣) مسلم، حديث ٢٨٩٢، ص ١٢١٣، باب الفتن.

وحديثاً يمتدّ لأكثر من اثني عشرة ساعة متواصلة لا بدّ أن يكون قد شمل كلّ مساحة الشّأن المهديّ بما فيه قيادة الأكوان، ولا بدّ أنه من الأهميّة الكبرى أن يقضي رسول الله ﷺ كلّ هذا الوقت الطويل بالحديث في شأنه في سابقة لم نسمع عن حالة مشابهة لها في تاريخ البعثة المشرفة كله. لكن وللأسباب التي ذكرناها من قبل لم تعطّ هذه الحادثة الجلل حقها الطبيعيّ، ولم تسلط عليها الأضواء الكاشفة، ولم تحظ بعناية الدارسين، بل حدث العكس حين طمس الجزء الأكبر من حديث النبيّ الذي ألقاه فيهم ولم يبقَ منه سوى تلك الأحاديث العامة التي يستفاد من بعضها أنّ دولة المهديّ تعمر سبع سنين، ثمّ يأتي بعدها الشرّ ويعمّ الأرض. ولذلك بات أمر من يأتي بأحد مصاديقها الخافية محفوفاً بالمخاطر، وحديثه عنها عرضة للتكذيب من المسلمين قبل غيرهم.

عليه لا أدري إن كان طرح هذا الموضوع قد جاء في وقته المناسب، أم إنه جاء متعجلاً دونما مقدّمات، ولاسيّما أنه ورد في المأثور أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أوصى حذيفة بن اليمان الصحابيّ الجليل الذي اختصّ برواية أحاديث الفتن وقصص آخر الزمان، وهو الذي كان بعض الصحابة والتابعين يستغربون من غرابة ما يحدثهم به عن فتن آخر الزمان فيقول لهم: "والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله أسرّ إليّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن" (١).

ورد ذلك في قوله الشريف مخاطباً حذيفة: "يا حذيفة لا تحدث الناس بما لا يعرفون فيطغوا أو يكفروا. إنّ من العلم صعباً مستصعباً محمله، لو حملته الجبال عجزت عن حمله. إن علمنا أهل البيت مستنكر يبطل ويقتل راويه، ويساء إلى من يتلوه بغياً وحسداً" (٢).

(١) مسلم، حديث ٢٨٩١، ص ١٢١٢، باب الفتن.

(٢) المفاجأة، محمّد عيسى داود، ص ٣٤٠.

وعن حميد الطويل قال: "سمعت انس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تحدثوا الناس بما لا يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (١).

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: "أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (٢).

لذا أرجو أن يكون التفتح الذهني والتطور العلمي سواء من حيث تطور علوم الفضاء أو علوم الحاسوب والاتصالات والعلوم الأخرى، أو من حيث تفتح أذهان المسلمين الآن وانفتاحها على العلوم المختلفة قد هيا إنسان القرن الحادي والعشرين لتقبل هذه الأطروحات الجديدة والاقتناع بما تأتي به بل والإيمان بمحتواها بعد أن لمس هذا الإنسان حقائق لم يكن يأمل الوصول إليها حتى في الأحلام، ولاسيما أن هذه الأطروحات مستقاة من مصاديق عقلية ونقلية لا يستهان بها ولا يشك بصدقها ومتانتها. ثم إن هذا الموضوع برمته يصب أصلا في جانب تقوية الاعتقاد بالغد الإسلامي المشرق الذي كنا جميعاً ننتظره منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً قضاها الصحابة والفضلاء والسلف والأجداد والآباء والمعاصرون في انتظار الفرج الذي سوف يملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلماً وجوراً

إن كتابة آثار أهل البيت وبالأخص منها آثار المهديّة ومصاديق نهضتها وبثها بين الناس في هذا العصر بالذات، الذي نرى أنه سيكون عصر الظهور إن شاء الله تعالى، هو تكليف وطني وأخلاقي، كما هو تكليف عقائدي وشرعي؛ لأن إدراك الأمة لأهميّة فهم الفكر المهديّ يخلق بينها وبين المهديّة وشائج قويّة ويحفزها للتفاعل مع عصر الانتظار تفاعلا إيجابياً منتجاً، وقد جاء عن باقر أهل البيت عليه السلام أمره المقدس الشريف: "اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا" (٣)، وجاء عن صادق أهل البيت عليه السلام أمره

(١) غيبة التعماني، ص ٤٢ عن عوالم العلوم ٣/ ٣١٢ حديث رقم ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣) تنبؤات النبي والأئمة، مصدر سابق، ص ٣٣٤.

الشريف المقدس لأحد أتباعه: " اكتب وبث علمك في أخوتك فإن متَّ فأورث كتبك بنيك فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم" (١).

وآخر ما أريد قوله هو أننا بوصفنا مسلمين ظلمنا الفكر المهدويّ والعقيدة المهدويّة على مرّ التاريخ، وقد آن لنا اليوم ونحن نشعر في ضمائرنا وعقولنا ووجداننا بقرب الظهور المقدس أن نعيد إلى هذه العقيدة المظلومة مكانتها، وأن نحول انتظارنا إلى رابطة جمعيّة تجمع المسلمين تحت خيمة الأمل بالغد المشرق السعيد، بدل أن نجعلها من أقوى محرّكات بث العداة والفرقة، كما تعمل بعض الفرق.

ويجب أن ننشئ المراكز البحثيّة، ومواقع الانترنت لكي نقرب العقيدة المهدويّة إلى فكر الجماهير، ونوقف مهازل المواقع التي تنتهك حرمة هذه الأطروحة الإسلاميّة الصحيحة الخالدة بدوافع سياسيّة أكثر منها دينيّة.

إنّ العالم الغربيّ أنشأ أكثر من ٥٧٠٠٠٠ موقع على شبكة الانترنت لشرح نبوءات اليهودي (نوستر أداموس) وتفسيرها، وهناك في العالم المئات من مراكز البحث والدراسة والتحليل المختصة بتوضيح النبوءات الداموسيّة، تختلف فيما بينها في التفسير والتحليل والتأويل، ولكن لا يكذب أحدها الآخر، ولا يتناول عليه، ولا يهزأ منه، ولا يكفره، ولا يبيح قتله، ولا يخترق موقعه ليدمره، ولا يدّعي أنّ أطروحته منافية للدين، ولا يستهين بنقوله التي يعتمد عليها، ولا يُضعف بهتاناً كلّ ما يأتي به!

فلمّ تكون العقيدة المهدويّة الإسلاميّة عند بعض المسلمين بهذا الرخص، ولمّ ينظرون إليها بهذا الابتذال والسفافة وهي من أصدق العقائد وأكثرها تماساً واحتكاكاً بالحياة العامّة للأمة والخاصة للمسلم؟

(١) المصدر نفسه، تنبؤات النبيّ والأئمة.

لِمَ يبقى بعض المسلمين عالقين في أجواء الخلاف الأوّل والعالم يسير نحو التقدّم والحوار والتفاهم بهذه السرعة المهولة؟

لِمَ يرفض بعض المسلمين أن يكونوا من ضمن حملة هذا المشروع الواعد العظيم؟

لِمَ لا يُصدّق بعض المسلمين أنّ المهديّ سوف يأتي لكي يجعلهم أسياد الكون؟

لِمَ... ولِمَ... والأسئلة كثيرة، ولكن إثارها تثير في النفس الشجون!!
 ألا تتفقون معي أنّ كثيراً من الأمم تبكي عصراً ذهبياً ولى وأكثر منها تنتظر عصراً ذهبياً بعد أن وصلت بالإنسان إلى قمة التقدم كما تعتقد، أما نحن المسلمين المهديّين فمن أكثر الأمم تعلقاً بهذا الغد وانتظاراً له؛ لأنه سوف يكون حتماً الغد الواعد القادم الذي كنا وما زلنا ننتظره منذ خمسة عشر قرناً، وقد تهيأت أسباب مقدمه اليوم بجلاء ولكنها وللأسف غائبة عن أعين الكثير من المسلمين الآخرين.

ألا تتفقون معي اننا لو طلبنا من أعظم المتفائلين بمستقبل الإنسانية المشرق بل ومن أعظم المتخصصين في هذا المجال أن يقنعنا بالخطة الممكنة والفكرة المحتملة للإصلاح العالمي والتغيير الشامل الذي من الممكن أن يحقق للإنسانية سعادتها المستقبلية المرتقبة لن نجد جواباً مقنعاً؛ لأنه لا يملك تصوّراً عن الآليات التي سيتمّ بموجبها هذا التغيير الشامل غير المسبوق، ولكنك لو وجهت السؤال إلى ابسط المسلمين المهديّين فإنه سيجيبك دون تلوّك بان الإصلاح المأمول سوف يتم على يد الإمام المهديّ المنتظر. وربما لهذا السبب بالذات ربطت شعوب الأرض مستقبلها بمنتظرها المرتقب الذي تأمل به أن يحقق لها السعادة الشاملة، وذلك لأنّ القرآن الكريم والرسول الأمين وأهل البيت الأكرمين بشرونا بهذا العهد السعيد الذي لا بدّ أن يسود العالم وتنعم البشرية كلها في ظلاله بالأمن والرخاء والعدل والحرية والحياة الكريمة.

عَجَّلَ اللهُ ظَهْرَهُ الْمَقْدَسَ الشَّرِيفَ وَجَعَلَنَا اللهُ جَمِيعاً بِكُلِّ فِتْنَاتِنَا وَمَلَلْنَا
وَنَحَلْنَا مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالْجَالِسِينَ فِي فِسْطَاطِهِ، وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ
يَدَيْهِ، وَتَحْتَ رَايَتِهِ، رَايَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَأَخْرَجْنَا دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ الْكِرَامِ الْمُنْتَجِبِينَ
وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ الرَّسَالِيِّينَ الْمُحِبِّينَ لِنَبِيِّهِمْ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
الْمَعْصُومِينَ.

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفُنِّي وَيَبْقِي الدَّهْرَ مَا كَتَبْتَ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُكُ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

المراجع والمصادر

- ١ - الأصفهاني، أبو الفرج ٢٨٤ - ٣٥٦؛ مقاتل الطالبين، دار الزهراء، ط٤، بيداور، قم، ١٣٨١هـ.ش.
- ٢ - الأصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبدالله (ت ٤٣٠)، حلية الأولياء، مكتبة المعجم.
- ٣ - الأصبهاني، أبو نعيم؛ الأربعون حديثا في المهدي، تحقيق علاء الزبيدي، منشورات سلسلة، قم، ٢٠٠٧.
- ٤ - الأصفهاني، الراغب؛ مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ذوي القربى، قم، ١٤٣١هـ.
- ٥ - ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم علي، ت ٦٦٤؛ الملاحم والفتن.
- ٦ - ابن خلدون، عبد الرحمن؛ تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.
- ٧ - ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازنداني؛ مناقب آل أبي طالب، تحقيق تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦م.
- ٨ - ابن حجر، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (٨٩٩ - ٩٧٤هـ)؛ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، د.ت.
- ٩ - ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هج)؛ السنن، تحقيق فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
- ١٠ - ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي المتوفى سنة ١٠٨٩؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ هجرية - ١٩٧٩ ميلادية.
- ١١ - ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار المعرفة، مكتبة المصطفى.
- ١٢ - ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين؛ تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ابن الأثير، أبو السعادات الجزري؛ جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنووط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، طبعت أجزاء الكتاب في مطابع وتواريخ شتى ابتداء من عام ١٣٨٩ هجرية - ١٩٦٩ ميلادية.
- ١٣ - ابن الجوزي؛ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.
- ١٤ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في التاريخ، شبكة مشكاة الإسلامية، كتاب الكتروني.
- ١٥ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين (ت ٥٩٧هـ)؛ لعل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ١٦ - ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)؛ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.
- ١٧ - ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبدالله، رسائل الشيخ الرئيس، شرح وتصحيح ميكائيل بن يحيى الهرني، ١٨٨٩ المسيحية، طبع ليدن، ألمانيا، كتاب الكتروني.
- ١٨ - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>
- ١٩ - أحمد، (الدكتور)؛ الشفيح الماحي، كتاب باجوج وماجوج، المشكاة الإسلامية.
- ٢٠ - أحمد، رضا عليوي سيد؛ فن التعامل مع الناس، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٣.
- ٢١ - آل قطيط، هاشم؛ المهديّ قادم، دار الباقر، كربلاء، ٢٠٠٧.
- ٢٢ - الأسدي، (الشيخ) عبد الرزاق؛ وظيفة الرسول ومسؤولية الأمة، العتبة العباسية المشرفة، كربلاء، ٢٠٠٨.
- ٢٣ - الاسنوي، جمال الدين أبو محمّد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر (ت ٧٧٢هـ)؛ طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، مركز الخدمات والبحوث الثقافية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٢٤ - أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي؛ سنن أبي داود، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كمال يوسف الحوت والأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت.
- ٢٥ - الأحمدي، علي بن حسين علي؛ مكاتيب الرسول، دار الهاجر، بيروت، د.ت.
- ٢٦ - ابن حنبل، أحمد، المسند.
- ٢٧ - ابن ماجه، السنن.
- ٢٨ - ابن سلامة القضاعي، مسند الشهاب.
- ٢٩ - ابن مفلح، برهان الدين؛ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد.
- ٣٠ - الإنجيل المقدس، الكتاب المقدس العهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط٦، بيروت، د.ت.
- ٣١ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبدالله بن النميري الحراني الدمشقي الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨هـ)؛ منهاج السنة النبوية، تحقيق د. محمّد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦.
- ٣٢ - البخاري، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل؛ الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
- ٣٣ - بدران، الشيخ عبد القادر؛ تهذيب تاريخ دمشق، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.
- ٣٤ - باغانر، جاك؛ الدولة مغامرة غير أكيدة، ترجمة نور الدين اللباد، مكتبة مدبولي، عربة للنشر، القاهرة، ٢٠٠١.
- ٣٥ - البيهقي، محمّد بن علي؛ أهم كتب الأحكام المطبوعة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إعداد محمّد بن علي البيهقي قاضي تحقيق بهيئة التحقيق والادعاء والعضو بالجمعية الفقهية السعودية بالرياض، طبعة مكتبة نزار الباز، كتاب الكتروني.
- ٣٦ - الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي (ت ٢٧٩هـ)؛ سنن الترمذي: الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، تحقيق أحمد محمّد شاكر وآخرون، الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٣٧ - جعفر، مهدي خليل؛ تنبؤات النبي والأئمة لأحداث الأمة، دار المحجة البيضاء، النجف، د.ت.
- ٣٨ - جمال الدين، محمد أمين؛ عمر أمة الإسلام، مكتبة المجد العربي، القاهرة، ١٤١٧ هجرية.
- ٣٩ - الجويني، إبراهيم بن محمد بن المؤيد عبدالله بن علي بن محمد الخراساني (٦٤٤ - ٧٢٢هـ - ١٢٤٦ م - ١٣٢٢ م)؛ فرائد السمطين في فضائل المصطفى والبتول والسبطين، تقديم وتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر. بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٩٧٨هـ/١٩٧٨ م. والجزء الثاني عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م.
- ٤٠ - جورج، بيار؛ معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة أحمد الطفيلي، مراجعة هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٤١ - الجورقاني، الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر أبو عبدالله الهمداني (المتوفى ٥٤٣هـ)؛ الأباطل والمناكير والصحاح والمشاهير، تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، ط ٤، دار الصميعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، مؤسسة دار الدعوة التعليمية الخيرية، الهند ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٤٢ - جمال الدين، أمين محمد؛ عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي ﷺ، ط ٢، المكتبة التوفيقية، مصر، ١٩٩٦.
- ٤٣ - جمال الدين، أمين محمد؛ رد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي ﷺ، المكتبة التوفيقية، مصر.
- ٤٤ - حنبل، (الإمام)؛ أحمد بن؛ هجرية المسند، مكتبة المعجم، قرص مدمج.
- ٤٥ - الحميدوي، حسن باقر كاظم؛ يوم ظهور صاحب الزمان ٢٠٠٨، دار مكة، د.ت.
- ٤٦ - الحموي، ياقوت؛ معجم البلدان، منتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي <http://adel-ebooks.mam9.com>
- ٤٧ - الحلو، (السيد) محمد علي؛ علامات الظهور، جدلية صراع أم تحديات مستقبل، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ط ٤، النجف، ١٤٢٩.
- ٤٨ - الحائري، (آية الله السيد) كاظم؛ أسس الحكومة الإسلامية، دار البشير، ط ٢، قم، ١٤٢٧.
- ٤٩ - الحائري، (الشيخ) علي اليزدي؛ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، مراجعة فالح عبد الرزاق العبيدي، دار بور الهدي، ط ٢، قم، ١٤٢٨.
- ٥٠ - الحاكم، المستدرك على الصحيحين.
- ٥١ - الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العسكري؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
- ٥٢ - الحكيم، محمد باقر؛ علوم القرآن، آية الله العظمى.
- ٥٣ - الحكيم، (السيد) محمد باقر؛ علوم القرآن، مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف، د.ت.
- ٥٤ - حسن، (الدكتور) عبد محمد؛ أقرب الظهور، دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٦.
- ٥٥ - الحمش، عذاب محمود المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية.
- ٥٦ - الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العسكري؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط - محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ٥٧ - الخطيب، مصطفى عبد الكريم؛ معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦.
- ٥٨ - الخيون، رشيد؛ الأديان والمذاهب بالعراق، روح الأمين، ١٤٢٦هـ.

- ٥٩ - خليل، الشيخ مهدي؛ تنبؤات النبي والأئمة.
- ٦٠ - دراز، (الدكتور) محمد عبدالله؛ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، ١٩٧٠.
- ٦١ - داؤد، محمد عيسى؛ المفاجأة بشراك يا قدس، القاهرة.
- ٦٢ - الدمشقي، (الشيخ) تاج الدين عبد الوهاب بن عمر الشافعي؛ الروض المغرس في فضائل بيت المقدس، تحقيق د. محمد عبد الكريم محافظة ود. زهير غنايم عبد اللطيف، قرص مدمج.
- ٦٣ - الدمشقي، عبد القادر بن احمد الدومي؛ العقود اللؤلؤية في جيد الاسئلة الكويتية، تحقيق عبد الستار أبو غدة، ط ٢ مكتبة السداوي، ١٤١٣هـ.
- ٦٤ - الدليمي، (الدكتور) طه حامد؛ المهدي المنتظر هذه الخرافة، الأنبار، ٢٠٠٤، تم تنزيل الكتاب من موقع فيصل نور الالكتروني.
- ٦٥ - الدميري، (الشيخ) كمال الدين؛ حياة الحيوان الكبرى، تصحيح الشيخ عبد اللطيف سامر بيته، مطبعة البقيع، قم، ١٤٢٥هـ.
- ٦٦ - الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)؛ المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٦٧ - الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٦٧٣ - ٧٤٨) سير أعلام النبلاء، مكتبة المعجم الفقهي الالكتروني.
- ٦٨ - الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان؛ تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٦٩ - رزاق، (الشيخ) خليل؛ معالم التجديد الفقهي، دار فراق، قم، ٢٠٠٨.
- ٧٠ - الرازي، محمد بن أبي بكر؛ مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢.
- ٧١ - الرازي، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بـ مسكويه؛ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦.
- ٧٢ - الرنكوسي، محمود قاسم بعيون؛ القضاء الرباني، قرص مدمج.
- ٧٣ - الربيعي، عباس؛ المهدي في العراق، د.م، د.ت.
- ٧٤ - زين الدين، عبد الرسول؛ معجم بلدان عصر الظهور، منشورات الفجر، لبنان، ٢٠٠٩.
- ٧٥ - الزيدي، عباس؛ المسيح المنتظر مقارنة بين منهجين وتفسيرين، مكتبة محمد زويني، الكوت، ٢٠٠٦.
- ٧٦ - الزاهد، عبدالله بن محمد بن عباس؛ عجائب الملكوت، د.ت.
- ٧٧ - زيادة، (الدكتور) حز معن؛ معالم على طريق تحديث الفكر العربي، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٧.
- ٧٨ - زاهد، (الدكتور) عبد الأمير كاظم؛ قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر.
- ٧٩ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ العرف الوردية في أخبار المهدي، تحقيق أبي يعلى البيضاءوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.
- ٨٠ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٨٧.
- ٨١ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ تفسير الجلالين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، دار الحديث - القاهرة، (د.ت).

- ٨٢ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.
- ٨٣ - سليمان، كامل؛ يوم الخلاص، دار المجتبي، قم، ٢٠٠٦.
- ٨٤ - سروش، (الدكتور) عبد الكريم؛ الدين العلماني، ترجمة أحمد القبانجي، دار العراق الجديد، النجف، د.ت.
- ٨٥ - السند، (الشيخ) محمّد؛ فقه علائم الظهور، مركز الدراسات التخصصيّة في الإمام المهديّ، ط٤، النجف، ١٤٢٩.
- ٨٦ - السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، أبو نصر (٧٢٧ - ٧٧١هـ)؛ طبقات الشافعيّة الكبرى، تحقيق الدكتور محمود محمّد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمّد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ.
- ٨٧ - السعدي، (الشيخ) عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)؛ رسالتان في فتنه يأجوج ومأجوج، تحقيق أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دار ابن الجوزي، ٢٠٠٦.
- ٨٨ - السويدي، أبو الفروز محمّد أمين البغدادي الشهير بالسويدي؛ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة التجاريّة، القاهرة، مصر.
- ٨٩ - الشبلنجي، مؤمن؛ نور الأبصار في مناقب آل بيت المختار، تحقيق محمّد طعمه حلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ٩٠ - الشبوط، محمّد عبد الجبار؛ تكامل الإنسان بعد ظهور الإمام المهديّ، دار الصباح، بغداد، ٢٠٠٤.
- ٩١ - شمس الدين، مهديّ؛ المهديّ الموعود ربيع الظهور، طريق المعرفة، النجف، ٢٠٠٤.
- ٩٢ - الشهرستاني، (السيد) هبة الدين؛ الهيئة والإسلام، دار التعارف ومؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٩٧٨.
- ٩٣ - الشيرازي، (السيد) مرتضى؛ محاضرة الصبر والجهاد المتواصل، حوزة كربلاء.
- ٩٤ - شمس الدين، الشيخ محمّد مهديّ؛ المهديّ الموعود ربيع الظهور.
- ٩٥ - شعبان، نبيل؛ الصحيفة السجاديّة في معانيها الجليليّة، أنوار الزهراء، ١٣٢٥هـ.
- ٩٦ - الشافعي، (الشيخ) تاج الدين عبد الوهاب بن عمر؛ الروض المغرس في فضائل بيت المقدس، قرص مدمج.
- ٩٧ - الصدوق، (الشيخ) أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه ألقمى (ت ٣٨١)؛ كمال الدين وإتمام النعمة، طليعة النور، ط٢، قم، ١٤٢٩.
- ٩٨ - الصدر، (السيد) محمّد محمّد صادق؛ موسوعة الإمام المهديّ، بني الزهراء، قم، ١٤٢٨هـ.
- ٩٩ - الصانع، حسن علي؛ برنابا الإنجيل المحرم، ٢٠٠٨.
- ١٠٠ - صالح، (دكتور) عبد المحسن؛ من أسرار الحياة والكون، كتاب العربي، سلسلة فصليّة تصدرها مجلة العربي، الكويت، ١٩٨٧.
- ١٠١ - الصبان، محمّد بن علي؛ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، مكتبة ومطبعة الشعبيّة، مصر.
- ١٠٢ - الطباطبائي، (السيد) محمّد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٧٩هـ.ش.

- ١٠٣ - الطوسي، محمد بن علي بن الحسن؛ الغيبة، تحقيق عبدالله الطهراني وعلي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١.
- ١٠٤ - الطائي، صالح؛ نظرية فارسية التشيع، طبع دار العارف، بيروت.
- ١٠٥ - الطائي، صالح؛ الحركات المهدوية المدعية، لماذا الآن؟، بغداد.
- ١٠٦ - الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب؛ الاحتجاج، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف.
- ١٠٧ - الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم؛ المعجم الكبير مكتبة العلوم والحكم، الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣.
- ١٠٨ - الطبري، محمد بن جرير؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠٩ - ظهير، إحسان إلهي؛ الشيعة وأهل البيت، تم تنزيله من موقع البرهان على ألت.
- ١١٠ - المسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علاء الدين بابن حجر العسقلاني المصري؛ فتح الباري من صحيح البخاري، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.
- ١١١ - العسقلاني، ابن حجر؛ تهذيب التهذيب، طبعه حيدر آباد سنة ١٩٠٨ قرص مدمج، مكتبة المصطفى الإلكترونية.
- ١١٢ - عبره، عبد الرسول مهدي؛ قضية الخلق بين الماديين والمثاليين، مطبعة حسام، بغداد، ١٩٧٩.
- ١١٣ - عمر، (الدكتور) معن خليل؛ نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢.
- ١١٤ - عبدالله، (الدكتور) محمد معروف؛ علم العقاب.
- ١١٥ - عبد الواحد، د. علي؛ علم الاجتماع.
- ١١٦ - العبدالله، علي فرج؛ معجزات الأنبياء كرامات للأولياء من هذه الأمة، تدقيق عبدالله سنده، د. ت.
- ١١٧ - عبد الحكيم، منصور؛ بأجوج ومأجوج، من الوجود وحتى الفناء، دار الكتب العربي، الكتاب ضمن سلسلة كتب أحداث آخر الزمان.
- ١١٨ - عبد الهادي، (الدكتور) أحمد عوض؛ أحداث النهاية بين العلم والقرآن والسنة - طلوع الشمس من مغربها، محمل من شبكة النت alnomrosi.net ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦.
- ١١٩ - فويرول، فليكس؛ لماذا نحن بحاجة للأديان، ترجمة علي المبروك.
- ١٢٠ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٧٢٩.٨١٧)؛ القاموس المحيط، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٢١ - قاسم، محمد؛ تاريخ القرن التاسع عشر في أوربا، محمد قاسم وحسين حسني، دار الكتب المصرية، ١٩٨٢.
- ١٢٢ - قمي، مهدي حسيني؛ في الدفاع عن روايات المهدي، د. ت.
- ١٢٣ - القرشي، باقر شريف؛ الفقه الإسلامي تأسيسه أصالته مداركه، دار الهدى، قم ١٤٢٤.
- ١٢٤ - القزويني، محمد كاظم؛ الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، مؤسسة الأمير، النجف، ٢٠٠٤.
- ١٢٥ - القزويني، زكريا؛ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١.
- ١٢٦ - القزويني؛ آثار البلاد وأخبار العباد، كتاب إلكتروني، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

- ١٢٧ - القاضي، (الشيخ) محمد بن عثمان؛ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، قرص مدمج من موقع موسوعة الحديث.
- ١٢٨ - القاضي، محمد بن سلامة القاضي أبو عبدالله؛ مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- ١٢٩ - القرطبي، أبو عبدالله؛ الجامع لحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٣٠ - القشيري، أبو الحسن نور الدين علي بن خليل المرصفي الشافعي؛ الرسالة القشيرية، منهج السالك إلي اشرف المسالك، تحقيق الدكتور الشيخ عبد الحلیم محمود والدكتور محمود بن الشريف، مؤسسة مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١٣١ - القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي.
- ١٣٢ - الكوراني، (الشيخ) علي؛ عصر الظهور، ط ١١.
- ١٣٣ - الكوراني، (الشيخ) علي؛ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي، ط ١، ٢٠٠٦.
- ١٣٤ - الكليني، محمد بن يعقوب؛ أصول الكافي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١٣٥ - الكاظمي، (السيد) مصطفى حيدر؛ بشارة الإسلام في علامات المهدي، تحقيق نزار الحسن، معرض الشهيد محمد باقر الصدر للطباعة والنشر، بغداد.
- ١٣٦ - كلوز، فرانك؛ النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، مراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩١، لسنة ١٩٩٤، الكويت.
- ١٣٧ - كجيل، عبد الدائم؛ أسرار الكون بين العلم والقرآن، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، توزيع محمد لجين الزين، دمشق سوريا، ٢٠٠٦.
- ١٣٨ - كارنيج، دايل؛ فن التعامل مع الناس.
- ١٣٩ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال.
- ١٤٠ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين.
- ١٤١ - الكتاب المقدس، الإنجيل.
- ١٤٢ - مؤسسة المعارف الإسلامية، معجم أحاديث الإمام المهدي، ط ٢، قم، ١٤٢٨.
- ١٤٣ - المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٢هـ وطبعة ثانية مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٢ وطبعة ثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٥هـ.
- ١٤٤ - مطهري، (الشيخ) مرتضى؛ الرؤية الكونية التوحيدية، مسلم بن عقيل، النجف، د.ت.
- ١٤٥ - مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله؛ المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد، قرص مدمج.
- ١٤٦ - الموسوي، (السيد) فاروق؛ الحتميات من علائم الظهور، مؤسسة السبطين العالمية، ط ٢، قم ١٤٢٧ هجرية.
- ١٤٧ - المروزي، نعيم بن حماد؛ الفتن، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، د.ت.
- ١٤٨ - ألمعتزلي، عبد الحميد بن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٢.
- ١٤٩ - منصور، أنيس؛ العائدون إلى السماء، دار الشروق.
- ١٥٠ - منصور، أنيس؛ الذين هبطوا من السماء، دار الشروق.

- ١٥١ - المؤمن، (الدكتور) مازن؛ العلوم الفلكية عند أهل البيت.
- ١٥٢ - المقدسي، ابن المطهر؛ البدء والتاريخ كتاب الكتروني To PDF: <http://www.al-mostafa.com>
- ١٥٣ - مجلس، عادل عبدالله؛ الله والإمام، بحوث فكري في الأسلوب الإلهي لإقامة الدين في الأرض، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٦.
- ١٥٤ - المفيد، (الشيخ) أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ)؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد تحقيق، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث.
- ١٥٥ - مدن، يوسف؛ سيكولوجية الانتظار، دار الهدى، ٢٠٠٢.
- ١٥٦ - المصباح، (الشيخ) كاظم؛ دولة الإمام المهدي وعصر الظهور، دار الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٧.
- ١٥٧ - النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري؛ الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.
- ١٥٨ - النجدي، (الدكتور) حميد؛ الإعجاز العلمي في القرآن، ط ٢، دار الأنصار، قم، ٢٠٠٧.
- ١٥٩ - النعماني، محمد بن إبراهيم بن جعفر (ت ٣٦٠هـ)؛ الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، انتشارات مدين، قم، ١٤٢٦.
- ١٦٠ - النيل، عالم سيط؛ الطور المهدي، شكوري، إيران، ١٣٨٤هـ.ش.
- ١٦١ - النهاني، يوسف بن إسماعيل؛ منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين.
- ١٦٢ - النيسابوري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم؛ المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.
- ١٦٣ - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا (٦٣١ - ٦٧٦هـ)؛ شرح النووي على مسلم، دار السلام، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ١٦٤ - الواسطي، كاظم أنصيري؛ أهل البيت في الكتاب المقدس، دار جلال الدين، قم، ١٤٢٤.
- ١٦٥ - وافي، (الدكتور) علي عبد الواحد؛ علم الاجتماع، نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- ١٦٦ - هنتنغتن، صموئيل؛ من نحن، التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية.
- ١٦٧ - ويتكمب، جون سي؛ الكتاب المقدس وعلم الفلك، منشورات ويتكمب، ترجمة فريق مؤسسة كلمة الحياة، موقع كلمة الحياة على شبكة ألت.
- ١٦٨ - ويليامز، جيسিকা؛ حقيقة ينبغي أن تغير العالم، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١٦٩ - الياسري، (السيد) عادل؛ الشخصية الرسالية، بيروت، ٢٠٠٨.
- ١٧٠ - الياضي، اليماني؛ روضة الرياحين في مناقب الصالحين، مصر، ١٣١٥، المطبعة السعيدية، كتاب الكتروني، مكتبة المصطفى.
- ١٧١ - الهيثمي، أحمد بن حجر؛ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، مكتبة القاهرة، مصر، (د.ت).
- ١٧٢ - الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، بيروت.
- ١٧٣ - الهرني، ميكائيل بن يحيى؛ رسائل الشيخ الرئيس، أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، شرح وتصحيح ميكائيل بن يحيى الهرني، ١٨٨٩ المسيحية، طبع ليدن، ألمانيا.
- ١٧٤ - هنتنغتن، صموئيل؛ من نحن، التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية.
- ١٧٥ - اليماني، الياضي؛ روض الرياحين في مناقب الصالحين.

المواقع الإلكترونية

- ١ - الرابط <http://www.alarabiya.net/articles/2009/04/21/71161.html>
- ٢ - مركز الإفتاء السعودي على شبكة الانترنت.
- ٣ - مركز النور، الرابط <http://www.alnoor.se/article.asp?id=124274>
- ٤ - موقع مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهديّ التابع لمكتب السيد السيستاني.
- ٥ - موقع صيد الفوائد، الرابط <http://www.saaaid.net/feraq/sufyah/t/6.htm> والرابط <http://www.saaaid.net/feraq/sufyah/t/6.htm>
- ٦ - موقع بي بي سي على الشبكة مقال نشر يوم ١٦/٢/٢٠٠٩.
- ٧ - موقع space.com مقالة للكاتب ديفيد دارلنغ، ترجمة علاء غزالة.
- ٨ - موسوعة العلوم المعرفية للصابئة المندائيين في الرابط <http://www.cdmilia.tk/>
- ٩ - صحيفة المثقف، صادق الصافي، الرابط http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=41177:2010-12-10-01-34-04&catid=34:2009-05-21-01-45-56&Itemid=53
- ١٠ - شبكة النبا المعلوماتية يوم الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٩.
- ١١ - موقع جريدة المنارة، يوم ٢٤/٢/٢٠٠٩.
- ١٢ - موقع قناة BBC القسم العلميّ الاثنين، ٢٥ كانون الثاني، ٢٠١٠.
- ١٣ - موقع موسوعة الإعجاز العلميّ للقرآن بحث بقلم عبد الدائم كحيل المتخصص بهذا النوع من الدراسات.
- ١٤ - وكالة سبعة أيام للأنباء ٧/٨/٢٠١١ الرابط <http://www.7dn-iq.com/ar/science/11153-140.html>
- ١٥ - موقع حلو الكلام <http://himaparadise.jeeran.com/archive/2009/3/823845.html>
- ١٦ - موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية على شبكة الانترنت/٧ مايو/٢٠٠٨.
- ١٧ - مواقع موقع الجمعية الخيرية المندائية في الدنمارك <http://mandacan.dk/node/17>
- ١٨ - موقع الأخبار <http://www.akhbaar.org/home/2008/09/54191.html>
- ١٩ - تكنولوجيا الطيران والسفر عبر الزمن في الحضارات القديمة - VIMANA موقع الملاحم والفتن <http://alfetn.net/vb3/showthread.php?t=40865>
- ٢٠ - الحكيم الباطني، موقع الحوار المتمدن - العدد: ٣١٤٨ الرابط <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=231298>
- ٢١ - نظرية الكائنات الفضائية هي الأقرب لنشأة الحضارة السومرية، موقع نادي الفكر العربي، الرابط <http://www.nadyelfikr.com/showthread.php?tid=35952>
- ٢٢ - الباحث صباح حاتم في حديثه لوكالة كردستان للأنباء (آكانيوز) باحث في الحضارة السومرية: نظرية الكائنات الفضائية هي الأقرب لنشأة الحضارة السومرية، نادي الفكر العربي <http://www.nadyelfikr.com/showthread.php?tid=35952>
- ٢٣ - زيارات من العالم الخارجي، موقع بيت الصياد، الرابط <http://www.baytalsayyad.com/Article-2-263.html>

- ٢٤ - حضارة المايا والأزتيك، الرابط
<http://www.armephy.com/vb/archive/index.php/t-298.html?s=d49800a4ec49b250589fb0a9ef105595>
- ٢٥ - المستقبل السحيق: رحلة نحو عوالم أخرى، الدكتور جواد بشارة، الرابط
http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11450&Itemid=99
- ٢٦ - اكتشافات وأدلة تشير لوجود حياة في الفضاء زارت الأرض قبل آلاف السنين، جمعية الفلك بالقطيف، مقال الأستاذ فهد الأحمرى.
<http://qasweb.org/qasforum/index.php?showtopic=11033&st=40>
- ٢٧ - حضارات متقدمة سبقتنا إلى القمر قبل ٤٣١٩ عاماً!! جبهة نيوز - ربما ديبو:
<http://www.jpnews-sy.com/ar/news.php?id=4569>
- ٢٨ - السومريون، كيف عرفوا بوجود نبتون؟ فهد عامر الأحمدى، مؤسسة الموهوبون
www.mawhapon.net/vcr_ar/news.php?news_id=2864
- ٢٩ - السومريون سيناريو الأصل الفضائي / هل جاء السومريون من الفضاء؟، الرابط
<http://www.crystalinks.com/anunnakidna.jpg>
- ٣٠ - فرضية وجود حضارات ذكية في الفضاء يطرحها علماء الفلك والفيزياء، اعداد: محمد هاني عطوي، مجلة العربي الحر،
<http://www.freearabi.com/OuterCivilizations.htm>
- ٣١ - موضوع بعنوان (البشر غير مستعدين للتواصل مع الحضارات الكونية)
<http://www.zain1.com/vb/archive/index.php/t-8778.html>
- ٣٢ - موقع شبير، الرابط
<http://forum.shabir.tv/index.php?page=topic&show=1&id=21703>
- ٣٣ - هل نحن وحدنا في هذا الكون؟ حلم البحث عن العالم المفقود، متديبات الحكمة، الشيخ مصطفى الهادي
<http://alhiikmeh.net/mn/showthread.php?340-%E5%E1-%E4%CD%E4-%E6%CD%CF%E4%7-%DD%ED-%E5%D0%7-%C7%E1%DF%E6%E4-%BF-%CD%E1%E3-%C7%E1%8%CD%CB-%DA%E4-%C7%E1%DA%7%E1%E3-%C7%E1%E3%DD%DE%E6%CF>
- ٣٤ - مقال: هل ستتصل يوماً بالعوالم الأخرى في الكون؟ الدكتور جواد بشارة
http://www.iraker.dk/index.php?option=com_content&task=view&id=11697&Itemid=99
- ٣٥ - موقع (الناس)
<http://al-nnas.com/ARTICLE/JBashra/25kn4.htm>
- ٣٦ - (أدم ومشوني كسطه) موقع الجمعية الخيرية المندائية 177
<http://www.mandaean.dk/nodc/177>
- ٣٧ - حضارات متقدمة سبقتنا إلى القمر قبل ٤٣١٩ عاماً!! جبهة نيوز - ربما ديبو:
<http://www.jpnews-sy.com/ar/news.php?id=4569>
- ٣٨ - نظرية الكائنات الفضائية هي الأقرب لنشأة الحضارة السومرية، موقع نادي الفكر العربي، الرابط
<http://www.nadyelfikr.com/showthread.php?tid=35952>
- ٣٩ - تكنولوجيا الطيران والسفر عبر الزمن في الحضارات القديمة - VIMANA؟؟
- ٤٠ - السومريون، كيف عرفوا بوجود نبتون؟ فهد عامر الأحمدى، مؤسسة الموهوبون
www.mawhapon.net/vcr_ar/news.php?news_id=2864
- ٤١ - موضوع بعنوان (البشر غير مستعدين للتواصل مع الحضارات الكونية).

- ٤٢ - كيف نستقبل الكائنات من الفضاء الخارجي، مها محسن، جريدة المدى
<http://almadapaper.net/sub/05-107/p08.htm>
- ٤٣ - (الأطباق الطائفة بين الوهم والحقيقة) منشور في موقع (معكم) في الرابط
<http://forum.m3com.com.sa/t79749/>
- ٤٤ - الأجسام المحلقة مجهولة الهوية، حقيقة أم خيال؟، الدكتور جواد بشارة، موقع (الناس) - <http://al-nas.com/ARTICLE/JBashra/25kn4.htm>
- ٤٥ - موقع صيد الفوائد، الرابط <http://www.saaaid.net/feraq/sufyah/t/6.htm>
- ٤٦ - موقع space.com
- ٤٧ - موقع الاتحاد الديمقراطي العراقي
<http://www.idu.net/portal/modules.php?name=News&file=article&sid=12387>

المجلات والجرائد

- ١ - مجلة الانتظار، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ينظر مقال التوظيف السياسي لفكرة المهديّ للدكتور عمار عبودي نصار.
- ٢ - مجلة التراث الشعبي العراقية، مقالة بعنوان منمنمات الصابئة المندائيين في العراق، ماهود أحمد.
- ٣ - مجلة حدائق المصرية في عددها الأول.
- ٤ - مجلة الأسبوعية العدد ١٠٣، ٣ - ٩ كانون الثاني ٢٠١٠.
- ٥ - جريدة النهار، الأحد ٦/٢/٢٠١١ العدد ٢٤٥٥٩.
- ٦ - صحيفة "البيان" الإماراتية.
- ٧ - مجلة الأسبوعية العدد ١٠٣، ٣ - ٩ كانون الثاني ٢٠١٠.

الدراسات والمحاضرات والخطب والمقالات

- ١ - دراسة الباحث المصري هشام محمد طلبة.
- ٢ - خطبة للشيخ محمد حسان في صلاة الجمعة في السعودية.
- ٣ - بحث (الأطباق الطائفة بين الحقيقة والخيال) للباحث محمد النبي نشر في ٢٥ شباط ٢٠٠٨.
- ٤ - حيدر، رندا؛ المهديّ المنتظر في روايات أهل السنة والشيعية الإمامية، دراسات حديثة نقدية، الكاتبة رندا حيدر، جريدة النهار، الأحد ٦/٢/٢٠١١ العدد ٢٤٥٥٩.
- ٥ - الناظر، رنا داود؛ دراسة بعنوان (الصيحة في القرآن).
- ٦ - من أسرار الحياة والكون، دكتور عبد المحسن صالح.

القنوات الفضائية

- ١ - شبكة سي أن أن الإخبارية ١٦ / ٥ / ٢٠٠٨ الموقع الالكتروني.
- ٢ - قناة الساعة الفضائية المصرية.
- ٣ - قناة العربية الفضائية ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٨.
- ٤ - وكالة بي بي سي للأنباء.

المؤلف في سطور

الاسم: صالح عبد الطائي، مواليد ١٩٥١

العنوان البريدي: salih_altaie@yahoo.com

الأثار المطبوعة:

- ١ - نظرية فارسية التشيع بين الخديعة والخلط التاريخي والمؤامرة.
- ٢ - جزئيات في السيرة النبوية دراسة نقدية تحليلية.
- ٣ - الحركات المهدوية المدعية لماذا الآن؟.
- ٤ - المرجعية الدينية، المعطيات والتحديات ما بعد الاحتلال: كتاب مشترك.
- ٥ - نظرة إسلامية في التسلط الاجتماعي والتربوي.
- ٦ - محمد ﷺ رسول الرحمة والهادي الأمين.
- ٧ - القيمة الفقهية والمعرفية لفكر الأطروحة المهدوية، صدر ملحقاً لمجلة سبيل القرآنية.
- ٨ - الإمام موسى بن جعفر والظلم التاريخي.
- ٩ - الإمام المهدي المنتظر والمدخرات الإلهية، صدر ملحقاً لمجلة سبيل.
- ١٠ - عمر دولة الاستخلاف الإلهي الأخير، صدر ملحقاً لمجلة سبيل القرآنية.
- ١١ - حاطب وهم في ليل عاصف.
- ١٢ - المال والاقتصاد في عصر الظهور.

الآثار المخطوطة:

- ١ - الإسلام وموازن العنف والحوار.
- ٢ - أخلاق الحرب عند الإمام علي عليه السلام.
- ٣ - خرافة كثرة زوجات الإمام الكاظم عليه السلام.
- ٤ - ثقافة التسامح والقبول بالآخر.
- ٥ - العقائد وإشكالية العلاقة مع الآخر.
- ٦ - إشكالية الإسلام والحدثة.
- ٧ - سر كنز الفرات، علاقة الكنز بالغزو الأمريكي للعراق وما يحدث في سوريا الآن.
- ٨ - أثر الطعام على السلوك البشري وعلاقته بالانحراف السلوكي والتفجيرات الإرهابية.
- ٩ - حصاد العمر.
- ١٠ - العجز بين الأسلمة والتنصير والتهويد.
- ١١ - اليسار السياسي والدين.
- ١٢ - شقشقات ستينية.
- ١٣ - الانتخابات البرلمانية والتجربة الجديدة.
- ١٤ - شؤون سياسية وقريبا منها.

النشاط الفكري:

- * راجع الترجمة العربية لكتاب (صنع السلام في الإسلام) للبروفسور الأمريكي من أصل فلسطيني محمد أبو نمر الأستاذ في جامعة واشنطن، وقام بتحقيقها وتدقيقها. الكتاب حاليا تحت الطبع في عمان/ الأردن.
- * ترجم دراسة بعنوان الإسلام وأحداث ١١ أيلول للبروفسور ديفيد سموك

والبروفسور قمر الهدى بالاتفاق مع الكاتبين ونشرها في مجلة مقابسات التي تصدرها جمعيّة النهوض الفكري العراقيّة.

* كتب مقدّمات لمجموعة من الكتب والدواوين الشعرية المطبوعة.

* أسهم باحثاً ومشاركاً في الكثير من المؤتمرات العلميّة والسياسيّة والدينيّة داخل العراق وخارجه.

* ألقى العديد من المحاضرات في المراكز الثقافيّة والجمعيات والمنتديات في بغداد والمحافظات.

* أجريت معه الكثير من الحوارات في القنوات الفضائيّة ومحطات الراديو.

* له بحوث ودراسات مطبوعة ومنشورة في المجلات المتخصصة العراقيّة والعربيّة.

* له مقالات كثيرة جدا منشورة في الصحف العراقيّة والعربيّة.

* له مجموعة كبيرة جداً من المقالات والدراسات والبحوث المنشورة على صفحات الانترنت، كما وله صفحات خاصة (مواقع فرعيّة) على شبكة الانترنت.

* ألقى كثيراً من الدراسات والبحوث في ثقافة التسامح والقبول بالآخر باعتماد أسلوب المقاربة والمقارنة.

الفهرس

٧	الإهداء
٩	تقديم
١٣	مقدمات
١٣	حيرة تاريخية
٢١	لِمَ هذا البحث؟
٤٠	خطة البحث

الجزء الأول: غَزْوُ الْفَصَاءِ وَفَتْحُ الْمَجْرَاتِ فِي عَصْرِ الظُّهُورِ

٤١	الباب الأول: رؤى واستدلالات ومصاديق وإعجاز
٤٣	الفصل الأول: مراحل تطوّر الرؤى الكونية في فكر العلماء
٤٥	مقدمة
٤٩	تطوّر رؤى المرحلة الكونية وموجبات البحث
٥٣	باحثون في الكونية
٥٤	أطروحة عالم سبيط النيلي
٥٥	أطروحة الشيخ عليّ الكوراني
٥٧	أطروحة السيّد الشهيد محمّد محمّد صادق الصدر رحمه الله تعالى
٥٧	الآيات والمراحل
٨١	أطروحة السيّد هبة الدين الشهرستاني
٨٥	أطروحة السيّد فاروق الموسوي
	الفصل الثاني: الاستدلال على حقيقة امتداد سيطرة الحكومة المهدوية إلى العوالم الأخرى
٩١	الأخرى
٩٣	الاستدلال عن طريق المصاديق
٩٩	الكونية وطول العمر
٩٩	طول عمر الدجال

١١٧	الفصل الثالث: مصاديق التطور المادّي
١١٩	المقدمة
١٢١	المشاريع المؤجلة
١٢٧	أولاً: التطور المادّي
١٢٧	١ - المال والاقتصاد العالمي
١٣٧	٢ - المعتقدات والسلوكيات
١٤٥	٣ - السيطرة على الطبيعة
١٤٨	٤ - التبدل العلمي
١٥٨	٥ - الآليات المتطورة
١٥٩	٦ - الإلهام اللغوي
١٦٧	الفصل الرابع: مصاديق التطور الروحي
١٦٩	التطور الروحي
١٦٩	١ - النصر بالأنبياء والأولياء
١٧٢	٢ - النصر بمتخرات الأنبياء
١٧٨	٣ - النصر بالملائكة
١٨٤	٤ - النصر بالشوق إلى لقاء الإمام
١٨٧	٥ - النصر بالأنصار الكونيين
١٩٣	الفصل الخامس: إثبات فرضيات توازي المهمات الكونية مع الأرضية
١٩٥	غزارة إنتاج وحسن توزيع
٢٠٥	الخطاب القرآني الكوني لغير المسلم
٢١١	الفصل السادس: قدرات الإمام المهديّ الإعجازية وعلاقتها بالكونية
٢١٣	قدرات الإمام الإعجازية
٢١٣	ركوب السحاب
٢١٥	الرقّي في الأسباب
٢٢١	مركبات الرقيّ
٢٣٠	طيّ الأرض
٢٣١	النوع الأوّل
٢٣٢	النوع الثاني
٢٣٨	مشاعية طيّ الأرض والكرامات
٢٤٠	الاعتقاد بالكرامات

الجزء الثاني : الأكوان وسكانها وأديانها

- ٢٦١ الفصل الأول : الأكوان وأسرارها الخفية
- ٢٦٣ الأكوان اللامتناهية
- ٢٦٤ الأكوان
- ٢٧٠ أحاديث في سعة الأكوان
- ٢٧٢ الماء في الأكوان
- ٢٧٦ الأكوان المتوازية وقوانينها
- ٢٨١ الفصل الثاني : سكان الأكوان
- ٢٨٣ حقيقة السكان الكونيين
- ٢٨٣ القوانين الكونية
- ٢٨٦ أرض مغربية بيضاء
- ٢٨٩ أربعون شمساً
- ٢٩٠ سكان السماوات السبع والأرضين السبع
- ٢٩١ حديث القرآن عن السكان الكونيين
- ٢٩٧ سكان الأكوان في فكر الديانات الأخرى
- ٣٠٣ التزاوج بين الأرضيين والكونيين
- ٣٠٦ الحضارة الكونية
- ٣١٣ الآلهة الكونيين
- ٣٢٠ آلهة سومر القديمة
- ٣٢٢ سكان الأكوان في فكر الحضارات الأخرى
- ٣٢٤ سكان الأكوان في فكر الأمم المعاصرة
- ٣٢٥ مشاهدات موثقة
- ٣٢٨ سكان الأكوان في نظر العلوم الحديثة
- ٣٤٦ التواصل مع سكان الأكوان
- ٣٥١ صعوبات الاتصال بالعالم الخارجي ومخاطره
- ٣٥٧ نظرة إلى الرأي الدولي العام
- ٣٦٠ اعتبارية الإيمان بفرديّة الأرض
- ٣٦٦ المؤيّدون
- ٣٦٩ الرافضون
- ٣٧٣ الفصل الثالث : أديان سكان الأكوان
- ٣٧٥ ياجوج ومأجوج أنموذج السكان الفضائيين

٣٧٩ جنسهم وأصلهم؟
٣٧٩ من قال إنهم نصف بشر
٣٨٣ من قال إنهم بشر من نسل آدم وحواء
٣٩٠ من قال إنهم أجناس غير آدمية
٤٠٠ طول أعمارهم
٤٠٢ الرسائل وعمومية التكليف
٤٠٢ بيوت العبادة الكونية
٤٠٤ أنبياء المخلوقات الكونية
٤١٥ الفصل الرابع: الإمام وعالم الملكوت
٤١٧ عالم الملكوت
٤٢٧ عمر الدولة ووعده الاستخلاف
٤٢٧ فرضيات عمر الدولة
٤٢٨ الفرضية والمنطوق الأول
٤٣٣ الفرضية والمنطوق الثاني
٤٣٩ مفهوم الدولة
٤٤٥ خلفاء المهدي المرتدون
٤٥٠ الدولة المهديّة والمعيّار التقيميّ
٤٥١ مقومات الانهيار
٤٦٣ أعظم من ملك سليمان
٤٧٠ وعده الاستخلاف وعصر الظهور
٤٧٠ وعده الاستخلاف
٤٧١ خلافة الله
٤٧٧ وعده الله
٤٧٩ السؤال الخطير
٤٧٩ السؤال
٤٨٠ الجواب
٤٨٥ خرق جدار الفكر
٤٨٧ إنه عصر الظهور
٤٩٥ المراجع والمصادر
٥٠٦ المؤلف في سطور